

جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

تأليف
محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الإيجي الشيرازي الشافعي
المتوفى ٩٠٥ هـ

ومعه
حاشية
محمد بن عبد الله الغزنوي
المتوفى ١٢٩٦ هـ

تحقيقه
الركتبي عبد الحميد هندراوي
المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

المجلد الثاني

المحتوى:
من أول سورة الأنفال - إلى آخر سورة طه

منشورات
مكتبة دار العلوم
لتنشيط الكتب الشئمة والجماعة
دار الكتب العلمية
ببيروت - لبنان

مستشارات محمد رجاوي بيروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved ©
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت

الإدارة العامة: صرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية

هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ (+٩٦١ ٥)

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

سورة الأنفال مدنية

وهي خمس وسبعون آية وعشر ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِالْفَلَاحِ مِنَ الْمَلِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ أي: حكم الغنائم نزلت ^(١) حين اختلف كلام الشبان

(١) رواه الترمذي والحاكم، وقالوا: حسن صحيح، وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن حبان ١٢ منه [صححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٤٦٠)].

والشيوخ في غنائم بدر، والشبان ادعوا الأحقية بأنهم باشروا القتال ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾: فيضعها الرسول حيث يأمره الله، ولذلك قسم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- غنائم بدر بين الشبان والشيوخ على السواء، وعن بعض: إن هذا في بدر ثم نسخت بقوله: "واعلموا أنما غنمتم" إلى آخره، فإن غنائم بدر قسمت من غير تخميس وفيه نظر؛ لأن بعض الأحاديث يدل على تخميسها^(١) صريحًا ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في الاختلاف ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: الحال^(٢) التي بينكم بترك المنازعة ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فإن من مقتضى الإيمان طاعة الله ورسوله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾: بأن سمعوا الأذان والإقامة ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: من الله^(٣) فأدوا فرائضه ﴿وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾: تصديقًا ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: لا يرجون غيره، وإن سألوا غيره، فإنهم يعلمون أنه المعطي والمانع ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾: يديمونها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: يؤدون الصدقة الواجبة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: صدقًا من غير شك، صفة مصدر محذوف أي: إيمانًا حقًا، أو مصدر مؤكد، بخلاف المنافق، فإنه لا يدخل في قلبه شيء من ذكر الله تعالى عند الصلوات، ولا يصدقون بآيات الله تعالى كلما نزلت، فلا يزداد إيمانهم،

(١) كحديث علي بن أبي طالب في شارفيه اللذين حصلا له من الخمس يوم بدر/١٢ منه [أخرجه البخاري في "فرض الخمس" (٣٠٩١)، ومسلم في "الأشربة" (٦٥٨/٤) ط الشعب].

(٢) لما كانت الأحوال ملازمة للبين، قيل لها: ذات البين، كاسقني ذا إنياءك، ونحو: ذات الصدور أي: مضمراهما/١٢ منه.

(٣) قال السدي ومجاهد هو الرجل هم بمعضية، فيقال له: اتق الله فيجل قلبه/١٢ منه [ذكره الشيوطي في "الدر المنثور" (٢٩٧/٣) وعزاه لابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في "شعب الإيمان"].

ولا يصلون إذا غابوا عن محضر المسلمين، ولا يؤدون الزكاة، فهم ليسوا بمؤمنين حقاً، هكذا فسرهما ابن عباس -رضي الله عنهما-، أو معناها المؤمن الكامل الإيمان من ضم إلى مكارم أعمال قلبه من الخشية عند ذكر الله تعالى من الإخلاص، واطمئنان النفس ورسوخ اليقين، ومن التوكل عليه في جميع الأمور، محاسن أفعال الجوارح، من الصدقة والصلاة **«لَهُمْ دَرَجَاتٌ»** : من الجنة **«عِنْدَ رَبِّهِمْ»** يرتقونها بأعمالهم لا للمنافقين **«وَمَغْفِرَةٌ»** لسيئاتهم **«وَرِزْقٌ كَرِيمٌ»**^(١) : حسن، وهو رزق الجنة.

«كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ» خبر مبتدأ محذوف، أي: الحال في كراحتهم القتال كحال إخراجك من المدينة، أو متعلق بما بعده، وهو يجادلونك^(٢) ومعنى الوجهين واحد، أو تقديره: حالهم في كراهة حكمنا بأن الأنفال لله تعالى كحالهم في حكمنا بإخراجك من المدينة **«بِالْحَقِّ»** أي: إخراجاً متلبساً بالحكمة والصواب **«وَأِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»** : بعضاً منهم **«لَكَارِهُِونَ»** : الخروج وحينئذ الحملة في موقع الحال، وذلك أن عير قريش أقبلت^(٣) من الشام في تجارة عظيمة، فخرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في عقبهم، فبلغ الخبر أهل مكة، فخرج أبو جهل مع عسكر عظيم، فأراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- القتال ووعد الأصحاب بالظفر فقال بعضهم: هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له، ثم واجهوا العدو وقاتلوا في بدر، والظفر للمسلمين **«يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ»** : وهو إثارة الجهاد **«بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ»** : نصرتهم بإعلام رسول

(١) لما تقدمت ثلاث صفات: قلبية وبدنية ومالية، رتب عليه ثلاثة أشياء فقوبلت القلبية بالدرجات والرفعة، والبدنية بغفران الذنوب التي ارتكبتها الجوارح، والمالية بالرزق الكريم من مستلزمات الجنة/١٢ وجيز.

(٢) أي: يجادلونك في إثارة الجهاد جدالاً مثل جدالهم حين أخرجك ربك... إلخ/١٢ منه.

(٣) كذا نقل ابن مردويه وابن أبي حاتم وغير واحد من الرواة/١٢ منه [ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢٩٩/٣)].

الله - صلى الله عليه وسلم - ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: يكرهون القتال كراهة من يجر إلى القتل، وهو مشاهد ناظر إلى أسبابه ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ﴾ أي: اذكر إذ يعدكم ﴿إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾: العير التي فيها التجارة، أو النفير التي خرجت من مكة ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل اشتغال من ثاني مفعوليّه، وهو إحدى ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ أي: العير التي ليس فيها عدد كثير ولا عدد ﴿تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ﴾: أن يثبت ويظهر ﴿الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾: بأمره إياكم بالقتال، قيل الباء بمعنى مع أي: يرفع كلمة الله ويجعل دينه عاليًا غالبًا ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ الدابر: الآخر، وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال، يعني إرادتك إصابه مال بلا مكروه، وإرادة الله إعلاء كلمته، وفوز الدارين لكم ﴿لِيُحِقَّ^(١) الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ متعلق بمحذوف أي: لهذين الجهتين فعلنا ما فعلنا أو متعلق بيقطع ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾: ذلك ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾: هو إلحاح دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - حين رأى شوكة الأعداء، وهو بدل من إذ يعدكم بأن يكون عبارة عن زمان واسع وقع الوعد في بعض أجزائه والاستغاثة في بعض، أو متعلق بـ "ليحق" ﴿رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ^(٢) لَكُمْ أَنِّي مُّمِدُّكُمْ﴾ أي: بأني ومن قرأ "إني" بالكسر فعلى إرادة

(١) قوله "يريد الله" لبيان الفرق بين الإرادتين، وقوله: "ليحق الحق ويبطل الباطل"، لبيان أنه لم يفعل ما فعل إلا لهذا الغرض الصحيح، والحكمة الباهرة كقولك: أريد أن أكرمك، لإكرامك أنعمت عليك بما أنعمت، فلا تكرر بوجه/ ١٢.

(٢) هو إلحاح دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - حين رأى شوكة لأعدائه، وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب، أن عدد المشركين يوم بدر ألف، وعدد المسلمين ثلاث مائة وسبعة عشر رجلاً، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما رأى ذلك استقبل القبلة ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، وآتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم

القول، أو استحباب بمثلة قال ﴿يَأْلَفُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ : متتابعين بعضهم على إثر بعض، أو مردفين بألف آخر فقد نقل^(١) عن علي رضي الله عنه - : إن جبريل في ألف عن ميمنة النبي صلى الله عليه وسلم - وفيها أبو بكر وميكائيل في ألف عن ميسرته وأنا فيها، ومن قرأ بفتح الدال فمعناه أردف الله المسلمين بهم، أو أردف الله ألفاً بألف آخر وقد أنزل الله تعالى أولاً ألفاً ثم ألفاً ثم ألفاً إلى خمسة آلاف كما ذكرناه في سورة آل عمران ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي : الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾ : بشارة ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ فيزول منها الوجع ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وإمداد الملائكة وكثرة العدد والعُدَد وسائط لا تأثير لها ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ : لا يغالب ﴿حَكِيمٌ﴾ في أفعاله .

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْتُعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝١١﴾
 إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأِكَةِ أَنْبَىٰ مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَنِى فِي قُلُوبِ
 الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢﴾ ذَلِكَ
 بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝١٣﴾
 ذَالِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ۝١٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ
 الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلُوهُمُ الْأَذْبَارَ ۝١٥﴾ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ ذُبْرَةٌ إِلَّا
 مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ

= التزمه من ورائه وقال: يا بني الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك"، فأنزل

الله عز وجل هذه الآية/١٢ [أخرجه مسلم في "الجهاد" (٣/٣٧٤) ط الشعب].

(١) رواه بن جرير/١٢ منه.

وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١١﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٣﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمْ﴾ : الله ﴿النُّعَاسُ﴾ بدل ثان من إذ يعدكم أو بإضمار اذكر ﴿أَمْنَةً﴾ : أمانا وهو مفعول له وفيه شرط^(١) النصب؛ لأن حاصل معنى يغشيكم النعاس تنعسون والأمانة فعل لفاعله ﴿مِنْهُ﴾ أي: حاصلة من الله تعالى وهذه السِّنة^(٢) في البدر أيضا ففي الصحيح أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مع الصديق يدعوان يوم بدر في العريش أخذته سنة ثم استيقظ متبسما وقال: أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناباه النقع، وعن علي^(٣) -رضي الله عنه- قال: لقد رأينا يوم بدر وما فينا إلا نائم إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يصلي ويكي حتى أصبح ﴿وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ : من الجنابة والحدث ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْزَ

(١) وهو أن يتخذ فاعله وفاعل عامله/١٢.

(٢) يعني حكاية النعاس في أحد مشهورة، وفي البدر على ما نقلناه من الصحيح فهو نعاس خاصة برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأما على ما نقل الحافظ أبو يعلى عن علي -رضي الله عنه- فالأمر ظاهر، وفي الجملة القرآن دال على أن النعاس في بدر أيضا كما كان في أحد، إلا كما قال الواحدي في الوجيز/١٢ منه [ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣١٣/٣) وعزاه للبيهقي في "الدلائل" من طريق عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنه-].

(٣) رواه الحافظ أبو يعلى/١٢ منه [ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣١٠/٣) وعزاه لأبي يعلى والبيهقي في "الدلائل"].

الشَّيْطَانُ»: وسوسته، فإنهم في البدر نزلوا على غير الماء، فاحتلم^(١) أكثرهم وقد غلب الكفار على الماء، وقد وسوس إليهم الشيطان بأنكم تزعمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسول الله وحيث تصلون على جنابة، فأنزل الله تعالى المطر، وسال الوادي «وَلْيَرْبِطْ عَلَى قُلُوبِكُمْ» بالصبر واليقين «وَيُثَبِّتْ بِهِ»: بسبب المطر والربط «الْأَقْدَامَ»^(٢) على المحاربة يعني قوى^(٣) قلوبهم، وشجعهم أو المطر لبد^(٤) الرمل بحيث لا يغوص أرجلهم فيه، فثبت أقدامهم، فإنهم في كتيب أعفر^(٥) تسوخ فيه الأقدام «إِذْ يُوحِي» بدل ثالث أو بإضمار اذكر «رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ»: بالعون والنصر، وهو مفعول يوحى، وعند بعضهم أن الخطاب مع المؤمنين أي: أوحى للملائكة أن يقولوا للمؤمنين: إن الله معكم «فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا» بيشارة النصر، أو بتكثير سوادهم، ومحاربة أعدائهم «سَأَلَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ»: الخوف «فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ» أي: الرؤوس أو أعاليها، وهي المذابح، قال ربيع

(١) هذا ما روى عن ابن عباس، وفي الفتح: إن المشهور في كتب السير المعتمدة أن المشركين لم يغلبوا المؤمنين على الماء، بل المؤمنون هم الذين غلبوا عليه من الابتداء وهذا المروي عن ابن عباس في إسناده العوفي، وهو ضعيف جداً/ ١٢ [ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣١١) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ من طريق ابن جرير عن ابن عباس - رضى الله عنه].

(٢) بدأ بلام العلة في فعل جسماني هو التطهير، وعطف عليه من غير لام العلة ما هو لازم التطهير، ثم عطف باللام ما هو فعل محله القلب، وعطف عليه بغير اللام ما هو من لازمه فما أفصح أداء/ ١٢ ووجيز

(٣) على الوجه الأول: تثبيت الأقدام بحاز، وعلى الثاني: حقيقة/ ١٢ منه.

(٤) هكذا روي عن عروة بن الزبير ومجاهد/ ١٢ منه [ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣١١) وعزاه لابن إسحاق وابن أبي حاتم].

(٥) الأعفر: رمل أبيض يخالط حمرة، وتسوخ: تغيب/ ١٢.

بن أنس: كان الناس يعرفون قتلى الملائكة من قتلهم، بضرب فوق الأعناق، وعلى
البنان مثل سمة النار قد أحرق بها ﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾: أصابع أو كل طرف
ومفصل، قيل: الخطاب في قوله فاضربوا للمؤمنين، والأكثر على أنه للملائكة
﴿ذَلِكَ﴾ أي: الضرب أو الأمر به ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: خالفوها، تركوا
الشرع فصاروا في شق^(١) ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: له
﴿ذَلِكَ﴾: الخطاب مع الكفرة أي: الأمر ذلكم، أو ذلكم العذاب ﴿فَذَوْقُوهُ وَأَنَّ
لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ عطف على ذلكم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا﴾ الزحف: الجيش الكثير منصوب
على الحال ﴿فَلَا تُؤَلُّوهُمْ الْأُدْبَارَ﴾ بالانهزام^(٢) ﴿وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القتال
مطلقاً، أو يوم قتال بدر خاصة ﴿دُبْرَهُ﴾: فانهزم ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾: يفر مكيدة،
ليرى أنه خاف، فيتبعه العدو فيكر عليه ويقتله ﴿أَوْ مُتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ﴾ فر من ههنا إلى
فتنة أخرى من المسلمين يعاونونه، حتى لو كان في سرية ففر إلى أميره أو إمامه الأعظم
لجاز، ونصب متحرفاً ومتحيزاً على الحال، أو استثناء من المولين أي: إلا رجلاً متحرفاً

(١) أي جانب غير شق المؤمنين/١٢.

(٢) ذهب الجمهور إلى أن الآية محكمة عامة غير خاصة، وأن الفرار من الزحف محرم، ويؤيد
هذا أن هذه الآية نزلت بعد انقضاء الحرب في يوم بدر، والإشارة في يومئذ إلى يوم
الزحف كما يفيد السياق، ولا منافاة بين هذه الآية وآية الضعف بل هذه الآية مقيدة بها،
فيكون الفرار من الزحف محرماً بشرط ما بينه الله تعالى في آية الضعف، ولا وجه لما
ذكروه من أنه لم يكن في الأرض يوم بدر مسلمون غير من حضرها، فقد كان في المدينة
إذ ذاك خلق كثير لم يأمرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالخروج؛ لأنه -صلى الله عليه
وسلم- ومن خرج معه لم يكونوا يرون في الابتداء أنه سيكون قتال، ويؤيد هذا ورود
الأحاديث الصحيحة بأن الفرار من الزحف من جملة الكبائر/١٢ فتح [الحديث أخرجه
البخارى في "الطب" (٥٧٦٤) وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "الإيمان"].

﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ : رجع ﴿يَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبَنَسَ الْمَصِيرُ﴾: جهنم، أكثر السلف على أن هذا في يوم بدر خاصة^(١)، ولهذا "قال" رسول الله -صلى الله عليه وسلم فيه: "اللهم إن هلك هذه العصابة، فلن تعبد في الأرض أبداً"، وأما في سائر الحروب فجاز الفرار إذا كان الكفار أكثر من مثليهم^(٢) وعن بعض الفرار مطلقاً حرام وكبيرة إلا عن هذين السببين^(٣)، وعن بعض هذا خاصة الصحابة ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ تقديره: إن فخرتم بقتلهم يوم بدر، فلم تقتلوهم بقوتكم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ﴾^(٤) قَتَلَهُمْ : بأن أظفركم عليهم، وأرسل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم، نزلت حين انصرفوا عن القتال يتفاخرون، يقولون: قتلنا فلاناً أو أسرنا فلاناً، فهو تعالى يبين أنه خالق أفعالهم وأنه المحمود على جميع خير صدر عنهم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾: يا محمد قبضة التراب في أعينهم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ أتيت بصورة الرمي ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٥) أتى بما هو غاية الرمي، فصورة الرمي منك، وحقيقتها مني كأنه قال: ما رميت خلقاً إذ رميت كسبا،

(١) فيه إشكال، فإن الآية نزولها إن كانت قبل وقعة بدر لها فائدة لكن ما قبل الآية وما بعدها صريح في أن نزولها بعد وقعته، إلا أن يقال: مضمونها وحكمها قبل كما في "فتبوا الذين آمنوا سألقي" لكن لفظها للامتنان بعد تأمل فإنك لا ترى مفسراً حام حول تحقيقها/١٢ وحيز.

(٥) تقدم تخريجه.

(٢) كما قال تعالى: "علم أن فيكم ضعفاً" الآية/١٢ وحيز.

(٣) وفي الصحيحين وغيرهما أحاديث دالة على أن الفرار مطلقاً من الكبائر/١٢ منه، وهذه الآية دالة على أن تلك الكبيرة سبب لخلود جهنم فإن تلك العبارة لا يحتمل إلا بالخلود كما في صورة قتل المتعمد بغير حق، وصورة الخيف في الإرث/١٢ وحيز.

(٤) فإن قتل الملك يباين قتل الصحابة كما عرف الصحابة/١٢ وحيز.

(٥) إلى أعينهم، وأوصله إليها وأن هذا ليس من جنس أفعال البشر، هذا هو معنى القرآن إن شاء الله، وقد صح عن علي بن أبي طالب وابن عباس وغيرهما، أن الرمية كانت يوم بدر كما كانت يوم حنين مثلاً بمثل/١٢ وحيز.

"وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ قبضة من تراب، بتعليم جبريل عليه السلام فرمى بها وجوه الأعداء، قائلاً: شأهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا وامتلأت عينه منها" (*)، فاشتغلوا بأعينهم فردفهم المؤمنون بالقتل والأسر، وهذه الرمية ليست من جنس أفعال البشر وقوتهم ﴿وَلِيْلِي﴾ تقديره: ولكن الله رمى لفوائد كثيرة وليلى ﴿الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ﴾ : من الله ﴿بَلَاءٌ حَسَنًا﴾ أي: ولينعم عليهم نعمة حسنة عظيمة بالنصر، ومشاهدة الآيات فيشكروا ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ : بدعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمايرهم ﴿ذَلِكُمْ﴾ : إشارة إلى البلاء الحسن، وتقديره: الأمر والحكمة ذلكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: الحكمة إبلاء المؤمنين، وإبطال حيل الكافرين ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ المشركون حين خرجوا تعلقوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم الحزبين وأهدى الفتيين، أو قال أبو جهل يوم بدر: اللهم أهلك أيتنا^(١) أقطع للرحم، فيقول تعالى: إن طلبتم الفتح للأكرمين أو لواصل الرحم، فقد استحباب الله تعالى، فالخطاب على سبيل التهكم ﴿وَأِنْ تَنْتَهُوا﴾ عن الشرك ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا﴾ : إلى الكفر والمخاربة ﴿نَعَذُّ لَكُمْ﴾ بمثل وقعة بدر ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ﴾ : ترفع ﴿عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ﴾ : جماعتكم ﴿شَيْئًا﴾ من الإغناء أو المضار ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ فتتكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : بالنصر^(٢)، فلا يغلبون، ومن قرأ "أن" بفتح الهمزة تقديره: لأن الله مع المؤمنين وقعت تلك الواقعة.

(*) أخرجه مسلم في "الجهاد والسير" (٤٠٩/٣) ط الشعب.

(١) رواه أحمد والنسائي، والحاكم وصححه/١٢ وجز [أخرجه أحمد (٤٣١/٥) والحاكم (٣٢٨/٢) وقال: "حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وأقره الذهبي. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣١٨/٣) وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم].

(٢) بالنصر في الدارين، ولما منَّ على المؤمنين بإهلاك أعدائهم وتداوي ذاتهم، حنهم على الطاعة وعدم مشاهة الأعداء فقال: "يا أيها الذين آمنوا" /١٢ وجز.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٧﴾﴾ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٩﴾﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٠﴾﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ لا تتولوا عن الرسول، ولا تعرضوا عنه، فإن طاعته طاعة الله تعالى ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن أي: بعد ما علمتم وأجبتم داعي الله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ هم الكفرة أو المنافقون ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع انتفاع، فكأنهم ما سمعوا، أو معناه يقولون: أطعنا وهم لا يطيعون. ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾: جميع الحيوانات ﴿عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ﴾: عن الحق ﴿الْبُكْمُ﴾: عن التكلم به ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فهذا الضرب من بني آدم شر الخلق ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾: انتفاعاً بالآيات ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾: إسماع تفهيم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ وقد علم ألا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾: ما صدقوا وما انتفعوا به، فكيف على تقدير عدم

الإسماع، كقوله: نعم العبد صهيب، ولو لم يخف الله لم يعصه ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾^(١) : عنه عناداً بعد الفهم، أو معناه وهم قوم عادتهم الإعراض عن الحق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ وحّد الرسول لأن دعوة الله تسمع من رسوله ﴿لَمَّا يُحْيِيكُم﴾ أي: الإيمان فإنه يورث الحياة الأبدية، أو القرآن فيه الحياة والنجاة، أو الشهادة فإنهم أحياء عند الله يرزقون، أو الجهاد فإنه سبب بقائكم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ : بين^(٢) المؤمن وكفره وبين الكافر وإيمانه، أو يحول حتى لا يدري ما يعمل، أو حتى لا يستطيع أن يعزم على شيء إلا بإذنه، أو تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" ق: ١٦. ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ﴾ لجزاء الأعمال.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(٣) حذر الله المؤمن عن محنة نعم المسيء وغيره، لا تخص من باشر الذنب، والفتنة إقرار المنكر بين أظهرهم والمساهلة في

(١) يعني هم على طبع لا يمكن أن يتأتى منهم الإيمان، إلا إن أزال الله منهم هذا الطبع بالتبديل، فالأسباب لا دخل لها في إيمانهم ومجرد الإراءة من غير تبديل لا يفيد أيضاً/ ١٢.

(٢) عن أنس بن مالك قال: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالوا: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء" أخرجه الترمذي، لباب التأويل المعروف بالخازن [وصححه الشيخ الألباني في "ظلال الجنة" وأخرجه الترمذي (٢٧٦٨) من حديث أم سلمة وصححه الشيخ الألباني وأصل الحديث عند مسلم (٥٠٩/٥) ط الشعب من حديث عمر بن العاص].

(٣) في مسند الإمام أحمد، أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب العامة والخاصة" ١٢/وجيز [أخرجه أحمد في "مسنده" (١٩٢/٤)]

الحسبة، بمعنى لا تصين وبالحا، أو نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وما وقع عليهم يوم الجمل بعد شهادة عثمان -رضي الله عنهم- أو في قوم مخصوصين من الصحابة أصابتهم الفتنة يوم الجمل، والأول أصح، وقوله "لا تصين" إما جواب الأمر على مذهب الكوفيين فتقديره إن لا تتقوا لا تصب الظالمين خاصة، ودخول النون لما فيه من معنى النهي، كأن إصابة الفتنة إليهم خاصة مطلوب، وإما صفة فتنة ولا للنهي؛ لأن النون لا تدخل المنفي في غير القسم بتقدير القول أي: فتنة مقولا في حقها **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**.

﴿وَاذْكُرُوا﴾ : يا معشر المهاجرين **﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾** : في العدد **﴿مُسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾** بمكة قبل الهجرة **﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾** : يذهب بكم، ويعدمكم كفار قريش أو كفار سائر البلاد **﴿فَأَوَّاكُمْ﴾** إلى المدينة **﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾** على الأعداء يوم بدر وغيره **﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾** الغنائم، وكانت لا تحمل للأمم السابقة **﴿لَعَلَّكُمْ﴾** ^(١) **﴿تَشْكُرُونَ﴾** : لكي تشكروا نعمة، والآية خطاب للعرب كافة لا للمهاجرين خاصة، فإن العرب كانوا أذل الناس وأجوعه وأعرأه وأضله، حتى جاء الله بالإسلام فمكنهم في البلاد، وسلطهم على العباد وجعلهم ملوكاً شرفاء، وصيرهم مترفين أغنياء **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾** بترك فرائض الله وسننه، أو بما تضمروا خلاف ما تظهرون **﴿وَتَخُونُوا﴾** داخل في النهي، أو نصب

= وذكره الهيثمي في "المجمع" (٢٦٧/٧) وقال: رواه أحمد من طريقين ورواه الطبراني وفيه رجل لم يسم وبقية رجال أحد الإسنادين ثقات. وذكره الحافظ في "الفتح" (٦/١٣)، وحسنه وعزه لأبي داود.

(١) ولما منَّ عليهم بما منَّ بعد أن كانوا في قلة وذلة، نصحهم بألا يفتنوا بعده بإيثار المال والولد على محبة الله، فإنه ينافي الشكر فقال: "يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا" الآية/١٢ وحيز.

بإضمار أن ﴿أَمَانَاتِكُمْ﴾ أي: لا تنقضوا كل عمل ائتمن الله عليه العباد، أو لا تخونوا أماناتكم فيما بينكم بأن لا تحفظوها ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنها أمانة، أو أنتم^(١) علماء، قال كثير من السلف: نزلت^(٢) في أبي لبابة حين حاصر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قريظة وأمرهم أن يترلوا على حكم سعد فاستشار قريظة من أبي لبابة في التزل على حكم سعد، وكان أهل أبي لبابة وأمواله فيهم فأشار إلى حلقة أنه الذبيح^(٣) فتلك خيانة ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فِتْنَةٌ﴾: اختبار وامتحان ليختبركم أنكم

(١) تميزون الحسن من القبيح/١٢.

(٢) رواه سعيد بن منصور وغيره، عن عبدالله بن أبي قتادة/١٢ أسباب التزل للسيوطي [ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/٣٢٢)] وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) فأشار إلى حلقة أنه الذبيح، فنزلت، وعن الزهري نحوه بأطول منه، وعن الكلبي والسدي نحوه، ولما اشتد الحصار ببني قريظة أطاعوا وانقادوا أن يترلوا على ما يحكم به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فحكم فيه سعد بن معاذ، وقال: إني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال، وتسي الذراري والنساء، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة"، وفي كتاب العلو المنسوب للإمام الذهبي، وعن سعد بن أبي وقاص "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لسعد يعني ابن معاذ -رضي الله عنه-: لقد حكمت فيهم -يعني بني قريظة- بحكم الملك من فوق سبع سماوات" هذا حديث صحيح، وقد رواه الأموي في المغازي عن ابن عباس عن معبد بن كعب بن مالك أن سعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة "قال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع أرقعة، وحديث سعد بن أبي وقاص أصح، انتهى بلفظه، وهذان الحديثان ذكرهما صاحب الفتح تحت هذه الآية عن المواهب اللدنية/١٢ [ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/٣٢٣)] أثر الزهري والكلبي والسدي وحديث سعد بن معاذ أخرجه البخاري في "المغازي" (٤١٢١).

تشتغلون بها عن الله سبحانه، فتنسونه وتعصونه أو تذكرونه وتطيعونه فيها، فإن أبا
لبابة خان بسبب الأولاد والأموال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: خير لكم من
أموالكم وأولادكم، فحافظوا على حدود الله تعالى فيهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٦١﴾
وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا
إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ قَالُوا االلَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ
فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦٣﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٦٤﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا
يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ
أَوْلِيَاءُؤُهُ إِلَّا الْمُتَفَقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ
الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٦﴾ إِنْ
الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَغْلِبُونَ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٦٧﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ
الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا
فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ^(١) آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ : مخرجًا ونجاة في الدنيا والآخرة، أو فصلا بين الحق والباطل أو يفرق بينكم وبين ما تخافون، أو ظهورا يعلسى قدركم ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ : يسترها عن أعين الناس ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ لا يؤاخذكم بها ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فبمحض إحسانه يفي بما وعدكم على التقوى.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ^(٢)﴾ أي: واذكر هذا الزمان ﴿بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِثَبُّوكُ﴾ : ليقيدوك ويحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ : من مكة، اجتمع قريش وشاور بعضهم بعضًا في شأن محمد -صلى الله عليه وسلم-، فقيل: قيدوه حتى يموت وقيل: أخرجوه فتستريحوا من أذاه ثم اتفقوا على رأي أبي جهل وهو: أن يؤخذ من كل بطن رجل، يضربونه ضربة رجل واحد، فلا يقوى بنو هاشم على طلب قوده من جميع قريش، وهذا بتصويب الشيطان فإنه بينهم في صورة شيخ جليل فأمر الله تعالى نبيه بالهجرة^(٣) ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ : يعاملهم الله تعالى معاملة الماكرين ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ إذ مكروه أنفذ تأثيرًا ﴿وَإِذَا^(٤) تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ

(١) ولما حذر عن فتنه الأموال والأولاد، وأطمعهم بما عنده مدَّخَرٌ للأتقياء، بين لهم فوائد التقوى ومنافع ترك الهوى فقال: "يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا" الآية/١٢ وحيز.

(٢) ولما منَّ على المؤمنين بأنهم ذو قلة فأعزهم وكثرهم، منَّ على خاصة رسوله وحبيبه صلى الله عليه وسلم، وهذا في الحقيقة منة جليلة على أمته أعظم المنن فقال "وإذ يَمْكُرُ بِكَ" الآية/١٢ وحيز.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم، عن ابن عباس/١٢ أسباب النزول [أخرجـه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٨٩٩٤) من طريق محمد بن إسحاق عن ابن أبي ليلة عن مجاهد عن ابن عباس... فذكره].

(٤) ولما ذكر مكروهم بنبيه، عقبه بمكروهم في شأن كتابه وآياته فقال "وإذا تتلى" الآية/١٢ وحيز.

الأوليين: ما هذا إلا ما سطره الأولون من القصص، هو اقتبسها وتعلم منها، نزلت^(١) في نضر بن الحارث ومن وافقه ورضي بقوله حين ذهب إلى بلاد فارس وتعلم من أخبار ملوكهم، فلما رجع يحدّثهم من أخبار أولئك، ثم يقول: تالله أينما أحسن قصصاً أنا أو محمد، وهذا غاية مكابرتة وفرط عناده، فإنهم لا يجدون إلى أقصر سورة سبيلاً.

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هذا قول نضر بن الحارث^(٢) أيضاً أو قول أبي جهل^(٣)، وغرضه إظهار عدم الشك في بطلان القرآن، والتعريف في الحق إشارة إلى الحق الذي يدعيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه متزل من ربه، فإنهم يسلمون أنه قصص القرون الماضية، وقد نقل أن معاوية قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة أي: بلقيس قال: أجهل من قومي قومك؛ قالوا حين دعاهم إلى الحق: "إن كان هذا هو الحق" الآية، ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا له ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾: مقيم بمكة، فإن الله تعالى لا يستأصل قومًا وفيهم نبيهم، واللام لتأكيد النفي ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٥) أي:

(١) أخرجه ابن جرير، عن سعيد بن جبيرة/١٢ [وذكره ابن كثير في "تفسيره" (٣٠٥/٢)].

(٢) روي عن أبي سعيد ومجاهد وعطاء/١٢ فتح [أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٩٠٠٨) عن ابن عباس - رضي الله عنه].

(٣) رواه البخاري وابن أبي حاتم والبيهقي، عن أنس بن مالك/١٢ فتح [أخرجه البخاري في "التفسير" (٤٦٤٨)].

(٤) ولما دعوا على أنفسهم، وما استجاب الله مع استحقاقهم بين سبب عدم الاستجابة فقال: "وما كان الله ليُعَذِّبَهُمْ" الآية/١٢ وجيز.

(٥) قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: كانوا يقولون: غفرانك ولبيك لا شريك لك، ونحو هذا مما هو دعاء واستغفار، فجعله الله أمانة منهم في الدنيا/١٢ وجيز [أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٩٠١٧)].

وفيهـم من يستغفر كالمؤمنين الذين كانوا بمكة، وما استطاعوا الهجرة أو لما أمسوا ندموا على قولهم: اللهم إن كان هذا هو الحق، فقالوا: غفرانك غفرانك، فتركت، أو المراد من استغفارهم أنه في علم الله تعالى أن بعضهم يؤمنون، فالمعنى يمهـلهم؛ لأن فيهـم من يستغفر بعد ذلك، وقد ورد: "أنزل على أمانين^(١) لأمتي: "وما كان الله ليعذبهم" الآية فإذا مضيت تركت فيكم الاستغفار"، قيل: هذا دعوتهم إلى الإسلام والاستغفار، أي: استغفروا لا أعذبكم كما تقول: لا أعاقبك وأنت تطيعني، أي: أطعني لا أعاقبك، وقيل معناه: وفي أصلهم من يستغفر ﴿وَمَا لَهُمْ^(٢) أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ قال بعضهم: قوله: "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم" نزل بمكة، فلما خرج عليه الصلاة والسلام إلى المدينة نزل: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، أي: من بقى من المؤمنين في مكة، فلما خرجوا أنزل الله تعالى "وما لهم ألا يعذبهم الله" والتعذيب فتح مكة، أو القتل يوم بدر، أو الجوع والضر، وقال بعضهم: قوله "وما كان الله ليعذبهم" الآية منسوخة بقوله: "وما لهم ألا يعذبهم الله" وهذا عند من قال المراد بالاستغفار: صدور الاستغفار منهم نفسهم، كما ذكرنا غفرانك غفرانك ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: يمنعون المؤمنين ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ كعام الحديبية وإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ مستحقين ولاية أمر المسجد الحرام، فإنهم يقولون: نحن أولياء الحرم نفعل فيه ما نريد ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾:

(١) أخرجه الترمذي وضعفه / ١٢ فتح [أخرجه الترمذي (٣٢٧٨-تحفة) وقال: "حديث غريب" وإسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر يضعف في الحديث. وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الترمذي"].

(٢) لما بين سبحانه أن المانع من تعذيبهم هو الأمان المتقدمان وجود رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين ظهورهم، ووقوع الاستغفار ذكر بعد ذلك أن هؤلاء أعني كفار مكة مستحقون لعذاب الله، لما ارتكبوا من القبائح، فقال: "وما لهم ألا يعذبهم الله" الآية / ١٢ فتح.

عن الشرك **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** إثم غير مستحقين لولاية الحرم ومنهم من يعلم ويعاند.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾ أي: كيف لا يستحقون العذاب، وكيف يكونون ولاية الحرم، وتقربهم إلى الله تعالى وما يضعون موضع صلاتهم الصفير يدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفرون في الطواف **﴿وَتَصَدِيدَةً﴾** : تصفيقاً، وقد نقل كانوا يضعون حدودهم على الأرض ويصفرون بأفواههم ويصفقون بأيديهم، وقال بعضهم: كان إذا - صلى النبي صلى الله عليه وسلم - في الحرم قام رجلان عن يمينه يصفران، ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطوا عليه صلاته، وقال بعضهم: المراد صد الناس عن سبيل الله تعالى، فحينئذ من قلب إحدى الدالين تاء كما في ظنيت من الظن **﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾** : ببدر **﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ^(١) كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا﴾** : الناس **﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾** لما رجع من بقى من الكفرة من البدر إلى مكة، استعانوا من أبي سفيان وغيره من مال تجارة الشام، واستقرضوا أيضاً ثم أنفقوا في غزوة أحد، ولهذا قالوا: نزلت في أبي سفيان، أو المراد صرف أموالهم في غزوة بدر **﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا﴾** أي: بعد ذلك في غزوة أحد **﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾** : في الآخرة، أو في الدنيا لذهاب الأموال، وعدم نيل المرام **﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾** : عاقبة الأمر، وقيل: المراد من قوله: "فسينفقونها" ذكر قرب زمان الإنفاق ثم الحسرة على صرفه ثم غلبة المؤمنين، فإنه وإن كان الإنفاق وحده واقعاً متقدماً لكن الإنفاق والحسرة

(١) لما فرغ سبحانه من شرح هؤلاء الكفرة في الطاعات البدنية، أتبعها شرح

أحوالهم في الطاعات المالية فقال: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم" الآية/ ١٢

فتح.

والمغلوبة، لم يقع بعد حين نزول الآية، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ^(١) يُحْشَرُونَ﴾ يعني: من مات على الكفر منهم ﴿لَيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: الشقي من السعيد، أو الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان من الإنفاق الطيب في سبيل الله تعالى، واللام متعلق بيحشرون، وهذا التمييز في الآخرة أو في الدنيا وحينئذ متعلق باللام مقدر أي: يسر الله للكافرين إنفاق أموالهم في محاربتكم، ليميز الخبيث من الطيب، أي: من يطيعه بقتال أعداء الله ممن يعصيه بالنكول عنه كما قال تعالى "وما كان الله ليجزر المؤمنين على ما أنتم عليه" [آل عمران: ١٠٩]، وقال تعالى "وما أصابكم يوم التقى الجمعان" [آل عمران: ١٦٦] ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ﴾ أي: الفريق الخبيث ﴿بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا﴾: عبارة عن الضم والجمع حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم، أو معناه يضم على الكافر ما أنفقه ليزيد به عذابه، كقوله "فتكوى بها جباههم وجنوبهم" [التوبة: ٣٥] ﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ﴾ أي: الفريق الخبيث ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ ٢٨ ﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِذَا انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢٩ ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ نَعَمْ أَلَمْ تَكُنْ لِلنَّصِيرِ﴾ ٣٠ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ

(١) لما أخبر بما آل إليه حالهم في الدنيا من حسرتهم وكونهم مغلوبين، أخبر بما يؤول إليه حالهم في الآخرة، ولام "ليميز" متعلق بيحشرون، هذا هو ظاهر القرآن، وباقي التوجيهات تمحل وتكلف ١٢/وجيز.

كُنْتُمْ ءَامَنُتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا قَلْبًا لَفَسِلَتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٤﴾

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : كأي سفيان وغيره أي: لأجلهم ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ : عن الكفر ومعاداة الدين ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ : من الذنوب ^(١) ﴿وَأِنْ يَعُودُوا﴾ : إلى القتال ويستمرروا على كفرهم ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ : في نصرة أنبيائه وإهلاك أعدائه، أو سنة الأولين في قريش يوم بدر ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ : لا يوجد شرك ^(٢)، أو لا يفتن مؤمن عن دينه ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ^(٣)﴾ : لا يعبد غير الله تعالى في جزيرة العرب ﴿فَإِنْ انْتَهُوا﴾ : عن الكفر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

(١) فيه دليل على أن الإسلام يجب ما قبله، وفي حديث مسلم وأحمد "إن الإسلام يهدم ما كان قبله، وإن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وإن الحج يهدم ما كان قبله" ١٢/فتح [أخرجه مسلم في "الإيمان" (٣٢٤/١) ط الشعب].

(٢) قاله ابن عباس، وقيل: بلاء، وقد فسرهما جمهور السلف بالكفر/ ١٢/فتح [أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (١٦٢/١) وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٩٠٧٣)].

(٣) قال قتادة: حتى يقال لا إله إلا الله، عليه قاتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإليه دعى ١٢/فتح [أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (١٦٢/١)].

يجازيهم مجازاة البصير بهم، أو معناه فإن انتهوا عما هم فيه من الكفر والقتال، فكفوا عنهم وإن كنتم لا تعلمون بواطنهم، فإن الله بما يعملون بصير ومن قرأ "تعملون" بالتاء، فمعناه: فإن الله بما تعملون من الجهاد والدعوة إلى الإسلام، وتسبيكم إلى إخراجهم من ظلمة الكفر بصير، فيجازيكم ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ولم ينتهوا عن الشرك والقتال ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ : ناصركم ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى﴾ : لا يضيع من تولاه ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(١) فمن نصره لا يغلب أبداً.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ : أخذتم من الكفار قهراً لا صلحاً، أي شيء^(٢) كان ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ مبتدأ خبره مقدر أي: فتابت أن لله خمسها، والأصح أن ذكر الله افتتاح كلام^(٣) للتبرك، وقال بعضهم: سهم الله يصرف إلى الكعبة ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ كان يصرف فيما شاء، والآن لمصالح المسلمين أو للخلق، أو مردود إلى الأصناف الباقية، أو لقراية النبي -صلى الله عليه وسلم- ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ هم بنو هاشم وبنو عبدالمطلب^(٤)، أو من لا يحل له الزكاة، أو بنو هاشم وحدهم^(٥)، أو

(١) الله والمخصوص بالمدح مقدر، ولما قال: "وقاتلوهم" يخطر بالبال أن المال الذي يؤخذ منهم بعد نصر المؤمنين، كيف يفعل به؟ فقال: "واعلموا أنما غنمتم" الآية/١٢ وجز.

(٢) وقد خصص الإجماع من عموم الأسارى، فإن الخيرة فيها إلى الإمام بلا خلاف، وكذلك سلب المقتول إذا نادى به الإمام، وقيل: وكذلك الأرض المغنومة، ورد بأنه لا إجماع على الأرض/١٢ فتح.

(٣) كما تقول لعبدك: أعتقك الله وأعتقتك/١٢ وجز.

(٤) وليس لبني عبد شمس وبني نوفل منه شيء وإن كانوا إخوة، لقوله -صلى الله عليه وسلم- : "إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه" وهو في الصحيح، وبه قال الشافعي وأحمد وأبو ثور ومجاهد وقتادة وابن جريج ومسلم بن خالد/١٢ فتح [الحديث أخرجه البخاري في "الغازي" (٤٢٢٩)].

(٥) وبه قال مالك والثوري والأوزاعي وغيرهم وهو مروي عن علي بن الحسين ومجاهد/١٢ فتح.

قريش^(١) كلهم **﴿وَالْيَتَامَى﴾** : يتامى المسلمين فقراءهم، أو فقرائهم وأغنيائهم، أو يتامى ذوي القربى **﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾** : المحاويج الذين لا يجدون ما يصدون خلتهم، أو مساكين ذوي القربى **﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾** : المسافر أو مريد السفر إلى مسافة القصر، وليس له ما ينفقه في سفره، أو ابن السبيل من ذوي القربى، فعلى هذا الغنيمة تقسم على خمسة: أربعة منها للمحاربين، وخمس هؤلاء المذكورين **﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾** تقديره: امتثلوا ما شرعت لكم في الغنيمة، إن كنتم آمنتم بالله **﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾**: يوم فرق فيه بين الحق والباطل، وهو يوم بدر، والآية نزلت فيه **﴿يَوْمَ اتَّقَى الْجَمْعَانِ﴾** : المسلمون والكفار، وهو يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان^(٢) **﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** ولهذا قدر على نصر القليل على الكثير.

(١) روى ذلك عن بعض السلف، واستدلوا بما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- "أنه لما صعد الصفا جعل يهتف ببطون قريش كلها قائلاً: يا بني فلان يا بني فلان" [أخرجه البخاري في "التفسير" (٤٧٧٠)]، واختلفوا في سهم ذوي القربى، هل هو ثابت اليوم أم لا؟ فذهب أكثرهم إلى أنه ثابت فيعطى فقراءهم وأغنيائهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ الأنثيين، وبه قال مالك والشافعي، وقيل: إنه غير ثابت وسقط سهمه وسهمهم بوفاته -صلى الله عليه وسلم- وصار الكل مصروفاً إلى الثلاثة الباقية، وبه قال أبو حنيفة وأصحاب الرأي وحجة الجمهور أن الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوي القربى وكذا الخلفاء بعد الرسول -صلى الله عليه وسلم- كانوا يعطونهم، ولا يفضلون فقيراً على غني؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أعطى العباس مع كثرة غناه وكذا الخلفاء بعده/١٢فتح.

(٢) وهو أول مشهد شهده رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كذا روي عن علي -رضي الله عنه/١٢فتح.

﴿إِذْ أَنْتُمْ﴾ بدل من يوم الفرقان ﴿بِالْعُدْوَةِ﴾ : شط الوادي ﴿الدُّنْيَا﴾ : الأقرب من المدينة ﴿وَهُمْ﴾ : كفار مكة ﴿بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ : جانب الوادي الأبعد من المدينة ﴿وَالرَّكْبُ﴾ أي: ركب أبي سفيان الذين جاءوا من الشام ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ : في مكان أسفل من مكانكم أي: ساحل البحر، منصوب على الظرف واقع موقع خبر و"الركب" ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ أنتم والكفار للقتال ﴿لَا خَتَلْتُمْ﴾ : أنتم ﴿فِي الْمِيعَادِ﴾ : خوفاً وهيبة لقتلكم وكثرهم ﴿وَلَكِنْ﴾ جمع الله تعالى بينكم بصنعه من غير ميعاد وإرادة لكم ﴿لِيقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ : في علمه، أو معناه حقيقة بأن يفعل من نصر أوليائه، وإعلاء كلمة الإسلام ﴿لِيَهْلِكَ﴾ بدل من ليقضي، أو متعلق بمفعولا ﴿مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيٍّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ أي: ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآيات، فلا يبقى له حجة وعذر بوجه، ويؤمن من آمن عن حجة وبصيرة ويقين، فاهلاك والحياة: الكفر والإيمان، أو ليموت من يموت عن بينة عاينها، ويعيش عن حجة شاهدها، لئلا يكون له حجة ومعدرة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ : بكفر من كفر، وإيمان من آمن ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في قلوبهم.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ بدل ثان من يوم الفرقان، أو مقدر باذكر ﴿فِي مَنَامِكَ﴾^(١) قليلاً لتخبر أصحابك فيكون تشجيعاً لهم، وهو ثالث مفاعيل يريكم ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ﴾ : لجبتهم ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ : اختلفت كلمتكم في أمر القتال ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ : أنعم بالسلامة من التنازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما كان وما سيكون

(١) اعلم أن رؤيا الأنبياء حق ووحى، بمعنى أن رؤياهم معبر لا أضغاث أحلام كرؤيا نبينا - صلى الله عليه وسلم- في أمر القردة على منبره وغير ذلك فيجوز أن يراهم قليلاً في العدد، وحكى على أصحابه من غير أن يعبر، وتعبيره ضعفهم فإن الضعف يترتب على القلة أكثر، فما أخطأ في منامه، والله أعلم/١٢ وحيز.

من الجبن والتنازع ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّفَقْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ^(١)﴾ لا في المنام ﴿قَلِيلًا^(٢)﴾ حال عن ثاني مفعولي يريكموهم لا مفعول ثالث؛ لأنه من رؤية العين ههنا، وإنما قللهم في آعين المسلمين تثبيتاً لهم، وتصديقاً لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم - ﴿وَيَقْلِلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ﴾ ليحترؤا، أو لا يستعدوا للحرب حتى قال أبو جهل: إهم أكلة جزور، ثم كثرهم في آعينهم حتى يروهم مثليهم، لتفاجئهم الكثرة فتكسر قلوبهم ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ : من إهلاكهم وإذلالهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ : فلا أمر إلا وهو خالقه، وعلى الحقيقة هو فاعله، أو بعد الدنيا مصير الكل إليه فيجازيهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾

(١) إشارة إلى أن ما مر لا من رؤية العين/١٢ منه.

(٢) قال ابن مسعود: لقد قللوا في آعيننا، حتى قلت لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا منهم رجلاً فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفاً/١٢ منه [أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (١٠/١٠) وابن أبي حاتم (٩١٢٧)].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ^(١) آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ : حاربتم جماعة، والمؤمنون لا يحاربون^(٢) إلا الكفار ﴿فَانْهَبُوا﴾ : ولا تنهزموا ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا^(٣)﴾ : في تلك الحال^(٤) بأن تستغيثوا به، وتتوكلوا عليه وتسألوا النصر ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ : كي تظفروا بمرامكم ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾ : باختلاف الآراء ﴿فَتَفْشَلُوا﴾ : فجنبوا، جواب النهي ﴿وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ : دولتكم ووقاركم وريح النصر، فإن النصره لا تكون إلا بريح^(٥) كما في الحديث: "نصرت بالصبا"^(٦) ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا﴾ : فخرًا^(٧)

(١) ولما بين أن النصر والغلبة من الله لا يؤثر فيه القلة والكثرة، أمر المؤمنين بالتوكل وطلب النصر من الله المؤثر، فقال "يا أيها الذين آمنوا" الآية ١٢/وجيز.

(٢) فلا حاجة إلى ذكر وصف الفئته بكونها كفارًا ١٢/منه.

(٣) قال قتادة: افترض الله ذكره عند أشغل ما يكونون عند الضراب بالسيف ١٢/فتح، وحاصل الكلام، أنه تعالى أمرهم عند لقاء العدو بالثبات والاشتغال بذكر الله، ومنعهم من أن يكون الحامل لهم على ذلك الثبات البطر والرياء، بل أوجب عليهم أن يكون الحامل لهم عليه طلب عبودية الله، واعلم أن حاصل القرآن من أوله إلى آخره دعوة الخلق من الاشتغال بالخلق وأمرهم بالغناء في طريق عبودية الحق، والمعصية مع الانكسار أقرب إلى الإخلاص من الطاعة مع الافتخار ١٢/كبير.

(٤) وهي حالة الذهول عن كل شيء، فأمرُوا بذكر الله الذي يفرع إليه عند الشدائد ١٢/وجيز.

(٥) يقال: هبت ريح فلان، إذا ذهب دولته ١٢/منه.

(٦) وأهلك عاد بالدبور ١٢/منه [أخرجه البخارى في "الاستسقاء" (١٠٣٥)]، ومسلم في "الاستسقاء" [.

(٧) عن قتادة قال: ذكر لنا "أن نبي الله -صلى الله عليه وسلم- قال يومئذ: اللهم إن قریشًا قد أقبلت بفخرها وخيلاءها لتجادل رسولك، وقال: جاءت من مكة أفلاذها" وقد

وطغياناً **﴿وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾** : ليشنوا^(١) عليهم بالشجاعة والغلبة والرياسة، كما قال أبو جهل، لما قيل: إن العير قد نبأ فارجعوا، فقال: والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر وننحر الجزور، ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان^(٢)، وتسمع^(٣) بنا العرب **﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾** عطف على بطراً، سواء كان مفعولاً له، أو حالاً على تأويل المصدر **﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾**^(٤) : عالم بما جاءوا به وله، ولهذا جازاهم شر الجزاء **﴿وَإِذْ زَيْنٌ﴾** مقدر باذكر **﴿لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ﴾** في معادة الرسول، فإنه تمثل^(٥) لهم في سورة سراقه بن مالك الكناني، وهو من أكابر بني كنانة معه عسكر وراية **﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ﴾** خير لا، أو صفة غالب، ولو كان ظرفاً لغالب لوجب أن يقال: لا غالباً **﴿الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾** لكثرة عددكم وعددكم **﴿وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ﴾** : مجيركم من بني كنانة وممدكم في الحرب، وكان بين قريش وبني كنانة حرب وعداوة،

= احتج بهذه الآية الشيخ عبدالعزيز الدهلوي، على أنه لا يجوز طوف البلد للعروس بركوب الخيل وغيرها، كما اعتاده أهل الهند في عقود مناكحهم/١٢] أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (١٣/١٠) ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٩١٥٢) وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/٣٤٤).

(١) إشارة إلى أن بطراً ورياء منصوبان بالعلية/١٢ منه.

(٢) جمع قينة: الجارية المغنية/١٢.

(٣) فتهابنا آخر الأبد، نعم وردوا، فسقوا كؤوس المنايا وناحت عليهم النوائح، فنهى الله المؤمنين أن يكونوا مثلهم بطرين مرئين بأعمالهم صادين عن سبيل الله/١٢ وجيز.

(٤) كالتهديد والزجر عن الرياء والتصنع/١٢ كبير.

(٥) قد صح عن ابن عباس وغيره، بروايات متنوعة تمثل الشيطان بصورة آدمي معه عسكر وراية/١٢ منه] أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (١٤/١٠) وابن أبي حاتم (٩١٥٧).

وخافوا من بني كنانة فلهذا أجارهم ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِثَانِ﴾ : التقى الجمعان ﴿نُكَصَ عَلَى عَقِيئِهِ﴾ : رجع القهقري وكانت يده في يد أحد من المشركين فقال له : أفرارا من غير قتال؟! فضرب في صدر صاحبه المشرك فانطلق ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ من جنود الله : ملائكته ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ وهذا كذب منه، ما به مخافة الله تعالى لكن علم أنه لا قوة له ولا منعة، أو أخاف الله أن يهلكني فيمن أهلك، أو خاف أن يصله مكروه من الملائكة، وهذا عادته الشؤمة كما حكاه تعالى "كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر" الآية [الحشر: ١٦] ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ من تمة كلام الشيطان، أو ابتداء كلام الله تعالى.

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ لَا دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ كَذَابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ كَذَابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالِ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿فَإِنَّمَا تَتَشَفَّعُ لَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾

وَأَمَّا تَخَافَتْ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْخَائِنِينَ ﴿٦٠﴾

﴿إِذْ يَقُولُ﴾ مقدر باذكر ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ : شرك، أو قوم
أسلموا بمكة ولم يهاجروا وخرجوا مع الكفار يوم بدر، ولما رأوا^(١) المسلمين قليلا ارتابوا
وارتدوا، وقالوا: ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ﴾ أي: المؤمنين ﴿دِينُهُمْ﴾ حتى تعرضوا مع قتلهم كثرتنا،
فقتلوا جميعا، فقال تعالى مجيبا لهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا غالب
لأمره، ولا يضام من التجأ إليه ﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله لا يضعها إلا في موضعها ﴿وَلَوْ
تَرَى﴾ يا محمد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: لو رأيت^(٢) حالهم حين قتلهم
الملائكة يوم بدر، وقال بعضهم: هذا عند الموت لا يخص بيوم بدر ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾:
إذا أقبلوا ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾: إذا أدبروا، والجملة حال ﴿وَذُوقُوا﴾ أي: ويقولون^(٣):

ذوقوا، عطف على يضربون ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: بشارة لهم بجهم، قال بعضهم: مع
الملائكة مقامع من حديد كلما ضربوا التهمت النار منها، وجواب "لو" مقدر أي: لو
ترى لرأيت أمرا فظيحا هائلا ﴿ذَلِكَ﴾ الضرب ﴿بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: بشؤم
ذنوبكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ عطف^(٤) على ما قدمت، قيل: للدلالة على

(١) هكذا قال مجاهد وغيره/١٢ [أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (١٠/١٦)].

(٢) إشارة إلى أن لو عكس أن يجعل المضارع ماضيا/١٢ منه.

(٣) تقدير يقولون، ليس لأجل دفع عطف الإنشاء على الإخبار، بل لأن المعنى على
ذلك/١٢ منه.

(٤) عطف على ما قدمت أشار إلى أن من عفى عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، وظلموا
عباد الله المؤمنين صار ظلما كثيرا الظلم، بمعنى أنه وضع الشيء في غير موضعه اللائق،
وبهذا فسر أهل اللغة الظلم، وما ورد في كتاب الله الظلم إلا بهذا المعنى، والعفو في
موضع لا تقضيه الحكمة ظلم لاشك فيه، وليس هذا من الاعتزال في شيء قيل: إن ذلك

أن سببية مقيدة بانضمامه إليه، إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنب، وظلام للتكثير لكثرة العبيد فالظالم لهم كثير الظلم.

﴿كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: دأبهم وطريقتهم كدأبهم ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ : من قبل آل فرعون ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ تفسير الدأب ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أخذ هؤلاء ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ لا يغلبه شيء ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ : للكافرين ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأخذ بالذنوب، لا التعذيب بغير ذنب ﴿بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي: بسبب أن عادة الله جارية، بأن لا يبدل نعمة على قوم بنعمة، حتى غيروا حالهم إلى أسوأها كقريش، كذبوا بآيات الله واستهزؤا بها، وصدوا عن سبيل الله وغيرها من القبائح ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ : لما يقولون ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمرون، ولولا إحاطة علمه كيف يأخذهم بأعمالهم؟! ﴿كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: عادتهم كعادتهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ تكرير للتأكيد ﴿وَكُلٌّ﴾ : من الأولين والآخرين ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾^(١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا : رسخوا^(٢) في الكفر ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ : لرسوخهم فيه ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من الذين كفروا ﴿عَاهَدَتْ مِنْهُمْ﴾ أي:

= على طريق النسب كتمار ولبان، وقيل: ذلك على طريق التوزيع، فإن العبيد دال على الاستغراق فالظالم لهم كثير الظلم لإصابة كل منهم ظلماً، فالمعنى ليس بظالم هذا ولا ذلك ما لا يحصى فالمبالغة راجعة إلى الكمية، وتأمل قول القاضي البيضاوي في هاهنا وفي سورة آل عمران، كيف وقع فيما فر منه/١٢.

(١) جمع الضمير للفواصل ولم يجعل على لفظ كـ "كل" يعمل على شاكلته "[الاسراء: ٨٤]، و"فكلاً أخذنا بذنبه" [العنكبوت: ٤٠]/١٢ وجيز.

(٢) فسر الذين كفروا بالرسوخ والإصرار؛ لأن مجرد الكفر لا يخبر عن المتصف به بأنه لا يؤمن/١٢.

أخذت منهم العهد ﴿ثُمَّ يَتَقَضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ كيهود بني قريظة، نقضوا عهدهم وأعانوا المشركين بالسلاح، وقالوا: نسينا وأخطأنا، فعاهدهم الثانية فنقضوا^(١) يوم الخندق ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ : عاقبة الغدر ﴿فَإِمَّا^(٢) تَقَفَّيْتُمْ﴾ : تظفرن بهم وتأسروهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ﴾ أي: بسبب قتلهم ﴿مَنْ خَلَفَهُمْ﴾ أي: فافعل بهم عقوبة، يفرق منك ويخافك من ورائهم من الكفرة ليعتبروا، فلا ينقضوا العهد بعد ذلك، يعني: غلط عقوبتهم ليكون عبرة لغيرهم ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: من خلفهم ﴿يَذْكُرُونَ﴾ : يتعظون، فيحذرون أن ينكثوا فيصنع بهم مثل صنيعهم ﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ﴾ : معاهدين ﴿خِيَانَةً﴾ : نقض عهد بإمرة تلوح لك ﴿فَأَنِذِرْ إِلَيْهِمْ﴾ : اطرح إليهم عهدهم ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ أي: ثابتاً على طريق مستو متوسط، بأن تخبرهم أنك قطعت العهد الذي بينك وبينهم، فلا يكونون على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك، فالجار والمجرور حال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ تعليل لنقض العهد وعدم مفاجأة القتال بلا إعلام.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَغْلُمُونَ ﴿٥﴾ * وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَبْدَكَ بَصْرَهُمْ وَيَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ وَأَلْفَ بَيْنٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ

(١) فهم شر سائر الكفرة/١٢ منه.

(٢) ثم أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالشدة والغلظة عليهم، فقال: "فإمّا"/١٢ افتح.

أَنْفَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَتِينَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُمْ
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾
 ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ : يا محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ : فاتونا فلا نقدر عليهم، بل هم
 تحت قهر قدرتنا، ومن قرأ "لا يحسن بالياء فالذين كفروا فاعله، بتقدير: أن سبقوا
 فحذفت أن، أو تقديره: لا يحسن الذين كفروا أنفسهم سبقوا، أو فاعله ضمير إلى "من
 خلفهم" أو إلى جيل المؤمنين، وفي الجميع تكلف ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ : لا يجدون
 طالبهم عاجزاً عن إدراكهم، ومن قرأ بالفتح ^(١) فتقديره: لأنهم لا يعجزون، قال
 بعضهم: نزلت ^(٢) فيمن أفلت يوم بدر من المشركين.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ : للكفار ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ : من كل ما يتقوى به في الحرب،
 وفي الحديث ^(٣) الصحيح: "ألا إن القوة الرمي" قالها ثلاثاً ﴿وَمِنْ رِبَاطٍ﴾ ^(٤) الْخَيْلِ
 الرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ﴿تُرْهَبُونَ﴾ : تخوفون ﴿بِهِ﴾ : بما استطعتم
 ﴿عَدُّوا اللَّهَ وَعَدُّوكُمْ﴾ : كفار مكة ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: من دون كفار
 مكة ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾ : لا تعرفوهم ^(٥) ﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ : يعرفهم، هم المنافقون أو

(١) أي: بفتح أن/١٢ منه.

(٢) هكذا نقله محي السنة/١٢ منه.

(٣) كما في صحيح مسلم وغيره/١٢.

(٤) اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، قال أبو حاتم: الرباط من الخيل الخمس فما
 فوقها/١٢ فتح، وقيل: إذا كان الرباط اسماً للخيل فيكون من إضافة الشيء إلى نفسه،
 والجواب أن الرباط اسم للمربوطات لكن لا يستعمل إلا في الخيل، فالإضافة باعتبار
 عموم المفهوم الأصلي/١٢، وقد ورد في استحباب الرمي وما فيه من الأجر واستحباب
 اتخاذ الخيل وإعدادها، وكثرة ثواب صاحبها أحاديث كثيرة لا يسع المقام بسطها، وقد
 أفرد ذلك جماعة من العلماء بمصنفات/١٢ فتح.

(٥) ليس له إلا مفعول واحد/١٢.

اليهود أو أهل فارس^(١) ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ : قليل أو كثير ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْفَ إِلَيْكُمْ﴾ أجره وجزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ بتضييع العمل.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ﴾ : مالوا للصلح ﴿فَاجْنَحْ﴾^(٢) لَهَا : مل إليها^(٣)، قال بعضهم: الآية منسوخة بقوله: "قاتلوا الذين لا يؤمنون"، وفيه شيء لأن المهادنة لكثرة الأعداء ولغيرها جائزة إذا رأى الإمام، وقال بعضهم: الآية مخصوصة بأهل الكتاب ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في الصلح، ولا تحف خداعهم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ : لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنياهم ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ : يريدون بالصلح خديعة ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ﴾ : محسبك وكافيك ﴿اللَّهُ هُوَ الَّذِي آيَدَكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ مع ما فيهم من الضغينة في أدنى شيء ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ لتناهي عداوتهم وجهالتهم، فإن بين الأوس والخزرج من العداوة والحروب ما لا يمكن الإصلاح، فالله بمحض قدرته ألف بينهم فاجتمعوا وأنفقوا، وأنساهم الله تلك الشحناء فصاروا أنصاراً ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ فإنه مقلب القلوب ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ : غالب لا يغالب أبداً ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع كل شيء في موضعه ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ : كافيك ﴿وَمَنْ آتَبَعَكَ﴾^(٤) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) وقيل: كل من لا تعرف عداوته، وقيل: بنو قريظة، وقيل: غير ذلك، والأولى الوقف في تعيينهم لقوله: "لا تعلموهم" ١٢/.

(٢) وتأنيث السلم، قيل: لغة، وقيل: بمعنى المسلمة، وقيل: حملا على النقيض وهو الحرب، وهذا كما فعل يوم الحديبية، والظاهر أن هذه الآية قبل صلح الحديبية/١٢ وجزئ.

(٣) يقال: مال له ومال إليه/١٢ منه.

(٤) اختلفوا في محل "من"، فقال أكثر المفسرين: محله خفض عطفاً على الكاف في قوله: "حسبك" معناه: حسبك الله وحسب من اتبعك/١٢ معاً.

مفعول معه، أي: محسبك^(١) مع المؤمنين الله، أو عطف على "الله"، نزلت في غزوة بدر، وقال بعضهم: نزلت حين أسلم عمر، ثم اعترض عليه بأن الأنفال كلها مدنية^(٢)، وإسلام عمر قبل الهجرة فلا يصح هذا.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُتَخَرَّجَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ فَكُلُوا مِمَّا غَنَمْتُمْ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝﴾

(١) الله، كما تقول: حسبك وزيداً درهم، والمعنى: كافيك وكافي المؤمنين وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية أي: وحده حسبك، وحسب المؤمنين الذين اتبعوك، ومن قال: إن المعنى أن الله والمؤمنين حسبك، فقد ضل بل قوله من جنس الكفر، فإن الله وحده هو حسب كل عبد مؤمن، والحسب الكافي كما قال تعالى: "أليس الله بكاف عبده" [الزمر: ٣٦] وقال تعالى "وقالوا حسبنا الله" [آل عمران: ١٧٣]، [التوبة: ٥٩] ولم يقل ورسوله "وقالوا إنا إلى الله راغبون" [التوبة: ٥٩] ولم يقل هنا وإلى رسوله انتهى. ١٢/فتح.

(٢) لم يستثنوا منها شيئاً، صرح بهذا كثير من المفسرين، وبه قال الحسن لا عكرمة وجابر بن زيد وعطاء وعبدالله بن الزبير وزيد بن ثابت، وعن ابن عباس أنه قال: نزلت في بدر، وفي لفظ: تلك سورة بدر كذا في الفتح/١٢.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ أي: بالغ في حثهم عليه ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ شرط في معنى الأمر^(١) بمصاربة الواحد للعشرة والوعد بالغلبة ﴿وَأِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ : بسبب جهالتهم بالله يقاتلون لأجل حظ دنيوي، فلا تثبت أقدامهم إذا رأوا شدة القتال وظنوا الهلاك ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ نزلت لما ثقلت على المسلمين مقابلة الواحد مع العشرة، فنسخها وخفف عنهم ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ في البدن أو في البصيرة، فإن في بعضهم ضعف البصيرة ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾^(٢) أي: إن كانوا على الشطر من عدوهم لم يجز الفرار، وإلا جاز ولم يجب القتال، ثم اعلم أنه ذكر في الأول العشرين والمائة، وفي الثاني المائة والألف، للدلالة على أن حكم القليل والكثير واحد ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره وإرادته ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٣) : بالنصر والظفر ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ ما صح وما استقام لني من الأنبياء أن يأخذ أسرى، ولا يقتلهم ﴿حَتَّى يُنْخِجَ فِي الْأَرْضِ﴾ : يكثر القتل فيعز الإسلام ويذل الكفر ﴿تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا﴾: حطامها، أي: الفداء ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ أي: يريد لكم ثواب الآخرة، أو ما هو سبب نيل الجنة من إعزاز الدين وقمع الملحدين ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ يعلم ما

(١) ولذلك دخلها النسخ، فإن الشرط إذا كان فيه معنى التكليف جاز فيه النسخ/١٢ وحيز.

(٢) قال سفيان وابن شبرمة: وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا، إن كان رجلين أمرهما، وإن كانوا ثلاثة فهو في سعة من تركهم/١٢ فتح كذا في المعالم.

(٣) ولما كان الصبر شديد المطلوبة أثبت في أول جملي التخفيف، وحذف من الثانية ثم ختم الآية بقوله: "والله مع الصابرين" مبالغة في أن الصبر هو الأصل، والعمدة في الغلبة/١٢ وحيز.

يليق بالأحوال، نزلت حين جاءوا بأسارى بدر، فاستشار^(١) فيهم، فقال عمر: هم أئمة الكفر والله أغناك عن الفداء فاضرب أعناقهم، وقال أبو بكر: هم قومك وأهلك لعل الله يتوب عليهم، خذ منهم فدية تقوى بها أصحابك، فقبل الفداء وعفى عنهم ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ يعني في أم الكتاب أن لا يعذب مسلم شهد البدر، وهم مغفورون، أو فيه أن المغام والفداء حلال لكم، أو لا أعذب من عصاني إلا بعد تصريح بنهي ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾: من الفداء قبل أن أذن لكم ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا﴾ أي: أبحث لكم الغنائم فكلوا ﴿مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾: من الفدية، فإنها من جملة الغنائم ﴿حَلَالًا﴾ حال، أو أكلا حلالا ﴿طَيِّبًا﴾ قيل: إنهم أمسكو عن الغنائم أيضًا، وخافوا أشد خوف، فترل "فكلوا" الآية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في مخالفته ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ فيغفر ذنبكم ﴿رَحِيمٌ﴾ فأباح لكم الفداء.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنِ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٦٠ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٦١ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَتَنَصَّرُوا أَزَلَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنَ وَلَدَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنْ أَصْنَصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٦٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ

(١) أي رسول الله - صلى الله عليه وسلم/ ١٢.

كَبِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا
وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ
بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٤﴾
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾
بأن يتعلق علم الله بحصول إرادة إيمان وإخلاص فيها ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ إن أسلمتم ﴿خَيْرًا مِمَّا
أَخَذَ مِنْكُمْ﴾ : من الفداء ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ ما صدر قبل الإسلام منكم ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾ نزلت في عباس وأصحابه، أسروا يوم بدر^(١) وأخذ منهم الفداء، وكان العباس
بعد ذلك يقول: أعطاني الله مكان عشرين أوقية أفديتها لنفسي ولابني أخي كانت
معي، والتمست من النبي -عليه الصلاة والسلام- أن يحاسبني من جملة فدائي وفداء
ابني أخوي فأبى فأبدلني الله في الإسلام عشرين عبدًا كلهم في يده مال يضرب به مع ما
أرجو من مغفرة الله.

(١) "لما أخذ العباس طلب منه فدائه وفداء أقاربه، فقال: ما ذاك عندي، قال عليه الصلاة
والسلام: - فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل؟ فقال: والله لأنت رسول الله!! إن
هذا الشيء ما علمه غيري وغيرها، قال: فاحسب لي ما أصبتم من عشرين أوقية من
مال كان معي، فقال عليه الصلاة والسلام: لا ذاك شيء أعطانا الله تعالى ١٢/ منه،
أخرج الحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة في فداء
أسراءهم، بعثت زينب بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في فداء أبي العاص،
وبعثت فيه بقلادة فلما رآها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رق رقة شديدة، وقال:
"إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها/ ١٢ افتح.

﴿وَإِنْ^(١) يُرِيدُوا﴾ أي: الأسارى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ فيما أظهروا لك من الإسلام والإخلاص
﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ﴾ : بالكفر ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ : من قبل بدر ﴿فَأَمْكَنَ﴾ أي: فأمكنك
﴿مِنْهُمْ﴾ يوم بدر، فإن عادوا نعد، قال بعضهم^(٢): نزلت في عبدالله بن سعد الكاتب
حين ارتد ولحق بالمشركين، قال بعض^(٣): نزلت في عباس وأصحابه حين قالوا: آمنا
بك ولننصحن لك على قومنا، والأكثر^(٤) على أنه عامر ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ : بخيانة من
خان ﴿حَكِيمٌ﴾ : بتدبيره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ
آوَوْا﴾ : أسكنوا المهاجرين منازلهم ﴿وَوَصَّرُوا﴾ أي: نصروهم على أعدائهم ﴿أُولَئِكَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ : في الميراث دون أقاربهم، آخا رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - بين المهاجرين^(٥) والأنصار، كل اثنين أخوان فكانوا يتوارثون بذلك إراثًا مقدمًا
على القرابة، حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا
لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ أي: ليسوا لكم بأولياء في الميراث ﴿وَإِنْ
اسْتَنْصَرُوكُمْ﴾ أي: المؤمنون الذين لم يهاجروا ﴿فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ :
فواجب عليكم نصرتهم على المشركين ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ : عهد
فلا تنقضوا عهدكم في نصرتهم عليهم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الوفاء بالعهد ونقضه

(١) ولما ذكر ما ذكره من العوض لمن علم في قلبه خيرًا، ذكر من هو على ضد ذلك منهم،
فقال: "وإن يريدوا خيانتك" الآية/ ١٢ فتح.

(٢) هو قتادة/ ١٢.

(٣) قاله ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس/ ١٢ منه.

(٤) هكذا قال السدي/ ١٢ منه.

(٥) نقله البخاري عن ابن عباس/ ١٢ وجيز.

﴿بَصِيرٌ﴾ : فيجازيكم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَظْمِهِمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ﴾ في الميراث دون المسلمين ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: إن لم تفعلوا ما أمرتم من قطع العلائق حتى في الميراث بينكم وبين الكفار ﴿تَكُنْ﴾ : تحصل ﴿فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ في الدين كقوة الكفر وضعف الإسلام ﴿وَالَّذِينَ^(١) آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ : صدقاً من غير ريب، دون من آمن وسكن دار الشرك، وفي الحديث المتفق على صحته بل المتواتر: "المرء^(٢) مع من أحب"، ونصب حقاً على المصدر المؤكد، أو تقديره: إيماناً حقاً ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ : في الجنة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ : من جملتكم، أيها المهاجرون والأنصار، فإن المهاجرين بعضهم هاجروا قبل الحديبية، وبعضهم بعد صلحها قبل فتح مكة وهي الهجرة الثانية ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ في التوارث من الأجانب ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في حكمه، أو في اللوح وهذه ناسخة للإرث بالحلف والإخاء الذي كانوا يتوارثون به أولاً ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيعلم صلاح الأوقات.

(١) ثم بين سبحانه حكماً آخر يتعلق بالمؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله، والمؤمنين الذين

آووا من هاجر إليهم ونصروهم وهم الأنصار، فقال: "والذين آمنوا" الآية ١٢/فتح.

(٢) وفي عبارة رواية أخرى "من أحب قوماً حشر معهم" ١٢/منه.

سورة التوبة

سورة براءة والتوبة ولها أسماء أخر مدينة قيل إلا الآيتين
لقد جاءكم رسول وآياها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون
ولها ستة عشر ركوعاً

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا فِي
الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۝٢
وَأَذِّنْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ
الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ
مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ
الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ
عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝٤ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ
فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ
كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ
ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾

﴿براءة﴾^(١) مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، أى : هذه براءة واصله^(٢) من الله ورسوله ﴿إِلَىٰ

(١) في البخاري عن البراءة: إن براءة آخر سورة نزلت حين رجع عليه الصلاة والسلام من
غزوة تبوك وقصد الحج فكره مخالطة الكفار سيما وهم يطوفون بالبيت عراة/ ١٢ منه .

(٢) إشارة إلى أن "من الله" صفة لبراءة لا أنه من صلة براءة / ١٢ منه .

الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ أي : الله ورسوله براءاً من العهد الذي عاهدتم به المشركين ، وإن كان صادراً من رسوله - صلى الله عليه وسلم - بإذن الله تعالى ، يعني وجب نبذه ولا عهد بعد ذلك ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ : أيها المشركون ، ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ ، والأصح أنه من يوم النحر إلى عاشر ربيع الآخر ، وعند بعضهم أنه إلى سلخ الحرم ؛ لأن الآية نزلت في شوال والأكثر (١) على أن من كان له عهد مؤقت ولم ينقض عهده فأجله إلى مدته مهما كان ، ومن له عهد غير مؤقت أو دون أربعة أشهر أو أكثر لكن نقضه فيكمل له أربعة أشهر وقد صحت بهذا الروايات عن علي رضي الله عنه - ، وفي رواية (٢) عن ابن عباس أن من له عهد مؤقت أو غير مؤقت فأجله أربعة أشهر ومن ليس له عهد فأجله انسلاخ الأشهر الحرم فمن يوم النحر إلى انسلاخ الحرم خمسون ليلة ثم السيف حتى يدخلوا في الإسلام ، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنكُم غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ : لا تفوتونه وإن أمهلكم ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُنْزِي الْكَافِرِينَ﴾ : مذهبهم في الدنيا والآخرة ، ﴿وَأَذَانٌ﴾ أي : إعلام ، عطف على براءة ﴿مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ : يوم أفضل أيام المناسك وأكبرها جميعاً (٣) وهو يوم العيد أو يوم عرفة أو أيام الحج كلها ، وعن الحسن البصري رحمه الله : عام ، حج فيه أبو بكر (٤) -

(١) هذا قول الكلبي ومحمد بن كعب القرظي وغير واحد من السلف واختاره ابن جرير وهو الرواية عن السدي وقتادة / ١٢ منه .

(٢) إشارة إلى أن بعض الروايات عن ابن عباس يوافق قول الأكثرين / ١٢ منه .

(٣) وإذا كان يوم العيد فأكبريته باعتبار أن ما يفعل فيه معظم أفعال الحج من الطواف والسعي والخلق والرمي والذبح ، وإذا كان المراد يوم عرفة فلأنه يحصل في هذا اليوم أعظم واجباته ، لأنه إذا فات فات الحج والحج عرفة / ١٢ منه .

(٤) عن ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث أبا بكر وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات ثم أتبعه علياً وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات فانطلقا وحجا فقام على

رضي الله عنه - بالاستخلاف، وعن بعضهم: الذي حج فيها النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود والنصارى والمشركون ولم يجتمع قبله ولا بعده وقال بعضهم الحج الأصغر العمرة ، «أَنَّ اللَّهَ» أي : بأنه «بِرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ» أي : من عهودهم ، «وَرَسُولُهُ» عطف على المستكن في بريء ، أو مبتدأ محذوف الخبر ، أي : ورسوله كذلك وعند ابن حجب^(١) جاز في مثله أن يكون عطفاً على محل اسم "أن" ، «فَإِنْ تُبْتُمْ» : من الكفر والغدر ، «فَهُوَ» ، أي : الرجوع ، «خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ» : من التوبة ، «فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ» : غير فائتين أخذه وعقابه ، «وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» ، في الآخرة ، «إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ» ، استثناء من المشركون في قوله "بريء من المشركون" فالمستثنى من جميع المشركون من كان أجل عهده فوق أربعة أشهر ولم ينقضوا^(٢) العهد ، فوجب إتمام عهدهم على الأصح ، وأما على ما نقلنا عن ابن عباس رضي الله

= في أيام التشريق فنأدى: إن الله بريء من المشركون ورسوله فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ولا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا مؤمن ، فكان علي ينادي فإذا أعبى قام أبو بكر ينادي بها. أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس [وهو صحيح، انظر صحيح سنن الترمذى (٢٤٦٨)] ، وفي الباب أحاديث في الصحيحين وغيرهما / ١٢ فتح .

(١) فإنه قال : أن المفتوحة قسمان قسم هو في حكم المكسورة نحو علمت أن زيداً قائم وعمرو ، فإن "علم" لا يدخل إلا على المبتدأ والخبر فلا بد أن نقول "أن" في حكم إن المكسورة فجاز فيها العطف على اسمها بالرفع، وقسم ليس في حكمها نحو: أعجبت أن زيداً قائم وعمراً ، فلا يجوز إلا النصب في "عمراً" / ١٢ منه .

(٢) وهم بنو ضمرة حي من كنانة أمر الله تعالى رسوله بإتمام عهدهم إلى مدقم، وكان قد بقي من مدقم تسعة أشهر وكان السبب فيه أنهم لم ينقضوا العهد/ ١٢ معالم .

عنهما في بعض الروايات فمعناه: أتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم ، أي : مدة قدرنا وهي أربعة أشهر لكن في الاستثناء يختل الفصل بأجنبي^(١) أو تقديره: فقولوا لهم: سيحوا واعلموا أن الله بريء منهم لكن الذين عاهدتم ولم ينقضوا عهدهم أتموا عهدهم وأمهلوهم بعد أربعة أشهر إلى انقضاء أجلهم ، «ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا شَيْئًا» : من شرط العهد ، «وَلَمْ يُظَاهِرُوا» : لم يعاونوا «عَلَيْكُمْ أَحَدًا» : من أعدائكم ، «فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى» ، تمام «مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ» ، فإتمام العهد من التقوى ، «فَإِذَا انْسَلَخَ» ، انقضى ، «الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ» : الأشهر التي حرمت فيها قتلهم وأجلناهم فيها وهو أربعة أشهر لغير من كان معاهدته أكثر من أربعة أشهر ولم ينقض عهده وأكثر من أربعة أشهر لهم فإن بني ضمرة وبني كنانة بقي من مدة عهدهم تسعة أشهر وأوله يوم النحر أو يوم نزول الآية وقد نزلت في شوال كما ذكرنا ، «فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ» : كافة ناكثاً وغير ناكث ، وعلى ما نقلنا عن ابن عباس رضي الله عنهما فمعناه: إذا انقضى الأشهر الحرم وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم فاقتلوا المشركين الذين لا عهد لهم أصلاً، فعلى هذا أول الصفر ابتداء جواز المقاتلة مع من ليس له عهد ، «حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» : من حل أو حرم ، «وَاخْذُواهُمْ» : ائسروهم ، «وَاحْضَرُوهُمْ» ، احبسوهم وضيّقوا عليهم ، «وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ» : كل ممر حتى لا يتوسعوا في البلاد ، «فَإِنْ تَابُوا» : عن الشرك ، «وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ» : فدعوهم ولا تعرضوا لهم بشيء ، «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» : يغفر زلاتهم وينعم عليهم .

«وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ» : الذين أمرتك بقتلهم ورفع "أحد" بشرطة التفسير ، «اسْتَجَارَكَ» : طلب منك الأمان ، «فَأَجِرْهُ» : آمنه ، «حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ» ،

(١) وهو قوله: فإن تبتم فهو خير لكم / إلخ ١٢ منه .

تقرأه عليه وتقيم عليه حجة الله تعالى ، ﴿ثُمَّ أبلغه مأمته﴾ ، هو مستمر الأمان إلى أن يرجع بلاده ، ﴿ذَلِكَ﴾ : الأمر بأمنه ، ﴿بِائْتَهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) : جهلة فلا بد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوها كلام الله لعلهم يعقلون فيطيعون .

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْلَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٦﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٧﴾ أَشْتَرُوا بِثَايِتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿٩﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفُصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١١﴾ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ قَتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتَخْزِيهِمْ وَنِصْرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَشَفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٤﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا

(١) أي : لا يعلمون دين الله وتوحيده، فهم محتاجون إلى سماع كلام الله قال الحسن: هذه الآية محكمة إلى يوم القيامة. / ١٢ معالم .

يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا
الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ ، استفهام إنكار ، أي :
يمكن ذلك وهم على الشرك والكفر وخير يكون "عند^(١) الله" و"كيف" حال من
العهد ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ^(٢) الْحَرَامِ﴾ ، يعني يوم الحديبية ومحلّه الجـر
والنصب على الاستثناء المتصل ، لأنه في معنى ليس للمشرّكين عهد إلا الذين ، أو
منقطع أي : لكن تربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم ، ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا
لَهُمْ﴾ ، أي : فإن استقاموا على الوفاء بالعهد فاستقيموا أنتم أيضاً "فما" شرطية ، ﴿إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ، والوفاء بالعهد من التقوى ، هم أهل^(٣) مكة^(٤) نقضوا عهدهم

(١) وجاز أن يكون خبر "يكون للمشرّكين" و"عند الله" ظرف للعهد / ١٢ منه .

(٢) هذه الآية تدل على صحة ما نقلنا عن الأكثرين ورجحناه بأنه ثابت عن علي رضي الله
عنه فتدبر / ١٢ منه .

(٣) فإنهم عاهدوا عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت
خزاعة في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم
عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منها وأعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر
وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : "اللهم إني ناشد محمداً" إلى آخر ما قال من
الأشعار ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا تُصِرْتُ إِنْ لم أنصركم وتجهز إلى
مكة سنة ثمان حتى فتحتها إلى تمام القصة / ١٢ معاً . [رواه أبو يعلى عن حزام بن
هشام بن حبيش عن أبيه عنها ، وقد وثقهما ابن حبان ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح ،
كذا في المجمع (١٦١/٦)] .

(٤) أي : الذين عاهدتهم عند المسجد الحرام / ١٢ منه .

وقاتلوا حلفاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فعند ذلك قاتلهم وفتح مكة، وقال بعضهم: هم قبائل^(١) من بني بكر قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية ولم ينقضوا والناقض قريش وبعض قبائل بني بكر فإن بني ضمرة ممن استمر على عهده فما قاتلهم أحد حتى أسلموا بلا مقاتلة، «كَيْفَ»، تكرر للاستبعاد، أي: كيف لهم عهد عندك؟! «وَأِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ»، والحال أنهم إن يظفروا بكم، «لَا يَرْقُبُوا»: لا يراعوا، «فِيكُمْ إِلَّا»: قرابة، أو حلفا قال بعضهم الإل هو الله عبراني، «وَلَا ذِمَّةٌ»: عهدا، «يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ»، استئناف، أي: يظهرون خلاف ما يضمرون، «وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ» الوفاء بما قالوا «وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ»: ناقضون للعهد، «اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ»: استبدلوا بالقرآن، «ثَمَنًا قَلِيلًا»: متاع الدنيا قيل نقضوا العهد بأكلة أطعمهم أبو سفيان، «فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ»: أعرضوا عن دينه، أو منعوا الناس عن الدخول في دينه، «إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»، عملهم^(٢) هذا، «لَا يَرْقُبُونَ»: لا يحافظون، «فِي مَوَاقِفٍ»، فإنهم يحبون الكفر وأهله، «إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ»: قرابة وعهدا، «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ»: المتجاوزون الغاية في الشرارة، «فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

(١) قال محيي السنة: هذا أقرب إلى الصواب، لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة، فكيف يقول لشيء قد مضى "فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم"، وإنما هم الذين قال الله عز وجل "إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئا" يعني كما نقضكم قريش، "ولم يظاهروا عليكم أحدا" كما ظهرت قريش بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. انتهى ما قاله محيي السنة. قال المصنف في المنهيات بعد أن نقل هذا القول: وأنت إن تأملت في بعض الآيات لعرفت أن الظاهر أن نزولها قبل الفتح/١٢.

(٢) قوله عملهم هذا هو مخصوص بالذم المحذوف / ١٢ منه .

فَاِخْوَانُكُمْ» ، أي : فهم إخوانكم^(١) ، «فِي الدِّينِ»^(٢) وَكَفَصَّلُ الْآيَاتِ : نكررها ونبينها ، «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» ، وهم المؤمنون ، «وَإِنْ تَكْثُرُوا أَيَّمَا أَيْمَانِهِمْ» : نقضوا موافيقهم ، «مَنْ بَعْدَ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي»^(٣) دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ : رؤساء مشركي قريش فإنهم ناقضون للعهد مستهزئون بدين الله ، أي : قاتلوهم ؛ لأنهم صاروا بذلك ذوي الرياسة في الكفر^(٤) قال بعضهم : هم أهل فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان : لم يأت أهلها بعد ، «إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ» : لا عهود لهم فإن عهدهم على الحقيقة ليس بعهد ومن قرأ لا إيمان بكسر الهمزة فمعناه لا إسلام أو لا أمان لهم ، «لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ»^(٥) ، أي : قاتلوهم^(٦) لعلهم يرجعون عما هم عليه من الكفر والعناد ، «أَلَا تَقَاتِلُونَ» ، تحريض على القتال ، «قَوْمًا تَكْثُرُوا أَيَّمَا أَيْمَانِهِمْ» : كفار مكة

(١) يعني "إخوانكم" خبر مبتدأ محذوف / ١٢ .

(٢) قال ابن عباس : حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه :

أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يترك فلا صلاة له / ١٢ معالم .

(٣) قد استدل بالآية على أن الذمي إذا طعن في الدين لا يقتل حتى ينكث العهد كما قال

أبو حنيفة ، لأن الله إنما أمر بقتلهم بشرطين أحدهما : نقض العهد ، والثاني : الطعن في

الدين ، وذهب مالك والشافعي وغيرهما إلى أنه إذا طعن في الدين قتل ؛ لأنه ينتقض

عهده بذلك ، قالوا : وكذلك إذا حصل من الذمي مجرد النكث فقط من دون طعن في

الدين فإنه يقتل / ١٢ فتح .

(٤) إشارة إلى أنه وضع أئمة الكفر موضع الضمير للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوي

الرياسة والتقدم في الكفر . بمعنى : قاتلوهم فإنهم أحقاء / ١٢ منه .

(٥) هذه الآيات كالصريح في أن نزول تلك الآيات قبل فتح مكة خلاف ما قال محي السنة

كما كتبنا على الحاشية ، اللهم إلا أن يقال : هذه الآيات من قوله : " وَإِنْ تَكْثُرُوا أَيَّمَا أَيْمَانِهِمْ

" قبل الفتح والآيات التي تقدمت بعده / ١٢ منه .

(٦) ولما تقدم الحث على القتال أمر به "قاتلوهم" الآية / ١٢ وحيز .

نقضوا عهد الحديبية ، «وَهُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ^(١)» : من مكة كما مر في قوله :
 "وإذ يمكر بك الذين كفروا" «وَهُمْ بَدَعُوكُمْ» : بالقتال ، «أَوَّلَ مَرَّةٍ» ، يعني يوم
 بدر فإنهم خرجوا لنصر غيرهم فلما نجحت استمروا على وجههم طلباً للقتال بغياً
 وتكبراً ، أو المراد أنهم بدعوا بالقتال مع حلفائكم خزاعة ، «أَتَخَشَوْنَهُمْ» : أتتركون
 قتالهم خشية منهم «فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ» : فلا تتركون لدينه ضعفاً وتسعون في
 إعلاء كلمته «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» ، فإن الإيمان الكامل ينفي الخشية عن غير الله ،
 «فَاتْلُوهُمْ» ، أمر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ، «يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ
 وَيُخْزِيهِمْ» : يذلهم ، «وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ» ، وعد من الله بنصر المؤمنين وقتل الكافرين
 وإذلالهم ، «وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ» أي : بني خزاعة أعانت قريش بني بكر
 عليهم ، «وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ» : كرها بمعونة قريش بني بكر ، «وَيُتُوبُ اللَّهُ
 عَلَى مَنْ يَشَاءُ» : من المشركين كأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما ، «وَاللَّهُ
 عَلِيمٌ» : بما كان وما لم يكن «حَكِيمٌ» : لا يأمر إلا بما هو المصلحة «أَمْ حَسِبْتُمْ» :
 أيها المؤمنون ، وأم منقطعة بمعنى الهمة فيها توبيخ على الحسابان وقيل خطاب
 للمنافقين ، «أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ» ، أي : نترككم
 مهملين ولا نختبركم بأمور يظهر الخلل من غيرهم ، نفى العلم ، وأراد نفى المعلوم
 للمبالغة نفياً للملزم بنفي اللازم ، «وَلَمْ يَتَّخِذُوا» ، عطف على جاهدوا ، «مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ» : بطانة وأولياء يفشون إليهم أسرارهم ،
 «وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» : يعلم أغراضكم من أفعالكم .

(١) من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة وهو بأحد أمور ثلاثة قتله وحبسه وإخراجه ،
 وإنما اقتصرنا على الهم بالإخراج ؛ لأنه هو الذي وقع أثره في الخارج بحسب الظاهر
 وكانت دار الندوة مكان اجتماع القوم للتحدث وكان قد بناها قصي ، وقد أدخلت
 الآن في المسجد فهي مقام الخفي الآن / ١٢ فتح .

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ * أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ ۚ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾

﴿مَا كَانَ﴾ : ما صح ، ﴿الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ ، أي مسجد كان ، أو المراد مسجد الحرام، وجمعه لأنه قبلة المساجد ، ويدل عليه قراءة من قرأ مسجد الله وعمارته مرمرته عند الخراب، أو الصلاة والقعود فيه أو أعم ، قيل : نزلت في عباس حين أسر في البدر فأغلظ علي - رضي الله عنه - له القول في التعبير فأجاب: تعدون مساوئنا

ولا تذكرون محاسننا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ،
«شَاهِدِينَ»^(١) عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ ، حال من فاعل يعمروا ، أي : ما استقام الجمع
بين عمارة بيت الله وعبادة غيره ، «أُولَئِكَ حَبِطَتْ»^(٢) أَعْمَالُهُمْ ، لأن الكفر يذهب
ثوابها ، «وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ» إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ، في باب^(٣) الدين وأمره يعني
من كان بهذه الصفات فهو اللائق بعمارة المساجد قال صلى الله عليه وسلم "إذا رأيتم^(٤)
الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان" ، قال الله تعالى : " إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ " (التوبة: ١٨) ، وقد ورد "عمار المساجد هم أهل^(٥) الله" «فَعَسَى
أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ» ، قيل الإتيان بلفظ عسى إشارة إلى ردع الكفار
وتوبيخهم بالقطع في زعمهم أنهم مهتدون فإن هؤلاء مع هذه الكمالات اهتدأؤهم دائر
بين عسى ولعل فما ظنك بمن هو أضل من البهائم! وإشارة أيضاً إلى منع المؤمنين من
الاغترار والانتكال على الأعمال ، «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» ،
أي : أهل السقاية والعمارة ، وقيل المصدر بمعنى اسم الفاعل ، أي : الساقى والعامر ،

(١) وشهادتهم على أنفسهم هو قولهم في الطواف لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك

تملكه وما ملك إذا سئلوا عن دينهم قالوا: نعبد اللات والعزى / ١٢ منه .

(٢) لأنها لغير الله عز وجل / ١٢ معالم .

(٣) لا أن يترك الدين خشية من زوال مال أو جاه أو تعبير أو قتال / ١٢ منه .

(٤) ذكره الإمام أحمد والدارمي والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن المنذر والبيهقي هذا يدل

على أحد الوجهين الأخير في قوله: "ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله" / ١٢

منه وفتح . [ضعيف، انظر ضعيف الجامع]

(٥) رواه الترمذي وابن مردويه والحاكم في مستدركه والحافظ البزار / ١٢ منه . [ضعيف،

وهو في "الحلية" أيضاً لأبي نعيم (١٧٣/٦)]

﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ^(١) الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، وفي مسلم قال رجل من: الصحابة ما أبالي أن لا أعمل لله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج ، وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام ، وقال الآخر: الجهاد خير مما قلتُم^(٢) فقال عمر: استفتيت من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله تعالى : " أجعلتم سقاية الحاج " الآية ، وعن كثير من السلف: أنها نزلت في مفاخرة عباس وطلحة وعلي بن^(٣) أبي طالب رضي الله عنهم ، قال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه ، ولو أشاء أبيت فيه ، وقال العباس بعد إسلامه : أنا صاحب السقاية والقائم عليها ، وقال علي : ما أدري ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب الجهاد ، وأنزلت حين قال المشركون^(٤) : عمارة البيت والقيام على السقاية خير من الإيمان والجهاد ، ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ؛ بل المجاهد أفضل لكن للمرجوح درجة^(٥) ثم بين بقوله ، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ، أن من ليس له فضل ، ولا هداية ولا درجة هم الذين ظلموا أنفسهم بعبادة الأوثان مكان عبادة الله ، وإن كان سبب التزول مفاخرة المشركين فقوله : " والله لا يهدي القوم الظالمين " لبيان عدم التساوي ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ : ممن لم

(١) جاز أن يكون تقديره: أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجهاد من جاهد؟! / ١٢ منه .

(٢) يعني من السقاية والعمارة / ١٢ منه .

(٣) تصديقاً لمن قال الجهاد أفضل / ١٢ منه .

(٤) رواه العوفي في تفسير هذه الآية عن ابن عباس / ١٢ منه .

(٥) هذا على أن تكون تلك المفاخرة بين المسلمين كما بين في الوجهين الأولين ، وأما على

الوجه الثالث فهو الذي ذكرناه بقولنا : وإن كان سبب التزول إلى آخره فافهم/ ١٢

منه .

يستجمع هذه الصفات ، «وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ» : بالنجاة الكلية^(١) عن النار والظفر المطلق بالأمنية ، «يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ» : دائم ، «خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» : يستحقر دونه نعيم الدنيا بأسرها ، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ» : أصدقاء ، «إِنِ اسْتَحْبَبُوا» : اختاروا ، «الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ» ، نزلت حين أمروا بالهجرة من مكة فإن بعض^(٢) المؤمنين قالوا : إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرتنا وزهبت تجارتنا وخربت دورنا ، أو نزلت نهيًا عن موالاته التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة ، «وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» : بوضع الموالاته مكان المعلداة ، «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ» : أقرباؤكم ، «وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا» : اكتسبتموها ، «وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا» : تستطيبونها ، «أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا» ، جواب الشرط ، أي : انتظروا ، «حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» : عقوبته العاجلة والآجلة ، «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» : لا يرشد الخارجين عن الطاعة وفي الحديث^(٣) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه فقال عمر : فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : الآن يا عمر ، قيل المراد الحب الاختياري دون الطبيعي الذي لا يدخل تحت التكليف .

(١) فلا يرد أن من لم يكن له هذه الصفات لم يكن من الفائزين فلا تغفل / ١٢ منه .

(٢) نقله محي السنة والواحد / ١٢ منه .

(٣) رواه البخاري في صحيحه / ١٢ وحيز .

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذَبِّرِينَ﴾ ١٥ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿١٩﴾

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ : أماكن ، «كثيرة ويوم» (١) حُنَيْنٌ ، أي : وموطن يوم حنين (٢) واد بين مكة وطائف وقع فيه المقاتلة بعد فتح مكة ، «إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ» ، بدل من يوم حنين ، «كثرتكم» ، المؤمنون اثنا عشر ألفا والكفار أربعة آلاف ، «فَلَمْ تُغْنِ» ، أي : لم تدفع الكثرة ، «عَنكُمْ شَيْئًا» : من أمر العدو ، «وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ

(١) عطف على محل في موطن ولا محظور فيه أصلاً فلا تخف من قعقة سلاح الزمخشري فليست تحته إلا إخافة وليس بشيء فتدبر / ١٢ منه .

(٢) قدر المضاف في يوم حنين ، لأن المتعلقات لا يعطف بعضها على بعض إلا ما هو من جنسه نحو صمت يوم الجمعة ويوم الخميس ، ولا يقال صمت يوم الجمعة وفي بلدك وبتقدير المضاف صاراً ظرفين مكانين وحاز أن يقدر في أيام موطن حتى يكونا زمانيين / ١٢ منه .

الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ» ، أي : برحبها وسعتها فلم تجدوا موضعاً للفرار تطمئن به نفوسكم ، «ثُمَّ وَلَّيْتُمْ» : فررتم ، «مُذْبِرِينَ» : منهزمين حتى بلغ^(١) فلككم مكة وبقي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مركزه معه العباس وأبو سفيان^(٢) ، «ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ» : ماسكن واطمئن به الفؤاد من رحمته ، «عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ» : فنادى العباس بأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكان صيئاً : يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة. فكروا عنقاً واحداً قائلين لبيك لبيك ، «وَأُنْزِلَ جُنُوداً» : من الملائكة ، «لَمْ تَرَوْهَا» ، لكن قالوا : سمعنا صلصلة بين السماء والأرض كما مرار الحديد على الطست الجديد ، «وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا» : بالقتل والسي ستة آلاف أسير من صبي وامرأة ، «وَذَلِكَ» ، إشارة إلى ما فعل بهم ، «جَزَاءُ الْكَافِرِينَ» : في الدنيا ، «ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ» ، فإن كثيراً ممن بقي من هؤلاء المقاتلين بعد الوقعة بقرب من عشرين يوماً قدموا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مسلمين فرد عليهم سبيهم كلها برضى المؤمنين وقسم أموالهم بين الغانمين ، «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» : لمن آمن يتجاوز عنه ويتفضل عليه ، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ»^(٣) : باطنهم ودينهم قال قتادة

(١) أي : منهزموكم يستوي فيه الواحد والجمع / ١٢ .

(٢) ابن حارث بن عبد المطلب وابنه جعفر وعلي بن أبي طالب وربيعة بن الحارث والفضل بن عباس وأسامة بن زيد وأيمن بن عبيد وثبت معه أبو بكر وعمر فكانوا عشرة رجالاً / ١٢ وجيز .

(٣) جعلوا كأنهم النجاسة مبالغة، فإن النجس بفتح الجيم مصدر أو معناه ذور نجس فإن شركهم بمنزلة نجس ، وعن بعض أن أعيانهم كالكلاب والخنازير نجسة، وعند الحسن من مس مشركاً فليتوضأ / ١٢ وجيز ، وفي الفتح: قد استدل بالآية من قال : بأن المشرك نجس الذات كما ذهب إليه بعض الظاهرية، وروي عن الحسن البصري ، وهو

لأنهم^(١) لا يتطهرون من جنابة ولا من حدث ، «فَلَا يَقْرُبُوا الْمَسْجِدَ»^(٢) الْحَرَامَ ، منعوا من دخول الحرم ، وقيل : منعوا عن الحج^(٣) والعمرة لا عن الدخول مطلقاً ، «بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا» ، وكان سنة تسع أرسل علياً ونادى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ، «وَأِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً» : فقراً بسبب منع الكفار من الحرم لانقطاع المتاجر ، «فَسَوْفَ يُعْطِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» : من عطائه بوجه آخر ، «إِنْ شَاءَ» ، قيده بالمشيئة لينقطع الآمال إلى الله عوضهم الجزية وأموال البلدان ، «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» : بأحوالكم ، «حَكِيمٌ» : في المنع والإعطاء ، «فَاتِلُوا»^(٤) الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، أمر بقتال أهل الكتاب ، فهم لا يؤمنون إيماناً كما ينبغي فإيمانهم كلا إيمان ، «وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» : كالخمر والربا ، «وَلَا يَدِينُونَ»^(٥) دِينَ الْحَقِّ : لا يعتقدون دين الثابت الناسخ لسائر الأديان ، «مِنَ الَّذِينَ

= محكي عن ابن عباس ، وقال الحسن بن صالح : من مس مشركاً فليتوضأ ويروى هذا عن الزيدية وذهب الجمهور من السلف والخلف ومنهم أهل المذاهب الأربعة إلى أن الكافر ليس بنجس الذات ؛ لأن الله سبحانه أحل طعامهم وثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذلك من فعله وقوله ما يفيد عدم نجاسة ذواتهم فأكل في آنيتهم وشرب منها وتوضأ فيها وأنزلهم في مسجده وهو الحق / ١٢ .

(١) فعلى قوله نجس ظاهرهم وباطنهم / ١٢ منه .

(٢) يطلق مسجد الحرام ويراد به الحرم كله / ١٢ منه .

(٣) فيكون المراد من المسجد الحرام نفس المسجد ؛ لأن الحج لا بد له من الدخول فيه / ١٢ منه .

(٤) ولما بين وفصل أمر المشركين من قريش وغيره توجه إلى أمر أهل الكتاب فقال : " قاتلوا الذين " الآية / ١٢ وجيز .

(٥) يقال فلان يدين بكذا إذا اتخذ دينه واعتقده / ١٢ منه .

أُوتُوا الْكِتَابَ ، بيان للذين لا يؤمنون ، «حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ» : ما تقرر عليهم أن يعطوه ، «عَنْ يَدٍ» : عن قهر وذل يقال لكل شيء أعطي كرها : أعطاه عن يد أي : عاجزين فهو حال أو يعطونها بأيديهم ولا يرسلون على يد غيرهم ، أي : المسلمين بأيديهم وقيل : عن غنى^(١) ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير ، «وَهُمْ صَاغِرُونَ» ، ذليلون ، عن ابن عباس رضي الله عنهما يؤخذ منه وتوجأ عنقه .

«وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْكَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٦٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتَنِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

(١) يقال: لفلان ذات يد أي ثروة ومال / ١٢ منه .

مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا
 الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكَ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾
 إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا
 وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ
 سُوءُ أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾

﴿وَقَالَتِ^(١) الْيَهُودُ غُرَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ ، وذلك لأن العزيز كتب التوراة بعدما فات منهم
 وضاع ، ثم لما وجدوا نسخة من نسخ التوراة قابلوها بها فوجدوها صحيحة فقال بعض
 جهلتهم ، إنما جاء بها لأنه ابن الله ، ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ ، وسبب
 ضلالهم في المسيح ظاهر ، ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ : لا مستند لهم كالمهمل يتفوهون
 به ليس له مفهوم عيني ، ﴿يُضَاهَتُونَ﴾ ، أي : يضاهي قولهم فحذف القول وأقيم
 المضاف إليه مقامه ، ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ ، من قبلهم ، أي : قدمائهم
 فالكفر فيه قدس ، أو المشركين الذين يقولون الملائكة بنات الله ، ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ ، قال
 ابن عباس : أي لعنهم الله ، ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَاقِيَاتُ مِنَ الْآيَاتِ إِذْ تُتْلَىٰ لَهُمْ يُخْلَعُونَ﴾ ، كيف يضلون عن الحق ﴿اتَّخَذُوا
 أَحْبَارَهُمْ﴾ ، علماؤهم ، ﴿وَرُهَبَاءَهُمْ﴾ ، زهادهم والأحبار من اليهود والرهبان من
 النصارى ، ﴿أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ، حرّموا^(٢) عليهم الحلال وحلّلوا لهم الحرام

(١) هذا كالدليل على جواز مقاتلتهم لما قتل الأنبياء بعد موسى رفع الله عنهم التوراة ومحاهها
 عن قلوبهم خرج عزيز وهو غلام يسيع في الأرض فأثاه جبريل وعلمه التوراة فأملاها
 عليهم عن ظهر لسانه فلما وجدوا شيئاً من التوراة قابلوها فوجدوها صحيحة فقالوا ما
 قالوا/ ١٢ وحيز .

(٢) الأكثر من المفسرين قالوا : ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا فيهم أنهم آلهة العالم؛
 بل المراد أنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم، عن عدي بن حاتم قال : أتيت النبي -

فأطاعوهم وتركوا كتاب الله تعالى ، «وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ» ، بأن جعلوه ابناً له ، «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا» ، هو الله ، «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» ، صفة ثانية أو استئناف ، «سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ»^(١) ، هو المتره عن شريك وولد ، «يُرِيدُونَ أَنْ

= صلى الله عليه وسلم- وهو يقرأ في سورة براءة اتخذوا أجباهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فقال : "إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه" أخرجه أحمد وابن جرير والترمذي وحسنه البيهقي في سننه وابن أبي حاتم [حسن، انظر صحيح الترمذي (٢٤٧١)] ، وقال الربيع: قلت لأبي العالية: كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل ؟ فقال : إنهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف أقوال الأبحار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله تعالى قال شيخنا ومولانا خاتم المحققين والمجتهدين رضي الله عنهم: قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى في بعض مسائل وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا إليها وبقوا ينظرون إليّ كالمتعجب يعني كيف يمكن العمل بظواهر الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها؟! ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الداء سارياً في عروق الأكثرين من أهل الدنيا / ١٢ كبير.

(١) وفي هذه الآية مما يزجر عن التقليد في دين الله وتأثير ما يقوله الأسلاف على ما في الكتاب والسنة المطهرة فإن طاعة المذهب لمن يقتدي بقوله ويستن بسنته من علماء هذه الأمة مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه ونطقت به كتبه وأنبيأؤه -هو كاتخاذ اليهود والنصارى للأبحار والرهبان أرباباً من دون الله للقطع بأنهم لم يعبدوهم؛ بل أطاعوهم وحرّموا ما حرّموا وحلّلوا ما حلّلوا وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة والتمر بالتمر والماء بالماء، فإيا عباد الله ويا أتباع محمد بن عبد الله ما بالكُم تركتم الكتاب والسنة جانباً وعمدتم إلى رجال هم مثلكم في تعبد الله لهم بهما وطلبه للعمل منهم بما دلا عليه وأفاداه فعملتم بما جاءوا به من الآراء التي لم تعمد بعماد الحق ولم تعضد بعضد الدين ونصوص الكتاب

يُظْفِنُوا ثَوْرَ اللَّهِ» ، الذي أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق ، «بِأَفْوَهِهِمْ» ، بتكذيبهم ، «وَيَأْتِي اللَّهَ» ، لا يرضى ، «إِلَّا أَنْ يُتِمَّ ثَوْرَهُ» ، بإعلاء كلمته ، والاستثناء مفرغ لأن الفعل الموجب في معنى النفي وهذا تمثيل لحالهم في طلب إبطال الدين بالتكذيب بحال من يطلب إطفاء نور منبث في الآفاق بنفخة ، «وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» ، إقامه ، ويدل على جواب لو ما قبله ، «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى» ، القرآن والمعجزة ، «وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» ، ليعليه على سائر الأديان فينسخها فالضمير إما لدين الحق ، أو للرسول ، أو على أهل الكتاب (*) فيخذلهم ، «وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» ، غلبته وهذه الجملة كاليان للجملة الأولى .

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا^(١) مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ» ، يأخذ علماء أهل الكتاب الرشى وييطلون دين الله وحكمه والمقصود

والسنة تنادي بأبلغ نداء وتصوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك ويباينه؟! فدعوا أرشدكم وإياي كتباً كتبها لكم الأموات من أسلافكم واستبدلوا بها كتاب الله خالفهم وخالفكم ومعبودهم ومعبودكم واستبدلوا بأقوال من تدعونهم بأئمتكم بأقوال إمامكم وإمامهم وقدوتهم وقدوتكم وهو الإمام الأول محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - اللهم اهدنا إلى الحق وأرشدنا إلى الصواب / ١٢ فتح .

(٥) قوله: "أو على أهل الكتاب" معطوف على قوله: "ليعليه على سائر الأديان" ولو عطف على ما قبله مباشرة لفسد المعنى؛ إذ لا يصح أن يعود الضمير في قوله: "ليظهره" على أهل الكتاب. والله أعلم.

(١) ولعمري من تأمل في أحوال أهل الناموس والتزوير في زماننا وجد هذه الآيات كأنها ما أنزلت إلا في شأنهم وفي شرح أحوالهم ففرى الواحد منهم يدعي أنه لا يلتفت إلى الدين ولا يتعلق خاطره بجميع المخلوقات وأنه في الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين حتى إذا آل الأمر إلى الرغيف الواحد تراه يتهالك عليه ويتحمل نهاية الذل والدناءة في تحصيله / ١٢ كبير .

التحذير من علماء السوء وعباد الضلال ، «وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» ، يصرفون الناس عن اتباع الحق ، «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا» ، الضمير للدنانير والدراهم الكثيرة الدالة عليها يكتزون الذهب والفضة ، أو للكنوز أو للفضة ، لأنها أقرب وتدل على أن حكم الذهب بطريق الأولى ، «فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» ، عن كثير من السلف كعمر وابنه وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم أن الكثر مال لم يؤد منه الزكاة وما أدي زكاته فليس بكثر (*) وقد صح عن علي رضي الله عنه قال : أربعة آلاف فما دونها نفقة فما أكثر من ذلك فهو كثر ومثل هذا مذهب كثير من السلف ، والأخبار في مدح التقلل وذم التكثر^(١) أكثر من أن يخفى ، «يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ» ، أصل معناه يوم تحمى النار ، أي : توقد ذات حمي وحر شديد على الكنوز ثم طوي ذكر النار وحول الإسناد إلى الجار والمجرور للمبالغة في شدة حر الكنوز ، «فَتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ» ، لا يوضع دينار على^(٢) دينار لكن يوسع جلده حتى يوضع كل درهم في موضع على حدة قال بعضهم صاحب الكثر إذا رأى الفقير قبض جبهته وولى ظهره وأعرض عنه كشحه ولهذا خص الجباه والجنوب والظهور ، «هَذَا مَا كَنَزْتُمْ» ، أي : يقال لهم ذلك ، «لَأَنْفُسِكُمْ» ، فصار النفع ضرراً ، «فَذُوقُوا» : وبال ، «مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ» ، ما

(٥) وقد صح ذلك مرفوعاً .

(١) نقل الإمام أحمد عن علي - رضي الله عنه - أن رجلاً من أهل الصفة مات وترك دينارين فقال عليه السلام كيتان/ ١٢ منه .

(٢) هكذا رواه الحافظ أبو يعلى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لكن في إسناده ضعف/ منه .

(٣) ولما عد أنواعاً من قبائح أهل الكتاب والنسيء من قبائحهم عده في جنبها فقال إنما النسيء / وجيز .

مصدرية أو موصولة وأكثر السلف على أن الآية عامة في المسلمين وأهل الكتاب وبه بالغ وحلف^(١) أبو ذر .

«إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ» ، مبلغ عددها ، «عِنْدَ اللَّهِ» ، متعلق بعدة فإنها مصدر ، «إِنَّمَا عَشَرَ شَهْرًا» ، لا أزيد من ذلك كما يفعله المشركون وسنذكره في قوله : " إِنَّمَا النِّسَاءُ زِيَادَةُ " الآية (التوبة: ٣٧) ، «فِي كِتَابِ اللَّهِ» : في اللوح المحفوظ أو في حكمه ، «يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» ، أي : ثابت في كتاب الله يوم خلق الأجسام فيكون " في كتاب الله " صفة لاثني عشر و "يوم خلق" متعلق بمتعلقة ، «مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ» ، رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ، «ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» ، أي : تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم دين الأنبياء ، «فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ» ، بهتك حرمتها فإن الظلم فيها أعظم وزراً فيما سواه ، والطاعة فيها أعظم أجراً قال بعضهم : ضمير فيهن راجع إلى اثني عشر ، أي : لا تظلموا في الشهور كلها قال الأكثرون : حرمة المقاتلة في أشهر الحرم منسوخة فأولوا هي الظلم بترك المعاصي ، وقال بعضهم : محكمة وجازت المقاتلة إذا كانت البدأة منهم وأجابوا عن محاربة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أهل الطائف بأن ابتداءه في الشهر الحلال ، «وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً» : جميعاً ، «كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً» : هو تهيج وتحضيض للمسلمين بالاتفاق في محاربة أهل الشرك والنفاق ، «وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» : بشهرهم بالبصرة بعدما أمرهم بالمقاتلة ، «إِنَّمَا النَّسِيءُ» : هو تأخير تحريم شهر إلى شهر آخر وذلك لأنه إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرّموا بدله شهراً من أشهر الحل حتى رفضوا خصوص الأشهر الحرم واعتبروا مجرد العدد ، «زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ» : فإن

(١) حين يدعي معاوية بن أبي سفيان أن الآية في شأن أهل الكتاب لا فينا / منه .

(٢) فيه دليل على وجوب قتال المشركين وأنه فرض على الأعيان إن لم يقيم به البعض / فتح .

تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه كفر ضموه إلى كفرهم ، «يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا»: ضلالاً زائداً ، «يُحِلُّونَهُ»: أي : النسيء من الأشهر الحرم ، «عَاماً وَيَحَرِّمُونَهُ عَاماً»: إذا قاتلوا^(١) فيه أحلوه وإذا لم يقاتلوا فيه حرموه ، «لِيُؤَاطُوا»: متعلق بما دل عليه الكلام ، أي : حرموا مكانه شهراً آخر ليوافقوا ، «عِدَّةً مَا حَرَّمَ اللَّهُ»: لا يزيد ولا ينقص الأشهر الحرم من الأربعة ، «فِيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ» ، فإنه لم يحرموا الشهر الحرام بل وافقوا في العدد وحده ، قيل: وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت فلذلك قال تعالى: " إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر الآية ، «زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ»: فإن الشيطان يغويهم ، «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» ، أي : لا يهدي من هو في علم الله كافر مؤبد الكفر أو معناه، لا يهديهم في حال كفرهم .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَنَفَّروا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۖ﴾ (١٨) إِلَّا تَنَفَّروا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ

(١) قد نقل أن جنادة بن عوف الكناني كان يقزم على جمل في الموسم ينادي : إن أهتكم قد أحلت لكم الحرم فأحلوه ثم ينادي في القابل إن أهتكم قد حرمت عليكم الحرم فحرموه/ منه .

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ أَلْسِنَةٌ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٣﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ﴾ ^(١) ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا﴾ : اخرجوا ، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا قُلْنَا﴾ ، تباطأتم ، ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ ، متعلق بآناقلتم لتضمنه معنى الميل والخلود نزلت في شأن غزوة تبوك أمروا بها حين رجعوا من فتح مكة والطائف ^(٢) في وقت عسرة وشدة حر فشق عليهم ، ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ ، أي : بدلها

(١) وكانت العرب لا عيش لأكثرهم إلا من الغارات وأعمال السلاح وهم يدعون إنا على دين إبراهيم ، وكانت إذا توالى عليهم الثلاثة الحرم صعب عليهم وكان فيهم من يبين دينهم فهو الذي شرع له النسيء وبقي إلى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضل فيهم ذو الحجة ، وأما أن سنة حج فيها أبو بكر هي في ذى القعدة فليس بشيء وإن قاله بعض المؤرخين ؛ لأنه نودي في حج أبي بكر بتحريم النسيء ونفي منهم وغيره من أمر الجاهلية وأيضاً لما مضى من حجته عشر أشهر وكان الحادي عشر في أواخره سار(٥) صلى الله عليه وسلم إلى الحج موافياً للال ذى الحجة فلما وقف بعرفة أخبر أن الزمان قد استدار كهيئته فعلم قطعاً أن استدارته كانت في حجة أبي بكر والحمد لله وحده ولما أمرهم وهيجهم وشجعهم على القتال كافة وهم لم يبادروا وتناقلوا وقعدوا موقع العذاب فقال : " يا أيها الذين آمنوا ما لكم " الآية / وجيز .

(٥) كذا بالأصل ، واللفظ في الحديث "كهية".

(٢) الاستفهام إنكاري تفرعي والقائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر إغلاظاً ومخاشنة لهم صوناً عن ذكره إذ خولف أمره / وجيز .

(٣) سنة تسع من الهجرة / ١٢ .

يعني الجنة ، «فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» ، التمتع بها ، «فِي الْآخِرَةِ» ، أي: في جنبها ، «إِلَّا قَلِيلٌ» ، فإنها لا تنهاى وأين نعيم الدنيا من نعيمها «إِلَّا تَنْفَرُوا» ، شرطية ، «يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» ، في الدنيا والآخرة ، «وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ» ، يأت بقوم آخرين مطيعين بعد هلاككم ، «وَلَا تَصُرُّوهُ شَيْئًا» ، بالتشاغل فإنه هو الناصر لدينه ، أو الضمير لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، أي : سينصره إن قعدتم عن الحرب ، «وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ، فيقدر على تبديلكم ونصرته بلا مددكم ، «إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ» ، بمثلة العلة له ، «إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» ، حاصله أنه ينصره كما نصره جواب الشرط محذوف^(١) وهو فسينصره ، وقوله : " فقد نصره الله" حين إن وقع الكفار سبباً لخروجه ، «ثَانِي اثْنَيْنِ^(٢)» ، أي حال كونه أحد اثنين هو وأبو بكر رضي الله عنه ، «إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ» ، في جبل ثور وهو بدل البعض من "إذ أخرجه" ، لأن المراد منه زمان متسع^(٣) ، «إِذْ يَقُولُ» ، بدل آخر أو ظرف لثاني ، «لصَاحِبِهِ» ، أي بكر حين طلع الكفار فوق الغار يطلبوهما ، «لَا تَحْزَنْ^(٤)» ، إِنَّ اللَّهَ

(١) لا يجوز أن يكون "فقد نصره الله" جواباً للشرط ؛ لأنه ماض محض فالمذكور بمثلة العلة ،

أي : إن لا تنصروه فينصره الله كما نصره ؛ لأنه نصره في وقت أصعب من ذلك .

(٢) قال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الأرض جميعاً في هذه الآية غير أبي بكر/ فتوح ،

وعن ابن عمر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لأبي بكر : أنت صاحبي على

الحوض وصاحبي في الغار أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح حسن غريب/

فتح.[ضعيف، انظر ضعيف الجامع (١٤٢١)]

(٣) وهذا الزمان الذي هما في الغار بعضه .

(٤) قال أبو بكر : يا رسول الله ، إن قتلت فأنا رجل واحد وإن قتلت هلكت الأمة وذهب

دين الله فقال -صلى الله عليه وسلم- : "ما ظنك ياثنين الله ثالثهما" ومن تلك الآية قال

العلماء من أنكروا صحبة أبي بكر فقد كفر/ وحيز .

مَعَنَا^(١) ، بالنصرة والعصمة ، «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ» ، أمنتَه ، «عَلَيْهِ» ، أي تحدد أمنتَه على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن الضمير لأبي بكر رضي الله عنه ويؤيد الأول قوله ، «وَأَيَّدَهُ» ، أي : رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا خلاف ، «بِجُتُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا» ، أي : الملائكة ليحرسوه ، قال بعضهم : المراد بقوله : " وأيده بجنود لم تروها " التأيد يوم بدر فعلى هذا عطف على أخرجه الذين كفروا ، «وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا» ، كلمة الشرك ، «السُّفْلَى^(٢)» ، حيث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم فلم يروه أو حين قتلوا وأسروا يوم بدر ، «وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا» ، كلمة التوحيد عالية ظاهرة حين هاجر المدينة أو حين غلبوا ونصروا يوم بدر ، «وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» ، في أمره وتدبيره ، «انْفِرُوا^(٣)» ، إلى جهاد تبوك ، «خِفَافًا وَثِقَالًا» ، شبانًا وشيوخًا أو نشاطًا وغيره أو ركبانًا ومشاة أو فقيرًا وغنيًا أو قليل العيال وغيره أو خفافًا من السلاح وثقلاً منه أو أصحابًا ومرضى أو مسرعين ، وبعد الاستعداد ، «وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَُمْ^(٤) خَيْرٌ لَّكُمْ» ، من التناقل إلى الأرض ، «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» ، فإن من لم يكن من أهل العلم لا يصدق بخيرية النفور ويختار هوى النفس ، قال ابن عباس رضي الله عنه : نسخت هذه الآية بقوله : " وما كان المؤمنون لينفروا كافة " ، قال بعضهم^(٥) : لما نزلت اشتد شأنها على الناس فنسخها الله بقوله :

(١) أي : ناصرنا كذا في البخاري في كتاب التفسير .

(٢) مقهورة مخفوضة .

(٣) ولما توعد من لا ينفر معه وضرب له من الأمثال ، أتبعه بالأمر الجازم فقال : انفروا خفافاً / وحيز .

(٤) أي : الجهاد بالأموال والأنفس .

(٥) هو السدي .

" ليس على الضعفاء ولا على المرضى " الآية (التوبة: ٩١)، «لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا»، لو كان ما دعوا إليه نفعاً وغنيمة دنيوية قريبة، «وَسَفَرًا قَاصِدًا»، متوسطاً، «لَاتَّبَعُوكَ»، وافقوك، «وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ»، المسافة التي تقطع بمشقة فإنه عليه الصلاة والسلام خرج بنية الروم، «وَسَيُخْلِفُونَ^(١) بِاللَّهِ»، إذا رجعت من تبوك عذراً للتخلف يقولون، «لَوْ اسْتَطَعْنَا»، استطاعة بدن ومال، «لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ»، هذا ساد مسد جوابي القسم والشرط، «يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ^(٢)»، بإيقاعها في العذاب للحلف الكاذب حال من فاعل سيحلفون، «وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ»، فإنهم مستطيعون .

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ ١٢ لا يَسْتَعْدِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١﴾ إِنَّمَا يَسْتَعْدِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿١٠﴾ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٩﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٨﴾ لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَقْدَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا

(١) إخبار عما سيقع فما هو إلا معجزة / وجيز .

(٢) جملة مستأنفة وإخبار منه سبحانه وباقي الإعرابات تمحلات / وجيز .

فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنْ تَصِيبَكَ حَسَنَةٌ
 تَسْأَلْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ
 فَرِحُونَ ﴿٦٧﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ
 فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِأْخَذَ الْحُسَيْنُ
 وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا
 إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٦٩﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُمْ
 كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٧٠﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ
 كَارِهُِونَ ﴿٧١﴾ فَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنْكُمْ
 وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٧٣﴾ لَوْ يُجَادُونَ مَلَجًا أَوْ مَعْرَاتٍ أَوْ
 مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا
 مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا
 ءَاتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى

اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٧٦﴾ *

﴿عَفَا^(١) اللَّهُ عَنْكَ﴾ ، خطأك في إذْنهم للتخلف، بدأ بالعمو قبل التعير بالذنب لنهاية
 العناية في شأنه عليه الصلاة والسلام ، ﴿لَمْ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ : في القعود وهلا توقفت ،

(١) قال الطبري هذا عتاب من الله عز وجل عاتب الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ،
 أي : في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه من المنافقين حين شخص إلى تبوك لغزو الروم ،

«حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا»: في الاعتذار فتأذن لهم ، «وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ» : فلا ترخصهم في التخلف ، «لَا يَسْتَنْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ^(١) وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» ، في التخلف كراهة ، «أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ» ، لأهم يرون الجهاد^(٢) قربة أو لا يستأذنون في أن يجاهدوا^(٣) بل يسرعون إلى الجهاد من غير طلب إذن ، «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ» ، فيجازيهم على حسب تقواهم^(٤) ، «إِنَّمَا يَسْتَنْذِنُكَ» ، في التخلف ، «الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ» ، يتحIRON ، «وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ» ، معك إلى القتال ، «لَأَعَدُّوا لَهُ» ، للخروج ، «عُدَّةً» ، أهبة من الزاد والركوب ، أي : هم أهل ثروة واستطاعة ، «وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ» ، يعني ما خرجوا ولكن^(٥) تثبطوا ؛ لأن الله أبغض

= والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان في إذنك هؤلاء المنافقين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك إلى تبوك ، قال عمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يؤمر بشيء فيهما إذنه للمنافقين وأخذته الفداء من أساري بدر فعاتبه الله كما تسمعون / لباب التأويل المعروف بالخازن .

(١) يعني أن المخلص الخالص إذا توجه سلطانه وسيده إلى سفر سيما إلى حرب لا يخطر بباله التخلف بل يسرع إلى التجهز فلا يستأذن / وحيز .

(٢) يعني : أن يجاهدوا مفعول له بحذف مضاف يعني أن الاستئذان في التخلف لأجل كراهة المجاهدة منتف عنهم / منه .

(٣) على هذا الوجه أن يجاهدوا ظرف بحذف حرف الجر والوجه الأول كأنه أولى لأن مقدمه وهو قوله : " لم أذنت لهم " ليس إلا الإذن في التخلف ومؤخره وهو قوله : " إنما يستأذنك " أيضاً كذلك فالمناسب أن يكون المتوسط مثلهما / منه .

(٤) ومن تقواهم إسرأهم في القربات (وحيز) .

(٥) من حق حرف الاستدراك التوسط بين كلامين متغايرين نفياً وإثباتاً وظاهر الآية أنهم لم يريدوا الخروج فلم يستعدوا لكن كره الله فبين الشارح ملخصه وهو أن نفي إرادتهم

خروجهم معك ، ﴿فَثَبَطَهُمْ﴾ ، حبسهم ومنعهم عن الخروج ، ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا﴾ ، في بيوتكم تمثيل لإلقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم ، أو قال بعضهم لبعض ، ﴿مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ ، الذين لهم عذر ، أو مع الصبيان والنسوان وعلى هذا صلاحكم في تخلفهم ، وعتاب الله تعالى عليه لمبادرة الإذن في التخلف ، ﴿لَوْ خَرَجُوا﴾ ، يبين^(١) وجه كراهته تعالى ، ﴿فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ﴾ ، بخروجهم شيئاً ، ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ ، فساداً ولا يلزم من هذا^(٢) أن يكون للمؤمنين فساد وهم زادوه ، ﴿وَلَا أُضْعَوُا﴾ ، لأسرعوا ركائبهم^(٣) ، ﴿خِلَالَكُمْ﴾^(٤) ، في وسطكم بإيقاع العداوة للنميمة ، ﴿يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ﴾ ، يريدون أن يفتنونكم^(*) بإيقاع الخلاف^(٥) فيكم ، ﴿وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ ، مطيعون^(٦) مستجيبون لحديثهم أو سماعون لهم الأخبار لينقلوها عليهم ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ، فيجازيهم ، ﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ﴾ ، تفريق أصحابك

= الخروج يستلزم نفى خروجهم وكراهة الله انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج فيقول حاصله إلى ما فسرته وهو في غاية الانتظام / ١٢ منه .

(١) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالجهاد لغزوة تبوك فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبي على ذي حرة أسفل من ثنية الوداع ولم يكن بأقل العسكرين فلما سار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب فأنزله الله تعالى يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم : " لو خرجوا " الآية / معالم .

(٢) لأن المستثنى منه كما بينا هو أعم العام الذي هو شيئاً والاستثناء متصل مفرغ/ ١٢ منه .

(٣) فمفعول أوضعوا محذوف هو ركائبهم ١٢ .

(٤) من وضع البعير: أسرع .

(٥) كذا في الأصل بإثبات النون .

(٥) فإنهم غمامون حرفتهم النميمة / وحيز .

(٦) قاله قتادة (منه) .

وتشتيت أمرك ، «مِنْ قَبْلُ» ، في أوائل ما جئت المدينة رمته العرب واليهود ومنافقوها
عن قوس واحد ، «وَقَلِّبُوا لَكَ الْأُمُورَ» ، دبروا لك الحيل ، «حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ» ،
التأييد الإلهي ، «وَوَظَّهَرَ أَمْرُ اللَّهِ» ، وعلا كلمته يوم بدر ويوم فتح مكة ، «وَهُمْ
كَارِهُونَ» ، كما قال ابن سلول الملعون حين سمع قصة بدر : هذا أمر قد توجهه ،
«وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي» ، في القعود ، «وَلَا تَفْتِنِّي» ، لا توقعني في الفتنة بينات
الأصفر نزلت في جد بن قيس من أشراف بني سلمة حين قال رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - له هل لك في جهاد بني الأصفر يعني الروم فقال لنفاقه: ائذن لي ولا تفتني
بينات الأصفر فوالله إني أخشي إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن ولكني
أعينك بما لي^(٥) ، «أَلَا فِي الْفِتْنَةِ» ، بسبب تخلفهم عنك ، «سَقَطُوا» ، لاسبب بنات
الأصفر وما دعوتهم إليه ، «وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» ، جامعة لهم لا مهرب
ولا محيص ، «إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ» ، ظفر وغنيمة ، «تَسُوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ» ،
كما أصاب يوم أحد ، «يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ» ، عملنا بالحزم كما قال
ابن سلول وأصحابه حين تخلفوا عنك يوم أحد ، «وَيَتَوَلَّوْا» ، عن مقام التحادث أو
أعرضوا عن الرسول ، «وَهُمْ فَرَحُونَ» ، بما نالكم من المصيبة ، «قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا
مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا» ، في اللوح المحفوظ لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم ، «هُوَ مَوْلَانَا» ،
ملحوننا وناصرنا ، «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» ، لاعلى كثرة العدد والعدد ، «قُلْ
هَلْ تَرَبَّصُونَ» ، تنتظرون ، «بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ» ، النصره والشهادة^(١) وكل

(٥) رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف، كذا قال الهيثمي في
"المجمع"، (٣٠/٧).

(١) ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تكفل الله
(وفي رواية تضمن الله) لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيماناً بي

منهما حسنى ، «وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ» ، إحدى السوءين ، «أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ» ، بقارعة وبلاء من السماء ، «أَوْ بِأَيْدِينَا» أو بعذاب بأيدينا كالقتل ، «فَتَرَبَّصُوا» ، انتظروا ما هو عاقبتنا ، «إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ» ، ما هو عاقبتكم ، «قُلْ أَنفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً» ، طائعين أو مكرهين ، «لَن يُتَقَبَلَ^(١) مِنْكُمْ» ، أمر في معنى الخير ، أي : لن يتقبل الله منكم نفقاتكم إن أنفقتم طوعاً أو كرهاً كما^(٢) قال جد بن قيس أعينك بمالي ، «إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ» ، تعليل لعدم القبول على سبيل الاستئناف ، «وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا» ، أي : إلا كفرهم فاعل منع ، «بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى» ، متأقلين ليس لهم قصد صحيح ، «وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ» ، لأنهم لا يرجون بها ثواباً؛ بل غرضهم إظهار الإسلام ، «فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ» ، فإنها لهم استدراج ووبال ، «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» ، بزكاتها والنفقة في سبيل الله على كره والتعب في جمعها والوجل في حفظها والشدائد والمصائب فيها فهي لهم عذاب وللمؤمنين أجر ، قال بعضهم : في الحياة الدنيا متعلق بلا تعجبك ، «وَتَزْهَقْ» ، تخرج ، «أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ» ، أي : يموتوا كافرين مشغولين بصعوبة فراق مستلذات الدنيوية غافلين عن النظر في العاقبة ، «وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ» ، من جملة المسلمين ، «وَمَا هُمْ مِنْكُمْ» ، فإنهم

= وتصديقاً برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه
 نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة" أخرجاه في الصحيحين (لباب) .

(١) لأن هذا الإنفاق إنما وقع لغير الله وهذه الآية وإن كانت خاصة في إنفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من أنفق ماله لغير وجه الله؛ بل أنفق رياء وسمعة فإنه لا يقبل منه
 (لباب) .

(٢) نقله محيي السنة .

منافقون ، ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ ، يخافون فيحلفون تقية ، ﴿لَوْ يَجِدُونَ
مَلْجَأً﴾ ، حصناً يلجئون إليه ، ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ ، غيراناً في الجبال ، ﴿أَوْ مُدْخَلًا﴾ ،
نفاقاً ينحجرون فيه كنفق اليربوع^(١) ، ﴿لَوْ لَوْا إِلَيْهِ^(٢)﴾ ، لأقبلوا نحوه ، ﴿وَهُمْ
يَجْمَحُونَ﴾ ، يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء وحاصله أنهم لو وجدوا مهرباً منكم
أى مهرب لفروا منكم لضيقهم في أيديكم ، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ﴾ ، يعيبك ، ﴿فِي
الصَّدَقَاتِ﴾ ، أي : في قسمتها ، ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا^(٣)﴾ وَإِنْ لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا
إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾ ، أي : ينكرون ويعيرون لحظ أنفسهم ، وإذا للمفاجأة نائب
مناب فاء الجزاء نزلت في ذوي الخويصرة^(٤) أصل الخوارج وآبائهم حين قال : اعدل
في القسمة فقال صلى الله عليه وسلم : قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل فمن
يعدل؟^(*) ، أو نزلت في أبي الجواظ من المنافقين حين قال : لم تقسم بالسوية ، ﴿وَلَوْ
أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمْ﴾ ، أعطاهم ، ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ ، من الغنيمة والصدقة ، وفعل
الرسول بأمر الله ، فلذلك أتى بلفظ الله ، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ ، محسبنا وكافينا ،
﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ ، في أن يوسع علينا من
فضله وجواب لو محذوف ، أي : لكان خيراً لهم وأقوم .

(١) دوية تحفر الأرض / ١٢ .

(٢) ولما جاء بأوعاد الضمير في إليه مفرداً على قاعدة العربية وعوده إلى المغارات بالتأويل

لتذكير الضمير (وحيز) .

(٣) عن العطاء لا عن المعطي (وحيز) .

(٤) رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة قد قتله على بن أبي طالب حين قاتل

الخوارج / ١٢ منه .

(٥) أخرجاه في الصحيحين .

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦٠ ﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦١ ﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ٦٢ ﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ٦٣ ﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهِزْءُوا إِنِّي إِلَهٌ مُّخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ٦٤ ﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبَا اللَّهِ وَعَآيَتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ٦٥ ﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ٦٦ ﴾

﴿ إِنَّمَا ١ ﴾ الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ ، أي : الزكاة لهؤلاء لا لغيرهم ٢) والفقير المستضعف الذي لا يسأل ، وعند الشافعي رضي الله عنه : من لا مال له ولا كسب يقع موقعاً من

(١) ولما جاء ذكر الصدقات ومن يعيب الرسول فيها بين مصرفها فقال : (إنما الصدقات) الآية/١٢ وجيز .

(٢) أخرج ابن أبي شيبة وأبو داود والنسائي عن عبد الله بن عدي بن الخيار قال : أخبرني رجلان أنهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسألاه منها فرفع فينا البصر وخفضه فرآنا جليدين فقال : " إن شئتما أعطيتكما ، ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب " (صحيح ، أخرجه أبو داود (١٦٣٣) ، والنسائي

حاجته أو المحتاج^(١) المريض أو فقراء المهاجرين^(٢) ، «وَالْمَسَاكِينَ» ، المستضعف الذي يطوف^(٣) ويسأل وعند الشافعي رضي الله عنه من له مال أو كسب لكن لا يكفيه أو المحتاج الصحيح والفقراء من أهل الكتاب ، «وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا» ، الساعين في تحصيل الصدقات غنياً أو فقيراً ، «وَالْمَوْلَةَ قُلُوبُهُمْ» ، وهم أقسام منهم من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه ، ومنهم من يعطى رجاء إسلامه ، ومنهم من يعطى لإسلام نظرائهم وأمثالهم ، ومنهم من يعطى ليأخذ الزكاة ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد ، قال كثير من العلماء : سهمهم الآن بعد أن أعز الله تعالى الإسلام ساقط ، وقال قوم : باق إلى الأبد ، «وَفِي الرِّقَابِ» ، أي : للصرف في فك الرقاب بإعانة المكاتب أو باشتراء الرقاب للعتق ، والعدول عن اللام إشارة إلى أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب ، «وَالْفَارِمِينَ» ، المديونين إن صرفه في غير معصية وحينئذ لو صرفه في مصالحه فيعطى إذا لم يكن له ما يفى بالدين ولو صرفه في المعروف وإصلاح ذات

= (٩٩/٥) وغيرهما] ، قال البغوي : اختلفوا في حد الغني الذي يمنع أخذ الصدقة ، فقال الأكثرون : حده أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي ، وقال أصحاب الرأي : حده أن يملك مائتي درهم وقال قوم : من ملك خمسين درهماً لا تحل له الصدقة لما روينا عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة مسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح ، قيل يا رسول الله : وما يغنيه ؟ قال : خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب [صحيح] ، أخرجه أحمد وأصحاب السنن ، وانظر صحيح الجامع (٦٢٧٦) وهو قول الزهري وابن المبارك وأحمد وإسحاق وقالوا لا يجوز للرجل أن يعطي الرجل من الزكاة أكثر من خمسين درهماً .

(١) قاله قتادة .

(٢) قاله إبراهيم النخعي .

(٣) كذا قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري / ١٢ .

البين فيعطى وإن كان غنياً ، «وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ» ، هم الغزاة^(١) الذين لا حق لهم في الديوان وإن كانوا أغنياء قال بعضهم: والحجاج أيضاً ، «وَأَبْنِ السَّبِيلِ» ، المسافر المنقطع عن ماله وإن كان له مال في بلده ، «فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ» ، أي : فرض لهم الزكاة فريضة^(٢) ، «وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» ، يضع الأمور في مواضعها ثم اعلم أن أكثر السلف على أنه لا يجب استيعاب الأصناف الثمانية بل يجوز^(٣) الدفع إلى واحد منها وقال بعضهم يجب ، «وَمِنْهُمْ»^(٤) ، أي : من المنافقين ، «الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ» ، الأذن : الرجل الذي يصدق كل ما يسمع كانوا يقولون في شأنه ما لا ينبغي فيقول بعضهم : لا تقولوا ربما يبلغه قولكم فقالوا لا بأس إنه أذن لو ننكر ما قلنا وحلفنا ليصدقنا ، «قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ» ، كأنه قال : نعم أذن ، لكن هو أذن خير يسمع الخير ويقبله لا أذن شر فلا طعن ولا ذم بفطنته إلا شرف^(*)

(١) قيل إن اللفظ عام فلا يجوز قصره على نوع خاص ويدخل فيه جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك والأول الأولى لإجماع الجمهور عليه / ١٢ .

(٢) يعني نصب فريضة على أنه مصدر فعل محذوف وجاز أن يكون مصدراً مؤكداً لنفسه فإن قوله "الصدقات للفقراء" دال على فرضيتها / ١ منه .

(٣) وعليه الأئمة الثلاثة وبعض الشافعية ، ويمكن حمل الآية على المذهبين فعلى الأول تكون من قبيل إنما الخلافة للعلوية والعباسية وغيرهم من أصناف قريش على التفضيل ، وعلى الثاني تكون من قبيل إنما المال لزيد ولعمرو ولبكر / منه ، لكن قال المصنف في الوجيز بعد نقل القول الأول: وفيه بحث؛ لأن الخليفة لا يتعدد / ١٢ .

(٤) ولما استطرده في أثناء أصناف المنافقين ذكر الصدقات وبين مصرفها رجع إلى ما هو في صدره فقال : " ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن " الآية / وجيز .

(*) كذا بالأصل.

وشهامته وهو من أهل سلامة القلوب عليه أشرف الصلوات وأكمل التسليمات ثم فسر ذلك بقوله ، «يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» ، يصدق به ^(١) ، «وَيُؤْمِنُ لِمُؤْمِنِينَ» ، يسلم لهم أقوالهم لكونهم صادقين ، «وَرَحْمَةً» ، أي : هو رحمة ، وقراءة جرّها لعطفها على "خير" ، «لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ» ، وحجة على الكافرين قيل المراد من الذين آمنوا: من أظهر الإيمان حيث لا يكشف سره ، ففيه إشارة إلى أن قبول قولكم رفع وترحم منه لا لجهله وبلايته ، «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ» ^(٢) رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ» ، على مدعاهم ^(٣) ، «لِيُرْضَوْكُمْ» ، يمينهم ، نزلت في قوم من المنافقين ، قالوا: إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الحمير ، فلما بلغت مقاتلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - وسألهم حلفوا بالله إن المبلغ كذاب ، أو في رهط تخلفوا عن غزوة تبوك وحلفوا في معاذيرهم ، «وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ» ، بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين فكأهما واحد ، «إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ» ، صدقاً ، «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ» ، الضمير للشأن ، «مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» ، يشاقق الله ويخالفه ، «فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ» ، تقديره فحق أن له نار جهنم على حذف الخبر ، «خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ» ، الذل والفضيحة العظيمة ، «يَخْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ» ، على المؤمنين ، «سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ» ، تخبرهم ، «بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ» ، من الكفر والحسد وفتك عليهم أستارهم يعني يقولون القول ويستهزئون ، ثم يقولون عسى الله أن لا

(١) في تفسير يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين إشارة إلى جهة تعدية الأول بالباء والثاني باللام لأنه قصد من الأول التصديق الذي هو نقيض الكفر به نحو "ما أنت بمؤمن لنا" (يوسف: ١٧) ، ومن الثاني أن يسلم لهم ما يقولون ويصدقه نحو "أنؤمن لك" (الشعراء: ١١١) ، "فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه" (يونس: ٣٨) / منه .

(٢) بأي نوع من الأذية .

(٣) من غير تحليف / ١٢ .

يفشي (*) علينا سرنا ، ﴿قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ ، مظهر مبرز ، ﴿مَا تَحْذَرُونَ﴾ ، ظهوره ، ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ ، نزلت في ركب من المنافقين قالوا في غزوة تبوك انظروا^(١) إلى هذا الرجل يريد فتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فلما نزل الوحي دعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال قلتم كذا وكذا فحلفوا أن لسنّا في شيء من أمرك لكذا في شيء مما يخوض فيه الركب ، ليقصر بعضنا على بعض السفر وليقطع الطريق بالحديث واللعب ، ﴿قُلْ أَبَالَهُ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ، توبيخاً لهم فإنهم كاذبون في عذرهم ، ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ ، فإنّي أعلم كذبه ، ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ﴾ ، أظهرتم الكفر بما قلتم ، ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ، بعدما أظهرتم الإيمان ، ﴿إِنْ تَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ ، لتوبتهم ، ﴿تُعَذِّبَ طَائِفَةً﴾ ، منكم ، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ ، مصرين^(٢) على النفاق والاستهزاء ، قيل كانوا ثلاثة فعفى الله عن واحد كان يضحك ولا يخوض^(٣) .

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمْ

(٥) في الأصل: يغشي.

(١) كذا قال الكلبي ومقاتل وقتادة / منه .

(٢) مصرين على النفاق أو نقول كما قالوا : إن المنافقين صنفان صنف أمر بنجهادهم وهم رؤساؤهم وهم المعلنون بالأراجيف قال الله تعالى : " جاهد الكفار والمنافقين " (التوبة: ٧٣) ، وهم الذين أخرجوا من المسجد وصنف ضعفة وإن أبطنوا الكفر لكن لم يؤذوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعفى عنهم وعلى هذا العذاب والعفو في الدنيا/وجيز .

(٣) نقله محي السنة عن محمد بن إسحاق وأنت تعلم أن لفظ طائفة وضمير الجمع في كانوا تنافي أن يكون المعذب اثنين ومن يعفى عنه واحداً / منه .

الْفٰسِقُونَ ﴿٧٧﴾ وَعَدَ اللّٰهُ الْمُنٰفِقِيْنَ وَالْمُنٰفِقَتِ الْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّٰهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٧٨﴾ كَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوْا اَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَّاَكْثَرَ اَمْوَالًا وَّاَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوْا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِيْ خَاضُوْا اُولٰٓئِكَ حَبِطَتْ اَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ ﴿٧٩﴾ اَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَاُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوْحٍ وَعَادٍ وَثَمُوْدَ وَقَوْمِ اِبْرٰهِيْمَ وَاَصْحٰبِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ اَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنٰتِ فَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوْا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ ﴿٨٠﴾ وَالْمُؤْمِنُوْنَ وَالْمُؤْمِنٰتُ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يٰمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيْمُوْنَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُوْنَ الزَّكٰوةَ وَيُطِيعُوْنَ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُ اُولٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّٰهُ اِنَّ اللّٰهَ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ ﴿٨١﴾ وَعَدَ اللّٰهُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنٰتِ جَنَّتٍ تَجْرٰى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وَمَسٰكِنٌ طَيِّبَةٌ فِيْ جَنَّتٍ عَدْنٍ وَّرِضْوَانٌ مِّنَ اللّٰهِ اَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ ﴿٨٢﴾

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾^(١) ، أي : وهم على دين وطريق واحد وبعضهم مشابه ومقارب من بعض كأبعض الشيء الواحد ، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ ، بالكفر والمعاصي ، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ ، الإيمان والطاعة ، ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ ، عن الإنفاق في سبيل الله ، ﴿تَسُوا اللَّهَ﴾ ، تركوا ذكره وطاعته ،

(١) أراد به تكذيبهم في قولهم "إنهم لمنكم" وتقرير قوله "وما هم منكم" ثم وصفهم بما يدل على اتحادهم ومضادة حال المؤمنين بقوله ويأمرون بالمنكر الخ / منه .

﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ ، تركهم من لطفه وإنعامه ، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ، الكاملون في التمرد ، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ، مقدرين للخلود ، ﴿هِيَ﴾ ، أي : النار ، ﴿حَسْبُهُمْ﴾ ، كافهم جزاء على نفاقهم ، ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ ، أبعدهم من رحمته ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ، لا تصير النار قط عليهم^(١) برداً ، ﴿كَالَّذِينَ﴾ ، أي : أنتم مثل الذين أو فعلتم مثل فعل الذين ، ﴿مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ﴾ ، بدينهم أو بنصيهم من ملاذ الدنيا ، ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ﴾ ، فحالكم وفعلكم كفعلهم القبيح الشنيع ، بين أولاً بقوله^(٢) "فاستمتعوا" قباحة طرائقهم ثم شبههم بهم حذو النعل بالنعل ، ﴿وَخُصِّتُمْ﴾ ، في الكذب والباطل ، ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ ، أي : كالفوج الذي^(٣) خاضوا ، أو كالخوض الذي خاضوه ، ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ، لم يستحقوا عليها في الدارين^(٤) جزاء ، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ، دينهم ودنياهم ، يعني : كما حبطت أعمال من قبلكم حبطت أعمالكم ، ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِمَ نُوحٌ﴾ ، أهلكوا بالطوفان ، ﴿وَعَادٌ﴾ ، بالريح ، ﴿وَتَمُودٌ﴾ ، بالصيحة ، ﴿وَقَوْمُ

(١) يعني لهم عذاب مقيم دال على أنهم معذبون في النار دائماً بما لا يعتادون بها فلا يكون تكراراً مع قوله "خالدين فيها" / ١٢ منه .

(٢) إشارة إلى دفع ما يتوهم من أن قوله "كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم" وهذا كما يقال : أنت مثل فلان كان يقتل ويفسق وأنت تفعل مثل فعله بعينه فلا تكرار / منه

ووجيز .

(٣) يعني أن الظاهر أن يقال كالذين خاضوا فبين وجهه بوجهين / منه .

(٤) نقيض قوله : " وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين " (النحل: ١٢٢) ، منه .

(٥) استفهام إنكار يعني جاء نبأهم فلم يعتبروا حتى تشبهوا بهم / منه .

إِبْرَاهِيمَ» ، بسلب النعمة وهلاك ملكهم غرود يعوض ، «وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ» ، قوم شعيب بالنار يوم الظلة ، «وَالْمُؤْتَفِكَاتِ» ، قريات قوم لوط انتفكت بهم انقلبت فصارت عاليها سافلها ، «أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» ، المعجزات الظاهرات فكذبوهم فأخذوا بتعجيل النعمة ، «فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ» ، بأن عاقبهم بلا جرم ، «وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» ، بتكذيب رسلهم فاستحقوا العذاب فترل عليهم ، «وَالْمُؤْمِنُونَ»^(١) وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» ، أي : يتناصرون ويتعاضدون في مقابلة قول : " المنافقون والمنافقات " الآية ، «يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» ، في جميع ما أمر ونهى ، «أُولَئِكَ سَنَرْحَمُهُمُ اللَّهُ» ، لا محالة والسين مؤكدة^(٢) للوقوع ، «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» ، غالب ، «حَكِيمٌ» ، يضع الأشياء في مواضعها ، «وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» ، تحت أشجارها وغرفها ، «خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً» ، من أنواع الجواهر ، «فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ» ، وقد ورد^(٣) : العدن دار الله التي لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر ، أوهر في الجنة جناته على حافتيه ، أو أعلى درجة في الجنة ، «وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ» ، أي : شيء من رضاه ، «أَكْبَرُ» ، من جميع ذلك أو مما يوصف ، فإن رضى الله هو المبدأ لكل سعادة وهو المؤدي إلى الوصال واللقاء ، «ذَلِكَ» ، أي : الرضوان أو جميع ما تقدم ، «هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» .

(١) ولما ذكر المنافقين والمنافقات وأحوالهم في الدارين تعرض في مقابلتهم بحال أضدادهم فقال : "المؤمنون" / ١٢ وحيز .

(٢) لأن السين في الإثبات مقابلة لن في النفي ولهذا قد يتمحض للتأكيد من غير قصد إلى معنى الاستقبال / ١٢ منه .

(٣) نقله ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم / منه .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمُ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٦﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ
وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولَاؤُا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا
أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٧﴾ * وَمِنْهُمْ
مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ لَا يَنْفِرُوا مِنْ فَضْلِهِ لَنْصَدُقَنَّهُمْ وَلَنْكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٨﴾
فَلَمَّا عَاهَدُوا مِنْ فَضْلِهِ جَنَلُوا بِهِمْ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٩﴾ فَأَعْقَبَهُمْ
نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا
يَكْذِبُونَ ﴿٨٠﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ
عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٨١﴾ أَلَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي
الْصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨٢﴾ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ
مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾^(١) ، بالسيف ، «وَالْمُنَافِقِينَ» ، بتغليظ الكلام وترك
الرفق ، أو بإقامة الحدود عليهم أو بالسيف إذا أظهروا النفاق ، «وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ

(١) ولما كان في قوله سيرحهم الله إجمال فصله بقوله "وعد الله" إلخ ، ولما بين مخائب الكفار
ومقايح المنافقين خاطب رسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم بقوله : "جاهد
الكفار والمنافقين" الآية / وحيز .

وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ، مصيرهم ، ﴿يَخْلِفُونَ﴾^(١) بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، نزلت حين كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالساً في ظل شجرة إذ طلع رجل أزرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : علام تشمتني أنت وأصحابك فانطلق وجاء بأصحابه وحلفوا بالله أنهم ما قالوه ، أو نزلت في جلاس ابن سويد حين قال : إن كان ما جاء به محمد حقاً لنحن أشر من الحمير ومعه ابن امرأته فأوعده بأن يذكر قوله هذا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم - وذكره فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل أقلت كذا وكذا ؟ فحلف ، أو نزلت في ابن أبي حين قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فلما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكروا وحلف^(*) ، ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ ، سبه أو تكذبه ، ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ ، أظهروا الكفر بعد إظهار الإيمان ، ﴿وَهُمُوا﴾ ، قصدوا ، ﴿بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ ، ما قدروا عليه من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم - في العقبة التي بطريق تبوك ، أو من قتل ابن امرأة الجلاس حين أوعده السعاية ، أو أرادوا أن يعقدوا على رأس ابن سلول تاجاً يباهي به رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلما سئلوا عن هذه الإرادة حلفوا أنا ما أردنا ، ﴿وَمَا تَقْمُوا﴾ ، ما أنكروا وما عابوا ، ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وحاصله أنهم جعلوا الشكاية والعيب موضع الشكر والمدح فإنه ما للرسول عندهم ذنب إلا أن الله أغناهم ببركته بعدما كانوا في ضنك وضيق ، ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ﴾ ، أي : التوب ، ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ ، فتاب الجلاس وحسنت توبته ، ﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ ، بالإصرار على النفاق ، ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ، ينجيهم من عذابه ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ

(١) وما أمر نبيه بالجهاد والغلظة على الكافر والمنافق وأن مرجعهم ومترهم جهنم يعد بعض

مساوئهم ليعلم أسباب شقاوتهم فيحرز عنه / وجيز .

(*) أخرجه في الصحيحين ، وسيأتي .

لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١﴾ ، نزلت (١) في ثعلبة بن حاطب. التمس الدعاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم لتكثير (٢) ماله وعهد أن لو رزق ليعطي كل ذي حق حقه فلما رزق غنماً تضيق بها المدينة أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في طلب الزكاة منه فأبى وقال: ما هذه إلا أخت الجزية. فلما نزلت الآية جاء بالزكاة فقال: إن الله تعالى منعي أن أقبل منك. فجعل التراب يمشو على رأسه، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قبل منه أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه ، ﴿فَلَمَّا آتَاهُمُ﴾ : الله ﴿مِّنْ فَضْلِهِ يَخْلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا﴾ عن طاعة الله ، ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ، قوم عادتهم الإعراض ، ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ ، أورثهم الله وجعل عاقبة فعلهم ، ﴿نِفَاقًا﴾ (٣) ، متمكناً (٤) ، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ﴾ ، يلقون الله بالموت ، ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ ، من التصدق والصلاح ، ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ، وبسبب كذبهم فإن خلف الوعد مستقبح من وجهين الإخلاف والكذب ، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

(١) قاله ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقتادة والحسن وغيرهم / منه .

(٢) أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وغيرهم هذه القصة بأطول من هذا جداً وفيه قال، يعني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - له : يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه. فقال : ادع الله أن يرزقني مالا. فقال: "اللهم ارزقه مالا" فاتخذ غنماً فتمت كما تنمي الدود، حتى ضاقت بها المدينة فتنحى بها فكان يشهد الصلاة بالنهار مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا يشهدها بالليل، ثم نمت حتى لا يشهد الجمعة ولا جنازة [رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك، كما في المجمع (٣٢/٧)]. الحديث/ فتح البيان .

(٣) إشارة بقوله: متمكناً إلى أن ﴿في قلوبهم﴾ ظرف مستقر صفة لنفاقاً / منه .

(٤) كما في الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود / فتح .

سِرَّهُمْ» ، من إضمار النفاق والعزم على إخلاف ما وعده ، «وَنَجَوَاهُمْ» ، ما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية ، «وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» ، فلا يخفى عليه شيء ، «الَّذِينَ يَلْمِزُونَ» ، يعيبون مرفوع أو منصوب بالذم ، أو بدل من ضمير سرهم ، «الْمُطَّوِّعِينَ» ، المتطوعين ، «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ» ، نزلت لما حث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الصدقة جاء بعضهم بكثير مال وبعضهم الفقراء بالقليل ، فقال المنافقون : من أكثر فهو مراء ، ومن أقل أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات «وَالَّذِينَ» ، عطف على المطوعين ، «لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ» ، طاقتهم وهم الفقراء ، «فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ» ، يستهزئون بهم ، «سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ» ، جازاهم على سخريتهم ، أي : أذهم ، «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ» ، أي : ساوى^(١) استغفارك وعدمه في عدم الإفادة لهم ، «إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً» ، المراد منه التكثر^(٢) لا العدد المخصوص ، «فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» ، وقد نقل أنه لما نزلت قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إن الله قد رخص لي فأزيدن^(٣) على السبعين^(٤) ، لعل الله أن يغفر لهم"

(١) أشار بقوله أي : ساوي إلخ . إلى أن الأمر بمعنى الخير / منه .

(٢) وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثر لاستعمال [في تفسير البيضاوي مع حاشيته محيي الدين زاده (٣٤٥/٢) : لاشتمال.] ، السبعة على جملة أقسام العدد ، أي : التي هي الزائد والناقص والمساوي ، فإن ما دون السبعة لا يشتمل على جملتها كما تري فكأنه العدد بأسره / (قاضي) .

(٣) نقله ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما / وحيز .

(٤) وهو من باب حمل اللفظ على ما يحتمله من المعنى مع العلم بأنه غير مراده كقول القبيعري : مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب في جواب الحجاج لأحملك على الأدهم أي : السلسلة ، وحاصل الكلام أن الكرام لا يرضون إلا بصدق مقالهم في كل

حرصاً على مغفرهم^(١) فأنزل الله تعالى: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾. وهو من باب حمل اللفظ على ما يَحْتَمِل مع العلم بأنه غير مراده، كقول بعضهم: مثل الأمير يحمل على الأدهم. والأشهب في جواب قول الحجاج: لأحملنك على الأدهم. أي: السلسلة إلى (*)، ﴿ذَلِكَ﴾، أي: عدم قبول استغفارك، ﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، المتمردين في الكفر، فإن من طبع على الكفر لا ينقطع أبداً ولا يهتدي، فعدم قبول دعائك لا لبخل منا ولا لقصور فيك؛ بل لعدم قابليتهم.

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٦١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْنُوكَ لِخُرُوجٍ فَقُلْ لَنْ

= حال فحين خاطبه بقوله: لأحملنك على الأدهم وقصد السلسلة تجاهل تجاهل العارف وقال: مثل الأمير إلى آخره، فإن الأدهم يطلق أيضاً على الفرس فتفضل على بهذا وتجاوز عن القصد الأولي كذلك سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله يعني صدقها إما يحمل السبعين على الكثرة الغير المحصورة التي هي المراد وإما بحمله على العدد المعين المحصور فتفضل على بأن تتجاوز عن الأول وتترك على الثاني محسناً منعماً وهذا توجيه وجيه ما حام حوله أحد من العلماء / وجيز.

(١) نظراً إلى ظاهر ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ﴾، فإنه دل على الجواز في الجملة وفي لفظ الترخيص إشعار بأنه عليه الصلاة والسلام كان عالماً بجريمة الاستغفار لهم وما خفي عليه أشرف التحيات أن هذه الآية ليست في بيان رخصة، لكن حرصه وكمال شففته على أمته جره إلى هذا؛ لكي يرحم الله عليهم بفضلهم فلا تغفل / ١٢ منه.

(*) كذا في الأصل.

تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَلِيفِينَ ﴿٢٦﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعِذَّكَ أُولُوا الطَّلُوفِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٢٩﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣٠﴾ لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٢﴾

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ﴾ ، بقعودهم ^(١) عن الغزو ، «خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ» ، أي : خلفه ^(٢) كما في : أقام خلاف الحي . أي : بعده أو من المخالفة ، أي : لمخالفته أو مخالفين له ، «وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا» ، بعضهم لبعض أو للمؤمنين ، «لَا تَنْفِرُوا» ، لغزوة تبوك ، «فِي الْحَرْقِ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا» ، وقد احترمتوها بهذه المخالفة ، «لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ» ، أنها كيف هي ، أو أن مصيرهم إليها ، أو لو أنهم يفهمون ويفقهون لنفروا ليتقوا به من حر جهنم ، «فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا» ، عن ابن عباس رضي الله عنهما - وغيره : الدنيا قليل ،

(١) أشار إلى أن المقعد مصدر / ١٢ منه .

(٢) على الأول ظرف وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث حال .

فليضحكوا فيها ما شاءوا ﴿وَلْيَسْكُوا كَثِيرًا﴾ ، فإنهم في النار لا يزالون باكين أبد الآباد ، ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ، من النفاق ، ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ ، أي : من المخلفين . وليس كل من تخلف عن تبوك منافقاً ، يعني : إن وصلت إلى المدينة وفيها طائفة منهم ، ﴿فَاسْتَنْذِكُوا لِلْخُرُوجِ﴾ ، إلى غزوة أخرى بعد تبوك ، ﴿فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ ، إخبار في معنى النهي ، ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ﴾ ، استئناف تعليل^(١) له ، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ، هي الخرجة إلى تبوك ، ﴿فَاقْعُدُوا^(٢)﴾ ، حيثذ ، ﴿مَعَ الْخَالِفِينَ^(٣)﴾ ، أي : الرجال الذين تخلفوا^(٤) بغير عذر ، أو مع النساء والصبيان والمرضى والزمنى^(٥) قيل : مع المخالفين . ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾ ، صلاة الجنازة ، وقيل : لا تدع ولا تستغفر ، ﴿عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا﴾ ، الموت على الكفر موت أبدي ، فإن إحياءه للتعذيب أسوء وأسوء من الموت فكأنه لم يحيى ، ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ ، لا تقف تستغفر ، أو تدع له أو لا تتول دفنه ، ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ، تعليل للنهي ، نزلت بعد أن مات ابن^(٦)

(١) يعني المراد من القلة أيام الدنيا ، أخرجه على لفظ الأمر والمراد سيضحكون قليلاً للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره / منه .

(٢) كأنهم قالوا: لم لا نخرج معك؟ فقال: لأنكم رضيتم بالقيود أول مرة / ١٢ وحيز .

(٣) وفي الآية دليل على أن الرجل إذا ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته ؛ لأن الله سبحانه منع المنافقين من الخروج مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الجهاد لما علم من مكرهم وخداعهم / لباب .

(٤) أي : أقعدوا بعضكم مع بعض / منه .

(٥) جمع زمن أزمانة بالفتح جائي ماندكي / ١٢ صراح .

(٦) قال القرطبي في شرح صحيح مسلم له : إن عبد الله بن أبي بن سلول كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم ، فلما ظهر النبي - صلى الله عليه وسلم - وانصرف إليه الخزرج

أبي بن سلول وهو -صلى الله عليه وسلم- أرسل قميصه الأشرف لكفنه بالتماسه، في مرض موته ، وقام ليصلي عليه، وعمر -رضي الله عنه- قام بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والقبلة؛ لئلا يصلي عليه، فقال الأكثرون: نزلت بعد أن صلى عليه. وقال بعضهم: نزلت حين قام عمر فلم يصل عليه. ولما رأوا أنه تترك بقميصه أسلم من المنافقين يومئذ ألف ، وقال بعضهم : إنما ألبسه مكافأة؛ لأن ابن سلول^(١) ألبسه ثوبه يوم بدر العباس، فإنه بين الأسارى ليس له ثوب ، «وَلَا تُعْجِبَكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا» ، بأخذ الزكاة والنفقة في سبيل الله منها على كرهه والشدائد والمصائب بلا طمع ثواب ، «وَتَزْهَقْ» ، تخرج ، «أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ» ، فإن الأبصار طامحة على الأموال والأولاد سيما عند المفارقة فيبغضون حكم الله وملائكته .

= وغيرهم حسده وناصبه العداوة، غير أن الإسلام غلب عليه ففاق وكان رأساً في المنافقين وأعظمهم نفاقاً وأشدهم كفرًا وكان المنافقون كثيرًا حتى لقد روي عن ابن عباس أنهم كانوا ثلاثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة، وكان ولده عبد الله -يعني ولد عبد الله بن أبي- من فضلاء الصحابة وأصدقهم إسلامًا وأكثرهم عبادة وأشرحهم صدرًا، وكان أبر الناس بأبيه وأحرص الناس على إسلامه، وعلى أن ينتفع من بركات النبي -صلى الله عليه وسلم- بشيء؛ ولذلك لما مات أبوه سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يعطيه قميصه فيكفنه فيه فأعطاه وسأله أن يصلي عليه فصلى عليه، كل ذلك إكرامًا لابنه عبد الله وإسعافًا له وقول عمر: تصلي عليه وقد نكأك الله أن تصلي عليه. يحتمل أن يكون قبل نزول " ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا " ويظهر من هذا السياق أن عمر وقع في خاطره أن الله نكأه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الإلهام والتحديث الذي شهد له به النبي -صلى الله عليه وسلم- / لباب التأويل المعروف بالخازن .

(١) سلول بالفتح قبيلة من هوازن، وهو اسم أمهم/ ١٢ .

﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا﴾ ، أي : بأن آمنوا ، ﴿بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَذْنِكْ أُولُوا الطَّوْلِ﴾ ، أصحاب الغنى ، ﴿مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ ، الذين قعدوا لعذر ، ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ ، أي : النساء ، جمع خالفة^(١) ، أي : بحيث لا يتحرزون عن هذا العار ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ، أحدث فيها هيئة غمرهم على استحباب الكفر واستقباح الإيمان بحيث لا ينفذ فيها الحق كأنه مطبوع محتوم ، ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ما فيه صلاحهم ولا ما فيه مضرتهم ، ﴿لَكِنَّ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ أي : إن لم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم^(٢) ، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ نقل^(٣) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن الخيرات لا يعلم معناها إلا الله ، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون ، ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فإن من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز .

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٦٠ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٦١ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ﴾ ٦٢ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ

(١) قد يقال: الخالفة لمن لا خير له / منه .

(٢) نحو " فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين " (الأنعام: ٨٩) / منه .

(٣) نقله محيى السنة البغوي / منه .

يَسْتَعْدِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٤٠﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٤١﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٣﴾

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ من عذر إذا قصر أو من اعتذر إذا مهد العذر ، «مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود عن ابن عباس ومجاهد - رضي الله عنهم - هم أهل العذر وقال الحسن وقتادة: اعتذروا فلم يعذرهم الله ، «وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في ادعاء الإيمان ، أي : قعد آخرون من الأعراب المنافقين عن الحجى للاعتذار ، وعن الحسن وقتادة الذين كذبوا عبارة عن المعذرون وأتى بالظاهر بدل المضمرة إشارة إلى أن كذبهم عنهم على القعود يعني وقعد عن الحرب من كذب في المذرة ، «سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ فإن منهم من قعد للكسل لا للكفر ، «عَذَابٌ أَلِيمٌ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ كالزمنى والمشايخ ، «وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا

يُنْفِقُونَ» الفقراء ، «حَرَجٌ» ، إثم في التأخر ، «إِذَا تَصَحُّوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ» أخلصوا الإيمان والأعمال من الغش^(١) ، «مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ» إلى عقوبتهم ، وضع المحسنين موضع الضمير إشارة إلى أنهم المحسنون ، «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» للمسيء^(٢) فكيف للمحسن ، «وَلَا^(٣)» عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ» هم سبعة نفر من الفقراء التمسوا مراكب للمرافقة في الغزو ، «قُلْتَ» يا محمد حال من مفعول أتوك بإضمار قد : «لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ» من الركب ، «تَوَلَّوْا» جواب إذا وقلت جواب وتولوا استئناف كأنه قيل : كيف صنعوا إذا قيل لهم ذلك؟ «وَأَغْنِيَهُمْ تَفِيزُ مِنَ الدَّمْعِ» من للبيان والجار والجرور في محل نصب على التمييز وهي أبلغ^(٤) من تفيض دمعها ، «حَزَنًا» مفعول له أو حال ، «أَلَّا يَجِدُوا» أي : لتلا متعلق بتفيض أو حزناً ، «مَا يُنْفِقُونَ إِنَّمَا السَّبِيلُ» بالمعاتبة والعقوبة ، «عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ» النساء وقبلوا تلك الدناءة ، «وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» حتى لم يذكروا مواعظ الله ، «فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» كأهم مجانين ، «يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ» في التحلف ، «إِذَا رَجَعْتُمْ» من هذه الغزوة ، «إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ» لن نصدقكم^(٥) لأنه ، «قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ» بالوحي ، «مَنْ

(١) ساعية في إيصال الخير للمؤمنين .

(٢) كان ابن أم مكتوم أعمى فخرج إلى (أحد) وطلب أن يعطى اللواء فأخذه فأصابت يده التي فيها اللواء فأمسكه باليد الأخرى فضربت فأمسكه بالصدر وقرأ : " وما محمد إلا رسول " الآية . رضي الله عنه / ١٢ وجزير .

(٣) عطف على الضعفاء ولا لتأكيد النفي ولا يبعد أن يقال عطف على المحسنين وعلى الوجهين هو من باب عطف الخاص على العام لفضيلتهم / وجزير .

(٤) لأنه أسند الفيض إلى العين فجعلت العين كأنها من كثرة البكاء دمع فائض / منه .

(٥) إشارة إلى أن قوله : " قد نبأنا الله " مستأنفة يبين علة عدم تصديقهم / منه .

أَخْبَارِكُمْ» بعض ما في صدوركم ، «وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ» في المستأنف أتوبون أم تستمرون على نفاقكم؟ وجاز أن يكون معناه يمهلكم حتى تكسبوا جرائم أخرى ، «ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ» الذي لا يفت عن علمه شيء ، «فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» في سرهم ، «سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ» بأن لهم في التخلف أعداء ، «لَتُعْرِضُوا عَنْهُمْ» فلا تعاتبوهم ، «فَأَعْرِضُوا»^(١) عَنْهُمْ» دعوهم ونفاقهم ، «إِنَّهُمْ رِجْسٌ» نجس بواطنهم لا يقبل التطهير من النفاق ، «وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً» ، مفعول له ، أو مصدر ، «بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» من الآثام ، «يَخْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ» بحلفهم ، «فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ» بأن تصدقوهم في العذر ، «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ»^(٢) فإنه لا يمكن التلييس على الله تعالى بوجه والمقصود النهي عن الرضا عنهم والاعتذار بمعاذيرهم ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : كانوا ثمانين من المنافقين أمرنا حين قدمنا المدينة بأن لا نكلمهم ولا نجالسهم.

«الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا» أي : أهل البدو وكفرهم ونفاقهم أعظم من أهل الحضر لقساوتهم وبعدهم عن العلماء ، «وَأَجْدَرُ» ، أولى ، «أَلَّا» بأن لا ، «يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ» من الشرائع ، «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بقلوب أهل الوبر والمدر ، «حَكِيمٌ» فيما قسم بين عباده وفي الحديث^(٣) (من سكن البادية جفا ومن

(١) فالإعراض عنهم لازم لأن المعاتبة لا تنفعهم ولا تصلحهم ؛ ولأن مأواهم جهنم فكفتهم النار عتاباً وتوبيخاً فلا تتكلفوا عتابهم ، وجاز أن يكون مأواهم جهنم من تنمة الأول قال إثم رجس من أهل النار فلا تضيعوا معاتبتكم / منه .

(٢) ولما ذكر من أحوال المنافقين ما دل على جهلهم وطغيانهم أخذ يبين تفاوت أحوالهم وعقائدهم فقال: (الأعراب) إلخ / ١٢ وجزير .

(٣) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وغيرهما / منه . [بل أخرجه أحمد وأصحاب السنن خلا ابن ماجه من حديث ابن عباس مرفوعا بسند صحيح، وانظر صحيح الجامع (٦٢٩٦).]

اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن ﴿وَمِنَ الْأَغْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ﴾ يعد ، ﴿مَا يُنْفِقُ﴾ في سبيل الله ، ﴿مَغْرَمًا﴾ غرامة وخسارة لا يرجون ثواباً ، ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ ينتظر ، ﴿بِكُمْ الدَّوَاتِرُ﴾ دوائر الزمان ونوبه لينقلب الأمر عليكم ، ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ (١) الأمر منعكس والسوء دائر عليهم فلا يرون فيكم إلا ما يسوءهم ، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالمهم ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمايرهم ، ﴿وَمِنَ الْأَغْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ﴾ يعد ، ﴿مَا يُنْفِقُ﴾ في سبيل الله تعالى ويتصدق به ، ﴿قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي : سبب (٢) قربات ، ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ أي : سبب صلاته فإنه يستغفر ويدعوا للمتصدقين ، ﴿أَلَا إِلَهًا﴾ أي : نفقتهم ، ﴿قُرْبَةً لَهُمْ﴾ أي : ما يرجون الحاصل البتة ، ﴿سَيِّدِ خَلْقِهِمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ السين للتأكيد ، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فيغفر زلاتهم ويدخلهم الجنة برحمته .

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ الْوَلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَغْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١١١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا

(١) السوء مصدر أضيف إليه للمبالغة كرجل صدق والدائرة اسم فاعل في الأصل سمي بها عقب الزمان / منه .

(٢) قوله أي : سبب قربات يمكن أن يكون بيان حاصل المعنى لا أن يكون الكلام على حذف المضاف بل مبني الكلام على أنه نفس القربات تجوز في الإسناد و نصب قربات على المفعول الثاني / منه .

عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ
لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ
وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٩﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ
عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا
يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا
وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ
وَيَحْلِفُونَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٢﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا
لَمَسْجِدُ أُسُسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحْثُونَ
أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿٢٣﴾ أَقَمْنَ أُسُسَ بَنِيْنَهُ عَلَى تَقْوَىٰ
مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسُسَ بَنِيْنَهُ عَلَى شِقَاجِرٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي
نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٤﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا
رَبِيَّةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴿

وَالسَّابِقُونَ^(١) الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، هم الذين صلوا القبلتين^(٢) ، أو من

(١) ولما ذكر في مقابلة المنافق الذي يعد ما ينفق مغرمًا، الأعراب الذين لهم الإيمان وعدوا
نفقاهم قربات وبين ما لهم في الآخرة وصف ومدح من هو أعلى كعباً وأعظم درجة
وأقدم مثوبة كأنهم هم المؤمنون فقال : " والسابقون " / ١٢ وحيز .

(٢) كذا قاله سعيد بن المسيب وابن سيرين وقتادة وغيرهم / منه .

أدرك^(١) بيعة الرضوان بالحديبية ، أو من شهد^(٢) البدر ، «وَالْأَنْصَارِ» هم الذين آمنوا قبل قدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، «وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ» بإيمان^(٣) وطاعة إلى يوم القيامة كسائر الصالحين من أهل السنة وقال بعضهم : المراد بقية المهاجرين والأنصار سوى السابقين الأولين ، «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ^(٤) جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» ، أي تحت أشجارها ، «خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» الجملة خير لقوله والسابقون ، «وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ» أعراب حوالى المدينة ، «مُتَنَفِّقُونَ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ» عطف^(٥) على ممن حولكم وقوله : «مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ» ، صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر أو عطف الجملة على الجملة تقديره ومن أهل المدينة قوم مردوا ، أي : تمردوا أو تمهروا ، «لَا تَعْلَمُهُمْ» يا محمد بأعيانهم ، «نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ» فإنه لا يخفى علينا شيء ،

(١) قاله الشعبي / ١٢ .

(٢) قاله عطاء بن أبي رباح / منه .

(٣) قال أبو صخر حميد بن زياد : أتيت محمد بن كعب القرظي فقلت له : ما قولك في أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال : جميع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الجنة محسنهم ومسيئهم ، فقلت : من أين تقول هذا ؟ ، فقال : اقرأ قول الله تعالى : " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار " إلى أن قال : " رضي الله عنهم ورضوا عنه " ، وقال : " والذين اتبعوهم بإحسان " شرط في التابعين وهي أن يتبعوهم في أفعالهم الحسنة دون السيئة ، فقال أبو صخر : فكأنني لم أقرأ هذه الآية قط ١٢ / معالم .

(٤) الجنة معدة لهم والباقي من أهل الإيمان إن حال بينهم وبين الجنة ذنوبهم أول الأمر لكن يدخلونها تبعاً لهؤلاء العظماء / وحيز .

(٥) فمعناه ومن أهل المدينة منافقون / منه .

﴿سُعَذَّبَهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ فضيحتهم^(١) في الدنيا وعذاب القبر ومصائب في أموالهم^(٢) وأولادهم فهذه لهم عذاب وللمؤمنين أجر وعذاب القبر أو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم ثم عذاب القبر ، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ وهو الخلود في جهنم ، ﴿وَأَخْرَجُوا﴾ من أهل المدينة^(٣) لا من المنافقين ، ﴿اغْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ في التخلف عن الغزو ، ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ كصلاتهم وإنابتهم وغيرهما ، ﴿وَأَخْرَجُوا سَيِّئًا﴾ كتقاعدهم عن تلك الغزوة كسلًا ، قيل : الواو بمعنى الباء كما في بعت الشاة شاة ودرهماً أي بدرهم ، والأولى أن الواو على أصله دال على أن كل واحد مخلوط بالآخر كما تقول : خلطت الماء واللبن ، أي : خلطت كل واحد منهما بصاحبه ، كأنك قلت : خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ، ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ يقبل توبتهم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ نزلت في أبي لبابة وجماعة من أصحابه تخلفوا عن تبوك ثم إذا رجعت الغزاة عن غزوهم ربطوا أنفسهم بسواري المسجد وحلفوا لا يحلهم إلا رسول الله -صلي الله عليه وسلم- فلما نزلت حلهم وعفا عنهم ، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ ، نزلت لما أطلق هؤلاء الذين ربطوا أنفسهم بالسواري وقالوا: هذه أموالنا التي خلقتنا تصدق بها وطهرنا فقال رسول الله -صلي الله عليه وسلم-: "ما أمرت بأخذ شيء من أموالكم" ، ﴿تَطَهَّرْهُمْ﴾ عن الذنوب ، ﴿وَتَزَكِّيهِمْ﴾^(٤) بها ترفعهم بهذه الصدقة إلى منازل المخلصين ،

(١) هذا قول ابن عباس والكلبي والسدي/ منه .

(٢) هذا قول الحسن وابن زيد قيل: عذاب القبر وفضيحتهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد/منه .

(٣) فإن من أهل المدينة قسمان منافق ومؤمن والمراد من آخرون القسم الثاني/منه .

(٤) قال السيوطي : فأخذ ثلث أموالهم وتصدق بها على سبيل الكفارة لذنوبهم. فيه أن كل من أتى ذنباً يسن له التصدق / فتح .

«وَصَلِّ^(١) عَلَيْهِمْ» ادع لهم ، «إِنْ صَلَاتُكَ سَكَنَ» طمأنينة ورحمة ووقار ، «لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ» بدعائك ، «عَلَيْمٌ» بما هو أهل له أو سميع باعترافهم عليهم ببنادمتهم ، «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ» تعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ، «وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ^(٢)» يقبلها وهذا تهيج إلى التوبة والصدقة عن ابن مسعود رضي الله عنه أن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل ، «وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» يقبل توبة تائبين ويتفضل عليهم ، «وَقُلْ اْعْمَلُوا» يا معشر المخالفين ، «فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ» لا يخفى عليه شيء ، «وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» فإن الله يطلعهم على أعمالكم لا محالة ، إما في الدنيا أو في الآخرة يوم تبلى السرائر ، «وَسُتْرُدُونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ» بالموت ، «فَيَنْبُئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» بالمجازاة عليه فعلى هذه الآية وعيد أو معناه يا معشر المحسن والمسيء اعملوا فلا يخفى على الله خير وشر والله يطلع الرسول والمؤمنين على ما في قلوبكم فيحبون المحسن ويغضون المسيء ثم يوم القيامة يجازيكم فعلى هذه الآية وعد ووعد ، «وَأَخْرُونَ»

(١) واختلفوا في وجوب الدعاء على الإمام عند أخذ الصدقة قال بعضهم : يجب وقال بعضهم : يستحب ، وقال بعضهم : يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع ، وقيل : يجب على الإمام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : كان رسول الله -صلي الله عليه وسلم- إذا أتى بصدقة قال : "اللهم صل على آل فلان" فأثاء أبي بصدقة فقال : "اللهم صل على آل أبي أوفى" / فتح .

(٢) وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله -صلي الله عليه وسلم- : (ما تصدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله) أخرجه الشيخان وفي الباب أحاديث يطول ذكرها/فتح.

من المتخلفين ، «مُرْجُونَ» مؤخرون يعني : موقوف أمرهم ، «لَأَمْرِ اللَّهِ» في شأنهم ، «إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ» لم يقبل توبتهم ، «وَأِمَّا يُتُوبُ عَلَيْهِمْ» يقبل توبتهم ، «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بمن يستحق العقوبة ، «حَكِيمٌ» فيما يفعل والمراد منهم الثلاثة الذين خلفوا من جملة من قد كسلاً لا نفاقاً ولم يربطوا أنفسهم بالسراي ولم يبالغوا في التوبة كما فعل أبو لبابة وأصحابه فترلت توبتهم بعد خمسين ليلة بعدما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت^(١) ، «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا» مبتدأ خبره محذوف أي : وفيمن وصفنا من المنافقين الذين اتخذوا أو منصوب على الاختصاص ، «ضُرَارًا» مفعول له أو مصدر محذوف الفعل ، أي مضارة للمؤمنين ، «وَكُفْرًا» أي : تقوية للكفر ، «وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ» فإنهم يجتمعون في مسجد قباء فأرادوا افتراقهم ، «وَارِصَادًا» ترقباً ، «لَمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» أبي عامر الراهب ، «مِنْ قَبْلُ» متعلق بحارب^(٢) ، «وَلِيُخْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا» ، أي : ما أردنا بنيائه ، «إِلَّا الْحُسْنَى» ، أي : إلا الخصلة الحسنى وهي الصلاة فيه والتوسعة على المسلمين ، «وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» في حلفهم كلن بالمدينة أبو عامر الراهب تنصر في الجاهلية وما آمن بمحمد عليه السلام وبعد البدر التحق بقريش وحثهم على المحاربة وكان معهم في أحد ثم ذهب إلى عظيم الروم وكتب إلى أعوانه من المنافقين يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش لمحاربة الإسلام وأمرهم ببناء مسجد له فبنوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قباء إرصاداً لرجوعه من القيصر فلما أتموا بناءه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع من تبوك وقالوا: أئتمنا مسجداً للضعفاء وأهل العلة واليلة المطيرة نلتمس أن تصلي فيه وتدعوا بالبركة فقولت

(١) فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمر أصحابه أن لا يكلموهم ولا يجالسوهم بوجه كما سيحيى في آخر السورة / منه .

(٢) فإن الراهب لم يزل يحارب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى يوم حنين كذا قاله محي السنة / منه .

في تكذيبهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدمه فهدموه وأحرقوه^(١) ، «لَا تَقُمْ فِيهِ» في ذاك المسجد ، «أَبْدًا» للصلاة ، «لَمَسْجِدُ أُسُسٍ» بني أصله ، «عَلَى

(١) فيه تحريق أمكنة المعصية التي يعصي الله ورسوله فيها وهدمها كما حرق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسجد الضرار وأمر بهدمه وهو مسجد يصلي فيه ويذكر اسم الله فيه لما كان بناؤه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين ومأوى للمنافقين ، وكل مكان هذا شأنه فواجب على الإمام تعطيله إما بهدم وتحريق وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وضع له ، وإذا كان هذا شأن مسجد الضرار فمشاهد الشرك التي يدعو سدنتها إلى اتخاذ فيها من فيها أندادا أحق بذلك وواجب وكذلك محال المعاصي والفسوق كالحانات وبيوت الخمارين وأرباب المنكرات ، وقد حرق عمر بن الخطاب قرية بكما لها يباع فيها الخمر وحرق حانوت رويشد الثقفي وسماه فويسقا ، وأحرق قصر سعد عليه لما احتجب فيه عن الرعية ، وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحريق بيوت تارك حضور الجماعة والجمعة ، وإنما منعه من فيها من النساء والذرية الذين لا يجب عليهم كما أخبر هو عن ذلك هذا ما قاله الحافظ شمس الدين ابن قيم في كتابه زاد المعاد في هدى خير العباد ، وأيضا قال فيه : وهدم مواضع الشرك التي تتخذ بيوتا للطواغيت أحب إلى الله ورسوله وأنفع للإسلام والمسلمين من هدم الحانات والمواخر وهذه المشاهد المبنية على القبور التي تعبد من دون الله تعالى ويشرك بأربابها مع الله لا يحل إبقاؤها في الإسلام ويجب هدمها ولا يصح وقفها ولا الوقف عليها وللإمام أن يقطعها وأوقفها لجند الإسلام ويستعين بها على مصالح المسلمين كما أخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - بيوت هذه الطواغيت وكذلك ما فيها من الآلات والمتاع والنذور التي تساق إليها يضاهي بها الهدايا التي تساق إلى البيت للإمام أخذها كلها وصرفها في مصالح المسلمين ، كما أخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - أموال بيوت هذه الطواغيت وصرفها في مصالح الإسلام وكان يفعل عندها ما يفعل عند هذه المشاهد سواء من النذور لها والتبرك بها والتمسح بها وتقبيلها واستلامها ، هذا كان شرك القوم بها ولم يكونوا يعتقدون أنها خلقت

التَّقْوَى» على طاعة الله ورسوله ، «مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ» من أيام وجوده ، «أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ» للصلاة جماعة من السلف على أنه مسجد قباء منهم ابن عباس رضي الله عنهما وبعض منهم على أنه المسجد الذي في جوف المدينة وعليه حديث صحيح وقال بعضهم (*) لا منافاة ؛ لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى فمسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم بطريق الأولى والأحرى ولي في هذا التوفيق خدشة (١) والله تعالى أعلم ، «فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا» من الأحداث والنجاسات هم أهل قباء كان من عادتهم أنهم يستعملون الماء في الاستنجاء عقيب الحجر قيل: ولا ينامون على الجنابة وقيل: يتطهرون بالتوبة عن الشرك والمعاصي ، «وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ» يرضى عن طهر ظاهره وباطنه ، «أَقَمْنَ أَسَسَ بُنْيَانَهُ» أي : بنيان مبنية ، مصدر كالغفران ، «عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ» أي : على قاعدة محكمة قوية هي التقوى من

= السماوات والأرض؛ بل كان شركهم بها كشرك أهل الشرك من أرباب المشاهد بعينه انتهى بلفظه.

(٥) في (ن): وبعض العلماء.

(١) لأن كلامه مشعر بأنه سلم أن المراد من قوله: "المسجد أسس" هو مسجد قباء لكن مسجد المدينة أولى بالقيام فيه وهذا مسلم لكن لا ينفعه في التوفيق كما ترى، لأن الخلاف في أن المراد من قوله: "لمسجد أسس" أي مسجد هو والحديث الصحيح على أنه المسجد الذي هو في جوف المدينة قال صاحب الكشاف: أقول ومع بيان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يعبا بقول غيره أما ما رواه أبو داود والترمذي أن فيه رجال إلخ .. نزلت في أهل قباء [صحيح، انظر صحيح الترمذي (٢٤٧٦)]، فهو لا يعارض نص رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما ما رواه ابن ماجه عن أبي أيوب وجابر وأنس أن، هذه الآية فيه رجال إلخ.. لما نزلت قال عليه الصلاة والسلام واقفاً على باب مسجد القباء (إن الله قد أثنى عليكم يا معشر الأنصار في الطهور فما طهوركم) ، فلا يدل على اختصاص أهل قباء ولا ينافي الحمل على أهل مسجده من الأنصار / منه .

مخالفته ، «وَرِضْوَانٍ» وطلب مرضاته ، «خَيْرٌ أَمْ مِّنْ أَسْسٍ بُنْيَانُهُ» أي : بنیان مبنیه ، «عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ» جانب وادٍ من أودية جهنم تكاد تسقط على جهنم والشفاف الحرف وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهياً والهار المنصدع الذي أشفى على السقوط قيل حاصله أنه على قاعدة ضعيفة رخوة تكاد تسقط ، «فَأَنهَارَ بِهِ» طاح ببنائه وأسقطه ، «فِي نَارِ جَهَنَّمَ» قد صح ^(١) عن بعض ^(٢) الصحابة أنه رأى الدخان يخرج من هذه الأرض حين حفر وهو اليوم مزبلة ، «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» إلى ما فيه صلاحهم ، «لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمْ» أي : مبنیهم مصدر أريد به المفعول ، «الَّذِي بَنَوْا» صفة لبنائهم وجاز أن يكون بنياهم على معناه المصدرى والذي بنوا مفعوله ، «رَبِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ» سبب شك ونفاق فإنهم بنوا للكفر والتفريق فلما خربوه ازدادوا غيظاً وحسداً وبغضاً «إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ» بالموت والاستثناء من أعم الأزمنة ، أي : يسئلون عنه حينئذ ، «وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ» بأعمال الخلائق ، «حَكِيمٌ» في مجازاتهم من خير وشر .

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣١﴾﴾
الْمُسِيحُونَ الرَّكَعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ

(١) أخرجه الحاكم والمسدد وابن جرير وغيرهم / فتح .

(٢) هو جابر بن عبد الله وقتادة وغيرهما / منه .

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا
تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ
إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ
حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا
يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّنْ ذُوِّ آلِهَةٍ مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ
عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ
مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾
وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ
وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ
لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

﴿إِنَّ﴾ (١) الله اشترى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ ، التي هو خلقها ﴿وَأَمْوَالَهُمْ﴾ التي هو
رزقها ، ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ تمثيل لإثابة الله من بذل نفسه وماله في سبيل الله الجنة ،
﴿يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ استئناف بيان ما لأجله الشرى ،
﴿وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان (٢) فإن الاشتراء بالجنة يستلزم الوعد بها ، ﴿فِي
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ ، أي : هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين ثابت فيهما

(١) ولما ذكر أنهم مطروحون في جهنم أسفل السافلين بين أن مقابلتهم في الجنة أعلى

عليين ، فقال : " إن الله اشترى " الآية / وحيز

(٢) (وعداً) مصدر مؤكد لنفسه و(حقاً) مصدر مؤكد لغيره / منه .

كما هو ثابت في القرآن ، قال بعضهم : الأمر بالجهاد في جميع الشرائع ، وقال بعض : كتب فيهما أنه اشترى من أمة محمد أنفسهم وأمواهم بالجنة كما بين في القرآن ، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ ، يعني لا أحد أوفى بما وعد " ومن أصدق من الله قيلا " (النساء: ١٢٢) ، ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِاللَّهِ الَّذِي يَبِيعُكُمْ﴾ غاية الفرح فإنه موجب للفرح الأبدي ، ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ نزلت حين قال عبد الله بن رواحة وأصحابه ليلة العقبة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : اشترط لربك وانفسك ما شئت ، فقال : "لربي أن تصدقوه ولا تشركوا به شيئا ولنفسى أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأمواكم" ، قالوا : فما لنا ؟ قال : "الجنة" ، قالوا : ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل (*) ، ﴿التَّائِبُونَ﴾ أي : هم التائبون مدحهم الله تعالى به ، ﴿الْعَابِدُونَ﴾ بالإخلاص ، ﴿الْحَامِدُونَ﴾ لله تعالى على كل حال ، ﴿السَّائِحُونَ﴾ الصائمون ^(١) كما ورد "سياحة أمتي الصوم" يعني في رمضان ، وقيل : من يدم الصوم ، أو المجاهدون أو طلبة ^(٢) العلم ، ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ المصلون ، ﴿الْأَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالإيمان والطاعة ، ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ عن الشرك والمعاصي وجاء بحرف العطف إشارة إلى أن ما عطف عليه في حكم خصلة ^(٣) واحدة ، ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ القائمون بطاعته وهذا يحمل الفضائل ، وما قبله مفصل ، قال بعض العلماء : هذه الثلاثة في حكم خصلة واحدة ، يعني : يرشدون الخلائق إلى الطاعة بأمرهم بالمعروف

(٥) صحيح.

(١) هو قول ابن مسعود وابن عباس وغيرهما شبهوا بذوي السياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم / منه .

(٢) قول عكرمة لأنهم يسيحون في الأرض يطلبون العلم من مظانه / منه .

(٣) ولهذا جاء بالواو فإنه لو جاء بغير حرف العطف لناسب أن يكون مثل الخصال المتقدمة خصلة على حياها / منه .

ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه وهو حفظ حدود الله تعالى في تحليله وتحريمه علماً وعملاً وعلى هذا وجه العطف أظهر ، «وَبَشِّرِ^(١) الْمُؤْمِنِينَ» أي : الموصوفين بتلك الفضائل وذكر لفظ المؤمنين دون الضمير للإشعار بأن الإيمان داع إلى ذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه شيء لا يمكن بيانه ، «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ» بأن ماتوا على الكفر نزلت في استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب^(٢) أو لأبيه^(٣) وأمه أو حين استأذن المسلمون أن يستغفروا لأبويهم ، «وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا» إبراهيم ، «إِيَّاهُ» بقوله : لأستغفرن لك ، أي : أطلب لك المغفرة من الله ، أو وعدها أبوه إياه أي : إبراهيم وهي عدته بالإيمان والأول^(٤) أصح عن علي رضي الله عنه أني سمعت رجلاً يستغفر لأبويه المشركين فنهيته ، فقال : ألم يستغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه فذكرت ذلك

(١) وفي الآية الأولى أمرهم بالاستبشار وفي هذه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبشرهم ومن أين إلى أين، ولما بشر المؤمنين بالجنة وأنهم هم الذين اشتروها علم أن ليس للكافرين فيها نصيب فالاستغفار لهم ظلم ولا يجوز للمؤمنين الظلم فأراد منعهم ، وقال : " ما كان للنبي والذين آمنوا " الآية ، وأيضاً لما بين في أول السورة وجوب البراءة عن الكفار والمنافقين من جميع الوجوه بين في هذه الآية أنه يجب البراءة عن أمواتهم وإن كانوا في غاية القرب كالأب والأم كما وجبت عن أحيائهم والمقصود بيان وجوب مقاطعتهم على أقصى الغايات والمنع من مواصلتهم بسبب من الأسباب / كذا في الكبير والوجيز .

(٢) هكذا قال سعيد بن المسيب ومجاهد وغير واحد / منه .

(٣) قاله أبو هريرة وفي مسلم ما يدل على ذلك / منه .

(٤) لقوله تعالى : «قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم» المتحنّة الآية .

للنبي - صلى الله عليه وسلم - فتزل "ما كان للنبي" إلى قوله : "إن إبراهيم لأواه حلیم" (*)
ولما استأذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الاستغفار لأمه فلم يأذن رحم عليها
وبكى فجاء جبريل عليه السلام بقوله : " وما كان استغفار إبراهيم " الآية وقال : تبرا
أنت من أمك كما تبرا إبراهيم من أبيه ، ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ﴾ بالوحي أو بموته على
الكفر ، ﴿ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ ما دعا له بعد ، ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوْاهٍ ﴾ متضرع
كثير الدعاء أو الرحيم ^(١) أو الموقن ^(٢) بلسان الحبشة أو المؤمن ^(٣) التواب أيضا بلسانهم
أو المسيح أو كثير ^(٤) الذكر والتسبيح أو فقيه ^(٥) أو يتأوه ^(٦) من الذنوب كثيرا نقل أنه
عليه السلام يتنفس تنفس الصعداء كثيرا ويقول آه من النار قبل أن لا ينفع آه ،
﴿ حَلِيمٌ ﴾ صبور على الأذى صفوح ، ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا ﴾ ، ليحكم عليهم
بالضلالة ويؤاخذهم ، ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ ﴾ للإسلام ، ﴿ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾ أي :
ما يجب اتقاؤه والغافل غير مكلف فلا تؤاخذكم باستغفاركم أبويكم المشركين قبل أن
تعلموا أنه خطر حرام لكن لما بينت حرمة إن عدمتم إليه ليتحقق الضلال قال ^(٧)
بعضهم : نزلت في قوم عملوا بالمنسوخ قبل أن يعلموا نسخه ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُخَيِّ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

(٥) حسن، انظر صحيح سنن الترمذي (٢٤٧٧).

(١) قول الحسن وقتادة

(٢) قول مجاهد .

(٣) قول ابن عباس .

(٤) قول عتبة بن عامر

(٥) قول النخعي .

(٦) قول كعب الأحبار .

(٧) المقاتل والكلبي .

مِنْ وَلِيِّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿ فْتَبَرَّعُوا عَنْ الْمَشْرِكِينَ وَتَوَجَّهُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْكَلِيَّةِ ، ﴿لَقَدْ﴾^(١) تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ، أَي : فِي وَقْتِ الْعُسْرَةِ ، يَعْنِي غَزْوَةَ تَبُوكَ ، فَإِنَّمَا فِي وَقْتِ شِدَّةٍ وَحَرِّ وَقْلَةٍ زَادَ وَمَاءٌ وَمَرْكُوبٌ ، ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ ﴾ اسْمُ مَا كَادَ ضَمِيرُ الشَّأْنِ ، ﴿ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ ، تَمِيلُ عَنِ الْحَقِّ ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ هُمَا بِالتَّخَلُّفِ ثُمَّ عَصَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَلَحَقُوا أَوْ لَمَّا نَالُوا شِدَائِدَهَا مِنَ الْجُوعِ وَغَايَةِ الْعَطَشِ وَالْحَرِّ كَادُوا يَشْكُونَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ وَأَمَّا ذِكْرُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : " لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ " مَعَهُمْ فَلَأَنَّهُ أَذِنَ لِلْمُنَافِقِينَ فِي التَّخَلُّفِ قَبْلَ إِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَالَ بَعْضُ أَفْتَحَ بِهِ الْكَلَامَ لِأَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَبَ تَوْبَتِهِمْ فَذَكَرَهُ مَعَهُمْ ، ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، تَكْرِيرٌ لِلتَّأْكِيدِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ ذُنُوبَهُمْ أَعَادَ ذِكْرَ تَوْبَتِهِمْ ، ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَعُوفٌ ﴾^(٢) رَحِيمٌ .

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ﴾ عَطَفَ عَلَى النَّبِيِّ ، ﴿الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ أَي : خَلَفَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَهُمْ عَمَّنْ رُبَطَ نَفْسُهُ بِالسَّوَارِي وَعَمَّنْ اعْتَذَرَ بِالْكَاذِبِ وَقِيلَ : خَلَفُوا^(٣) عَنِ الْغَزْوِ ، ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ ، أَي : بِرَحْبَتِهَا^(٤) وَوَسَعَتِهَا وَهُوَ مِثْلُ لَشِدَّةِ الْحِيرَةِ فَإِنَّهُمْ مَهْجُورُونَ بِالْكَلِيَّةِ فِي الْمَعَامِلَةِ وَالْمَحَالَسَةِ وَالْمَكَالَةِ ، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ قُلُوبُهُمْ مِنْ كَثَرَةِ الْهَمِّ ، ﴿وَوَظَّتُوا﴾ عَلِمُوا ، ﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ﴾ مِنْ

(١) لَمَّا اسْتَقْصَى فِي شَرْحِ أَحْوَالِ غَزْوَةِ تَبُوكَ وَبَيَّنَ أَحْوَالَ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْهَا عَادَ إِلَى شَرْحِ مَا بَقِيَ مِنْ أَحْكَامِهَا وَمِنْ بَقِيَّةِ تِلْكَ الْأَحْكَامِ أَنَّهُ صَدَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَوْعَ زَلَّةٍ جَارِيَةٍ مَجْرَى تِلْكَ الْأَوَّلَى وَصَدَرَ أَيْضاً عَنِ الْمُؤْمِنِينَ نَوْعَ زَلَّةٍ فَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ وَتَابَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : " لَقَدْ تَابَ اللَّهُ " الْآيَةُ / كَبِيرٌ .

(٢) وَلِهَذَا قَبْلَ تَوْبَتِهِمْ / وَجِيزٌ .

(٣) وَالْأَوَّلُ أَوَّلَى ، لِأَنَّ حَتَّى غَايَتَهُ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَكْلُفٍ بِخِلَافِ الْمَعْنَى الثَّانِي / وَجِيزٌ .

(٤) فَمَا مُصَدَّرَةٌ وَهُوَ مِثْلُ لَشِدَّةِ الْحِيرَةِ كَأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ فِيهَا مَحَلًّا يَقْرُونَ فِيهِ .

سخطه ، «إِلَّا إِلَيْهِ» بالتضرع والاستغفار ، «ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ» وفقهم للتوبة أو رجع عليهم بالرحمة ، «لِيَتُوبُوا» أو قبل توبتهم ليتوبوا في المستقبل إن صدر عنهم خطيئة أو تاب عليهم ليرجعوا إلى حالهم ، «إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» يقبل توبة العباد بمحض رحمته وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية^(١) الواقفي .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٣١﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿٣٤﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢) في نياتهم وأعمالهم أو في الاعتراف بالذنوب لا كمن اعتذر بالكاذب والخطاب لأهل الكتاب ، أي : كونوا مع

(١) وهم من كبار الصحابة واثان منهم من أهل البدر كما في الصحيحين وليسوا بمنافقين أبداً/وجيز .

(٢) ولا تفارقوهم / وجيز .

محمد عليه السلام وأصحابه ، «مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ^(١)» هي بصيغة النفي للمبالغة ، «وَلَا يَرْغَبُوا» ، أي : ولا أن يرغبوا ، «بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ^(٢) نَفْسِهِ» لا أن يصونوا أنفسهم عما لم يصن نفسه الأشرف عنه ، «ذَلِكَ» أي : النهي عن التخلف ووجوب الموافقة ، «بِأَنَّهُمْ» بسبب أنهم ، «لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ» عطش ، «وَلَا نَصَبٌ^(٣)» تعب ، «وَلَا مَخْمَصَةٌ^(٤)» جاعة ، «فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْنُونَ» لا يدوسون ، «مَوْطِئًا» مكاناً ، «يَغِیْظُ» وطؤه ، «الْكَفَّارَ» يضيق صدورهم ويغضبهم ، «وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ ثِيلاً» قتلاً وأسرًا أو غنمية وغلبة ، «إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ» بكل واحد من الظمأ وغيره ، «عَمَلٌ صَالِحٌ» ، إلا استوجبوا الثواب والاستثناء المفرغ في موقع الصفة للنكرة قبله أو الحال^(٥) ، «إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسَنِينَ» على إحسانهم وهو كالعلة لكتب ، «وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً» في سبيل الله ، «صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً» قليلاً ولا كثيراً ، «وَلَا يَقْطَعُونَ» في سفرهم ، «وَادِيًا» أرضاً ، «إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ» أثبت لهم كل من الإنفاق والقطع ، «لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أي : يجزيهم جزاء أحسن من أعمالهم^(٦) ، «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ» ما استقام لهم ، «لِيَفْرُوا كَافَّةً» أي : جميعاً لغزو

(١) فإنه النبي الصديق وقد أمرنا بقوله: (كونوا مع الصادقين) / وجيز .

(٢) أي : وما استقام لهم أن يجعلوا أنفسهم راغبة عن نفسه متباعدة مترفعة عنها والحقيقة هذا أمر بضده وهو أن يصحبوه في البأساء والضراء .

(٣) من عطف العام على الخاص .

(٤) من عطف الخاص على العام .

(٥) فيكون الأمر بوجوب الموافقة رحمة وشفقة عليهم / وجيز .

(٦) قدمت الجملة السابقة وتأخرت الجملتان؛ لأنها أشق على النفس وأنكى على العدو وأعلى وأنيل أجراً؛ لأن هاتين المؤخرتين من خواص الأسفار لا اختصاص لهما بالغزو

نزلت حين بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- السرايا بعد تبوك ينفر المؤمنون جميعاً إلى الغزو حذراً مما أنزل الله تعالى في تخلف المنافقين عن تبوك فيتركون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، «فَلَوْلَا» أي: هلا ، «تَفَرَّ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ» جماعة كثيرة ، «طَائِفَةٌ» جماعة قليلة ، «لَيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ» أي : ليحصل القاعدون الفقه والقرآن^(١) وأحكامه ، «وَلْيُنذِرُوا»^(٢) قَوْمَهُمْ: ليعلموا النافرين ويخوفوهم بما نزل

= فأثبت لهما جزاء أحسن من العمل بخلاف الأول فلأنهم وصلوا إلى أعلى رتبة الإيمان، وهي الإحسان ولما أعلم بما في الغزو من الأجر الجزيل وعلم أن الصحابة مولعون به صار مظنة أن لا يقف ولا يتوقف عند النبي -صلى الله عليه وسلم- إن جهز المسلمين إلى الغزو فقال: "وما كان المؤمنون" / وجيز .

(١) في صحبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال محيي السنة البغوي : الفقه هو معرفة أحكام الدين وهو ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين مثل علم الطهارة والصلاة والصوم ، فعلى كل مكلف معرفته ، وكذلك كل عبادة ، أوجبها الشرع على واحد يجب عليه معرفتها ومعرفة علمها مثل علم الزكاة إن كان له مال وعلم الحج إن وجب عليه وأما فرض الكفاية هو أن يتعلم حتى يبلغ درجة الاجتهاد ورتبة الفتيا فإذا قعد أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعاً، وإذا قام من كل بلد واحد يتعلمه سقط الفرض عن الآخرين وعليهم تقليده فيما تقع لهم من الحوادث .

(٢) دلت الآية على أنه يجب أن يكون المقصود من التفقه والتعلم دعوة الخلق إلى الحق وإرشادهم إلى الدين القويم والصراط المستقيم ، لأن الآية تدل على أنه تعالى أمرهم بالتفقه في الدين لأجل أنهم إذا رجعوا إلى قومهم أنذروهم بالدين الحق ويحذرون الجهل والمعصية ويرغبون في قبول الدين فكل من تفقه لهذا الأمر كان على المنهج القويم والصراط المستقيم ، ومن عدل عنه وطلب الدنيا بالدين كان من الآخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا/ مفاتيح الغيب المعروف بالكبير .

من الوحي ، ﴿إِذَا رَجَعُوا﴾ من الغزو ، ﴿إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١) عما يندروا عنه أو ليتفقه النافر أي : ليتصروا بالغلبة على المشركين وينظروا صنائع الله تعالى ثم إذا رجعوا يندروا قومهم من الكفار ويخبرهم بنصرة الدين لعلهم يحذرون ، أو نزلت حين نزلت أحياء العرب المدينة فغلت أسعارهم وفسدت طرقهم بالعدرات وحينئذ معني الآية ظاهر ، أو نزلت حين خرج بعض الصحابة في البوادي فأصابوا منهم معروفا ودعوا الناس إلى الهدى فقال أهل البوادي : ما نراكم إلا وقد تركتم صاحبكم فرجعوا كلهم إلى المدينة فقال تعالى هلا رجع طائفة منهم يستمعوا ما أنزل الله تعالى بعدهم من الوحي ولينذروا ويخبروا قومهم أي : أهل البوادي بالفقہ الذي تعلموه إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون وقد ذكر في وجه التزول غير ما ذكرنا أيضا .

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢) وَإِذَا مَا أَنزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هُدًىٰ ءِيمَنًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ ءِيمَنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(٣) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٤) أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾^(٥) وَإِذَا مَا أَنزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٦) لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ

(١) لما أمرهم بالغزو وعلمهم وظيفة النفر شرع يعلمهم كيفية نفرهم إلى الأعداء : " يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم " الآية / وجيز .

مَاعِنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ
 اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٦٩﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ أمروا بقتال الأقرب
 فالأقرب ولهذا لما فرغوا عن جزيرة العرب شرعوا في الشام ، «وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً»
 شدة في القتال وصبراً ، «وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» ، بالإعانة^(١) والحفظ ، «وَإِذَا
 مَا أَنْزَلَتْ سُورَةً فَمِنْهُمْ» المنافقين ، «مَنْ يَقُولُ» أي : يقول بعضهم لبعض استهزاء
 وتبشيراً على النفاق ، «أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ السُّورَةُ» ، «إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ
 إِيمَانًا» بزيادة المؤمن به أو لزيادة^(٢) عمله الحاصل منها ، «وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ»
 بتزولها ، «وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» كفر ونفاق ، «فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا» كفراً ،
 «إِلَى رِجْسِهِمُ» الذي كانوا عليه ، «وَمَا تَوْأَمَتُهُمْ كَافِرُونَ»^(٣) «أَوَّلَا يَرَوْنَ» أي :
 المنافقون ، «أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ» يختبرون بالسنة والقحط أو الغزو والمصائب ، «فِي كُلِّ
 عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ» لأن يتنبهوا ، «ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ» ولا يعتبرون ،
 «وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةً» فيها عيب المنافقين ، «نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ» إنكاراً لها
 وسخرية أو تدبيراً للفرار قائلين ، «هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ» يعني من المسلمين إن قمتم
 من الخطبة^(٤) والمسجد فإن لم يرههم أحد قاموا وإلا أقاموا ، «ثُمَّ انصَرَفُوا» عن
 حضرته ، «صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» عن الإيمان دعاء أو إخبار ، «بِأَنَّهُمْ» أي : بسبب

(١) والقتال مع عدو الله بالصبر من شعائر التقوى.

(٢) أو لزيادة إيمانه وقوة يقينه في الإيمان .

(٣) وهذا شقاوة لا شيء بعدها .

(٤) فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ سورة القرآن في خطبته /

أهم ، «قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ»^(١) عن الله دينه ، «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ»
تعرفون حسبه ونسبه ، «عَزِيزٌ» شديد شاق ، «عَلَيْهِ مَا عَنُتُمْ» أي : عنتكم^(٢)
ومضارتكم ، «حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ» على صلاحكم وإيمانكم ، «بِالْمُؤْمِنِينَ»^(٣) رُءُوفٌ
له شدة الرحمة على المطيعين ، «رَحِيمٌ» على المذنبين لكن غليظ شديد على
الكافرين^(٤) ، «فَإِنْ تَوَلَّوْا» عن الإيمان وقاتلوك ، «فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ» في الحماية
والنصرة ، «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ» فلا أرجوا ولا أخاف غيره ، «وَهُوَ رَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» الذي هو سقف المخلوقات وجميع الخلق تحته وعن بعض السلف أن
آخر ما نزل هاتان الآيتان.

والحمد لله رب العالمين .

-
- (١) ولما تم جميع ما أراد بيانه في تلك السورة خاطب الكل بما هو فذللك الكتاب وأصله
ومقصوده فقال «لقد جاءكم رسول» الخ/ وجيز .
- (٢) فما مصدرية / ١٢ .
- (٣) في قوله بالمؤمنين من باب التنازع بالرءوف والرحيم .
- (٤) كما دل تقدم المؤمنين تخصيصهم بالرفقة والرحمة .

سورة يونس قيل مكية إلا ثلاث آيات

من قوله ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾

وهي مائة وتسع آيات، وأحد عشر مكرّوا

سَمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنُ الرَّحِیْمُ

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٨﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّلَاحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ
النَّعِيمِ ﴿١٠﴾ دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْيَتْهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ * ﴿١٢﴾

﴿الر﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أي: أنا الله أرى^(١)، ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى ما
تضمنته السورة من الآي، ﴿آيَاتِ الْكِتَابِ﴾ القرآن، ﴿الْحَكِيمِ﴾ المحكم الذي لم
ينسخ، أو الحاكم بين الناس أو ذوي الحكم، ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ استفهام لإنكار تعجب
الكفار، ﴿عَجَبًا﴾ خبر كان، ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ اسم كان، ﴿إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ نزلت حين
قال قريش: الله أعظم أن يكون رسوله بشراً مثل محمد يعني ممن لم يكن له رئاسة
ومال وما يعدونه من أسباب الجلال، ﴿أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾، أن مفسرة، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ
آمَنُوا أَنَّ﴾ أي: بأن، ﴿لَهُمْ قَدْ صَدَّقَ﴾^(٢) عِنْدَ رَبِّهِمْ، أي: سابقة وأثرة حسنة
أجرأ حسناً بما قدموا أو سبقت لهم السعادة في الذكر الأول وذكر الصدق إشارة إلى
أن نيل تلك الرفعة بسبب الصدق، ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا﴾ أي: الكتاب،
﴿لَسَاحِرٌ﴾^(٣) مُبِينٌ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ

(١) قال الحسن وعكرمة: "الر" قسم، وقال قتادة: "الر" اسم للسور وقيل غير ذلك، ولا يخفى،
عليك أن هذا كله قول بالظن وتفسير بالحدس ولا حجة في شيء من ذلك والحق أن
أوائل مثل هذه السورة مما استأثر الله بعلمه وهو المنقول عن الخلفاء الأربعة وغيرهم والله
أعلم بمراده به وهو سره في كتابه العزيز .

(٢) في البخاري في كتاب التفسير قال زيد بن أسلم: أن لهم قدم صدق محمد صلى الله
عليه وسلم وقال مجاهد: خير . [صحيح البخاري (١٩٦/٨) -فتح]

(٣) قرأ نافع وأهل البصرة والشام السحر بغير ألف يعنون القرآن وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة
لساحر بالألف يعنون محمد صلى الله عليه وسلم/ معالم .

كهذه الأيام أو كل يوم كألف سنة، «ثُمَّ اسْتَوَى^(١) عَلَى الْعَرْشِ»، الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة، «يُدَبِّرُ الْأُمُورَ»: يقدر أمر الكائنات على مقتضى

(١) قال البخاري في صحيحه في كتاب الرد على الجهمية قال أبو العالية: استوى على السماء ارتفع، وقال مجاهد: استوى على العرش علا على العرش وقعت هذه العبرة في النسخة المطبوعة الأحمدية، وقال محيي السنة في معالم التثريب: قال الكلبي ومقاتل: استقر، وقال أبو عبيدة: صعد، وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، فأما أهل السنة يقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به ويكمل العلم فيه إلى الله عز وجل، وقال أيضاً في سورة البقرة تحت قوله تعالى: "ثُمَّ اسْتَوَى، إِلَى السَّمَاءِ" (البقرة: ٢٩)، قال ابن عباس، وأكثر مفسري السلف: أى ارتفع إلى السماء ونقل الحافظ الذهبي في كتاب العلو عن إسحاق بن راهويه أنه قال: سمعت غير واحد من المفسرين يقول: "الرحمن على العرش استوى"، أي: ارتفع ونقل عن محمد بن جرير الطبري أنه قال: "ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ" (طه: ٥)، أي: علا وارتفع، قال الشيخ سلام الله بن الشيخ عبد الحق الدهلوي في حاشية على الجلالين المعروف بالكمالين عن أم سلمة والإمام جعفر الصادق والحسن وأبي حنيفة ومالك أن الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وروى البيهقي عن أبي حنيفة أن الله في السماء دون الأرض وعنه قال: من أنكر الله في السماء فقد كفر، وقال الشافعي إن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، ويترل كيف شاء، ومثل ذلك قال أحمد، وقال إسحاق: إنه أجمع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شيء وهو قول المزني والبخاري وأبي داود والترمذي وابن ماجه وأبي يعلى والبيهقي وغيرهم من أئمة الحديث، وقال إبراهيم: من الحلية طريقنا طريق السلف المتبعين لكتاب الله والإجماع ومما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملاً بجميع صفاته إلى أن قال: إن الأحاديث التي ثبتت في العرش والاستواء عليه يقولون بها ويشتبونها من غير تكييف ولا تمثيل وأنه بائن من خلقه انتهى ما في الكمالين بلفظه، وقال شيخ الإسلام صفوة العارفين أبو محمد عبد القادر الجيلاني في كتاب الغنيمة الموجود بأيدي الناس: أما معرفة

حكمته ، «مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ^(١)» رد على المشركين أن آلهتهم شفعاء لهم ، «ذَلِكُمُ اللَّهُ» أي: الموصوف بتلك الصفات العظيمة ، «رَبُّكُمْ» لا غير ، «فَاعْبُدُوهُ» وحده، «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» في أمركم أيها المشركون ، «إِلَيْهِ» لا إلى غيره، «مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً» بالموت ، «وَعَدَ اللَّهُ» مصدر مؤكد لنفسه ، «حَقّاً» مصدر مؤكد لغيره ، «إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» بعد إهلاكه ، «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ» بعدله لا ينقص من ثوابهم وفضل الله يؤتيه من يشاء وقيل: المراد عدلهم أي: إيمانهم فإن الشرك لظلم عظيم ، «وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ» ماء حار انتهى حره، «وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ» بسبب كفرهم وحاصله ليجزي الذين كفروا بشراب لكن غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعذاب، وللإشارة إلى أن المقصود بالذات من الإعادة هو الإثابة، وأما عقاب الكفرة فشيء ساقه إليهم شؤم أعمالهم وهذا أيضاً عدل لكن خصص المؤمنين بذكره لمزيد عناية وبشارة، «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً» ذات ضياء ، «وَالْقَمَرَ نُوراً»

= الصانع أن تعرف وتوقن أن الله واحد أحد إلى أن قال: وهو بجهة العلو مستوي على العرش محيط علمه بالأشياء " إليه يصعد الكلم الطيب " (فاطر: ١٠)، " يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه " الآية (السجدة: ٥)، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال : إنه في السماء على العرش كما قال: (الرحمن على العرش استوي) (طه: ٥)، وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش وكونه سبحانه وتعالى على العرش -مذكور في كل كتاب أنزل على نبي أرسل- بلا كيف وذكر كلاماً طويلاً اختصرته من شاء الاطلاع على تمامه فيرجع إلى كتابه المذكور المطبوع المتداول بين الناس والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

(١) تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه إثبات الشفاعة لمن أذن/ بيضاوي.

أي^(١): ذا نور قيل: ما بالذات ضوء وما بالعرض نور، «وَقَدَّرَهُ»، أي: مسير القمر^(٢)، «مَنَازِلَ» أو قدر القمر ذا منازل^(٣)، «لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ» حساب الشهور والأيام، «مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ» أي: المذكور، «إِلَّا» متلبساً، «بِالْحَقِّ» فيه الصنائع والحكم، «يَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» فإنهم المتفعون بالتدبر، «إِنَّ فِي اخْتِلَافِ^(٤) اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ» العواقب فإنه يحملهم على التدبر، «إِنَّ^(٥) الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ» لا يتوقعون، «الْقَاءَمَاءَ» لأنهم ينكرون البعث، «وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا» من الآخرة، «وَأَطمَأَنُّوا بِهَا» قصروا همهم على زخارفها، «وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا» الكونية والشرعية، «غَافِلُونَ» فلا يتفكرون فيها ولا يأتمرون بها، «أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»، من المعاصي، «إِنَّ^(٦) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ

(١) الضياء أقوى من النور بحكم الوضع والاستعمال ولذا ينسب الضياء إلى الشمس والنور إلى القمر/ منه.

(٢) فإن المعتبر في النسخ السنة القمرية والشهر القمري/ منه .

(٣) يعني لابد من تقدير المضاف ؛ لأن القمر ليس منازل ثم الظاهر أن المراد بها البروج لا المنازل إذ بها وبقطبها عدد السنين والحساب / منه .

(٤) اعلم أنه تعالى استدل على التوحيد أولاً: بتخليق السماوات والأرض وثانياً: بأحوال الشمس والقمر وثالثاً: في هذه الآية بالمنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار ورابعاً: بكل ما خلق الله في السماوات والأرض/ كبير .

(٥) ولما قام الدلائل القاهرة على صحة القول بإثبات الإله الرحيم الحكيم وعلى صحة القول بالمعاد والحشر والنشر شرع في شرح أحوال من يكفر بها ومن يؤمن بها فقال : " إن الذين لا يرجون " الآية / كبير .

(٦) لما بين أحوال المنكرين شرع في أحوال المؤمنين فقال : " إن الذين آمنوا " الآية .

رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ^(١)، بسبب إيمانهم إلى الصراط حتى يصلوا إلى الجنة بالسلامة، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ استئناف أو خبر ثان، ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ متعلق بتجرى أو حال من الأنهار، ﴿دَعَاؤُهُمْ﴾ أي: دعاؤهم، ﴿فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ﴾ مخففة من المثقلة، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ عن كثير^(٢) من السلف أن أهل الجنة كلما اشتبهوا شيئاً قالوا: سبحانك اللهم فيأتيهم الملك بما يشتهون فيسلم عليهم فيردون عليه، وذلك تحيتهم فإن أكلوا حمدوا الله وذلك قوله وآخِر دعواهم .

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفَضَّلَ إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ فَتَدَّرُ الْأَذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا لِحِيزِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ۝ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۝ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ

(١) قيل: علم من هذا أن المراد من الإيمان الإيمان المقيد بالعمل الصالح لا مطلق الإيمان ليكون ذكر العمل الصالح مستدركاً قلنا إن سلمنا لا يلزم أن من لا يكون مهتدياً إلى الجنة لا يدخل الجنة قط ومنع ذلك غاية المكابرة / منه .

(٢) ومثل هذا الخبر عن السلف لا يكون إلا مرفوعاً / وجيز .

عَظِيمٍ ﴿٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦﴾ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرِمُونَ ﴿٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠﴾

﴿وَلَوْ﴾ ^(١) يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ﴾ تعجيل الله تعالى لهم ^(٢) ، ﴿بِالْخَيْرِ﴾ حاصله لو يستجيب دعاءهم بالشر عند الغضب لأهلهم وأولادهم وأموالهم كما يستجيب دعائهم بالخير ، ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ ، لأميتوا وأهلكوا لكن بفضلهم يستجيب في الخير سريعاً لا في الشر قال بعضهم: نزلت حين قالوا: " اللهم إن كان هذا هو الحق " الآية (الأنفال: ٣٢) ، ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يخافون

(١) ولما ذكر أنه تعالى بني الأمور على التدبير لا على التعجيل فإن الثاني من الله والعجلة من الشيطان وهو على كل حال متفضل على المؤمنين في دنياهم ودينهم بين أن عدم استجابة دعائهم في بعض الأحيان من جملة التفضيل والتدبير فقال: " ولو يعجل الله " الآية / ١٢ وحيز .

(٢) إشارة إلى أن الاستعجال بمعنى التعجيل صفة مصدر محذوف، أي تعجيلاً مثل تعجيلهم بالخير كضربت ضرب الأمير / منه .

البعث ، «فِي طُعْيَانِهِمْ يَغْمَهُونَ» تقديره لا نعجلهم ولا نقضي فنذرهم إمهالاً واستدراجاً، «وَإِذَا مَسَّ^(١) الْإِنْسَانَ الضُّرُّ» المرض والشدة، «دَعَانَا» لإزالته ملقياً، «لِجَنبِهِ» أي: مضطجعا، «أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا» ، أي: في جميع حالاته فإن الإنسان لا يخلوا عن إحدى هذه الثلاثة ، «فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ» مضى واستمر على طريقته قبل الضر ونسي، «كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ» أي: كأنه لم يطلب منا كشف ضره فحذف ضمير الشأن وخفف، «كَذَلِكَ» مثل ذلك التزيين، «زُيِّنَ لِلْمُسرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» من الاهتمام في اللذات والإعراض عن الطاعات، «وَلَقَدْ^(٢) أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ» يا أهل مكة ، «لَمَّا ظَلَمُوا» بتكذيب رسلهم، «وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ» الحجج الدالة على صدقهم عطف على ظلموا أو حال بإضمار قد، «وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا» لأن الله طبع على قلوبهم جزاء على كفرهم، «كَذَلِكَ» مثل ذلك الجزاء وهو الإهلاك بأفصح وجه، «نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ» أي: كل مجرم فاحذروا يا أهل مكة، «ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ» استخلفناكم فيها ، «مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» فنعاملكم على مقتضى أعمالكم وكيف حال عن ضمير تعملون، «وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا» أي: المشركون، «أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا» أي: جئ من عند ربك بكتاب آخر ليس فيه عيب آهتنا، «أَوْ بَدِّلْهُ» أنت من عند نفسك بأن تأتي بآية أخرى

(١) ولما أخبر أن الله لا يعجلهم بالضر وإن استعجلوا فاللائق بحالهم الصبر في البلاء والشكر في النعماء فذكر أنهم على خلاف ذلك فقال : "وإذا مس الإنسان " الآية / وحيز .

(٢) ولما كان الإمهال لا يستلزم الإهمال أيقظ المعاصرين المسرفين عن رقدة الغفلة بالتأمل في حال نظرائهم فقال : " ولقد أهلكنا " الآية / وحيز .

مكان آية فيها ما نكرهه، «قُلْ مَا يَكُونُ» ما يصح، «لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي» من قبل نفسي، «إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ» يعني التبديل من قبل نفسي لا يمكنني ومن جهة الوحي موقوف على الوحي لا دخل لي فيه إنما علي اتباعه، «إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي» بالتبديل، «عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» لما علم من جواب التبديل جواب الإتيان بقرآن آخر اكتفى به عنه، «قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا أَتْلُوا، «مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ» أي: تلاوته من مشيئة الله تعالى وإرادته فإني رجل أُمي تعرفوني، «وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ» ولا أعلمكم الله به على لساني ومن قرأ لأدراكم بلام جواب "لو" فإنه عطف على جواب "لو" لا لام الابتداء^(١) فمعناه لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري لكنه خصني بهذه المزية ورآني أهلاً لها دون غيري، «فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا» مقدار أربعين سنة، «مِّن قَبْلِهِ» أي: من قبل القرآن لا أتלוه ولا أعلمه، «أَفَلَا تَعْقِلُونَ»^(٢) إنه لا يكون من قبلي فإني نشأت بين ظهرائكم وما مارست علماً وما شاهدت عالماً، «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» بأن يقول: إنه من عند الله وما هو من عنده، «أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ» برسوله وقرآنه ومن تأمل في أمري يظهر له صدقي فلا أحد أظلم منكم، «إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ وَيَعْبُدُونَ»^(٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا

(١) رد على الزمخشري فإن لام الابتداء لا يدخل على الماضي / منه.

(٢) يعني أن مثل هذا الكتاب العظيم إذا جاء على يد من لم يتعلم ولم يتلمذ ولم يطالع كتاباً ولم يمارس مجادلة يعلم بالضرورة أنه لا يكون إلا على سبيل الوحي والتبريل وإنكار العلوم الضرورية يقدر في صحة العقل فلذلك قال: (أفلا تعقلون) / ١٢ كبير .

(٣) ولما تكلموا بما يدل على جنونهم قال: "أفلا تعقلون"، ثم أثبت لهم ما هو صريح في جنونهم وما هو إلا من نحو أفعال المجانين فقال: "ويعبدون من دون الله" الآية/وجيز .

لَا يَضُرُّهُمْ^(١) وَلَا يَنْفَعُهُمْ^(٢) لأنه لا يقدر على ضر ولا نفع فإنه جماد، «وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ الْأَوْثَانُ، «شَفَعَاؤُنَا»^(٣) عِنْدَ اللَّهِ» في أمور دنيانا أو في الآخرة إن يكن بعث، «قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ»، تخبرونه، «بِمَا لَا يَعْلَمُ»، وهو أن له شريكاً وأن هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بكل شيء لم يكن له ثبوت بوجه، «فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ»، حال من ضمير مقدر في يعلم يرجع إلى ما تأكيد لنفيه إذ العرف جار^(٣) بأن يقال عند تأكيد النفي ليس هذا في السماء ولا في الأرض، «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ»، ما مصدرية أو موصولة، «وَمَا كَانَ

(١) واعلم أن العبادة أعظم أنواع الشكر فهي لا تليق إلا بمن صدر عنه أعظم أنواع الإنعام وذلك ليس إلا الحياة والعقل والقدرة ومصالح المعاش والمعاد، فإذا كان المنافع والمضار كلها من الله سبحانه وتعالى وجب أن لا تليق العبادة إلا بالله سبحانه / كبير .

(٢) قال الإمام الرازي : اختلفوا في أنهم كيف قالوا في الأصنام أنها شفعاؤنا عند الله وذكر فيه أقوالاً إلى أن قال : ورابعها أنهم وردوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا أعظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله انتهى ما في التفسير الكبير بلفظه ، وقال الشوكاني في نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار: اعتقاد الجهلة لها أي : للقبور كاعتقاد الكفار للأصنام ، وأعظم من ذلك وظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر فجعلوها مقصد الطلب قضاء الحوائج وملجأ لإنجاح المطالب وسألوا منها ما يسأله العباد من رهم وشدوا إليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا وبالجملة إنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه فإننا لله وإنا إليه راجعون .

(٣) لاعتقاد العامة أن كل ما يوجد فهو إما في السماء وإما في الأرض / منه .

النَّاسُ^(١) إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً ، بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ،
 ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ ، فبعضهم عبدوا الأصنام ، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ ، بأنه لا
 يهلك أحداً إلا بعد قيام الحجة وأن لكل أمة جعل أجلاً معيناً ، ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ ،
 عاجلاً ، ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ، فيهلك المبطل ويبقى الحق ، قال بعضهم: أي لولا أنه
 في حكمه أنه لا يقضي بينهم إلا في القيامة لقضي في الدنيا فيدخل المؤمن الجنة والكافر
 النار قبل القيامة ، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ ، أهل مكة ، ﴿لَوْلَا﴾ ، أي هلا ، ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾ ،
 على محمد ، ﴿آيَةً مِنْ رَبِّهِ﴾ ، مثل الناقة والعصا أو مما اقترحوه من جعل الصفا ذهباً ،
 ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ ، أي: ما تطلبونه غيب وهو القادر عليه ، ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ ، لتروا
 ما تطلبونه ، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ لما يفعل الله بكم .

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلْ
 اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي
 الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتْ بِهَمِ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا
 جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ
 دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٢﴾
 فَلَمَّا أَنْجَلَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ
 عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَتُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ

(١) ولما بين أن هؤلاء مستحقون للبلاء أول مرة وقد أمهلهم تعرض سبب الإمهال
 فقال: "وما كان الناس الآية / وجيز .

نَبَاتِ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا
وَأَزْيِنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِيرُونَ عَلَيْهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا
فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ تُفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥﴾ * لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا
ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ
جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ
وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾
وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ
فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿١٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ ﴿١٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلَوْا كُلُّ
نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴿٢٠﴾

﴿وَإِذَا (١) أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً (٢)﴾ كالرخاء والصحة ، «مَنْ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسَّتْهُمْ» ،
كالجذب والمرض ، «إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا» يخالون في طعنها وتكذيبها وإذا

(١) ولما كان إجابة مقترحهم من مظنة إيمانهم وهي حين عند الله فكان منتظرا ينتظر ما هو
سبب إيمانهم من مقترحهم بين أنهم لانهماهم في الغي كأسلافهم غير متوقع منهم
الإيمان فقال : «إِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً (٢) الآية / ١٢ وحيز .

(٢) وقال بعض المفسرين المراد من رحمة مطر من بعد قحط وجذب.

للمفاجأة جواب لإذا الشرطية^(١) ، «قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا» منكم بأن يدبر العقاب قيل إن تدبروا المكر والمكر من الله استدراج أو جزاء على المكر، «إِنَّ رُسُلَنَا» أي: الحفظة من الملائكة، «يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ» للمجازاة، «هُوَ»^(٢) الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ» يمكنكم من السير ويحفظكم، «فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ» في السفن ، «وَجَرَيْنَ» الضمير للفلك لأنه جمع فلك، «بِهِمْ» عدل إلى الغيبة^(٣) للمبالغة كأنه يذكرهم لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ، «بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا» لاستوائها ولينها، «جَاءَتْهَا» ، أي تلك السفن جواب لإذا ، «رِيحٌ عَاصِفٌ» أي: ذات عصف يعني شديدة قيل العاصف كالحائض مخصوص بالريح فلذا لم يقل عاصفة أو الريح يذكر ويؤنث، «وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ» من جميع الأطراف، «وَوُظِّنُوا آلَهُمْ أُحِيطَ»^(٤) بِهِمْ» فلا يمكن لهم الخلاص، «دَعَوْا اللَّهَ» بدل اشتغال من ظنوا أو استئناف جواب ماذا صنعوا بعد هذه الحالة وما قيل هو جواب للشرط وجاءتها حال فليس بشيء، «مُخْلِصِينَ لَهُ»^(٥) الدِّينَ»، مفعول مخلصين أي: تركوا الشرك فلم يدعوا إلا الله ،

(١) جواب لإذا الشرطية إذا جعل عامل إذا الشرطية هو الجواب كان معني المفاجأة هو

العامل فيه عمل الفعل في الظرف فيصير المعنى فجاءوا في وقت الإذاعة وقت المكر/منه.

(٢) ولما بين أن الناس إذا أصابهم الضر لجئوا إلى الله وإذا أذاقهم الرحمة عادوا إلى عادتهم

وكان المذكور إبرازه في صورة أمر كلي أوضح ذلك بمثال جلي كاشف عن حقيقة ذاك

الكلي فقال : " هو الذي " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) من الخطاب: "بقوله إذا كنتم" / منه .

(٤) أي: دنوا من الهلاك وأصل هذا أن العدو إذا أحاط بقوم أو بلد فحاصره فقد دنا أهلـه

من الهلكة .

(٥) قال الرازي : يعني أن الإنسان في هذه الحالة لا يطمع إلا في فضل الله ورحمته ويصير

منقطع الطمع عن جميع الخلق ويصير بقلبه وروحه وجميع أجزائه متضرعاً إلى الله تعالى ،

=

«لَنْ أَنْجِيَنَّا» ، أي : قائلين أو مفعول دعو لأنه من جملة القول ، «مِنْ هَذِهِ» ،
الريح والشدّة ، «لَنْكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي
الْأَرْضِ» ، فأجاءوا الفساد فيها ، «بِغْيَرِ الْحَقِّ» لا كتخريب المسلمين ديار الكفر فإنه
إفساد بحق ، «يَا أَيُّهَا النَّاسُ»^(١) «إِنَّمَا بَغْيُكُمْ»^(٢) «عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعٌ» منفعة ، «الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا» لا تبقى ويبقى عقابها وهو خبر بغيكم وعلى أنفسكم متعلق بالبغي أو على
أنفسكم خبره أي ما وبال بغيكم إلا على أنفسكم لا يضرون به أحدا غيركم ومتاع

= ثم إذا أنجاه الله نسي تلك النعمة ويرجع إلى ما ألفه واعتاده من العقائد الباطلة والأخلاق
الذميمة. وفي الفتح: وفي هذا دليل على أن الخلق جبلوا على الرجوع إلى الله في الشدائد
وأن المضطر يجاب دعاؤه وإن كان كافراً أو في هذه الآية بيان أن هؤلاء المشركين كانوا
لا يلتفتون إلى أصنامهم في هذه الحالة وما شاهدها فيها عجباً لما حدث في الإسلام من
طوائف يعتقدون في الأموات، فإذا عرضت لهم في البحر مثل هذه الحالة دعوا الأموات
ولم يخلصوا الدعاء لله كما فعله المشركون كما تواترت إلينا تواتراً يحصل به القطع
فانظر هداك الله ما فعلت هذه الاعتقادات الشيطانية وأين وصل بها أهلها وإلى أين رمى
بهم الشيطان وكيف اقتادهم وتسלט عليهم حتى انقادوا له انقياداً ما كان يطمح في مثله
ولا في بعضه من عباد الأصنام فإنا لله وإنا إليه راجعون/فتح .

(١) الظاهر أنه خطاب عام يندرج الذين أنجاهم الله فيهم .

(٢) وعند ابن مردويه حديث مرفوع "لو بغى جبل على جبل لاندك الباغي منهما" كذا في
الفتح [رواه البخاري في الأدب المفرد وأبو نعيم عن ابن عباس موقوفاً، ورواه ابن
مردويه عن الأعمش مرفوعاً. قال ابن أبي حاتم: والموقوف أصح، كما في كشف الخفاء
للعجلوني (١٨١/١) بتحقيقي.] وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه:

يا صاحب البغي إن البغي فارجع فخير فعال المرء أعدله

فلو بغى جبل يوماً على جبل لاندك منه أعاليه وأسفله

نقله الرازي في الكبير.

خبر محذوف، أي: ذلك متاع ومن قرأ بالنصب تقديره يتمتعون متاع ، ﴿ثُمَّ إِنَّا مَرْجِعُكُمْ فَنَبْتِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ^(١)﴾ بالجزاء عليه.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في سرعة تقضيها واغتراز الناس بها، ﴿كَمَاءٍ أُنزِلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أي: بسببه اشتبك نبات الأرض حتى خالط بعضه بعضاً، ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ من الزرع والبقول ، ﴿وَالْأَنْعَامُ﴾ من الحشيش، ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ﴾ كعروس أخذت ألوان ثيابها وحليها فتزينت بها وأصل ازينت تزينت فأدغم، ﴿وَوُظِّنَ أَهْلُهَا﴾ أهل الأرض ، ﴿أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها، ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ وهو ضرب زرعها ببعض العاهات، ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: زرعها، ﴿حَصِيدًا﴾ شبيهاً بما حصد ، ﴿كَأَن لَّمْ تَعْنِ﴾ أي: كأن لم يلبث ولم يكن زرعها على حذف المضاف، ﴿بِالْأَمْسِ﴾ والأمس مثل في الوقت القريب يعني المتسبب بالدنيا المغرور بها يأتيه عذابه أغفل ما يكون ومضمون الحكاية^(٢) وهو المثل^(٣) به لا الماء وحده ، ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك

(١) أما العدول من الخطاب في قوله: "إذا كنتم" إلى الغيبة في قوله: "وجرين بهم" فـ قيل: للمبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم من تلك الحال ، وقيل : حكمة الالتفات أن خطاب هو الذي يسيركم امتنان وإظهار نعمة للمخاطبين الشاملين لمؤمن وكافر وحسن خطابهم ليستدتم الصالح الشكر ولعل الطالح يتذكر فيرجع فلما آل الحال إلى أن المتلبس بالنعمة باغ في الأرض عدل من الخطاب إلى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون مخاطبين بصدور التي اخرها البغي ولما قال: "البغي متاع الحياة الدنيا" قال: "إنما مثل الحياة الدنيا" / وحيز .

(٢) وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاماً بعدما التف وزين الأرض حتى طمع فيها أهلها وظنوا أنهم قد حصلوها سالمة عن الحوائج .

(٣) أي : ليس المشبه به هو ما دخله الكاف في قوله: "كماء"؛ بل ما يفهم من الكلام .

التبيين ، «فَصَلُّ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» فَإِنَّمِ الْمُتَنَفِعُونَ بِهَا ، «وَاللَّهُ^(١) يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ» هي الجنة والسلام من أسماء الله تعالى أو دار السلامة من الآفات أودار تحتها سلام يسلم الملائكة على من فيها، «وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» بأن يوفقه على التقوى الذي هو طريق الجنة فالدعوة عام والهداية خاص، «لِلَّذِينَ^(٢) أَحْسَنُوا» العمل في الدنيا، «الْحُسْنَى» الجنة ، «وَزِيَادَةٌ» النظر^(٣) إلى وجه الله الكريم وهو قول أبي بكر الصديق وكثير من السلف رضي الله عنهم وعليه أحاديث كثيرة أحدها في صحيح مسلم وابن ماجه لكن من يضل الله من العباد فماله من هاد أو الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها إلى سبعمائة أو أكثر أو الزيادة الرضوان، «وَلَا يَرَهُ» لا يغشى ، «وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ» غبار أي: سواد ، «وَلَا ذَلَّةٌ» هوان وكآبة؛ بل لقاهم نضرة وسرورا، «أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٤)» وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ» مبتدأ بتقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات، «جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا» لا يزداد عليها شيء أو عطف على الذين أحسنوا ، أي: للذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك : في الدار زيد والحجرة عمرو عند من يجوزه، «وَتَرَهُمْ» تغشاهم، «ذَلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ» يعصمهم ويحميهم ، «كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا» لكمال سوادها ومظلماً حال من الليل وهو صفة

(١) ولما ذكر مثل الحياة الدنيا وما يتول إلى به من الفناء وما تضمنته من الآفات بين أنه سبحانه داع إلى دار سلامة وآمن فقال: "والله يدعو" / وجيز .

(٢) لما كان الدعاء عاما لم يتقيد بالمشيئة والهداية خاصة تقيدت بما علم أنهم فريقان أهل التقوى والهداية وأهل الضلال والغواية فبين ما لهما وقال: (للذين أحسنوا) / وجيز .

(٣) فسره بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح مسلم وابن ماجه والترمذي ومسنند أحمد وهو قول أكابر الصحابة / وجيز .

(٤) وفيها ظرف خالدون والتقدم رعاية للفاصلة أو فيها خير وخالدون خبر بعده / وجيز .

لقطعاً ومن قرأ قطعاً بسكون الطاء فالأولي أن يكون مظلماً صفة ، «أُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» والآية في الكفار قسيم المؤمنين المراد من قوله للذين
أحسنوا ، «وَيَوْمَ» بتقدير اذكر ، «نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً» المؤمن والكافر ، «ثُمَّ نَقُولُ
لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا» الزموا ، «مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ» تأكيد للضمير المتقل إلى مكانكم من
عامله ، «وَشُرَكَاءُكُمْ» أي الأوثان ، «فَزَيَّلْنَا» فرقنا ، «بَيْنَهُمْ» وقطعنا ما كان بينهم
من التواصل ، «وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِبَّانَا تَعْبُدُونَ» ينطق الله الأصنام فينكرون
عبادتهم ويتبرأون منهم مكان شفاعتهم ، «فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ» أي
أنه (١) ، «كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ» لأننا كنا جماداً لا نعلم ولا نشعر فما أمرناكم
بها ولا رضىنا منكم بها ، «هُنَالِكَ» في ذلك المقام ، «تَبْلُو» تختبر وتعلم ، «كُلُّ نَفْسٍ مَّا
أَسْلَفَتْ» من عمل فتعاین نفعه وضره ومن قرأ تتلو فهو من التلاوة أي تقرأ أو من التلو
أي: تتبع عمله قال بعضهم: تتبع كل أمة ما كانت تعبد ، «وَرُدُّوا» أي: أمرهم ، «إِلَى
اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ» متولي أمورهم بالحقيقة لا ما اتخذوه مولىً بالباطل ، «وَوَضَّلَ
عَنْهُمْ» ضاع وبطل ، «مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ» فيعبدونه من دون الله .

«قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ
يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١﴾ فذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَآذَا بَعْدَ الْحَقِّ
إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ
فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَوُا الْخَلْقَ ثُمَّ

(١) قال المفسرون: إن تكون بمعنى لقد .

يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٦﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٧١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴿قُلْ مَنْ (١) يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ بِالْمَطَرِ، «وَالْأَرْضِ» بِالنبات قيل: تقديره من أهل السماء والأرض، «أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ» أي: من يملك خلقهما أو حفظهما من الآفات، «وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ» الحيوان، «مِنَ الْمَيِّتِ» النطفة، «وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ» النطفة، «مِنَ الْحَيِّ» الحيوان وقيل: من يحيى ويميت، «وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ» يلي تدبير أمر العالم، «فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ» إذ الأمر أوضح من أن ينكر، «فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ» الشرك مع هذا الإقرار، «فَذَلِكُمْ» إشارة إلى من هذه قدرته، «اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ» لا ما جعلتم معه شريكاً أخبار مترادفة (٢)،

(١) ولما بين فضائع عبدة الأوثان أتبعها بذكر الدلائل الدالة على فساد معتقدهم بما لا يمكن

إلا الاعتراف به فقال: "قل من يرزقكم" الخ / وجيز .

(٢) لأن الله علم لا يمكن أن يجعل صفة ذلكم / وجيز .

﴿فَمَاذَا بَعْدَ^(١) الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ أي: ليس بعد الحق إلا الضلال ، ﴿فَأَنَّى تُصِرُّونَ﴾ عن الحق إلى الضلال وعن عبادته إلى عبادة غيره، ﴿كَذَلِكَ﴾، أي: كما حق أن بعد الحق الضلال أو أنهم مصروفون عن الحق، ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: حكمه السابق ، ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ تمردوا في كفرهم، ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بدل من كلمة، وقيل تقديره: لأنهم لا يؤمنون فالمراد منها كلمة العذاب، ﴿قُلْ هَلْ^(٢) مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ أي: آلهتكم، ﴿مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أدخل الإعادة في الإلزام وإن لم يكونوا قائلين بها لظهور برهانها، ﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ وأنتم تعلمون أن شركاءكم لا يقدرُونَ على مثل هذا، ﴿فَأَنَّى تُؤْفِكُونَ﴾ تصرفون عن سواء السبيل ، ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ والهداية كما يعدى بالى يعدى باللام، ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ أمره وحكمه ، ﴿أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي﴾ أصله يهتدى فأدغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين، ﴿إِلَّا أَنْ^(٣) يَهْدِي﴾، الهداية قد تحيى بمعنى النقل^(٤) أي الأوثان لا ينتقل من مكان إلا أن ينقل أو يكون هذا حال أشرف شركائهم كالملك والمسيح أو لا يصح منه الاهتداء إلا أن يهديه الله بأن يجعل الجماد حيواناً عالماً ، ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ^(٥)﴾ بما يطله

(١) ماذا استفهام معناه النفي وهو مبتدأ أو الخبر بعد الحق / وجيز .

(٢) هل تكون للاستفهام ويدخلها من معنى التقرير والتوبيخ ما يدخل الألف التي يستفهم بها .

(٣) معناه أن للمشركين شركاء بعضهم جماد كالبحر والنجوم وبعضهم عقلاء كالملك وعيسى وعزير وحال أشرف شركائهم أنهم لا يهتدون إلا بأن يهدي فكيف حال غير الأشرف .

(٤) نحو هديت العروس إلى بيت زوجه نقله محيى السنة عن بعض كبار السلف ، قيل : وما أحسن قوله إن قوله أحق من باب التهكم فإن أصنامهم ليست مستحقة بوجه للعبادة/وجيز .

(٥) ولما أثبت لهم الحجج البينة على بطلان ما هم عليه ولم ينفع وهم على الضلال القديم بين سبب ذلك فقال: "وما يتبع أكثرهم إلا ظناً" / وجيز .

العقل بتا، «وَمَا^(١) يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا» مستنداً إلى خيال باطل ووهم زائل والمراد من الأكثر الجميع أو المراد رؤساؤهم فإن السفلة مقلدون ليس لهم ظن أيضاً، «إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً» أي : لا يقوم مقام العلم فالمراد من الحق العلم ، وشيئاً مفعول مطلق، أو مفعول به، ومن الحق حال قيل معناه: الظن لا يدفع من عذاب الحق شيئاً، «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ» تهديد ووعيد، «وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ» أي: ما صح أن يكون القرآن مفترى من الخلق وهذا محال، «وَلَكِنْ»: كان، «تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» من الكتب المتقدمة، «وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ» تبين ما كتب وفرض من الشرائع ، «لَا رَيْبَ فِيهِ» خير ثالث أو حال أو استئناف، «مَنْ رَبُّ^(٢) الْعَالَمِينَ» خير آخر أو حال ، «أَمْ يَقُولُونَ» بل أيقولون ، «افْتَرَاهُ» محمد والهمزة للإنكار ، «قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ» في البلاغة على وجه الافتراء ، «وَادْعُوا» إلى معاونتكم على المعارضة ، «مَنْ اسْتَطَاعَتْكُمْ» من الجن والإنس ، «مَنْ دُونِ اللَّهِ» سوى الله تعالى فإنه القادر على ذلك متعلق بادعوا لا باستطعتكم ، «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أنه من عند نفسه فإنه بشر مثلكم بل تمرنكم في

(١) أي ما يتبع هؤلاء المشركين في إشراكهم بالله وجعلهم له أنداداً إلا مجرد الظن والتخمين والتحدس ، ولم يكن ذلك عن بصيرة والتفات إلى فرد من أفراد العلم فضلاً عن أن يسلكوا مسالك الأدلة الصحيحة الهادية إلى الحق فيفهموا مضمونها ويقفوا على مقتضاها وبطلان ما يخالفها؛ بل ظن من ظن من سلفهم أن هذه المعبودات تقرهم إلى الله وأنها تشفع لهم ولم يكن لظنهم هذا مستند قط بل مجرد خيال محتل وحدس باطل فقلدوا فيه آباءهم وما أحسن ما قال الرازي في هذه السورة تحت قوله تعالى : " ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله " (يونس: ١٨)، ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعا لهم عند الله.

(٢) مَثَل من رب العالمين لتربيتهم / ووجيز .

النظم والنثر أكثر فإنه أمي ، «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ» يعني لما رأوا القرآن مشتملاً على أمور ما عرفوا حقيقتها^(١) سارعوا بجهلهم إلى التكذيب^(٢) ، «وَلَمَّا يَأْتِهِمْ» بعد ، «تَأْوِيلُهُ» فإنهم إن صبروا يظهر لهم بالآخرة تأويله ، لكن فأجاءوا الإنكار قبل أن يقضوا على تأويله ، «كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ» رسلهم ، «فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ» فيه وعيد لهم بمثل عقاب الأمم السالفة ، «وَمِنْهُمْ» من المكذبين ، «مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ» بعد ذلك ، «وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ» بل يموت على الكفر ، «وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ» المصرين وقيل: معناه بعضهم من يصدقه باطنياً لكن يعاند ، وبعضهم لا يعلم صدقه لغاوة وأنا أعلم بالمعاند .

«وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ

(١) وهكذا صنع من تصلب في التقليد ولم يبال بما جاء به من دعي إلى الحق وتمسك بذيول الأنصاف بل يرده بمجرد كونه لم يوافق هواه ، ولا جاء طبق دعواه قبل أن يعرف معناه ، ويعلم مبناه كما تراه عياناً وتعلمه وجدانا والحاصل أن من كذب بالحجة النيرة والبرهان الواضح قبل أن يحيط بعلمه فهو لم يتمسك بشيء في هذا التكذيب إلا بمجرد كونه جاهلاً ، إنما كذب به غير عالم به فكان بهذا التكذيب منادياً على نفسه بالجهل بأعلى صوت ومسحلاً بقصوره عن تعقل الحجج بأبلغ تسجيل ، وليس على الحجة ولا على من جاء بها من تكذبيه شيء :

ما يبلغ الجاهل من نفسه

ما يبلغ الأعداء من جاهل

(٢) فإن المرء عدو لما جهل .

يُظْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبِثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٢﴾ وَإِنَّمَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِينَ نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ فَإِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ أَتُمِرُّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ءَا لَكُنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿١٩﴾ * وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٠﴾

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ أصروا على تكذيبك^(١) ، ﴿فَقُلْ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي: لي الإيمان ولكم الشرك أو لكل جزاء عمله، يعني تبرأ منهم فقد أعذرت، ﴿أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ﴾ من الطاعة ، ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي أو لا تؤخذون بعملي ولا أوخذ بعملكم ، قال بعضهم : الآية منسوخة بآية السيف^(٢) ، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن لكن لا يقبلون ، ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ يعني:

(١) فسرنا بقولنا أصروا لأن أصل التكذيب حاصل مع أن الجزاء أعني التبري منهم إنما يلائم الإصرار واليأس من الإجابة / منه .

(٢) فيه بحث لأنه لا تدل إلا على أنه - عليه الصلاة والسلام - يتبري منهم ولا يتعب نفسه في هذا كما يدل على ذلك الآية التي بعدها ولا يدل على عدم التعرض بهم فتأمل / منه .

أَتَطْمَعُ أَنْ تَسْمَعَ الْأَطْرُوشُ فَإِنَّمِ بَعَثْتَهُ فِي عَدَمٍ وَحِيهِ، «وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ» أَي: ولو انضم إلى صممهم عدم العقل فإن الأصم العاقل ربما يتفكر، «وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ» وَيَعْبَتُونَ أَدْلَةَ صَدَقِكَ لَكِنْ لَا يَصْدُقُونَ، «أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَى» أَتَطْمَعُ أَنَّكَ تَقْدِرُ عَلَى هِدَايَةِ فَاقِدِ الْبَصَرِ، «وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ» وَإِنْ انْضَمَّ إِلَيْهِ عَدَمُ الْبَصِيرَةِ فَإِنَّ الْعُمَى مَعَ الْحَقِّ جَهْدُ الْبَلَاءِ، وَالْآيَةُ كَالْتَعْلِيلِ لِلأَمْرِ بِالتَّوْبَةِ، «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا» (١)، مِنَ الظُّلْمِ (٢) بِأَنْ يَشْقِيَهُمْ وَهُمْ مُصْلِحُونَ، «وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بَارْتِكَابِ أَسْبَابِ الشَّقْوَةِ وَتَفْوِيتِ مَنَافِعِ الْعُقُولِ أَوْ مَعْنَاهُ مَا يَحِقُّ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ عَدْلٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِاقْتِرَافِ أَسْبَابِهِ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ وَعِيداً لَهُمْ، «وَيَوْمَ» (٣) «يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ» أَي: كَأَنَّهُ لَمْ، «يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ»، يَسْتَقْصِرُونَ مَدَّةَ لَبْثِهِمْ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْقَبْرِ لِهَوْلِ الْحَشْرِ وَكَأَن لَمْ يَلْبَثُوا حَالِ أَي: مُشْبِهِينَ بِمَنْ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا سَاعَةً، «يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ» يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً كَأَنَّهُمْ لَمْ يَتَفَارَقُوا إِلَّا قَلِيلاً وَهُوَ مُتَعَلِّقُ الظَّرْفِ أَعْنَى يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ أَوْ تَقْدِيرُهُ أَذْكَرُ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَعَلَى هَذَا يَتَعَارَفُونَ بَيَانِ لِقَاؤِهِ لَمْ يَلْبَثُوا، «قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ» هِيَ شَهَادَةُ اللَّهِ عَلَى خَسْرَانِهِمْ (٤)، «وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ» لِرَعَايَةِ مَصَالِحِ هَذِهِ التِّجَارَةِ،

(١) أَشَارَ بِقَوْلِهِ مِنَ الظُّلْمِ أَنَّ شَيْئاً مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ .

(٢) وَلَمَّا كَانَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مَا ذَكَرَ مِنْ أَفَانِينَ جَدَاهُمْ فِي أَبَاطِلِهِمْ دَالاً عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَرُونَ حَشْراً وَنَعِيماً وَرَاءَ نَعِيمِ هَذِهِ الدَّارِ فَارْغَبْ عَنْ نَوَازِلِ الْخُذَّاتِ مُسْتَطِيلِينَ لِلزَّمَانِ آمِنِينَ مِنَ الْفَنَاءِ حَسَنَ تَعْقِيهِ بِمَا يَسْتَقْصِرُونَ مَعَ مَدَّةِ لَبْثِهِمْ فِي الدُّنْيَا فَقَالَ: "وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ" الْآيَةُ/وَجِيزٌ .

(٣) وَلَمَّا أَوْعَدَ بِخُسْرَانِهِمْ وَعَدَمِ اهْتِدَائِهِمْ وَهُمْ فِي عَافِيَةٍ فِي دُنْيَاهُمْ صَارَتْ النُّفُوسُ كَأَنَّهَا مُنْتَظِرَةٌ فِي إِنَّمَا يَتَرْتَبِ عَلَى الْوَعِيدِ هُوَ فِي الدُّنْيَا نَرَاهُ عَنْ قَرِيبٍ فَقَالَ: "وَأَمَّا نَرِيكَ" الْآيَةُ/وَجِيزٌ .

﴿وَأَمَّا لِرَبِّكَ﴾^(١) بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ أي : نتقم في حياتك لتقر عينك وجوابه محذوف ، أي : فذاك ، ﴿أَوْ تَتَوَقَّعُكَ﴾ قبل أن نريكه ، ﴿فَالَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فنريكه في الآخرة وهو جواب تتوفاك ، ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ فيعاقبهم ويجازيهم إن لم نتقم في الدنيا نتقم منهم في الآخرة ، ﴿وَلِكُلِّ﴾^(٢) أُمَّةٍ رَسُولٌ يدعوهم إلى الحق ، ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل وهو هلاك من كذبه ونجاة من تبعه أو لكل أمة^(٣) يوم القيامة رسول فإذا جاء رسوله الموقف قضى بينهم بالعدل ، ﴿وَهُمْ لَا يظْلَمُونَ﴾ ، فلا ينقص ثوابهم ولا نأخذهم بغير ذنب ، ﴿وَيَقُولُونَ﴾^(٤) ، أي : المشركون استهزاء واستبعاداً ، ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ الذي تعدونا من العذاب ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ أيها الرسول وأتباعه ، ﴿صَادِقِينَ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فكيف أملك لكم فأستعجل في عذابكم ، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن أملكه أو منقطع ، أي : لكن ما شاء الله من ذلك كائن ، ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مضروب لهلاكهم ، ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَخِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ لا يتأخرون ولا يتقدمون ، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أي : أعلمتم أو أخبروني ، ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا﴾ وقت بيات ، ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ وقت اشتغالكم بطلب المعاش ، ﴿مَاذَا يَسْتَعِجِلُّ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ متعلق بأرأيتم ومعناه التعجب والتهويل يعني أعلمتم إن أتاكم عذابه في حين غفلة أي شيء هول شديد يستعجلون من الله تعالى وإذا كان ضمير منه للعذاب فمن للبيان

(١) أي : وضعوا في تجارهم وبيعهم الإيمان بالكفر .

(٢) ولما ذكر حاله - صلى الله عليه وسلم - مع قومه أخذ يبين أن حال جميع الأمم مع الرسل كذلك فقال : " ولكل أمة رسول " الآية / وحيز .

(٣) هو قول مجاهد رضي الله عنه .

(٤) ولما سمعوا أمر وعيدهم بأنه متعين الوقوع استهزؤا فقال تعالى : " ويقولون " الآية / وحيز .

وهذا كقولك: أعلمت ماذا جنيت؟ وجواب الشرط محذوف^(١) يدل عليه أعلمتم أي شيء يستعجلون ، وعدل عن الخطاب في يستعجلون إلى ذكر فاعله لإفادة أن تعلق الحكم باعتبار وصف الإجماع أو ماذا يستعجل جواب كقولك: إن لقيت أسداً ماذا تصنع؟ ومجموع الشرط والجزاء متعلق بأرأيتم أو الاستفهام ليس للتعجب فحاصله أن العذاب كله مكروه فأى شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال، ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ﴾ الهمزة للتوبيخ والتفريع يعني إذا نزل العذاب آمنتكم به، ﴿الْآنَ﴾ بتقدير القول أي: قيل لهم بعدما نزل العذاب وآمنوا الآن آمنتكم فهو استئناف أو بدل من آمنتكم أو من إذا ما وقع إلى آخره، ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ثُمَّ قِيلَ﴾، عطف على قيل المقدر، ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، في الدنيا فلا ظلم، ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾، يستخبرونك، ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾، ما تقول من البعث والقيامة أو العذاب وفي إعرابه وجهان كأقائم زيد قيل الهمزة للإنكار والسخرية، ﴿قُلْ إِيَّايَ﴾، بمعنى نعم ويلزمها القسم، ﴿وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ﴾، كائن ثابت، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾، أي: ليس صيرورتكم تراباً بمعجز الله تعالى عن إعادتكم أو بفائتين العذاب.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا التَّدَامَةَ لَمَّا رَأُوا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ

(١) وهو ندموا على الاستعجال أو عرفوا خطأه وأمثال ذلك / منه .

وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَآلَهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ؕ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٥٣﴾

«وَلَوْ أَنَّ»، تحقق وثبت ، «لَكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ» ، بالشرك ، «مَا فِي الْأَرْضِ»، من الحزائن ، «لَا فَتَدَّتْ بِهِ» ، لجعلته فدية لها من العذاب ، «وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ»، أي: أظهروا^(١) الندامة أو أخفى رוסاؤهم الندامة من سفلتهم حذراً من تعييرهم أو أخفوا لأنهم لم يقدرُوا أن ينطقوا لشدة الأمر ، «وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» بين المؤمنين والكافرين ، أو بين الكفار أو بين الرؤساء والأتباع ، «بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ إِلَّا إِنْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» فيقدر على العقاب والإثابة ، «إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا» لا خلاف فيه ، «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» لغفلتهم وقصور عقولهم ، «هُوَ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ» في الدنيا ، «وَالِيهِ تُرْجَعُونَ» بالنشور ، «يَا أَيُّهَا النَّاسُ» قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ زجر عن الفواحش ، «وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ» من سوء الاعتقاد والشكوك ، «وَهُدًى» إلى الحق ، «وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» فيه حصل لهم النجاة من الظلمات إلى النور ، «قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا»^(٣) أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا فحذف أحد الفعلين لدلالة الباقي

(١) من قولهم: أسر الشيء أظهره / منه

(٢) ولما ذكر وفصل وأشبع الأدلة الوجدانية بين دليل صحة النبوة والطريق المؤدي إليها وهو القرآن فقال : " يا أيها الناس " الآية / وجيز .

(٣) وفائدة التكرير التأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداها من فوائد الدنيا/ منه .

عليه والفاء لمعني الشرط كأنه قيل : إن فرحوا بشيء فليخصوا الفضل والرحمة بالفرح فإنه لا مفروحاً به أحق منهما ، أو تقديره قد جاءكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبمجيئها فليفرحوا ، أو الفضل الإيمان أو القرآن أو الإسلام ورحمته القرآن أو أنه صيرنا من أهل القرآن أو السنن أو الجنة ، «هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» ، من حطام الدنيا ، «قُلْ أَرَأَيْتُمْ^(١) مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» ، ما مفعول أرايتم ، أي : أخبروني ، «لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ» ، الرزق مقدر من^(٢) السماء محصل بأسباب منها ، «فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً» ، المراد ما حرم المشركون من البحائر والسوائب والوسائل ، وأحلوا من الميتة وغيرها ، «قُلْ آلَهُ أَدْنَى لَكُمْ» ، بالتحليل والتحريم ، «أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ^(٣)» ، في نسبة ذلك إليه

(١) ولما من علينا بإنزال القرآن المشتمل على التحليل والتحريم بين فساد شرائعهم وأحكامهم فقال : " قل أرايتم " الآية / وجيز .

(٢) فلذلك قال أنزل .

(٣) وفي هذه الآية الشريفة ما يصل مسامع المتصدرين للإفتاء لعباد الله في شريعته بالتحليل والتحريم مع كونهم مقلدين لا يعقلون حجج الله ومبلغهم من العلم الحكاية لقول قلائل من هذه الأمة قد قلده في دينهم وجعلوه شارعاً مستقلاً ما عمل به من الكتاب والسنة فهو معمول به عندهم وما لم يبلغه أو بلغه ولم يفهمه حق فهمه أو فهمه وأخطأ الصواب في اجتهاده وترجيحه فهو في حكم المنسوخ عندهم المرفوع حكمه عن العباد مع كون من قلده متعبداً بهذه الشريعة كما هم متعبدون بها وقد اجتهد رأيه وأدى ما عليه وفاز بأجرين مع الإصابة وأجر مع الخطأ ، إنما الشأن في جعلهم لرأيه الذي أخطأ فيه دليلاً معمولاً به وقد أخطئوا في هذا خطأً بيناً وغلطوا غلطاً فاحشاً فإن الترخيص للمجتهد في اجتهاد رأيه يخصه وحده ولا قائل من أهل الإسلام المعتد بأقوالهم أنه يجوز لغيره أن يعمل به تقليداً له واقتداء به ، وما جاء به المقلدة في تقوم هذا الباطل فهو من الجهل العاقل ، قال النسفي : الآية زاجرة عن التجوز فيما يسأل عن الأحكام وباعثه على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان

قيل الهمزة^(١) للإنكار، وأم منقطعة، «وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أي: أي شيء ظنهم^(٢) في ذلك اليوم أيحسبون أن لا يجازوا عليه وفي إهام الوعيد تهديد شديد، «إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» حيث لا يستعجل عقوبتهم أو فيما أباح لهم المنافع ولم يحرم عليهم إلا المضار، «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ» هذه^(٣) النعمة فيحرمون ويحللون بمقتضى هواهم.

«وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٨﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٠﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا

- وإتقان وإلا فهو مفتر على الديان ثم قال: "وما ظن الذين" الآية/ فتح البيان في مقاصد القرآن .

(١) وعلى المعنى الذي فسرنا أم متصلة .

(٢) في ذلك إشارة إلى أن يوم القيامة ظرف لظن لا ليفترون .

(٣) ولما أظهر جملة من أحوال الكفار ومذاهبهم ورد عليهم ومجادلة الرسول لهم وفضله على الخلق وعدم شكر أكثرهم ذكر اطلاعه على أحوالهم للتنبيه والتأديب وأبصر في مقاسات الأعداء كما قال: " واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا" (الطور: ٤٨) فقال: " وما تكون في شأن" الآية/ وحيز.

يَخْرُصُونَ ﴿٥٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْعَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ إِنَّا الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٥٩﴾ مَتَّعْ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦٠﴾ *

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ ما نافية والشأن الأمر والخطاب لرسوله صلى الله عليه وسلم، ﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ﴾ الضمير لله وقيل للشأن، ﴿مِن قُرْآنٍ﴾ من مزيـدة للنفي وقيل: للتبـعـيـض، ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ خطاب له ولأمتـه، ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ رقباء مطلعـين عليها، ﴿إِذَا تُفَيْضُونَ﴾ تخوضون، ﴿فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ﴾ لا يبعد ويغيب، ﴿عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ موازن ثملة صغيرة أو هباء^(١)، ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: في الوجود فإن العوام لا يعرفون إلا ما فيهما، ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ جملة برأسها مقررة لما سبق و(أصغر) اسم (لا) و(في) كتاب) خبره، ﴿أَلَا إِنَّ^(٢) أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ حين يخاف الناس عقاب الله، ﴿وَلَا هُمْ يَخْزَتُونَ﴾ على فوات مأمول، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ^(٣)﴾ بيان

(١) يعني الذرة الصغيرة أم الهباء .

(٢) ولما بين أن المخاطبين فريقان وأعلم أن الفريق الذين هم الأكثرون غير شاكـرين توجه

الخطر إلى العلم بحال القليل الذين هم شاكرون فقال: (ألا إن أولياء الله) إلخ / وحيز .

(٣) وقد أكثر أهل العلم من المتكلمين والصوفية وغيرهم في تعريف الولي ووصفه وأطالوا

المقالات في ذلك بما لا حاجة إليه ، وهذه الآية تغني عنها وإذا جاء نهر الله بطل نهر

معقل، والحاصل أن ولي الله من كان آتياً بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل وبالأعمال

لأولياء الله، ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الرؤيا^(١) الحسنة^(٢) هي البشـرى يراها المسلم ويرى له، وقال بعضهم: هي بشـرى الملائكة عند احتضاره بالجنة وعن الحسن هي ما يبشر الله تعالى المؤمنين في كتابه من جنته ونعيمه، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الجنة ورضوان الله تعالى قال بعضهم: المراد بـشارة الملائكة في القبر، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لا إـخلاف في مواعيده، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: كونهم مبشرين في الدارين، ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ إشـراكهم وتكذيبهم، ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾^(٣) جـمـيعاً استـثـناف بمعنى التعليل كأنه قال: لا تحزن؛ لأن العزة كلها ملك له ولا يمكنها إلا لمن

= الصالحة على وفق السنة المطهرة ، وعن عمرو بن الجموح أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : " لا يحق العبد حق صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية من الله وأن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكرى وأذكر بذكرهم " أخرجه أحمد وغيره [أخرجه أحمد (٤٣٠/٣)]، وقال الهيثمي في "المجمع"، (٨٩/١): رواه أحمد وفيه رشدين بن سعد وهو "منقطع ضعيف"، وفي رواية لأحمد " خيار عباد الله الذين إذا رءوا ذكر الله " الحديث [أخرجه أحمد (٢٢٧/٤) بسند ضعيف أيضاً]، وفي رواية الحكيم الترمذي "خياركم من ذكركم الله رؤيته وزاد في علمكم منطقـه ورغبكم في الآخرة عمله"/ فتح . [ضعيف، وانظر الدر المنثور (٣١٠/٣)]

(١) وقد وردت أحاديث صحيحة بأن الرؤيا الصالحة من المبشرات وأنها جزء من أجزاء النبوة ولكنها لم تقيد بتفسير هذه الآية إلا ما رواه رجل مجهول عن أبي الدرداء مرفوعاً/ فتح.

(٢) هكذا فسره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رواه الإمام أحمد وابن جرير وغيرهما وهكذا فسره ابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة ومجاهد وعروة وغير واحد/ ١٢ .

(٣) فهو يعزك بغلبتك عليهم ويذلهم .

ارتضى، ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم، ﴿الْعَلِيمُ﴾ لنياتهم فيجازيهم ويكافئهم، ﴿أَلَا إِنَّ (١)﴾
 لِلَّهِ﴾ ملكاً وخلقاً، ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من الملائكة والثقلين الذين
 هم أشرف المخلوقات، فكيف بالجمادات وهو كمقدمة ودليل على قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ
 الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ ما نافية، أي: ما يتبعون شركاء على الحقيقة
 وإن كانوا يسمونها شركاء، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ أو ما استفهامية وعلى هذا
 شركاء مفعول يدعون، أي: أي شيء يتبعون، وقيل: ما موصولة عطف على من في
 السماوات (٢)، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون أو يحرزون (٣) حرزاً باطلاً، ﴿هُوَ
 الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ لتستربحوا من نصب النهار، ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾
 مضياً تبصرون فيه مكاسبكم فكيف جاز عبادة غيره، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
 يَسْمَعُونَ﴾ (٤) لا للصم الذين لا يسمعون سماع انتفاع، ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ كما
 قالوا الملائكة بنات الله، ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تزيه على التبيي وتعجب عن حماقتهم، ﴿هُوَ
 الْغَنِيُّ﴾ واتخاذ الولد مسبب عن الحاجة، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾
 مقرر لغناه، ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾ أي: ليس (٥) عندكم دليل بهذا؛ بل أنتم
 تابعون للجهالة، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيه تهديد شديد ووعيد
 أكيد، ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ في الدنيا

(١) وفي الآية نفى عباد البشر والملائكة والجمادات؛ لأنهم عبدوا المملوك وتركوا المالك
 ولهذا عقبه بقوله: "وما يتبع الذين" إلخ / فتح .

(٢) كأنه قيل والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي: وله شركاؤهم /
 منه .

(٣) أي: يقدر أن له شركاء تقديراً باطلاً / منه .

(٤) ولما ذكر أنهم يتبعون الظن بين أن من ظنهم الباطل أن: "قالوا اتخذ الله ولداً" / وحيز .

(٥) هو علة لتزيهه عن الولد / منه .

والآخرة ، ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ لهم متاع قليل في الدنيا أو الافتراء^(١) متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم ، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بالموت ، ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم .

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ ﴿٧٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ﴾ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٧٩﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٨١﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَنْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿٨٤﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ

(١) يعني متاع إما مبتدأ محذوف الخبر وإما خبر حذف مبتدؤه / منه .

بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤٧﴾ وَبِحَقِّ اللَّهِ
الْحَقِّ بِكَلِمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٨﴾

﴿وَأَنْتَلُ عَلَيْهِمْ﴾^(١) نَبَأُ نُوحٍ حاله مع قومه ، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ
عَلَيْكُمْ عَظْمُ وَشَقِّ عَلَيْكُمْ ، ﴿مَقَامِي﴾ بين أظهركم ، ﴿وَتَذَكِيرِي﴾ إياكم ، ﴿بِآيَاتِ
اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ﴾^(٢) تَوَكَّلْتُ قال بعضهم: جواب الشرط هو قوله فأجمعوا إلخ، وقوله (فعلى
الله توكلت) معترضة بين الشرط والجزاء ، ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ من أجمع الأمر إذا قصده
وعزم عليه ، ﴿وَشُرْكَاءَكُمْ﴾ الواو بمعنى (٣) مع أي: اعزموا أنتم وشركاءكم الذين تزعمون
أن لهم اختياراً وأثبتتم الربوبية لهم على كيدي وإهلاكي فإن متوكل لا أبالي ولا أخاف ،
﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ مبهماً مستوراً ليكن مكشوفاً تجاهروني به وحاصله
لتجاهدوا في كيدي وإهلاكي كل غاية في المكاشفة والمجاهرة ، ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أدوا إلي
ذلك الأمر الذي تريدون بي ووجهوا كل الشرور إلي ، ﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ ولا تمهلوني ، ﴿فَإِنْ
تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن تذكيري ، ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ حتى يكون إعراضكم ضرراً^(٤)

(١) ولما فصل الدلائل على وحدانيته وذكر ما جرى بين الرسول - صلى الله عليه وسلم -
وبين الكفار ذكر قصصاً من قصص الأنبياء وما جرى لهم بين قومهم تسلياً لقلب نبيه
وعبرة لمن جحدته فقال: (واتل عليهم) إلخ / وحيز .

(٢) فيه إشارة إلى أن الظاهر أن قوله فعلى الله جواب الشرط وقوله فأجمعوا مرتب عليه
مسبب عنه فتأمل / منه .

(٣) يعني نصب شركاءكم على أنه مفعول معه ويؤيده قراءة الرفع قيل: تقديره دعوا
شركاءكم / منه .

(٤) حتى يفوت ذلك الأجر حين ما توليتم؛ بل ما كان النصيح والتذكير إلا لأجلكم فما
تركتكم هو نفعكم وفي بيان هذه الحكاية تشجيع لقلب أشرف رسله - صلى الله عليه وسلم -
وتوعد لمن كفر به وضرب مثال لهم .

ونقصاً علي، «إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ» فليس إعراضكم إلا نقصاً وضراً عليكم، أو معناه إن أعرضتم فما هو إلا لتمرّدكم وعنادكم لا لتقصير وتفريط مني، فإني ما سألت منكم أجراً ينفركم عني وتتهموني لأجله، «وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» المستسلمين لأمر الله، «فَكَذَّبُوهُ» أصروا على تكذيبه، «فَنَجَّيْنَاهُ» من الغرق، «وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ» من الهالكين وأعطيناهم ملكهم، «وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» بالطوفان، «فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ» المكذّبين فهذا تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحذير لمن كذبه، «ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ» من بعد نوح، «رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» المعجزات الظاهرات، «فَمَا كَانُوا» ما استقام لهم، «لِيُؤْمِنُوا» لشدة عنادهم وكفرهم، «بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ» أي: بما كذب به قوم نوح وقد علموا حالهم فهم وآباؤهم على منهاج واحد والباء للسببية، أي: لم يؤمنوا بسبب تعودهم تكذيب الحق قبل بعثة الرسل، «كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ» نختم عليها فلا يدخلها رشاد ولا سداد، «ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ» بعد هؤلاء الرسل^(١)، «مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ» أشراف قومه، «بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ» معتادين الإجرام، «فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ» المعجزات المزيحة للشك، «مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا» من فرط التمرد: «إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ» واضح ظاهر، «قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ» إنه سحر فحذف محكي القول^(٢) لدلالة الكلام عليه قيل: فمعناه أتعينونه^(٣) وعلى هذا لا يستدعي مقولاً ثم

(١) مثل هود وصالح ولوط وإبراهيم .

(٢) ولا يجوز أن يكون قوله أسحر هذا محكي القول ؛ لأنهم بتوا القول بأنه سحر من غير شك .

(٣) فالقول كناية عن القالة والطعن يقال فلان يخاف القالة ، أي : الطعن نحو "سمعنا فتى يذكرهم" (الأنبياء: ٦٠) / منه .

قال: «أَسِحْرٌ هَذَا» استفهام إنكار، «وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ» من تمام كلام موسى، أي: لو كان سحرًا لاضمحل وذل وغلب فاعله، فكيف أرتكبه وأنا أعلم أنهم لا يفلحون؟! «قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا»: لتصرفنا، «عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ^(١)» لكما العزة والملك يعني لستما بمخلصين؛ بل هذا غرضكما، «وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ» مصدقين، «وَقَالَ فِرْعَوْنُ ااِثْنُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ» حاذق فيه، «فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى ااَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ^(٢)» فَلَمَّا اَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ» أي: الذي جِئْتُمْ به^(٣) هو، «السَّحَرُ» لا ما جئت به ومن قرأ السحر بالاستفهام فما استفهامية، أي: أي شيء جِئْتُمْ به أهو السحر؟ أو السحر بدل من المبتدأ الذي هو ما، «إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ» سيمحقه، «إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ» لا يقويه ولا يثبت، «وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ» يثبت، «بِكَلِمَاتِهِ» بوعده أو بقضائه السابق، «وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ» ذلك.

(١) والحاصل أنهم عللوا عدم قبولهم دعوة موسى بأمرين التمسك بالتقليد للآباء والحرث* على الرياسة الدنيوية وكم بقي على الباطل وهو يعلم أنه باطل بهذه الذريعة من طوائف هذه العالم في سابق الدهر ولاحقه فمنهم من حبسه ذلك عن الخروج من الكفر ومنهم من حبسه عن الخروج إلى السنة من البدعة وإلى الرواية الصحيحة من الرأي البحت، قال أبو السعود: استئناف بياني مسوق لبيان أنه عليه السلام ألقمهم الحجر فانقطعوا واضطروا إلى التثبت بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل علاند لدود انتهى / فتح.

(٢) وهذا القول منه عليه السلام للاعتماد على وعد الله وعدم المبالاة بهم ولأنه علم أن مراد السحرة التقدم في الإلقاء كما علم من المواضع الأخر من القرآن وفي إهام ما أنتم ملقون إعلام بأنه لا شيء يلتفت إليه / ١٢.

(٣) إشارة إلى أن السحر خير مبتدأ محذوف وهو هو / ١٢.

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٢٤) وَقَالَ مُوسَى يَلْقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٢٥﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٦﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَآمَوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٩﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ * وَجَلَّوْنَا بَيْنِي وَبَيْنَ إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٢﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ ءَايَتِنَا لَعَافِلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ الضمير ^(١) لفرعون فإن بني إسرائيل آمنوا بموسى إلا قليلاً منهم كقارون وما آمن من القبط إلا قليل، وقال بعضهم: الضمير

(١) الضمير لموسى فإنه عليه السلام هو المحدث عنه وهو أقرب مذكور وإلا فالمناسب أن يقول إلا ذرية من قوم فرعون على خوف منه، وكان هذا في أول مبعثه فإنه لما دعا الآباء ولم يجيبوه خوفاً من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم أول الأمر مع الخوف من فرعون/ ١٢ وحيز .

لموسى، أي : ما آمن له في مبدأ الأمر إلا شبانهم ، «عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ» أي : مع خوف منه ، «وَمَلَأْنَاهُمْ» الضمير للذرية أي : أشراف آل فرعون ، أو لفرعون فالمراد من فرعون هو وآله ، «أَن يَفْتِنَهُمْ» يعذبهم وهو بدل من فرعون أو مفعول خوف ، «وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ» لغالب ، «فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ» في الكبر حتى ادعى الربوبية ، «وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ» مستسلمين لأمره والمعلق بالإيمان وجوب التوكل والمشروط بالإسلام وجود التوكل وحصوله لا وجوبه كما يقال : إن شتمك أجد فاصبر إن قدرت ، «فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» أي : موضع فتنة لهم يعذبوننا ، أو لا تعذبنا بعذاب ، فيقولون : لو كانوا على حق ما عذبوا ولا تسلطهم علينا فيحسبوا أنهم على الحق فيفتنوا بذلك ، «وَنَجِّنَا» خلصنا ، «بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّعَا» أي : اتخذا مباءة يعني موضع إقامة ، «لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يُبُوتَا وَاجْعَلُوا» أنتم وقومكما ، «يُبُوتَكُمْ» أي : في بيوتكم التي اتخذتموها ، «قِبْلَةً» أي : مساجد فإنهم كانوا لا يصلون إلا في كنائسهم وكانوا يخافون من فرعون فأمرُوا أَن يجعلوا في بيوتهم مساجد يصلون^(١) فيها سرًا أو اجعلوا بيوتكم قبة مصلى ، أو متقابلة والمقصود على هذا حصول الجمعية ، «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» أي : فيها قال بعضهم : أمروا بكثرة^(٢) الصلاة كما قال تعالى : " واستعينوا بالصبر والصلاة "

(١) قاله مجاهد ونقل عن ابن عباس : والفرق بين هذا والأول أن الوجه الأول معناه أنهم مأمورون بأن يبنوا في بيوتهم مساجد يصلون فيها ومعنى هذا الوجه بأنهم رخصوا بأن يصلوا في بيوتهم ١٢ منه .

(٢) يعني : اجعلوا بيوتكم قبة وأقيموا الصلاة كناية عن كثرة الصلاة لا أنهم مأمورون ببناء المسجد / ١٢ منه .

(البقرة: ٤٥)، «وَبَشِّرِ» يا موسى، «الْمُؤْمِنِينَ» بالنصر في الدارين، «وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً» من اللباس والمراكب، «وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا» تكرير وتأکید للأول، «لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ» واللام لام العلة فليس بمحال أن الله يريد إضلال بعض، وهذا الكلام من موسى؛ لأنه علم بمشاهدة أحوالهم أن أموالهم سبب ضلالهم أو إضلالهم ولا حاجة إلى أن يقال السلام لام العاقبة أو لام الدعاء كقولك: ليغفر الله فهو دعاء بصيغة الأمر، «رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ»: أهلكه «وَأَشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ» أقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان، «فَلَا يُؤْمِنُوا» جواب للدعاء وقيل: عطف على ليضلوا وقيل: دعا بلفظ النهي، «حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» وهذه الدعوة من موسى - عليه السلام - غضباً لله ولدينه^(١) لقوم تبين له أنه لا خير^(٢) فيهم كما تقول: لعن الله إبليس كما دعا نوح عليه السلام "رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً" (نوح: ٢٦)، «قَالَ»: الله، «قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا» فإنه دعا موسى وأمن هارون، «فَاسْتَقِيمَا» على أمري وامضيا له قال بعضهم: مكثوا بعد إجابة دعائهم أربعين سنة^(٣) وقال بعضهم: أربعين^(٤) يوماً ومن إجابة دعائهما أنه صار دنائيرهم ودراهمهم حجارة منقوشة^(٥) كهيئة ما كانت، «وَلَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا

(١) والرضاء بالكفر من حيث إنه كفر كفر. وأما الرضى بكفر شخص معين لعقوبته فجائز، قال بعض العلماء: الرضى بكفر نفسه كفر لا بكفر غيره / ١٢ وحيز .

(٢) ولما بالغ موسى في إظهار المعجزات وإقامة الحجج البينات ولم يكن لذلك تأثير فيمن أرسل إليهم دعا عليهم بعد أن بين سبب إصرارهم على الكفر وغمسكهم بالجحود والعناد قال موسى مبيناً سبب أولاً: "ربنا" الآية / فتح .

(٣) هكذا قال غير واحد من السلف / منه .

(٤) قاله الضحاك وأبو العالية وربيع بن أنس وقتادة وغيرهم / ١٢ منه .

(٥) قاله ابن عباس / ١٢ وحيز .

يَعْلَمُونَ ﴿ طريفة الجهلة في عدم الوثوق بوعدى، ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾
 أي: جاوزناهم في البحر بلا سفينة وتعبد، ﴿فَاتَّبَعَهُمْ﴾ أدركهم^(١)، ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾
 قيل: كانوا في مائة ألف أدهم سوى بقية الألوان، ﴿بَغِيًّا وَعَدُوًّا﴾ للبغي أي: لطلب
 الاستعلاء والظلم أو باغين^(٢)، ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ﴾ أي: بأنه،
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣) آلآن أي: أتؤمن

(١) يقال تبعته فأتبعته، أي: لحقته ولم يقل فأتبعهم فرعون وجنوده لأنه غير مشعر بالوصول
 واللاحق / ١٢ منه .

(٢) يعني بغياً وعدوًّا إما مفعول له أو حال / ١٢ منه .

(٣) أخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن
 مردويه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أغرق الله فرعون
 فقال: آمنت الآية، قال جبريل: يا محمد! لو رأيته وأنا أخذ من حال الأرض فأدسه في
 فيه مخافة أن تدركه الرحمة) [صحيح، انظر صحيح سنن الترمذي (٢٤٨٣)]، والمعنى دس
 جبريل في فيه بأمر الله فلا اعتراض عليه، وقد روى هذا الحديث الترمذي من غير وجه
 وقال: صحيح حسن غريب وصححه أيضاً الحاكم عن ابن عباس من طريق أخرى
 وإسناده على شرط البخاري وليس في رواهما متهم وإن كان فيه من هو سيء الحفظ
 فقد تابعه عليه غيره وأخرج الطبراني معناه عن أبي هريرة لكن في إسناد حديث أبي هريرة
 رجل مجهول وباقي رجاله ثقات، والعجب كل العجب ممن لا علم له بفن الرواية من
 المفسرين ولا يكاد يميز بين أصح الصحيح من الحديث وأكذب الكذب منه كيف يتجرأ
 على الكلام في أحاديث الرسول والحكم ببطلان ما صح منها، ويرسل لسانه وقلمه
 بالجهل البحت والقصور الفاضح الذي يضحك منه كل من له أدنى ممارسة لفن الحديث
 فيا مسكين مالك ولهذا الشأن الذي لست فيه في شيء ألا تستر نفسك وتربع على
 ضلعك، وتعرف بأنك بهذا العلم من أجهل الجاهلين وتشتغل بما هو علمك الذي لا
 تجاوزه وحاصلك الذي ليس لك غيره وهو علم اللغة وتوابعه من العلوم الآلية، ولقد

الآن حين يأسك عن نفسك؟ وهذا قول جبريل أو قول الله تعالى، «وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ» مدة عمرك، «وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» المضلين، «فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ» نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر أو نلقيك بنجوة^(١) من الأرض، أي: بأرض مرتفعة، «بِيدِكَ^(٢)» أي: حال كونك متلبساً بالبدن عارياً عن الروح، أو الباء بمعنى مع والبدن الدرع وكانت له درع من ذهب يعرف بها، «لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ»، لمن يأتي بعدك من بني إسرائيل وغيرهم، «آيَةً»: عبرة ونكالا عن الطغيان، «وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ» فلا يتفكرون فيها ولا يتعظون بها .

«وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ

= صار صاحب الكشف - عفا الله عنه - بسبب ما يتعرض له في تفسيره من علم الحديث الذي ليس هو منه في ورد ولا صدر سخرة للساخرين وعبرة للمعتبرين فتارة يروي في كتابه الموضوعات وهو لا يدري أنه منها ، وتارة يتعرض لرد ما صح ويجزم بأنه من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والبهت وهو في الصحيحين وغيرهما مما يلتحق بهما من رواته جماعة من الصحابة بأسانيد كلها أئمة ثقات حجج أثبات وأدنى نصيب من عقل يحجر صاحبه عن التكلم في علم لا يعلمه ولا يدري به أقل دراية وإن كان ذلك العلم من علوم الاصطلاح التي يتواضع عليها طائفة من الناس ويصطلحون على أمره فيما بينهم فما بالك بعلم السنة الذي هو قسيم كتاب الله وقائله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وراويه عنه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وكل حرف من حروفه وكلمة من كلماته يثبت بها شرع عام لجميع أهل الإسلام/ فتح البيان .

(١) قاله ابن عباس من السلف/ منه .

(٢) قيل: بيدك معناه كاملاً سوياً بيدك لم ينقص منه شيء، وقيل: عرياناً من غير لباس/

يَخْتَلِفُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٤١﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٢﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَمِّنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٥﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٤٦﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ، ﴿بَنِي إِسْرَآئِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ﴾ منزلاً صالحاً بلاد مصر والشام مما يلي بيت المقدس ونواحيه ، ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من اللذائذ ، ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في أمر دينهم ، ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ الأمن بعد نزول التوراة المزيج للشك والاختلاف ، أو ما اختلفوا في تصديق النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى جاءهم القرآن ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيشيب الحق ويعاقب المبطّل ، ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ فيه تشبیه للأمة وإعلام لهم أن صفة نبيهم مكتوب في الكتب السماوية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ، أو لزيادة

تثبيته وفرض الشك فلذلك قال صلى الله عليه وسلم: "لا أشك"^(١) ولا أسأل"،
«فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَعُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ» كعبد الله بن سلام وأصحابه، «لَقَدْ
جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» بالتزلزل عما أنت فيه من اليقين
قيل خطاب لكل من يسمع أي: إن كنت أيها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا
إليك فسألمهم ولا تكن من الشاكين، «وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ
فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ» وهو كالأول المراد به غير المخاطب، أو من باب التهيج
وقطع الأطماع عنه، «إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ» بالعذاب
والسخط، قيل: هي قوله هؤلاء للنار ولا أبالي، «لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ»
فإن إرادة الله تعالى لا يتعلق بإيمانهم فكيف يؤمنون، «حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ»
وحيث لا ينفعهم إيمانهم، «فَلَوْلَا» أي: فهلا، «كَانَتْ قَرْيَةٌ» من القرى التي
أهلكناها، «آمَنَتْ» قبل معاناة العذاب، «فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا» لوقوعه في وقت الاختيار،
«إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ» لكن^(٢) قومه، «لَمَّا آمَنُوا» قبل معاناة العذاب في وقت الاختيلو،
«كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ»^(٣) فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ» أي: إلى

(١) قال قتادة بن دعامة: بلغنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا أشك ولا أسأل) [أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٠٢١١) مرسلًا]، وعن ابن عباس: لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحداً منهم/منه.

(٢) إشارة إلى أن الاستثناء منقطع وهو ظاهر لا تكلف فيه.

(٣) أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود مرفوعاً قال: إن يونس دعا قومه فلما أبوا أن يجيبوه وعدهم العذاب فقال: إنكم يأتيكم يوم كذا وكذا ثم خرج عنهم، وكانت الأنبياء إذا وعدت قومها العذاب خرجت، فلما أظلم العذاب خرجوا ففرقوا بين المرأة وولدها والسخلة وولدها وخرجوا يعجون إلى الله وعلم الله منهم الصدق فتاب عليهم وصرف عنهم العذاب وقعد يونس في الطريق يسأل عن الخير فمر به رجل فقال: ما فعل قوم

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١﴾ أي : إلى آجالهم وقيل الجملة في معنى (١) النفي أي : ما كانت قرية آمنت أهلها بتمامها فنفعها إيمانها إلا قوم يونس آمنوا بتمامهم ونفعهم الإيمان وحاصله أنه ليست قرية آمنت أهلها بتمامها إلا وقت نزول العذاب فلا ينفعهم إيمانهم؛ لأنه اضطرارى وأما قوم يونس وهم أهل نينوى من أرض الموصل بعدما عاينوا أسباب العذاب جأروا إلى الله تعالى ولبسوا المسوح (٢) وفرقوا بين كل حيوان وولده وعجوا (٣) إلى الله تعالى فكشف الله تعالى عنهم الدخان والعذاب وقبل منهم الإيمان وهم مائة ألف أو يزيدون، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾: يا محمد، ﴿لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾: مجتمعين (٤) على الإيمان، ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ بما لم يشاء الله منهم، ﴿حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وهذا عند حرصه - صلى الله عليه وسلم - بإيمان الخلائق كما قال تعالى: "فلا تذهب نفسك عليهم حسرات" (فاطر: ٨)، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته فليس عليك هداهم، ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ﴾ العذاب والضلال، ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ حجج الله تعالى وأدلته فهو العادل الحكيم في هداية من هدى وإضلال من أضل، ﴿قُلْ﴾ (٥) انظروا: تفكروا، ﴿مَاذَا﴾ إن

= يونس فحدثه بما صنعوا فقال: لا أرجع إلى قوم قد كذبتم وانطلق مغاضباً يعني مراغماً / فتح . [وانظر الدر المنثور للسيوطي (٣/٥٧٣)]

(١) على هذا الاستثناء متصل ولا بد من تأويله بالنفي حينئذ وإلا لفسد المعنى لما يلزم أن لا يكون الإيمان من المستثنى مطلوباً / منه .

(٢) واحده المسح بالكسر وهو لباس الرهبان .

(٣) العج رفع الصوت أي : صاحوا / ١٢

(٤) إشارة إلى أن جميعاً حال / ١٢

(٥) ولما بين في الآيات السالفة أن الإيمان لا يحصل إلا بتخليق الله ومشيعته أمر بالنظر والاستدلال في الدلائل حتى لا يتوهم الجبر فقال: " قل انظروا " الآية/ كبير.

كانت استفهامية فانظروا معلق عن العمل، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، من الصنائع الدالة على وحدته، ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾ أي: الرسل أو الإنذارات، ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في حكم الله تعالى، أي: لا تفيد لهم وبعضهم على أن ما استفهامية إنكارية^(١) أي: أي شيء تغني الآيات عنهم؟ ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ﴾ أي: أهل مكة، ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا﴾: مضوا، ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: مثل وقائع الأمم السالفة والعرب تسمى العذاب أياماً، وهم وإن كانوا لا ينتظرون عذاب الله لكن لما استحقوه ناسب أن يشك في أنهم منتظرون، قيل: معناه هل ينتظرون لك يا محمد إلامثل تلك الوقائع لمن سلف؟ ﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ثُمَّ نُنَجِّي﴾ عطف على محذوف كأنه قيل: هلك الأمم ثم ننجي، ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ معهم، ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين حين هلك المشركين وحقاً علينا معترضة، أي: حق ذلك علينا حق بحسب وعدنا.

﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٩﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ

(١) فيكون ما مفعول تغني بمعنى تدفع نحو "ما أغنى عنه ماله" (المسد: ٢)/ ١٢ منه.

عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٦﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُصِمَ اللَّهُ
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٧﴾

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾: وصحته ، ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يقبض أرواحكم ، أي :
هذا خلاصة ديني فاسمعوا وصفه واعرضوا على عقولكم لتعلموا حقيقة ديني وبطلان
دينكم وخصه بوصف التوفي تهديداً لهم ، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ﴾ أي : بأن أكون ، ﴿مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْ أَقِمَّ﴾ عطف على أن أكون وصلة أن محكية بصيغة وعبرة أمره الله
بها^(١) والغرض وصل إن بما يتضمن معنى المصدر والإنشاء والخير في ذلك سواء ،
﴿وَجَهَكَ لِلدِّينِ﴾ أي : أمرت بالاستقامة في الدين وإخلاص الأعمال لله ، ﴿حَنِيفاً^(٢)﴾
منحرفاً عن الشك حال ، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ لا يقدر عليهما ، قيل : لا يضررك إن تركت عبادته ولا ينفعلك إن
عبدته ، ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾: عبدت غيره ، ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مِّنَ الظَّالِمِينَ^(٣)﴾ الواضعين العبادة
في غير موضعها "إن الشرك لظلم عظيم" (لقمان: ١٣) ، ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ
يُصَبِّكَ بِلَاءً ، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾ يدفعه ، ﴿إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ بنعمة ، ﴿فَلَا رَادَّ

(١) وجوز سيبويه أن يكون صلتها إنشائية ، وقال لا فرق في الغرض لأن المقصود صلتها بما

يتضمن معنى المصدر فالمعنى أمرت بالاستقامة / ١٢ وجيز .

(٢) أي : مائلاً إليه ميلاً كلياً معرضاً عما سواه إعراضاً كلياً وحاصل هذا الكلام هو

الإخلاص التام وترك الالتفات إلى غيره / ١٢ كبير .

(٣) يعني لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الظالمين ؛ لأن الظلم عبارة

عن وضع الشيء في غير موضعه فإذا كان ما سوى الحق معزولاً عن التصرف كانت

إضافة التصرف إلى ما سوى الحق وضعاً للشيء في غير موضعه فيكون ظلماً / ١٢ كبير .

لِفَضْلِهِ» الذي أراد بك وإنما قال لفضله مكان له إشارة إلى أنه متفضل بالخير،
«يُصِيبُ بِهِ»: بالخير ، «مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» لمن تاب من
أي ذنب كان فتمر نموا لرحمته بالتوبة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية ، «قُلْ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ» القرآن ، «مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى» بالإيمان به ، «فَاتِّمُوا
يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ» نفعه لها ، «وَمَنْ ضَلَّ» بالكفر به ، «فَاتِّمُوا يَضِلُّ عَلَيْهَا» وبال
الضلال عليها، «وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ» بموكل إلى أمركم، أو بكفيل أحفظ
أعمالكم إنما أنا نذير، «وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ» بالامتثال، «وَأَصْبِرْ» على مخالفة من
خالفك، «حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ» بنصرك وقهر عدوك، أو بالأمر بالقتال وعن ابن عباس-
رضي الله عنه- نسختها آية القتال، «وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ»^(١) لأن جميع أحكامه
على فحج الحكم والصواب لا يمكن طرآن الخطأ فيه والله أعلم .

(١) روي أنه لما نزلت به جمع- صلى الله عليه وسلم- الأنصار فقال (إنكم ستجدون
بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني) ١٢/ وجيز. [أخرجاه في الصحيحين منت حديث أنس]
فحكم بقتال المشركين وبالجزية على أهل الكتاب يعطونها عن يد وهم صاغرون/ ١٢ .

سورة هود مكية

وهي مائة وثلاث وعشرون آية، وعشر ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كِتَبٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا
إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ
يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ
تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ
يَسْتَعْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾
* وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ
فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ
عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ
مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾
وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحِسُّهُ إِلَّا يَوْمَ
يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾
﴿الر (١) كِتَابٌ﴾، خبر (الر) أو هذا كتاب ، ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ أي:

(١) وعن أبي بكر الصديق قال: قلت: يا رسول الله! لقد أسرع إليك الشيب فقال: (شيبني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت)

هي محكمة في لفظها مفصلة في معناها أو أحكمت بأنها لم تنسخ بكتاب^(١) ثم فصلت بالأحكام والعقائد والمواعظ والأخبار أو نزلت شيئاً فشيئاً ، «مِنْ لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ» صفة أخرى لكتاب^(٢) أو متعلق بأحكمت وفصلت أو خير بعد خير ، «أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ» مفعول له أي: أحكمت ثم فصلت لأجل أن لا تعبدوا إلا الله أو أن مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول ، وقيل : هذا كتاب بأن لا تعبدوا ، «إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ» : من الله ، «نَذِيرٌ» بالعقاب على من عبد غير الله ، «وَبَشِيرٌ» : بالثواب على من عبد الله ، «وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا» عطف على أن لا تعبدوا ، «رَبِّكُمْ» من الذنوب السالفة ، «ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ» فيما تستقبلونه ، أو ثم ارجعوا إليه بالطاعة ، «يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا» يعيشكم في أمن وسعة ، «إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» إلى حين موت مقدر ، «وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ»^(٣) عن ابن عباس يؤت كل من فضلت وزادت حسناته على سيئاته فضل الله ، أي: الجنة أو يعط كل ذي عمل صالح جزاء عمله الصالح ، «وَأِنْ تَوَلَّوْا» أي: تتولوا ، «فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ» يوم القيامة ، «إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فيقدر على تعذيب المعرض ، «أَلَا إِنَّهُمْ يَشْتُونَ صُدُورَهُمْ» ثبت الشيء إذ عطفته وطوبته عن ابن عباس - رضي الله عنهما - كانوا

= أخرجه الترمذی والطبرانی وحسنه / فتح . [صحيح، وانظر صحيح الجامع (٣٧٢٣)]

(١) نقله محي السنة عن ابن عباس / ١٢

(٢) من باب التنازع / ١٢ .

(٣) والاستغفار أول حال الراجع إلى الله فناسب أن يترتب عليه حال الدنيا فقال تعالى حكاية : "فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم" الآية (نوح: ١٠، ١١، ١٢)، والتوبة هي المنجية فناسب أن يترتب عليها حال الآخرة فيكون من قبيل اللف والنشر المرتب/ ١٢ وحيز .

يكرهون استقبال السماء بفروجهم حال وقاعهم فترلت ، أو كان إذا مر أحدهم برسول الله ثنى عنه صدره وأعرض عنه وغطى رأسه فترلت ، أو نزلت حين يقولون إذا رخصنا ستورنا واستغشنا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم ، أو نزلت في الأخنس بن شريق كان يظهر المحبة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وله منطق حلو وكان يعجب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مجالسته ومحادثته وهو يضر عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو إما بمعنى الصرف من ثنيت عناني أو بمعنى الإخفاء أو بمعنى الانحناء ، **﴿لَيْسَتْخَفُوا مِنْهُ﴾** من الله وعلى ما نقلنا في الوجه الثاني من سبب النزول الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، **﴿أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾** يغطون رءوسهم بثيابهم ، **﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾** يستوي في علم الله تعالى سرهم وعلنهم فكيف يمكن لهم أن يخفوا من الله تعالى شيئاً ، **﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** بما في قلوبهم.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ أي : هو المتكفل بذلك فضلاً إن لم يرزقها فلا يمكن أن يرزقها أحد غير الله تعالى ، **﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾** ، أما كنها في الحياة والممات أو أرحام الأمهات وأصلاب الآباء والمستقر الجنة أو النار والمستودع القبر ، **﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾** مثبت في اللوح المحفوظ ، **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾** كأيام الدنيا أو كل يوم كآلف سنة ، **﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ^(١)﴾** والماء على متن الريح وروى الترمذى وابن ماجه "أن الله كان في عمام^(٢) ما تحته

(١) عن ابن عباس أنه سئل على أي شيء كان الماء ، قال : على متن الريح . / معالم .

(٢) قال أحمد : يريد بالعماء أنه ليس معه شيء ، وقال البيهقي : إن كان العمام ممدود فمعناه سحاب رقيق والمعنى فوق سحاب مديراً له وعالياً له ، وإن كان مقصوراً فمعناه لا شيء ثابت ؛ لأنه عمي عن الخلق لكونه غير شيء ونحوه قال جمع من أهل العلم ، قال الأزهرى : فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته / ١٢ فتح ملخصاً .

هواء^(١) وما فوقه هواء ثم خلق^(٢) العرش بعد ذلك^(*)، «لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» أي: خلق ذلك ليعاملكم معاملة المختبر لأحوالكم كيف تعملون فعلم أن خلق العالم لنفع عباده وإحسان العبادة أن تكون خالصة لله وعلى شريعة شرعها الله تعالى، «وَلَكِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ»، أي: ما البعث أو القرآن المتضمن لذكره إلا خديعة كالسحر الباطل، «وَلَكِنْ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ» الموعود، «إِلَى أُمَّةٍ» جماعة من الأوقات والأمة تستعمل في معان متعددة، «مَعْدُودَةٌ» محصورة قليلة، «لَيَقُولَنَّ» استهزاء، «مَا يَخْبِسُهُ» ويمنعه من الوقوع، «أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ» أي: اليوم المقدر لتزول العذاب، «لَيْسَ» العذاب، «مَصْرُوفًا عَنْهُمْ» ويوم ظرف مصروفًا، «وَحَاقَ بِهِمْ» وأحاط بهم ذكر بلفظ الماضي تحقيقاً ومبالغة، «مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ» أي: العذاب.

«وَلَكِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ» وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ﴿١٢﴾ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ

(١) قال تعالى : " وأفئدكم هواء " (إبراهيم: ٤٣)، أي : خالية ، ومنه سمي ما بين السماء والأرض هواء لخلوه / كذا في المعالم .

(٢) وهذا دال على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل / ١٢ وحيز .

(*) ضعيف أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم، وانظر ضعيف ابن ماجه .

اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ فَإِلَآءِ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ مَا
 أُنْزِلَ بَعْلَمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٨﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٩﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلٌ مَّا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ
 قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ
 الْأَحْزَابِ فَإِنَّآرُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
 أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ
 رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا
 عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٣﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
 وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
 السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ
 مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٥﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسِرُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
 هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ
 هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٨﴾

﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ أعطيناه نعمته ووجد لذهما ، ﴿ثُمَّ نَرَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ
 لَيَكُونُ﴾ قنوط كأنه لا يرجو بعد ذلك فرجاً ، ﴿كَافُورٌ﴾ مبالغ لكفران نعمه السابقة

كأنه لم ير خيراً، ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسَّتْهُ﴾ كغنى بعد فقر، ﴿لَيَقُولَنَّ
 ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ ما بقي ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء، ﴿إِنَّهُ لَفَرِحَ﴾ بما في يده
 مغتر، ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس مشغول عن الشكر، ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضراء
 استثناء منقطع إن حمل الإنسان على الكافر وإلا فمتصل، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في
 السراء والضراء، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لمعاصيهم، ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ كالجنة، ﴿فَلَعَلَّكَ
 تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ ترك تبليغ بعض القرآن وهو ما فيه سب آلهتهم وطعن
 دينهم مخافة سخرتهم وسبهم وزيادة انهماكهم في الكفر عصمه الله تعالى عن الخيانة في
 الوحي ونبيه، ﴿وَضَائِقٌ﴾ الضائق بمعنى الضيق، إلا أن الضائق يكون لضيق عارض
 غير لازم كزبد سيد وعمرو سائد، ﴿بِهِ﴾ بأن تتلوه عليهم، ﴿صَدْرُكَ﴾ مخافة، ﴿أَن
 يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتْرٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ كما قالوا "لولا لو أنزل إليه ملك
 فيكون معه نذيراً أو يلقي إليه كتر أو تكون له جنة يأكل منها" (الفرقان: ٨، ٧) قال
 بعضهم: ضمير به مبهم يفسره أن يقولوا، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ ما عليك إلا الإنذار فما
 بالك يضيّق صدرك، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ موكول إلى الله تعالى لا إليك
 أمر الكل، ﴿أَمْ يَقُولُونَ^(١)﴾ أم منقطعة، ﴿افْتَرَاهُ﴾ الضمير لما يوحى، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ
 سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ أي: يكون كل واحد مثل القرآن في البلاغة والغرض إلزامهم، والدليل
 على أنه معجز من عند الله والعجز عن الإتيان بمثل الكل والبعض أعم من أن يكون
 عشر سور أو سورة واحدة دليل عليهم مع أن سورة البقرة متأخرة في النزول عن هود،
 والأصح أن يونس أيضاً متأخرة فتحدهم أولاً بعشر سور ثم عجزوا فتحدهم بسورة
 واحدة، ﴿مُفْتَرِيَاتٍ﴾ من عند أنفسكم مع أن ممارستكم للقصص والأشعار أكثر

(١) ولما أشار بقوله: "لولا أنزل" إلى أنهم كذبوه ونسبوه إلى أن ما في القرآن مفترى ردهم
 بدليل قاطع فقال: (أم يقولون افتراه) / ١٢ وحيز .

وأكثر، «وَادْعُوا» إلى المعاونة على المعارضة، «مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أنه مفترى، «فَالِئِمَّ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ» يا أصحاب محمد، «فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ»: متلبساً بما هو يعلمه ولا يقدر عليه غيره، «وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» لأنهم مع آلهتهم عجزوا والعاجز لا يكون إلهاً فلا إله إلا الله، «فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» ثابتون^(١) على الإسلام، أو معناه فإن لم يستجب من تدعوهم إلى المعاونة لكم يا من تدعون افتراءه ولا يتهاى لكم المعارضة فاعلموا إلخ فالخطاب كله حيثئذ للكفار وهو أظهر.

«مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» فقط عمله، «وَزَيَّنَّهَا» كأهل الرياء، «ثَوَفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ»^(٢) فِيهَا أجور أعمالهم في الدنيا بسعة الرزق ودفع المكار، «وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْحَسُونَ» لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً نزلت في المرائين، قال بعضهم: في اليهود والنصارى أو في بر الكافرين، «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ» فإنهم استوفوا جزاء أعمالهم وبقي لهم الأوزار، «وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا» لأنه لم يبق لهم ثواب والضمير للآخرة إن كان الظرف لحبط وللدنيا إن كان لصنعوا،

(١) عابدون الله دون غيره ولما ألزمهم بحقيقة القرآن، ومن أنزل ثبت أن بعد هذه الدار دار هي الدار الباقية فلا بد أن لا يعقد العاقد همته على الدار الفانية فيترك الإسلام خوفاً من فوات الدنيا، فقال: "من كان يريد الحياة الدنيا" / وحيز .

(٢) قال القرطبي: ذهب أكثر العلماء إلى أن هذه الآية مطلقة وكذلك الآية التي في الشورى "ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها" (الشورى: ٢٠) كذلك "ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها" (آل عمران: ٤٥) وقيدتها وفسرتها التي في سبحان الذي "من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد" (الإسراء: ١٨) / ١٢ فتح.

﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي عملهم في نفسه باطل لأنهم لم يعملوا بوجه صحيح ، وفي الحديث (أشد الناس عذاباً من يرى الناس فيه خيراً ولا خير فيه) ﴿٥﴾ ﴿أَفَمَنْ﴾ (١) كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ: برهان، ﴿مَنْ رَبِّهِ﴾ يدلّه على الصواب، وتقديره أفمن كان على بينة كمن يريد الحياة الدنيا، ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يتبع من كان على بينة ، ﴿شَاهِدٌ﴾ (٢) مِّنْهُ من الله يشهد بصحته، فالبينّة الفطرة السليمة للمؤمن والدليل العقلي له والشاهد جبريل أو محمد عليهما الصلاة والسلام يأتي بالقرآن من عند الله أو القرآن، ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل الشاهد الذي يأتي بالقرآن أو الذي هو القرآن، ﴿كِتَابٌ مُّوسَى﴾ أي: التوراة، ﴿إِمَاماً﴾ كتاباً مؤتمناً به في الدين، ﴿وَرَحْمَةً﴾ من الله تعالى لهم ، ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى من كان على بينة ، ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: بالقرآن ، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ أصناف الكفار، ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ قال بعضهم: من كان على بينة هو محمد (٣) عليه السلام والشاهد جبريل وأولئك إشارة إلى من آمن من أهل الكتاب ، وقال بعضهم: من كان على بينة

(*) "موضوع" انظر ضعيف الجامع .

(١) ولما ذكر حال مريد الحياة الدنيا أراد بيان حال من يريد وجه الله تعالى فقال: "أفمن كان" / ١٢ وجيز . ثبت بهذا البرهان العقلي أن كل من أتى بعمل من الأعمال لطلب الأحوال الدنيوية فإنه يجد تلك المنفعة الدنيوية اللاتقة بذلك العمل ثم إذا مات فإنه لا يحصل له منه إلا النار ويصير ذلك العمل في الدار الآخرة محبطاً باطلاً عديم الأثر/ ١٢ مفاتيح الغيب المعروف بالكبير للإمام الرازي .

(٢) قول ابن عباس والأكثرين: إن الشاهد جبريل ، وعن علي والحسن وقتادة هو محمد عليه الصلاة والسلام / ١٢ .

(٣) هكذا فسره الإمام الواحدي - رضي الله عنه - / ١٢ .

اللهم اغفر لكاتبه ولوالديه ولمن سعي فيه برحمتك يا أرحم الراحمين آمين .

مؤمنو أهل الكتاب وبينتهم دلائلهم العقلية، والشاهد إما جبريل أو محمد عليهما السلام أو القرآن، «فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ» من الموعد أو القرآن، «إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» كمثبت الولد والشريك له ونافى القرآن عنه، «أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ» يوم القيامة فيسألهم عن عقائدهم وأعمالهم، «وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ» من الملائكة والأنبياء أو جميع أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- أو الجوارح، «هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»^(١) الَّذِينَ يَصُدُّونَ يَمْنَعُونَ النَّاسَ، «عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» دينه، «وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا» يصفونها بالانحراف عن الصواب أو يريدون أن يكون سبيل الله تعالى عوجا وهو ما هم عليه، «وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ»: في الدنيا أن يعاقبهم؛ بل هم تحت قهره وسلطانه وهو قادر على انتقامهم في الدنيا لكن يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، «وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ» يمنعوهم من العذاب، «يَضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ» لضلالهم وإضلالهم، «وَمَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ» لأن الله تعالى حال بينهم وبين سماع الحق فيبغضون سماعه، «وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ» لتعاميهم عن آيات الله تعالى قيل: كأنه العلة لتضاعف العذاب، «أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» بأنهم اشتروا شيئا هو سبب

(١) وفي الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر- رضي الله عنهما- سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يدين المؤمن حتى يضع كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: رب أعرف حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد إلى قوله الظالمين / ١٢ فتح.

عذابهم المؤبد، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الآلهة وشفاعتها فضاع عنهم ما حصلوا في الدنيا فلم يبق لهم سوى الندامة، ﴿لَا جَرَمَ^(١)﴾ حقاً، ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسِرُونَ﴾ لا أحد أكثر خسراناً منهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآخَبْتُوا﴾: اطمأنوا، ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ^(٢) الْفَرِيقَيْنِ﴾ الكافر والمؤمن، ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ﴾ هو مثل الكافر، ﴿وَالْبَصِيرِ^(٣) وَالسَّمِيعِ﴾ هو مثل المؤمن يميز بين الحق والباطل ويفرق بين البرهان والشبهة، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أي: تمثيلاً^(٤)، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتفارقوا بين هؤلاء وهؤلاء.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٦﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿١٧﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَبُّكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَبُّكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدَائِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ ﴿١٨﴾ قَالَ يَلْقَؤُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ

(١) قد بينا معنى لا جرم في سورة حم المؤمن بوجوه والأولى ما اخترناه هاهنا هذا ما في المنهية مذهب الخليل وسيبويه أنه اسم مركب تركيب خمسة عشر ومعناها معنى فعل وهو حق وما بعده مرفوع علي الفاعلية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما تقدم ذكر الكفار وأعقب بذكر المؤمنين جاء بالتمثيل مُبْتَدِئاً بالكافر فقال: "مثل الفريقين" الآية / ١٢ وجيز .

(٣) بصير للآية الدالة على الوحدة والقدرة سميع للحق / ١٢ منه .

(٤) إشارة إلى أن مثلاً تمييز / ١٢ منه .

أَنْزَلِمُكُمْ هَا وَانْتُمْ لَهَا كَاهُونَ ﴿١٦﴾ وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِي
إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقَوْنَ رَبَّهُمْ وَلَكِنِّي أَرْبُكُمْ قَوْمًا
تَجْهَلُونَ ﴿١٧﴾ وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٨﴾
وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ
لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي
إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا
تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ
بِمُعْجِزِينَ ﴿٢١﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ
يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ
افْتَرَيْتُهُ فَعَلَى إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٢٣﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا^(١) نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي﴾ أي بآني ومن قرأ بالكسر فعلى إرادة القول،
﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا﴾ بدل من إني لكم على قراءة النصب، أو معناه نذير
لأن لا تعبدوا ، أو مفسرة متعلقة بأرسلنا، ﴿إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ
الْأَلِيمِ﴾ مؤلم^(٢) وصف اليوم بالأليم المبالغة وهو في الحقيقة صفة المعذب ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ﴾
الأشراف ، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ لا فضل لك^(*) علينا

(١) ولما ظهرت الفرقان في زمن نوح عليه السلام كما صرح به القرآن ناسب حكاية نوح
عليه السلام مع قومه فقال : " ولقد أرسلنا " الآية / ١٢ وحيز .

(٢) هذا بناء على أن الأليم بمعنى اسم المفعول كما مر في حاشيته أوائل سورة البقرة ولو
كان بمعنى اسم الفاعل لكان في الحقيقة صفة العذاب فافهم / ١٢ .

(٥) بالأصل "عليك".

فخصك بقبول كلامك ، ﴿وَمَا تَرَكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَن يُتَّبَعُوا﴾ سفلتنا لا يتبعك الأشراف ، ﴿بِأَدْيِي الرَّأْيِ﴾ أي : وقت حدوث أول أو ظاهر رأيهم بلا روية وفكر من بدء أو بداي بالهمزة أو الياء فهو ظرف يجذف المضاف لاتبعك ، قيل : معناه اتبعوك ظاهر الرأي وباطنهم على خلاف ذلك ، ﴿وَمَا تَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ إياك في دعواك ومتبعيك في دعوى العلم بصحته ، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ أَخْبَرُونِي ، إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ حجة ، ﴿مَنْ رَبِّي﴾ تدل على صدق دعواي ، ﴿وَأَتَانِي رَحْمَةً﴾ نبوة ومعرفة ، ﴿مَنْ عِنْدَهُ فَعَمِيَّتْ^(١)﴾ خفيت والتبست ، ﴿عَلَيْكُمْ أَتْلُزِمُكُمْ مَوَاهِجَ﴾ نكرهم على الاهتداء بها ، ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا﴾ للبينة ، ﴿كَارِهُونَ﴾ أو حاصله^(٢) ، إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ معرفة من الله تعالى ونبوة ومعجزة من عنده لكن صارت ملتبسة في عقولكم فهل أقدر على أن أجعلكم معترفين بها ، أي : لا أقدر على ذلك لكن لو تركتم العناد وتأملتكم فقد عرفتم ، ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ ، ﴿مَالًا^(٣)﴾ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ لا عليكم ، ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كلهم طلبوا منه طرد المؤمنين احتشاما ونفاسة منهم أن يجلسوا معهم^(٤) ، ﴿إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ يلاقون الله تعالى فيعاقب الله من طردهم أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من تمكن الإيمان وتزلزلة حيث تزعمون أن إيمانهم بادي الرأي ، وأنا لا أعرف منهم إلا الإيمان فكيف أطردهم ﴿وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ عواقب الأمور ، ﴿وَيَا قَوْمِ

(١) وحد الضمير في عميت مع أن المرجع البينة والرحمة لأنها يرجع إلى كل منهما أو لا نسلم أنهما مرجعه؛ بل يرجع إلى البينة وخفاء البينة يستلزم خفاء الرحمة / ١٢ منه .
(٢) حاصل الكلام أن المساواة في البشرية لا يمتنع من حصول المفارقة في صفة النبوة والرسالة / وجيز .

(٣) مع أن في التبليغ كذا وتعباً وذلك دليل على صدقي / ١٢ وجيز .

(٤) كما قالت قريش / ١٢ .

مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ مِنْ يَمْنَعُنِي مِنْ عِقَابِهِ، «إِنْ طَرَدْتُهُمْ» ظالماً ، «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ»
تتعرفوا ما تقولون، «وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ» جواب لقولهم "ما نرى
لكم علينا من فضل"، «وَلَا أَعْلَمُ»^(١) الغيب حتى تسألوني عن وقت العذاب وغيره
وتكذبوني ، أو حتى أعلم أن هؤلاء اتبعوني من غير بصيرة وعقد قلب، «وَلَا أَقُولُ»
لكم ، «إِنِّي»^(٢) مَلَكٌ» جواب لقولهم: "ما نراك إلا بشراً مثلنا" ، «وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ
تَزَادِرِي» تستصغر وتحقرهم ، «أَعْيُنُكُمْ» لفقرهم والإسناد إلى الأعين لأنهم استزدلوهم
بما عاينوا من رثائهم لا لأن فيهم عيباً معنوياً ، «لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا» أي : لا
أحكم على المؤمنين أنه ليس لهم عند الله ثواب ونعمة ، «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ»
فإن كان باطنهم موافقاً للظاهر فلهم الأجر ، «إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ» إن طردتهم ،
أو قلت شيئاً من ذلك ، «قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا» فأطلت
مخاصمتنا ، «فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا» من العذاب ، «إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» قَالَ إِنَّمَا
يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ» فإن منزل العذاب هو الله تعالى ، «وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ» الله
يدفع العذاب ، «وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ
أَنْ يُغْوِيَكُمْ» أي: إن أراد الله تعالى ضلالكم، فإن أردت نصحكم لا ينفعكم نصحي
فقوله لا ينفعكم نصحي دال على جواب الشرط الأول والمجموع دال على جواب
الشرط الثاني ، «هُوَ رَبُّكُمْ» فله التصرف فيكم كيف يشاء ، «وَالْيَئِسُوا»
فيحازيكم ، «أَمْ يَقُولُونَ» منقطعة ، «افْتَرَاهُ» أي: نوح وعن مقاتل أي: محمد فيكون

(١) الأولى أن يكون ولا أعلم عطفاً على عندي خزائن لا على أقول فتأمل / ١٢ .

(٢) وقد استدلل بهذا من قال: إن الملائكة أفضل من الأنبياء والأدلة في هذه المسألة

مختلفة وليس لطالب الحق إلى تحقيقها حاجة فليست هي مما كلفنا الله بعمله / ١٢

معتزلاً في وسط هذه القصة، ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ أي: وباله، ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي وقيل: معناه من الكفر والمعاصي.

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٢١) وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ (٢٢) وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٢٣) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٢٤) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٥﴾ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُزْسَلَهَا إِنَّ رَبِّي لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِي أَرَكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٢٨﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ

أَسْأَلُكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾
 قِيلَ يَنْتُوحُ أَهْبَاطُ بَيْسَلَمٍ مِنَّا وَبَرَكَتٌ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ
 سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا
 إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ
 لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾

﴿وَأَوْحِي إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: لا
 تحزن ، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وكن تابِعاً لمراد الله تعالى ومشيئته ، ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ
 بِأَعْيُنِنَا﴾ أي : متلبساً^(١) بأعيننا كأن الله تعالى معه أعيناً تحفظه عن الميل في صنعته عن
 الصواب وحاصله اصنعها وأنت محفوظ ، ﴿وَوَحِّينَا﴾ إليك كيفية صنعها ، ﴿وَلَا
 تُخَاطِبْنِي﴾ بالدعاء ، ﴿فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: في شأهم ودفع العذاب عنهم ، ﴿إِنَّهُمْ
 مُّعْرِضُونَ﴾ بالطوفان لا سبيل لهم إلى الخلاص ، ﴿وَيَصْنَعُ^(٢) الْفُلَكَ^(٣)﴾ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ

(١) إشارة إلى أن بأعيننا منصوب المحل على الحال / ١٢ قال ابن عباس: بعين الله ووجهه
 ولم يعلم نوح كيف يصنع الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جوجو
 الطائر/ ١٢ فتح .

(٢) قوله ويصنع حكاية حال ماضية/ ١٢ .

(٣) قال ابن عباس: اتخذ نوح السفينة في سنتين وقيل ثلاثين سنة فكان طولها ثلاثمائة ذراع
 وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً وعرضها خمسون ذراعاً والذراع إلى المنكب وكانت من
 خشب الساج لها ثلاث بطون وأطباق سفلى ووسطى وعليها وكان باهما في عرضها
 وقيل غير ذلك هذا ما في فتح البيان ، وقال الرازي رحمه الله اعلم أن أمثال هذه
 المباحث لا تعجبني لأنها أمور لا حاجة إلى معرفتها البتة ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصلاً
 وكان الخوض فيها من باب الفضول لاسيما مع القطع بأنه ليس هاهنا ما يدل على

مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ استهزءوا به قائلين نبي نجار ، «قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ» حين يترل عليكم العذاب ، «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ يَهينه في الدنيا ، «وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» دائم في الآخرة ففقوله من منصوب بتعلمون ويخزيه صفة عذاب ويحل عطف على يأتيه ، «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا» غاية لقوله يصنع وما بينهما حال ، «وَفَارَ التَّنُورُ» نبع الماء فيه مكان النار قال بعضهم: تنور من^(١) حجارة كانت حواء تخبز فيه فصار إلى نوح، وعن علي رضي الله عنه: أي طلع الفجر ونور الصبح وعن بعضهم التنور وجه الأرض، «قُلْنَا اخْمِلْ فِيهَا»، في السفينة، «مِنْ كُلِّ» من أنواع الحيوانات، قال بعضهم: ما حمل ما يتولد من الطين كالبق والذباب، «زَوْجَيْنِ^(٢) اثْنَيْنِ»، ذكرًا وأنثى ففقوله اثنين تأكيد ومبالغة ، «وَأَهْلَكَ» أي: أهل بيتك وقرابتك عطف على زوجين وأما عند من قرأ من كل زوجين بالإضافة فهو عطف على اثنين، «إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ» بالهلاك كامراته واعلة وابنه كنعان، «وَمَنْ آمَنَ» عطف على زوجين كما في وأهلك، «وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ^(٣)» ثمانون نفساً أو اثناون وسبعون أو ثمانية نفر أو عشرة، «وَقَالَ

= الجانب الصحيح والذي نعلمه أنه كان في السعة بحيث يتسع للمؤمنين من قومه ولما يحتاجون إليه ولحصول زوجين من كل حيوان لأن هذا القدر مذكور في القرآن وأما غير ذلك القدر فغير مذكور/ ١٢ .

(١) نقله محيي السنة عن الحسن / ١٢ .

(٢) قال الرازي : وأما ما يروى أن إبليس دخل السفينة فبعيد ؛ لأنه من الجن وهو جسم ناري أو هوائي، فكيف يفر من الغرق؟! وأيضاً فإن كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالأولى ترك الخوض فيه انتهى/ ١٢ فتح .

(٣) قيل هم ثمانية إنسان، ثلاثة من بنيه وهم سام وحام ويافت وزوجاتهم ونوح وامراته وبه قال قتادة وابن جرير ومحمد بن كعب القرظي ، وقيل: كانوا ثمانية رجالاً أحدهم

ارْكَبُوا^(١) فِيهَا بِسْمِ^(٢) اللَّهِ مَجْرَاهَا^(٣) وَمُرْسَاهَا أي : اركبوا قائلين بسم الله أو مسمين الله وقت إجرائها ووقت إرسائها أي : ثباتها أو بسم الله خبر لمجرىها أي : بسم الله إجراؤها وإرساؤها فيكون إخباراً من نوح بأن إجرائها وإرسائها باسم الله وقد نقل أنه إذا أراد إجرائها قال بسم الله فجرت، وإذا أراد إثباتها قال بسم الله فرست، «إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» لما نجانا من عذابه، «وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ» أي: ركبوا فيها وهي تجري وهم فيها، «فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ» كل موجة كجبل، «وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ» كنعان، «وَكَانَ فِي مَعَزٍ» مكان عزل وأبعد فيه نفسه عن أبيه، «يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا» في السفينة، «وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ» في الدين والبعث عنا، «قَالَ سَآوِي» أصبر وألتجئ، «إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ

= جرهم قاله ابن عباس ، ولما أخرجوا من السفينة بنوا قرية يقال لها قرية الثمانين وهي موجودة بناحية الموصل، وقيل كانوا عشرة وقيل غير ذلك ، قال الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال عز وجل "وما آمن معه إلا قليل" ولم يجد عدداً بمقدار فلا ينبغي أن يجاوز في ذلك حد الله سبحانه وتعالى إذ لم يرد ذلك في كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - / ١٢ فتح.

(١) وقد روي في صفة القصة وما حمله نوح في السفينة وكيف كان الغرق وكم بقيت السفينة على ظهر الماء روايات كثيرة لا مدخل لها في تفسير كلام الله سبحانه/١٢ فتح .
(٢) أخرج أبو يعلى والطبراني وابن السني وغيرهم عن الحسن بن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا بسم الله الملك الرحمن «بسم الله مجريها» الآية ، «وما قدروا الله حق قدره» الآية (الأنعام: ٩١)" ١٢ /فتح. [في سنده ضعف]

(٣) المجرى والمرسى مصدران حذف منهما الوقت المضاف نحو آتيك خفوق النجم أي: وقته/١٢ منه .

اللَّهُ عَذَابُهُ ، «إِلَّا مَنْ رَحِمَ» أي: إلا الراحم وهو الله أو عاصم بمعنى ذا عصمة
كلابن وتامر إلا من رحم أي: من رحمه الله ، أو الاستثناء منقطع يعني لكن من رحمه
الله فهو معصوم قيل: تقديره لا عاصم لأحد إلا من رحمه الله «وَحَالَ بَيْنَهُمَا» بين
نوح وولده، «الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ» صار منهم، «وَقِيلَ» بعدما تناهي أمر
الطوفان، «يَا أَرْضُ ابْلَعِي» أنشفي، «مَاعْلِكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي» أمسكي عن المطر،
«وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ» نقص، «الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ» أي: إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين ،
«وَأَسْتَوَتْ» استقرت السفينة ، «عَلَى الْجُودِيَّ» جبل شامخ قريب الموصل أو الشام ،
«وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» أي هلاكاً لهم، «وَنَادَى» أي: أراد النداء، «نُوحُ رَبُّهُ
فَقَالَ» أو نادى على حقيقته وقوله تعالى فقال تفصيل للمحمل، «رَبِّ إِنِّي مِنْ
أَهْلِي» وقد وعدت إنجاءهم ، «وَأَنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ» لا خلف فيه، «وَأَنْتَ أَحْكَمُ
الْحَاكِمِينَ» أعد لهم ، «قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ» الذي وعدت بنجاة فإنه
داخل في المستثنى، أي: إلا من سبق عليه القول أو ليس من أهل دينك، وقال بعضهم:
إنه ولد زنية^(١) وعن ابن عباس وغيره رضي الله عنه: مازنت امرأة نبي قط، وعن كثير
من السلف كان ابن امرأته^(٢)، «إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ» أي: إنه ذو عمل فاسد ولا
ولاية بين المؤمن والكافر قيل إنه أي: سؤالك إياي بنجاة عمل فاسد، «فَلَا تَسْأَلْنِي مَا
لَيْسَ لَكَ بِهِ^(٣) عِلْمٌ» مالا تعرف أنه خطأ أم صواب والظاهر أن هذا قبل غرق ولده أو
بعده لكن قبل علم نوح بهلاكه، «إِنِّي أَعْظُكَ» أهلك ، «أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ» قَالَ

(١) كالحسن البصري / ١٢ . [وكلامه هذا مردود لقول نوح عليه السلام: "إن ابني من

أهلي"، وقول ابن عباس: ما زنت امرأة نبي قط]

(٢) فريبه وظاهر القرآن على خلاف ذلك / ١٢ .

(٣) وفيه عدم جواز الدعاء لما لا يعلم الإنسان مطابقته للشرع / ١٢ فتح .

رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ» بعد ذلك، «مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا» أي : إن لم ، «تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ»^(١) قيل» بعد استقرار السفينة على الجودي، «يَا نُوحُ اهْبِطْ» من السفينة، «بِسَلَامٍ»^(٢) مِنَّا» بسلامة أو بتحية وهو حال، «وَبَرَكَاتٍ»^(٣) عَلَيْكَ» البركة ثبوت الخير ، «وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ» أي : على أُمَم ناشئة ممن معك من المؤمنين ، ولهذا قالوا دخل فيه كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، قال بعضهم: المراد من الأمم المؤمنون الذين معه وسماهم أمما لتحزيمهم ، أو لتشعب الأمم منهم، «وَأُمَمٍ» أي : ومن معك أمم ، «سَنُمَتِّعُهُمْ» في الدنيا، «ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنْنا عَذَابٌ أَلِيمٌ» وهم الكافرون من ذرية من ممن ، «تِلْكَ» إشارة إلى قصة نوح، «مِنْ أَتْبَاءِ الْغَيْبِ» أي : من أخباره ، «نُوحِيهَا إِلَيْكَ» خبر ثان لتلك أحوال، «مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا» خبر ثالث أو حال، «فَاصْبِرْ» : كما صبر نوح ، «إِنَّ الْعَاقِبَةَ» في الدنيا والآخرة بالنصرة، «لِلْمُتَّقِينَ».

(١) ثم أعلم أن قوله: "وَأَنْ وَعْدَكَ الْحَقُّ" والجواب من الله بقوله: "إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ" يدل على أن الله وعد بإنجاء أهله وهو غير مذكور في القرآن ولا بعد في ذلك أن الله حين أخبره بتزول العذاب عليهم وعد معه نجاة أهله ومن آمن ثم أمر به بحملهم على السفينة وإلا ففي السؤال إشكال لأن الله أمره بحمل أهله السفينة لأن ينجوا من العذاب وابنه ما ائتمر بأمر والده في أن يركب، فالذنب عليه اللهم إلا أن يقال: إن غرقه في أثناء مجادلته مع والده ولولا حيولة الموج بينهما ليلزمه على ركوب السفينة فالشبهة لظنه أنه إن تم كلامه معه يسمع ويقبل فتأمل/ ١٢ وجيز .

(٢) مصحوبا بسلامة وأمن والقاتل هو الله تعالى لقوله: "وبركات عليك" / ١٢.

(٣) مشتق من برك الحمل وهو ثبوته / ١٢.

﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٦٠﴾ يَنْقُومِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ وَيَنْقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٦٢﴾﴾
 قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾﴾
 إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۚ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾
 مِنْ دُونِهِ ۚ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٦٥﴾﴾
 إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنْ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٦﴾﴾
 فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٦٧﴾﴾
 وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٦٨﴾﴾
 وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِبَآيَتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٦٩﴾﴾
 وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۚ أَلَا بَعْدَ لَعَادٍ قَوْمُ هُودٍ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ﴾ عطف على "نوحًا" إلى قومه، ﴿هُودًا﴾^(١) عطف بيان، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ، ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ صفة تابعة لمحل الجار والمجرور ،

(١) واعلم أنه تعالى حكى عن هود عليه السلام أنه دعا قومه إلى التوحيد فقال : " يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون " وفيه سؤال وهو أنه كيف دعاهم إلى عبادة الله تعالى قبل أن يقيم الدلالة على ثبوت الإله تعالى؟ قلنا: دلائل وجود الله

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾: على الله ، ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغ الرسالة ،
 ﴿أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يعني نصيحتي خالصة لا مشوبة بالمطامع ،
 ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ حتى تميزوا بين المخطئ والمصيب ، ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾
 بالإيمان ، ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ ارجعوا إليه بالطاعة ، ﴿يُرْسِلِ﴾ جواب الأمر ، ﴿السَّمَاءَ
 عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾: كثير الدر ، ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ يضاعف قوتكم بالمال
 والولد والشدة في الأعضاء ، ومنه قال الحسن بن علي رضي الله عنه: من كثر استغفاره
 كثر نسله ، ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ لا تعرضوا عني مصرين على إجرامكم ، ﴿قَالُوا يَا
 هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ حجة تدل على مدعائك وهذا كذب منهم وجحود ، ﴿وَمَا نَحْنُ

= تعالى ظاهرة وهي دلائل الآفاق والأنفس وكلما توجد في الدنيا طائفة ينكرون وجود
 الإله تعالى ، ولذلك قال تعالى في صفة الكفار "ولئن سألتهم من خلق السماوات
 والأرض ليقولن الله" (لقمان: ٢٥) ، قال مصنف هذا الكتاب محمد بن عمر الرازي رحمه
 الله وختم له بالحسنى : دخلت بلاد الهند فرأيت أولئك الكفار مطبقين على الاعتراف
 بوجود الإله وأكثر بلاد الترك أيضاً كذلك إنما الشأن في عبادة الأوثان فإنها آفة عمت
 أكثر أطراف الأرض ، وهكذا الأمر كان في الزمان القديم أعني زمان نوح وهود وصالح
 عليهم السلام فهؤلاء الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - كانوا يمنعون من عبادة
 الأصنام فكان قوله "اعبدوا الله" معناه لا تعبدوا غير الله هذا ما قاله الرازي في هذا المقام
 وبين في سورة يونس تحت قوله تعالى: "ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله" (يونس: ١٨)
 أن المشركين وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم وزعموا أنهم
 متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى ،
 ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا
 عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله تعالى/١٢ مفاتيح الغيب المعروف
 بالكبير للإمام محمد بن عمر الرازي .

بِتَارِكِي آلِهَتَا عَنْ قَوْلِكَ» حال من ضمير تاركى، أي: صارفين عن قولك، «وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ» ما نقول، «إِلَّا اعْتِرَاكَ» أى: إلا قولنا أصابك، «بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ» بجنون لأنك تتكلم بالهذيان، «قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ» على نفسي، «وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ» أي: من إشراككم آلهة، «مِنْ دُونِهِ» ظرف لغو لتشركون، أو بيان لما، «فَكِيدُونِي» أنتم وأوثانكم، «جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ» لا تمهلوني فلاني لا أبالي بكم وبكيدكم ومن أعظم الآيات مواجعتهم بهذا الكلام مع أنهم عطاش بإراقة دم من خالفهم وهم مع كثرتهم كرجل واحد يرمون من قوس واحد، «إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا» الأخذ بالنواصي تمثيل لاشتمال ربوبيته على الكل وذل الكل وخضوعه تحت قهره وسلطانه فإن من أخذت ناصيته فقد قهرته، «إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» على العدل والإحسان مع غلبته وقدرته قيل تقديره: إن ربي يحثكم على صراط مستقيم، «فَإِنْ تَوَلَّوْا» تتولوا، «فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ» فلا على شيء فلاني بلغت الرسالة وما على إلا الإبلاغ، «وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ» هذا وعيد بإهلاكهم واستخلاف قوم آخرين مطيعين في ديارهم، «وَلَا تَضُرُّوهُ» بإعراضكم، «شَيْئاً» من الضرر وقيل: لا تنقصونه شيئاً إذا أهلككم، «إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ» فيحفظ أعمالكم ويجازيكم أو هو الحافظ للأشياء فهو الضار النافع فيستحيل أن يضره شيء أو هو الحافظ يحفظني من كيدكم، «وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا» هلاك عاد، «نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ» الريح التي أهلك بها عاداً قيل المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضاً والتعريض بتعذيب المهلكين في الدنيا والآخرة، «وَتِلْكَ» إشارة إلى القبيلة وقيل: إلى قبورهم وآثارهم، «عَادٌ جَحَدُوا» كفروا، «بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ» من عصى رسولاً واحداً فقد عصى الرسل فإن كلامهم واحد، «وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ غَنِيْدٍ» أي: سفلتهم اتبعوا كبراءهم

الذين طغوا فلم يقبلوا الحق، ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ قال السدي: ما بعث نبي بعد عاد إلا لعنوا على لسانه، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: لعنوا في الدارين، ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ أي: نعمه أو برهم فحذف الجار، ﴿أَلَا بَعْدًا﴾ من رحمته وهلاكه، ﴿لَعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ جيء بعطف البيان للتمييز عن عاد الإرم قيل: ينادي في القيامة بقوله: "ألا إن عادًا" إلخ.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرْهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٥﴾﴾ قالوا يَصْلَحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦﴾﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٧﴾﴾ وَيَتَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٨﴾﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٩﴾﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٠﴾﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿١١﴾﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِثَمُودَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ عطف على (وإلى عاد)، ﴿أَخَاهُمْ﴾ واحد منهم ، ﴿صَالِحًا﴾ عطف بيان ، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ صفة تابعة لحل الموصوف ،

﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ﴾ فإنهم من آدم وآدم من تراب، ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أقدركم على عمارتها، وعن الضحاك أطال عمركم فيها فإن الواحد منهم يعيش ثلاثمائة إلى ألف سنة، ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ لما مضى، ﴿ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ﴾ فيما بقي، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ يسمع أو قريب الرحمة، ﴿مُّجِيبٌ﴾ لداعيه، ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ نرجوا أن تكون لنا سيذاً مستشاراً في الأمور لما نرى فيك من الرشـد، ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾^(١) عدوا هذا النهي منه بلاهة وشبه جنون، ﴿وَاتَّنا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ من التبرء عن الأوثان، ﴿مُرِيبٌ﴾^(٢) موقع في الريبة، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ يقين وبصرة، ﴿مِّنْ رَبِّي﴾ وحرف الشك باعتبار المخاطبين، ﴿وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ﴾ نبوة، ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ يمنعني من عذابه، ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ في تبليغ الرسالة، ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ إذن حيثـذ، ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ غير أن تخسروا أعمالي وتبطلوا أو ما تريدوني بما تقولون إلا أن أنسبكم إلى الخسران، ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَافَةٌ اللَّهُ لَكُمْ آيَةٌ﴾ آية حال، ولكم حال منها أو بيان، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: عاجل، ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ﴾ لهم صالح، ﴿تَمَتَّعُوا﴾: عيشوا، ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ الدنيا أو منازلكم، ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكون، ﴿ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ مصدر كالجلود والمصدوقة أو غير مكذوب فيه فأتسع فيه بإجرائه مجرى المفعول به كيوم شهدناه^(٣)

(١) حكاية حال ماضية وإلا فالواجب أن يقال : ما عبد آباؤنا/ ١٢ منه .

(٢) من أراه إذ أوقعه في الريبة وهو على الإسناد المجازي لأن المريب هو ذلك الشخص الذي له الشك ، لكن لما كان الشك سبب تشكيك المشكك ولولاه لما قدر على التشكيك أسنده إليه / ١٢ .

(٣) أي: شهدنا فيه / ١٢ .

سليماً وعامراً ، ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيٍ خِزْيٍ﴾ عطف على نجينا بتقدير: ونجيناهم من خزي ، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم هلاكهم بالصيحة وقيل: يوم القيامة ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ القادر الغالب ، ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ كان عذابهم صيحة من السماء وزلزلة من الأرض به تقطعت قلوبهم في صدورهم ، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾ خامدين ميتين ، ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا﴾: لم يقيموا ولم يكونوا ، ﴿فِيهَا أَلَّا إِنَّا تُمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا﴾ من رحمة الله ، ﴿التَّمُودَ﴾ وصرف (١) تُمود للذهاب إلى الحي أو الأب الأكبر.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُّوطٍ ﴿٦١﴾ وَأَمْرُهُ فَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٦٢﴾ قَالَتْ يَوَيْلَتَى ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٦٣﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٦٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُّوطٍ ﴿٦٥﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴿٦٦﴾ يَكَايِرُهُمْ أَغْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٦٨﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفِقُونَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا

(١) وعدم صرفه للتعريف والتأنيث لأنه بمعنى القبيلة / ١٢ .

اللَّهُ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ *

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائكة، ﴿إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾^(١) بيشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط، ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ سلمنا عليك سلاماً، ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أي: عليكم سلام، ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيفٍ﴾ أي: فما أبطأ بحيئه بعجل^(٢) مشوي على الحجارة المحماة أو ما أبطأ في المجيء به أي: أسرع في ضيافتهم وكانت عامة ماله البقرة^(*)، ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ لا يمدون إليه أيديهم، ﴿نَكَرَهُمْ﴾ أنكر ذلك منهم، ﴿وَأَوْجَسَ﴾ أدرك، ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ لأن الضيف إذا أتى بشر لا يأكل، ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ﴾ بالعذاب،

(١) أدرج شيئاً من أخبار إبراهيم- عليه الصلاة والسلام- بين قصة صالح ولوط؛ لأن له مدخلاً في قصة لوط وكان ابن خالة لوط والرسول الملائكة، قال ابن عباس: اثنا عشر ملكاً بشروا إبراهيم ثلاث بشائر بالولد والخلة وإنحاء لوط ومن آمن معه/ ١٢ وجيز.

(٢) على الوجه الأول فاعل "فما لبث أن جاء"، وعلى الثاني ضمير إبراهيم وحذف في وحذف حرف الجر عن أن وأن شائع/ ١٢ منه .

(٥) كذا بالأصل.

﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾ سارة^(١) ، ﴿قَائِمَةً﴾ وراء الستر أو قائمة^(٢) بخدمةهم ، ﴿فَضَحِكْتَ﴾ سروراً^(٣) بالأمن أو تعجباً ، وقالت: يا عجباً بأضيافنا نخدّمهم بأنفسنا تكرمة وهم لا يأكلون طعامنا أو تعجباً من خوف إبراهيم من رجال قلائل وهو بين خدمه وحشمه ، أو ضحكت بمعنى حاضت^(٤) ، ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ بشروها بأن لها ولداً يكون له عقب ونسل فإن يعقوب ولد إسحاق ونصب يعقوب لأنه في تقدير وهبناها من وراء إسحاق يعقوب ، أو بحذف حرف الجر وإيصال الفعل ، ومن قرأ بالرفع فهو مبتدأ ، أي: ويعقوب مولود من بعده ، ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى﴾ أي: يا عجباً ، ﴿أَلِدْتُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ ابنة تسعين أو تسع وتسعين ، ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾: زوجي ، ﴿شَيْخَاً﴾ ابن مائة وعشرين أو مائة نصبة ، ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قدرته ، ﴿رَحِمْتَ﴾^(٥) الله وبركاته عليكم فتحصيصكم بمزيد الكرامات لا عجب ، ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾^(٦) أي: أهل بيت إبراهيم وهو خير من الملائكة أو دعاء

(١) سارة ابنة عمه هارون بن ناحور قائمة أي: بخدمة الأضياف وهن لا يحتجن كعادة العرب ونازلة البوادي وكانت عجوزاً وخدمة الضيفان من مكارم الأخلاق/١٢ وجز.

(٢) على الأول القيام على حقيقة وعلى الثاني مجاز/١٢ منه .

(٣) قاله ابن جريج وهو الأظهر وقيل: سروراً بهلاك أهل الفساد وغفلتهم وغرورهم/١٢ منه.

(٤) قاله العوفي عن ابن عباس ، وكذا قاله عكرمة ومجاهد ، يقال: ضحكت السمرة إذا سلت صمغها/١٢ منه . [لكن سياق الآيات يرد هذا التأويل]

(٥) قوله "رحمة الله" جملة مستأنفة علل بها إنكار التعجب كأنه قيل إياك والتعجب فإن أمثال هذه الرحمة متكاثرة من الله عليكم/١٢ منه .

(٦) فيه دليل على أن أزواج الرجل من أهل بيته ، عن ابن عباس أنه كان ينهى عن أن يزداد في جواب التحية على قولهم عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ويتلو هذه الآية وعن ابن عمر نحوه/١٢ .

منهم، **﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾** محمود في أفعاله، **﴿مَجِيدٌ﴾** كريم، **﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾** بأن عرفهم، **﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾** أي: يجادل رسلنا في أمرهم كيف هلكوهم وفيهم لوط ويحيى جواب لما مضارعاً لحكاية الحال، أو تقديره: أخذ يجادلنا أو اجترأ على خطابنا يجادلنا قيل: لما ترد المضارع إلى معنى الماضي، **﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ﴾** كثير التأسف على الذنوب، **﴿مُنِيبٌ﴾** راجع إلى الله تعالى يعني رقة قلبه وفرط ترحمه باعته إلى المجادلة، **﴿يَا إِبْرَاهِيمُ﴾** أي: قالت الملائكة **﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾** الجدال، **﴿إِنَّهُ﴾** إن الشأن، **﴿قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾**: عذابه، **﴿وَأَنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾** يجادل ودعاء.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ أي: هذه الملائكة، **﴿لُوطًا سَيِّئَ بِهِمْ﴾** حزن بمجيئهم وساءة، **﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾** طاقة، يقال: ضقت بالأمر ذرعاً إذا لم يطقه^(١) وذلك لأنهم جاءوا في أحسن صورة غلمان فخاف عليهم من خبت قومه وعدم قوته بمدافعتهم، **﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾** شديد بلاؤه وقد نقل أن امرأة^(٢) لوط خرجت فأخبرت قومها بأن في بيته غلماناً حسائاً، **﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ﴾**^(٣) يسرعون، **﴿إِلَيْهِ﴾** عجلة لنيلهم مطلوبهم من أضيافه، **﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾**: قبل ذلك الوقت، **﴿كَأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾**^(٤) يأتون الرجال يعني هذا عادتهم من قديم الأيام، **﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ**

(١) يقال: فلان رحب الذراع إذا كان مطيقاً له وذلك لأن الشخص إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ضد ذلك مثلاً للعجز/ ١٢ منه .

(٢) قاله السدي الكبير وقتادة / ١٢ .

(٣) كأنما يدفعون دفعاً لطلب الفاحشة من أضيافه/ ١٢ منه .

(٤) والله سبحانه ما سمى إتيان الرجال باسمه في القرآن؛ بل ذكره بالخبائث أو بالسيئات لنهاية قباحة / ١٢ وحيز .

بَنَاتِي» أي : فتزوجوهن^(١) واتركوا أضيافي وكانوا يطلبونهن قبل ذلك ولا يجيئهم، وكان تزويج المسلدة من الكافر جائزًا أو المراد من البنات نساؤهم^(٢) وأضاف إلى نفسه؛ لأن كل نبي أبو أمته، «هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ» من نكاح الرجال، «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ» لا تفضحوني، «فِي» شأن ، «ضَيْفِي» فإخزاء ضيف الشخص إخزأوه، «أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ» يعرف حقية ما أقول، «قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ» : من حاجة ، «وَأِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ» من إتيان الرجال ، «قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ» قويت بنفسي على دفعكم ، «أَوْ آوِي» : أنضم ، «إِلَى رُكْنٍ»^(٣) شديد» إلى قوي أستند إليه شبهه بركن الجبل في شدته ومنعته، وجواب لو محذوف أي : لفعلت وصنعت بكم كيت وكيت ، «قَالُوا» أي : الملائكة ، «يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ» إلى إضرارك بإضرارنا ، «فَأَسِرْ» : يا لوط ، «بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ» : بطائفة، «مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ» استثناء من قوله فأسر بأهلك، أي : لا تسرها وخلفها ومن قرأ مرفوعًا فهو استثناء من قوله لا يلتفت منكم أحد يعني إذا سمعتم ما نزل بهم من الأصوات المزعجة فاستمروا ذاهبين ولا يلتفت

(١) على هذا بناتي على حقيقة وعلى الثاني مجاز / ١٢ .

(٢) قاله مجاهد وسعيد بن جبير وابن جريج / ١٢ . [ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما أنا

لكم بمنزلة الوالد" وانظر صحيح الجامع (٢٣٤٦)]

(٣) مراده بركن شديد العشيرة وما يتمتع به عنهم هو ومن معه ، وإنما قال ذلك ؛ لأنه لم يكن من قومه نسبا؛ بل كان غريبًا فيهم ؛ لأنه كان أولاً بالعراق مع إبراهيم فلما هاجر إلى الشام أرسله الله إلى أهل سدوم وهي قرية عند حمص قال أبو هريرة ما بعث الله نبيًا بعده إلا في منعة من عشيرته / ١٢ فتح ، وفي البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (رحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد). الحديث /

منكم أحد إلا امرأتك فإننا لا نمنعها عن الالتفات وقيل الاستثناء منقطع ومن الإسرائيليات أنها كانت معهم ولما سمعت أصوات البلاء التفتت وقالت: واقوماه فأدركها حجر^(١) فقتلها ولا يجوز قطعاً حمل القراءتين على الروایتين في أن خلفها أو أخرجها، ولذلك قيل: إنها سرت معهم بنفسها لا أنه أخرجها والنهي عن إخراجها لا عن مصاحبته وقيل: الاستثناء بقراءة النصب أيضاً عن قوله لا يلتفت وإن كان الأصح الرفع حيثئذ، **﴿إِنَّهُ﴾** الشأن **﴿مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾** من العذاب، **﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمْ﴾** أي: موعد عذابهم، **﴿الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ﴾**^(٢) بقريب جواب لاستعجال لوط عذابهم، **﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾**: بالعذاب، **﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾** أدخل جبريل عليه السلام جناحه تحت قريتهم فقلعها وصعد بها إلى السماء ثم قلبها وفيها أربعمائة ألف أو أربعة آلاف ألف، **﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾** على تلك القرى قبل التقلب أو حين التقلب، **﴿حِجَارَةً﴾** أو كانت الحجارة على شدادهم ومسافريهم^(٣)، **﴿مَنْ سَجِّل﴾** أصله سنك^(٤) كل أي: حجر وطين فارسية معربة أو الطين أو الآجر قيل اسم لسماء الدنيا أو لجبل فيها، **﴿مَنْضُود﴾** متتابع أو معد في السماء لذلك، **﴿مُسَوَّمَةٌ﴾** معلمة

(١) وأما حمل القراءتين على الروایتين في أنه خلفها أو خرجت مع زوجها فباطل وما أوقع الزمخشري في تلك الوقعة إلا شؤم عقيدته أن اختلاف القراءات من عند أنفسهم لا من الله كما صرح في مواضع كاد أن يكفر بذلك / ١٢ وحيز.

(٢) روي أن لوطاً خرج بابتنيه ليس معه غيرهما عند طلوع الفجر طوى الله له الأرض حتى نجي ووصل إلى إبراهيم عليه السلام / ١٢ وحيز .

(٣) روي أن رجلاً منهم كان (٥) في الحرم فبقي الحجر معلقاً في الهواء حتى خرج من الحرم فأصابه الحجر / ١٢ وحيز .

(٤) قاله ابن عباس / ١٢ وحيز .

(٥) زيادة ليست بالأصل اقتضاها السياق.

مكتوباً فيها اسم من يقتل بها، أو معلمة بسيما^(١) متميزة عن أحجار الأرض، ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ في خزائنه، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ما هذه النعمة ممن يشبههم ببعيد، وقيل معناه: ما هذه القرى من ظلمي مكة ببعيد يمرون عليها في أسفارهم إلى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر أو المكان.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومِ آتِمْ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرِيكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٢٨﴾ وَيَنْقُومِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٢٩﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴿٣٠﴾﴾ قَالُوا يَلْشَعِبُ أَصْلُوتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٣١﴾ قَالَ يَنْقُومِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٣٢﴾ وَيَنْقُومِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٣٣﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٣٤﴾ قَالُوا يَلْشَعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرْنَكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٣٥﴾ قَالَ يَنْقُومِ أَرَهْطِي أَغْرُ

(١) السِمْما مقصور من الواو، قال تعالى: "سيماهم في وجوههم" (الفتح: ٢٩) وقد يجيء ممدوداً/منه.

عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢﴾
 وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ
 يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا
 نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ
 فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثِمِينَ ﴿١٤﴾ كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ
 كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿١٥﴾

﴿وَالِي مَدِينٍ﴾ اسم بلدة ، ﴿أَخَاهُمْ﴾ من أشرفهم نسبًا ، ﴿شُعَيْبًا﴾^(١) قَالَ يَا قَوْمِ
 اعْبُدُوا اللَّهَ وحده ، ﴿مَا لَكُمْ﴾^(٢) مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ^(٣) وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ
 نهامهم عن هذا بعد الإيمان ؛ لأنهم اعتادوا البخس ، ﴿إِنِّي أَرَأَكُمْ﴾^(٤) بِخَيْرٍ موسرين في
 نعمة وخصب لا حاجة لكم إلى التطفيف ، ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
 مُّحِيطٍ﴾ وعدهم بعذاب يحيط بهم فلا يفلت منهم أحد ووصف اليوم بالإحاطة
 لاشتماله على عذاب محيط ، ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أمر بالإيفاء بعد أن

(١) ابن ميكائيل ابن يشجر بن مدين بن إبراهيم عليه السلام / ١٢ فتح .

(٢) اعلم أن الأنبياء- عليهم السلام- يشرعون في أول الأمر بالدعوة إلى التوحيد، فلهذا قال
 شعيب عليه السلام: (مالكم من إله غيره) ثم إنهم بعد الدعوة إلى التوحيد يشرعون في
 الأهم ثم الأهم / ١٢ كبير .

(٣) كما مر غير مرة أن رفع غيره بأنه صفة تابعة لحل إله وجاز أن يكون اسم ما ومن إله
 بيان / ١٢ .

(٤) بثروة واسعة في الرزق تغنيكم عن البخس فلا تغيروا نعمة الله عليكم بمعصيته والإضرار
 بعباده وهذه النعمة حقها أن تفضلوا على الناس شكرًا عليها لا أن تنقصوا حقوقهم ثم
 ذكر بعد العلة علة أخرى فقال: "وإني أخاف" / ١٢ فتح .

فهي عن ضده مبالغة، «بِالْقِسْطِ» بالعدل والسوية، «وَلَا تَبْخَسُوا»^(١) لا تنقصوا، «النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ» تعميم بعد تخصيص وقيل: كانوا مكاسين، «وَلَا تَغْتَوُوا» لا تبالغوا، «فِي الْأَرْضِ» بالفساد حال كونكم، «مُفْسِدِينَ»^(٢) وقد كانوا يقطعون الطريق، «بَقِيَّتِ اللَّهُ» ما أبقي الله من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن، «خَيْرٌ لَّكُمْ» مما تأخذونه بالتطفيف أو طاعة الله خير لكم، «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» بشرط الإيمان فإن الثواب بالأعمال مشروط بالإيمان أو إن كنتم مؤمنين مصدقين لي، «وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ» أحفظكم عن القبائح وإنما أنا ناصح، «قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ» بتكليف^(٣)، «أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا» من الأصنام أجابوه على سبيل التهكم وكان عليه السلام كثير الصلاة، «أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا»^(٤) ما نشاء عطف على ما، أي: وأن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا، ما نشاء قيل: عطف على أن نترك بتقدير أصلاتك تأمرك بنهيك عن أن تفعل إلخ، «إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ» قالوا ذلك استهزاء وأرادوا ضدهما أو أنت حلیم رشيد فكيف تبادر على مثل كلام المجانين «قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ» حجة وبصيرة، «مَنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ» من الله بلا كدٍ مني، «رِزْقًا حَسَنًا»^(٥)، حلالاً وكان عليه السلام كثير المال، أو أراد من

(١) البخس النقص ويقال للمكس البخس / ١٢ منه .

(٢) قيل: معناه لا تفسدوا في الأرض حال كونكم مفسدين أمر دينكم ومصالح آخرتكم/ ١٢ منه .

(٣) قدرنا هذا المضاف لأن الإنسان لا يؤمر بفعل غيره/ ١٢ .

(٤) وكان عليه السلام ينهاهم عن البخس والتطفيف/ ١٢ منه .

(٥) يعني: هل يسعني مع هذه النعمة أن أخون في رحيه؟ وهذا الجواب شديد المطابقة بقولهم: "إنك لأنت الحلیم الرشيد"، أي: كيف يليق بالحليم الرشيد أن يخالف أمر ربه وله عليه نعم كثيرة/ ١٢ فتح .

الرزق الحسن العلم والمعرفة وجواب الشرط محذوف، أي: فهل يجوز لي الخيانة في الوحي والمخالفة في أمره ونهيه ، «وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ»^(١) إِلَى مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ» مَا أُرِيدُ أَنْ أَسْبِقَكُمْ إِلَى شَهَوَاتِكُمُ الَّتِي نَهَيْتُكُمْ عَنْهَا لِأَسْتَقِلَّ بِهَا دُونَكُمْ، «إِنْ أُرِيدُ» فِيمَا أَمَرَكُمْ وَأَنهَاكُمْ، «إِلَّا الْإِصْلَاحَ» أي: إصلاحكم، «مَا اسْتَطَعْتُ» أي: مَا دُمْتُ أَسْتَطِيعُ الْإِصْلَاحَ فَمَا مَصْدَرِيَّةٌ وَاقِعَةٌ مَوْقِعَ الظَّرْفِ أَوْ إِصْلَاحٌ مَا اسْتَطَعْتَهُ فَاَلْمَوْصُولَةُ مَفْعُولُ الْإِصْلَاحِ ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ مَا قَصَدْتُ إِلَى مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ بِمَجْرَدِ مَخَالَفَتِكُمْ؛ بَلِ الْإِصْلَاحُ قَصْدِي وَهُوَ الْبَاعْثُ إِلَى النَّهْيِ، «وَمَا تَوْفِيقِي» لِإِصَابَةِ الْحَقِّ ، «إِلَّا بِاللَّهِ» بِإِعَانَتِهِ ، «عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ» فَإِنَّهُ الْقَادِرُ الْمَطْلُوقُ ، «وَالِإِلَيْهِ أُنِيبُ» فِي الْمَعْلَدِ أَوْ فِيمَا يَتَرَلَّ عَلَيَّ مِنَ الْمَصَائِبِ، «وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ»^(٢) لَا يَكْسِبَنَّكُمْ، «شِقَاقِي» عِدَاوَتِي، «أَنْ يُصِيبَكُمْ» ثَانِي مَفْعُولِيهِ فَإِنَّهُ يَتَعَدَّى إِلَى وَاحِدٍ وَإِلَى اثْنَيْنِ كَكَسْبٍ، «مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ» مِنَ الْغَرَقِ ، «أَوْ قَوْمَ هُودٍ» مِنَ الرِّيحِ الْمَهْلِكَةِ، «أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ» مِنَ الصَّبْحَةِ ، «وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ» زَمَانًا فَلَا تَسْوَهُمْ، أَوْ مَكَائِنًا فَإِنَّهُمْ جِيرَانُ قَوْمِ لُوطٍ وَلَمْ يَقُلْ بِبَعِيدَةٍ وَلَا بِبَعِيدِينَ لِأَنَّ الْمُرَادَ، وَمَا إِهْلَاكَهُمْ بِبَعِيدٍ أَوْ لِأَنَّهُ يَسْتَوِي فِي مِثْلِهِ الْمَذْكُورُ وَالْمُؤَنَّثُ لِأَنَّهُ عَلَى زَنَةِ الْمَصَادِرِ كَالصَّهْلِ وَالشَّهْقِ ، «وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ» عَمَّا سَلَفَ ، «ثُمَّ تَوُوبُوا إِلَيْهِ» فِيمَا بَقِيَ مِنْ عَمَلِكُمْ ، «إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ» فَاعِلٌ بِالتَّائِبِينَ مَا يَفْعَلُ الْبَلِغُ الْمُوَدَّةَ بِمَنْ يُوَدُّهُ ، «قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ» قَالُوهُ عَلَى وَجْهِ الْاسْتَهَانَةِ كَمَا تَقُولُ لِمَنْ لَمْ تَعْبَأْ بِحَدِيثِهِ مَا

(١) يقال: خالفتني فلان إلى كذا إذا قصد وأنت مول عنه وخالفني عنه إذا ولى عنه وأنت

قاصده / ١٢ منه .

(٢) يقال: جرمته ذنبًا وكسبته إياه وجرم ذنبًا وكسبه / ١٢ منه .

أدري ما تقول، «وَأَنَا لَنَرَكَ فِينَا ضَعِيفًا»^(١) لأنه كان أعمى أو لأنه لا خـدم ولا
عسكر له، «وَلَوْلَا رَهْطُكَ» أي: عزهم فإنهم على ديننا والرهط من الثلاثة إلى
العشرة، «لَرَجَمْنَاكَ» قتلناك بأذل وجه، «وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ» يمنعنا عـرك عن
الرجم، «قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ» فإنكم تبقون عليّ لرهطي ولا
تبقون عليّ لله وأنا رسوله، «وَاتَّخَذْتُمُوهُ» أي: الله، «وَرَأَعَكُمْ ظَهْرِيًّا» جعلتموه
كالشيء الملقي وراء الظهر وهو منسوب إلى الظهر والكسر من تغيرات النسب
كالإمسيّ في الأمس، «إِنَّ رَبِّي»، أي: علمه، «بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ» فيجازي عليه ،
«وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَائَتِكُمْ»^(٢) أي: قارين على جهتكم التي أنتم عليها من
الشرك أو على تمكنكم من أمركم، «إِنِّي عَامِلٌ» ما أنا عليه، «سَوْفَ تَعْلَمُونَ»
استئناف كأنه قيل فماذا يكون بعد ذلك ؟ فقال: سوف تعلمون «مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ
يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ» أي: سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي
هو كاذب فإنهم أوعده وسموه كاذبًا ، أو من استفهامية منقطعة عن سوف تعلمون
أي: أينما يأتيه إلخ، «وَأَرْتَقِبُوا» انتظروا ما أقول لكم ، «إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ» منتظر ،

(١) ليس معنى الضعيف الأعمى حتى يلزم أن قوله فينا لا يناسبه؛ لأنه لا يقال أنت أعمى
فينا؛ بل معناه أنت فينا ضعيف لأنك أعمى وكلام بعض السلف نحمله على ما قلنا لا
على ما حمله الزمخشري فردّه تأمل / ١٢ منه.

عن سعيد بن جبیر قال كان أعمى وإنما عمى من بكائه من حب الله عز وجل وعن
شداد مرفوعاً بكى شعيب عليه السلام من حب الله حتى عمى أخرجه ابن عساکر/ ١٢
ف. [ضعيف جدًا، انظر الضعيفة ٩٩٨]

(٢) المكانة إما من المكان فاستعير العين للمعنى أو من مكن مكانة فهو مكن فيكون مصدرًا
وأشار الشارح إلى أنه حال/ ١٢ منه .

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا، ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ صاح بهم جبريل فهلكوا، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ﴾ ميتين، الجثوم: اللزوم في المكان، ﴿كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا﴾ لم يكونوا فيها، ﴿أَلَّا بُعْدًا لِّمَدِينٍ﴾ هلاكاً لهم، ﴿كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ﴾ فإن عذابهم أيضاً صيحة قيل: صيحة أهل مدين من فوق وصيحتهم من تحت ثم أعلم أن الصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة كلها لأهل مدين^(١).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ١١ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ ١٢ ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيُشَرُّ الْوَرْدَ الْمَوْرُودُ﴾ ١٣ ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَدْيِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُشَرُّ الْوَرْدَ الْمَرْفُودُ﴾ ١٤ ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ ١٥ ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ أَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ غَيْرَ تَتَّبِعِ﴾ ١٦ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفُرَىٰ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ١٧ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ ١٨ ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ ١٩ ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ ٢٠ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ ٢١ ﴿خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ

(١) فلا ينافي أنه أثبت لهم في بعض المواضع الصيحة وفي بعضها الرجفة وفي بعضها عذاب يوم الظلة/١٢ منه .

وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿٧﴾ * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا
فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ
عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا
كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوقُوهُمْ نَصِيْبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿٩﴾

«وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» التوراة أو المعجزات والحجج الواضحة
سيما العصى، «إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ فَاتَّبَعُوا» أي: الملائكة، «أَمْرَ فِرْعَوْنَ»: في الكفر
بموسى، «وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ» مرشد إلى الخير، «يَقْدُمُ»^(١) قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
أي: يتقدمهم إلى النار فهو في الدارين قدوتهم، «فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ» جاء بلفظ الماضي
مبالغة في تحقيقه، «وَبِئْسَ الْوِرْدُ» أي: المورد، «الْمُورُودُ» أي: الذي يردونه
والمخصوص بالذم، أي: النار نزل النار لهم منزلة الماء ثم قبحه؛ لأن الورد لتسكين
العطش وتبريد الأكباد والنار ضده والآية كالدليل على قوله: "وما أمر فرعون برشيد"،
«وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ» أي: الدنيا، «لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فإنهم ملعونون في الدارين،
«بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ» العون المعان أو العطاء المعطى والمخصوص بالذم محذوف، أي:
رفدهم وهو لعنة بعد لعنة، «ذَلِكَ»: النبأ، «مِنَ أَنْبَاءِ الْقُرَى»: المهلكة، «نَقْصُهُ
عَلَيْكَ» خبر بعد خبر، «مِنْهَا قَائِمٌ» بقيت آثاره كالحيطان، «وَحَصِيدٌ» أي: ومنها
عافي الأثر والجملة مستأنفة، «وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» فاستحقوا
العذاب، «فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ» ما دفعت عنهم، «آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
مِنْ شَيْءٍ» شيئاً من عذابه، «لَمَّا جَاءَ» حين جاء، «أَمْرُ رَبِّكَ» عذابه، «وَمَا
زَادُوهُمْ» أي: ما زاد الآلهة الظالمين، «غَيْرَ تَنْبِيءٍ» بلاء وتخسير، «وَكَذَلِكَ» مثل

(١) يقال: قدمه بمعنى تقدمه كما يقال قدم بالتشديد بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش/٢ منه.

ذلك الأخذ ، «أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ» أهل ، «الْقَرْىَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ» حال من القرى وعلى الحقيقة لأهلها، «إِنْ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ»^(١) وجميع صعب، «إِنْ فِي ذَلِكَ» أي: هلاك تلك الأمم أو الأنبياء بإهلاكهم، «لَايَةٌ»: عبرة، «لَمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ» فيجعلها أنموذجاً ودليلاً على صدق ما أعد الله تعالى للمجرمين، «ذَلِكَ» إشارة إلى ما دل عليه عذاب الآخرة، أي: يوم القيامة، «يَوْمَ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ» لأن يجازيهم، «وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ» فيه الخلائق البر والفاجر اتسع في الطرف بإجرائه مجرى المفعول به ، أو المراد بالمشهود الذى كثر شاهدوه، «وَمَا تُؤَخِّرُهُ» أي : اليوم ، «إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ» الأجل يطلق على مدة التأجيل وعلى منتهائها والعد للمدة لا لغايتها فتقديره إلا الانتهاء أجل معدود على حذف المضاف، «يَوْمَ يَأْتِ»^(٢) ذلك اليوم المعين على أن يوم بمعنى حين، «لَا تَكَلِّمُ»: لا تتكلم ، «نَفْسٌ» وهو الناصب للطرف، «إِلَّا بِإِذْنِهِ»: بإذن الله تعالى، وهذا في موقف ويوم لا ينطقون في موقف آخر، «فَمِنْهُمْ» الضمير لأهل الموقف دل عليه قوله لا تكلم نفس، «شَقِيٌّ وَ» منهم^(٣) «سَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ» الزفير إخراج النفس والشهيق رده،

(١) وفي الحديث: "أن الله سبحانه وتعالى يملأ الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" ثم قرأ "وكذلك أخذ ربك" الآية رواه البخاري ومسلم وغيرهما ولا تظن أن الآية حكمها مختص بظالمى الأمم الماضية؛ بل هو عام في كل ظالم ويعضده الحديث / ١٢ فتح .

(٢) قيل: ضمير يأت إلى الله نحو "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله" / ١٢ منه .

(٣) قد استدلل بهذه الآية على أن أهل الموقف قسمان لا ثالث لهما وظاهر الآية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم آخر مسكوت عنه وهو من استوت حسناته وسيئاته أو لا حسنات لهم ولا سيئات كالجنانين والأطفال فهم تحت مشيئته يحكم فيهم بما شاء وتخصيص القسمين لا ينفي القسم الثالث / ١٢ فتح .

أوالصوت الشديد والضعيف ، أو الزفير أول هيق الحمار والشهيق آخره إذا رده في جوفه ، «خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ^(١) السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ» ، أي: أبدا دائما لا ينقطع ،

(١) قوله تعالى: " خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك " وفي المناوي الكبير على الجامع الصغير ما نصه تنبيه ما ذكرته آنفاً أن من عذاب الكفار في جهنم دائم أبداً ما دلت عليه الآية والأخبار وأطبق عليه جمهور الأمة سلفاً وخلفاً، ووراء ذلك أقوال يجب تأويلها فمنها ما ذهب إليه الشيخ محي الدين ابن عربي أنهم يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بما لموافقته لطبيعتهم، فإن الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد، بل بالتجاوز، وقال: " فلا تحسن الله مخلف وعده رسله " (إبراهيم: ٤٧)، ولم يقل وعيده بل قال: " ونتجاوز عن سيئاتهم " (الأحقاف: ١٦) مع أنه توعد على ذلك وأثنى على إسماعيل بأنه كان صادق الوعد وقال في موضع آخر أن أهل النار إذا أدخلوها لا يزالون خائفين مترقبين أن يخرجوا منها فإذا أغلقت عليهم أبوابها اطمأنوا لأنها خلقت على وفق طباعهم ، قال الحافظ ابن القيم: وهذا في طرف أي جهة والمعتزلة القائلون بأنه يجب على الله تعذيب من توعده بالعذاب في طرف آخر فأولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أبداً و القولان مخالفان لما علم بالاضطرار أن الرسول جاء به وأحبر به عن الله، ومنهما قول جميع النار تفني فإنه تعالى جعل لها أمداً تنتهي إليه ثم يزول عذابها لهذه الآية ، وقوله تعالى: " لا يثنى فيه أحقاباً " (النبا: ٢٣) قال هؤلاء: وليس في القرآن دلالة على بقاء النار وعدم فنائها إنما الذي فيه أن الكفار خالدين فيها وأنهم غير خارجين منها وأنه لا يفتر عنهم عذابها وأنهم لا يموتون وأن عذابهم فيها مقيم وأنه غرام لازم وهذا لا نزاع فيه من الصحابة والتابعين، إنما النزاع في أمر آخر وهو أن النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يدخلون الجنة فلم يختلف فيه أحد من أهل السنة، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله القول بفنائها عن جمع من الصحابة والتابعين وقد نصر هذا القول ابن القيم كشيوخه ابن تيمية وهو مذهب متروك وقول مهجور لا يصار إليه ولا يعول عليه ، وقد أول ذلك كله الجمهور وأجابوا عن الآيات المذكورة بنحو عشرين وجهاً وعما نقل عن-

= أولئك الصحب بأن معناه ليس فيها أحد من عصاة المؤمنين أما مواضع الكفار فهي ممتلئة منهم لا يخرجون عنها أبداً كما ذكره الله في آيات كثيرة انتهى كلامه، قلت وبالله التوفيق: أخرج ابن المنذر عن عمر قال: لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج [موضع بالبادية بها رمل] لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه. وروى عبد بن حميد بإسناد رجاله ثقات عن عمر نحوه وأخرج ابن راهويه عن أبي هريرة قال: سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد وقرأ " فأما الذين شقوا " وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن إبراهيم قال: ما في القرآن آية أرجى لأهل النار من هذه الآية "خالدين فيها" إلخ، قال: وقال ابن مسعود: ليأتين عليه زمان تخفق أبوابها، وروى أحمد عن ابن عمرو بن العاص: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وحكاه البغوي وغيره عن أبي هريرة وغيره وأخرج ابن جرير عن الشعبي قال: جهنم أسرع الدارين عمراً وأسرعها خراباً، وعن قتادة قال : الله أعلم بشيئه على ما وقعت وقد روى عن جماعة من السلف مثل ما ذكره ابن مسعود وعمر وأبو هريرة كابن عباس وابن عمر وجابر وأبي سعيد من الصحابة وعن أبي مجلز وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما من التابعين وورد في ذلك حديث في معجم الطبراني الكبير عن أبي أمامة صدى بن عجلان الباهلي وإسناده ضعيف ، وقد ثبت بذلك صحة ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية عن هؤلاء وانتصره الحافظ ابن القيم ووضح وهن ما قاله ابن حجر والمنائي عليهما وإن كان لا شك في أن الراجح هو الأول ، ولقد تكلم صاحب الكشف في هذا الموضع بما كان له في تركه سعة وفي السكوت عنه غنى فقال: ولا يخذعنك قول المجبرة أن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار فإن الاستثناء الثاني ينادى على تكذيبهم ويسجل بافرائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن ابن عمرو وليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد ، ثم قال: وأقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بما علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث انتهى.

والعرب إذا أراد التأيد قال : دائم دوام السماوات والأرض، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾
استثناء من الخلود فإنه ليس لبعضهم وهم فساق الأمة خلود وهم الأشقياء من وجه^(١)
وهو المراد بالاستثناء الثاني^(٢) فإنهم ليسوا في الجنة مدة عذابهم والتأيد من مبدأ معين

= قال الشوكاني: وأقول أما الطعن على من قال بخروج أهل الكبائر من النار فالفائل بذلك
يا مسكين رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صح عنه في دواوين الإسلام التي هي
دفاتر السنة المطهرة ، وكما صح عنه في غيرها من طريق جماعة من الصحابة يبلغون
عدد التواتر فما لك والطعن على قوم ما عرفوا ما جهلته وعملوا بما أنت عنه في مسافة
بعيدة ، وأي مانع من حمل الاستثناء على هذا الذي جاءت به الأدلة الصحيحة الكثيرة
كما ذهب إلى ذلك، وقال به جمهور العلماء من السلف والخلف ، وأما ما ظنته من أن
الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم فلا مناداة ولا مخالفة ، وأي مانع
من حمل الاستثناء في الموضعين على العصاة من هذه الأمة فالاستثناء الأول يحمل على
معنى (إلا ما شاء ربك) من خروج العصاة من هذه الأمة من النار ، والاستثناء الثاني
يحمل على معنى إلا ما شاء ربك من عدم خلودهم في الجنة كما يخلد غيرهم وذلك
لتأخر دخولهم إليها مقدار المدة التي لبثوا فيها في النار، وقد قال بهذا من أهل العلم من
قدمنا ذكره وبه قال ابن عباس حبر الأمة ، وأما الطعن على صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحافظ سنته وعابد الصحابة عبد الله بن عمر رضي الله عنه فإلي أين يا
محمود أتدري ما صنعت وفي أي واد وقعت وعلى أي جنب سقطت ومن أنت حتى
تصعد إلى هذا المكان وتتناول نجوم السماء بيدك القصيرة ورجلك العرجاء أما كان لك
في مكسري طلبتك من أهل النحو واللغة ما يردك عن الدخول فيما لا تعرف والتكلم
بما لا تدري فيا الله العجب ما يفعل القصور في علم الرواية والبعد عن معرفتها إلى أبعد
مكان من الفضيحة لمن لم يعرف قدر نفسه ولا أوقفها حيث أوقفها الله سبحانه / ١٢
فتح البيان.

(١) والسعداء من وجه، لأنهم أشقياء لعصيانهم سعداء بإيمانهم / ١٢ .

(٢) أي: في قوله: "وأما الذين سعدوا" إلخ / ١٢ .

كما ينتقص من الانتهاء ينتقص من الابتداء وهو المنقول عن كثير من السلف^(١) أو هو كقولك : والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك مع أن عزيمتك على ضربه فعلى هذا الاستثناء في الموضعين لبيان أنه لو أراد عدم خلودهم لقدر لا أنه واجب عليه ويؤيده قوله : " إن ربك فعال لما يريد " أو هو من باب " حتى يلج الجمل في سم^(٢) الخياط " (الأعراف: ٤٠)، " ولا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى " (الدخان: ٥٦) على إحدى التأويلات أو المستثنى توقفهم في الموقف أو مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ أو الاستثناء لخروج الكل من النار إلى الزمهرير ومن الجنة إلى المراتب والمنازل^(٣) الأرفع ، **«إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ»** حاكم غير محكوم.

«وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ» قيل المراد منهما سماوات الآخرة وأرضها وهما مؤبدان ، **«إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ»** والأحسن عندي في الاستثنائين قول قتادة والله أعلم بشيأه اعترف رضي الله عنه بالعجز عن الفهم وأحال العلم على الله تعالى^(٤) ، **«عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ»** غير مقطوع ونصبه على الحلل أو المصدر المؤكد صرح في الجنة بأنها غير مقطوع لثلاث يتوهم متوهم بعد ذكر المشيئة أن ثمة انقطاعاً ولم يذكر في شق النار ، **«فَلَا تَكُ^(٥) فِي مِرْيَةٍ** شك ، **«مَّمَّا يَعْبُدُ**

(١) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن وهو قول الضحاك وفتادة وغيرهما/١٢ منه.

(٢) كأنه قال هم مخلدون في الجنة أو النار إلا أن يشاء الله خروجهم ومشية الله منتف بموجب وعده فخرجهم محال هذا ما في المنهية ، وفي الوجيز بعد نقل هذا القول ولذلك قال: (إن

ربك فعال لما يريد) هذا و باقي التوجيهات تمحلات علمتها إن تأملت/١٢.

(٣) وفيه محل ؛ لأن المنازل الأرفع ليست بخارجة من الجنة / ١٢ وجيز .

(٤) وعندي أن القول ما قالت حذام / ١٢ وجيز .

(٥) ولما ذكر قصص عبدة الأوثان وأتبع ذلك بذكر أحوالهم وأحوال الموحدين السعداء أراد

أن يبين أن عبادة غير الله تقليد وجهل فقال : " فلا تك " الآية / ١٢ وجيز .

هَؤُلَاءِ» من عبادة المشركين في أنها ضلال تؤدي إلى مثل ما حل بمن قبلهم، «مَا يَعْبُدُونَ» عبادة، «إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ» إلا كعبادتهم^(١)، «مَنْ قَبْلُ» استئناف^(٢) أي: هم وآباؤهم سواء لا مستند لهم في الشرك وتقديره: كما كان يعبد وحذف كل دلالة قبل عليه، «وَإِنَّا لَمُوقِفُوهُمْ نَصِيْبُهُمْ» حظهم من الجزاء، «غَيْرَ مَنْقُوصٍ» حال مقيدة^(٣) فإنه يقال وفيته نصيبه منصفاً^(٤).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١﴾ وَإِنْ كُلًّا لَّمَّا لَيُوقِنَنَّ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٤﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرُكَ لِلذَّكْرَيْنِ ﴿٥﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَهَجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٧﴾ وَمَا

(١) على ما فسرنا يكون ما في كما مصدرية وجاز أن يكون موصولة، أي: ما يعبدون شيئاً إلا مثل ما عبده من الأوثان / ١٢ منه.

(٢) يعني ما يعبدون استئناف / ١٢ .

(٣) فيه إشارة إلى أنه حال مقيدة لا مؤكدة ، والحق ما قاله الزمخشري لا ما قاله صاحب الانتصاف / ١٢ منه .

(٤) معناه أعطيت النصف كاملاً من غير نقص في النصفية / ١٢ .

كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿٢٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٢٩﴾ وَكَلَّا نَقْصُصُ عَلَيْكَ مِّنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿٣١﴾ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿٣٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

﴿و﴾^(١) لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ بأن آمن به بعض وكفر به بعض كمل
اختلف في القرآن، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عن قومك،
﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ لفرغ من جزائهم، ﴿وَأَنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من القرآن، ﴿مُرِيبٍ﴾
موقع للريبة، ﴿وَإِن كَلَّا﴾ جميع المختلفين من المؤمنين والكافرين وإن مع أنه مخففة
عمل باعتبار الأصل والتنوين عوض عن المضاف إليه، ﴿لَمَّا﴾ ما زائدة للفصل بين لام
الموطئة للقسم ولام التأكيد ومن قرأ بالتشديد فأصله لمن ما فقلت النون ميمًا للإدغام
فحذفت أولى الميمات الثلاث، ﴿لَيُوفَيْنَهُم رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: إن جميعهم والله
ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم أو لمن الذين يوفينهم إلخ، ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^(٢)

(١) ولما ذكر في هذه الآية إعراض قومه عن الاتباع ما أتى به من الآيات سلاه بأخيه موسى عليه السلام فقال: "ولقد آتينا موسى الآية / ١٢ وحيز .

(٢) لما بين أمر المختلفين وعدم استقامتهم أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين معه بالاستقامة كأنه قال إن لم يستقيموا هم فاستقيموا أتم فقال: "فاستقم" الآية/ ١٢ وحيز ومنه.

خَيْرٍ فَاسْتَقِمْ» استقامة^(١)، «كَمَا أُمِرْتَ» أي: مثل الاستقامة التي أمرت بها على دين ربك والدعاء إليه، «وَمَنْ تَابَ» عن الكفر وآمن، «مَعَكَ» عطف على ضمير استقم، «وَلَا تَطْغَوْا» لا تخرجوا عن حدود الله، «إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلَا تَرْكَبُوا»، لا تميلوا^(٢) أدنى ميل، «إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» بأن تعظموهم وتستعينوا بهم، «فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ» بركونكم إليهم؛ بل استقيموا كما أمرت ولا تميلوا إلى جانب، «وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ» أعوان يمنعونكم من عذابه والواو للحال، «ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ» لا تجدون من ينصركم أو لا ينصركم الله إذ سبق في حكمه أن لا يرحم على من ركن وثم لاستبعاد نصره إليهم وقد أوعدهم بالعذاب عليه، «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ» أحد طرفيها الصبح والآخر إما العصر أو الظهر والعصر، «وَزُلْفَى» ساعات، «مِّنْ

(١) إشارة إلى أن كما مرت صفة مصدر محذوف/ ١٢ .

(٢) قال البغوي : قال ابن عباس رضي الله عنه: ولا تميلوا، والركون هو المحبة والميل بالقلب، وقال أبو العالية: لا ترضوا بأعمالهم، قال السدي: لا تداهنوا الظلمة، وعن عكرمة لا تطيعوهم وقال الرازي: قال المحققون: الركون المنهى عنه هو الرضاء بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين تلك الطريقة وتزيينها عندهم، وعند غيرهم مشاركتهم في شيء من تلك الأبواب فأما مداخلتهم لدفع ضرر واجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل في الركون، وفي النيسابوري بعد نقل هذا القول وأقول: هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم بالكلية أليس الله بكاف عبده؟ انتهى، وما أحسن ما قال أبو السعود: وإذا كان حال الميل في الجملة إلى من وجد منه ظلم ما في الإفضاء إلى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل إلى الراسخين في الظلم والعدوان ميلاً عظيماً ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي شرائره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويتسهج بالتزني يزيمهم ويعد عينيه إلى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما أوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوض خفيف بمعزل عن أن تميل إليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب / ١٢ .

اللَّيْلِ» قرية من النهار العشاء أو المغرب والعشاء قيل: هذا قبل وجوب صلوات الخمس فإنه كان يجب صلاتان صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها وفي أثناء الليل قيام عليه وعلى أمته ثم نسخ، «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ» وفي الحديث^(١): (إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحوها نزلت^(٢)) في رجل أصاب من امرأة ما دون الجماع فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره فترل "أقم الصلاة" الخ فقال الرجل: ألي هذا؟ قال: لأمتي كلهم) «ذَلِكَ» إشارة إلى استقم فما بعده، «ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ» عظة للمتعبين، «وَأَصْبِرْ» على حكم الله، «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ»^(٣) وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - المحسنين أي: المصلين، «فَلَوْلَا» فهلا، «كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ»^(٤) يقال: فلان من بقية القوم، أي: من خيارهم، أي: هلا كان منهم من فيه خير ينهى عن الفساد؟ وهذا تحريض لأمة محمد عليه الصلاة والسلام كما قال: "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير" الآية (آل عمران: ١٠٤)، «يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ» من في من للبيان، أي: لكن قليلاً منهم^(٥) أنجيناهم لأنهم كانوا كذلك وجاز أن يكون

(١) رواه الترمذي وغيره / ١٢. [صحيح، وانظر صحيح الجامع]

(٢) كما في الصحيحين وغيرهما / ١٢ وحيز .

(٣) ولما أمر بالاستقامة وإقامة الصلاة ونهى عن الطغيان والميل إلى الظلمة وبين فائدة الحسنات أراد حض الأمة على النهي عن الفساد ليكون خير أمة أخرجت للناس فقال: "فلولا" الآية / ١٢ وحيز .

(٤) لما بين أن الأمم المتقدمين حل بهم عذاب الاستتصال بين أن السبب فيه أمران ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والترفة، أي: لم تهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتبعوا طلب الشهوات واللذات واشتغلوا بتحصيل الرياسات / ١٢ كبير .

(٥) قدمنا وجه الأول وهو أن الاستثناء منقطع لأنه إذا كان متصلاً فالمختار الرفع / ١٢ منه .

الاستثناء متصلاً لأن التخصيص ملزوم للنفي، أي: ما كان فيهم أولو بقية كذا إلا قليلاً وهم من أنجيناهم ، «وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا» عطف على ما دل عليه الكلام، أي: لم ينهوا عن الفساد واتبعوا، «مَا أَثْرَفُوا» نعموا ، «فِيهِ» من الشهوات بتحصيل أسبابها فأعرضوا عن الآخرة، «وَكَانُوا مُجْرِمِينَ»: كافرين، وهذا سبب استئصالهم وإهلاكهم فلا بد من الحذر عن مثل ما هم كانوا عليه، «وَمَا كَانَ رَبُّكَ» ما صح وما استقام له ، «لِيَهْلِكَ الْقَرَىٰ بِظُلْمٍ»: بشرك ، «وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ» أي: لا يهلكهم بمجرد الشرك إذا لم يضموا إلى شركهم فساداً أو ظلماً فيما بينهم؛ بل يترل عليهم العذاب إذا أفسدوا وظلموا^(١) بعضهم بعضاً أو لا يهلكهم بظلم^(٢) منه وهم مصلحون لأعمالهم فإنه سبحانه حرم الظلم على نفسه وجعله بينكم محرماً " وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم " (هود: ١٠) وهذا توجيه وجيه لا اعتزال فيه، «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً» مسلمين كلهم ، «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» في الأديان والاعتقادات ، «إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ» وهم أتباع الرسل تمسكوا بما أمروا به، «وَلِذَلِكَ» أي: للرحمة^(٣) أو للاختلاف^(٤) أو لهما^(٥)، «خَلَقَهُمُ» الضمير لمن على الأول وللناس على الآخرين، «وَكَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ» قضاؤه وقدره، «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ»: من عصائهما، «أَجْمَعِينَ» أو منهما أجمعين لا من أحدهما، «وَكُلًّا» التنوين عوض،

(١) كما نُقِلَ الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم / ١٢ وجيز.

(٢) على هذا التوجيه بظلم حال من الفاعل / ١٢ منه .

(٣) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك قال البغوي بعد نقل هذا القول: يعني الذين رحمهم / ١٢ .

(٤) قاله الحسن وعطاء / ١٢

(٥) قوله أو لهما يعني خلق أهل الرحمة للرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف وحاصل الآية أن أهل الباطل مختلفون وأهل الحق متفقون فخلق الله أهل الحق للاتفاق وأهل الباطل للاختلاف / ١٢ معالم .

أي: كل نبأ، «نَقْصٌ عَلَيْكَ» وقوله: «مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ» بيان لكلا أو صفة لنبأه المحذوف ومن للتبعية، «مَا تُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ» بدل بعض من كلا أو مفعول نقص، وكلا مفعول مطلق حيثذ، أي: كل نوع من أنواع الاختصاص نقص عليك وتثبيت فؤاده زيادة يقينه واحتمال الأذى، «وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ» السورة، «الْحَقُّ» خص هذه السورة تشريفاً وإن كان قد جاءه الحق في جميع السور أو جاءك في هذه الدنيا الحق «وَمَوْعِظَةً وَذِكْرَى» جاءتك فيها، «لِلْمُؤْمِنِينَ» أي: عمت فائدة تلك السورة لك ولأمتك، «وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ااعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ»: على طريقتكم تهديد شديد، «إِنَّا عَامِلُونَ»: على حالنا، «وَانْتَظِرُوا» بنا الدوائر، «إِنَّا مُنْتَظِرُونَ» أن يقول بكم مثل ما نزل على أمثالكم أو انتظروا ما يعدكم الشيطان إنا منتظرون ما يعدنا ربنا، «وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» لا يخفى عليه خافية، «وَالِيهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ» في المعاد ويمكن أن يكون معناه كل الأمور راجعة إلى خلقه وقدرته فهو الفاعل على الحقيقة للأشياء، «فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ^(١)» فيجازي كلاً ما يستحقه.

والحمد لله وحده ..

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله لقد أسرع إليك الشيب فقال - صلى الله عليه وسلم - : (شيبني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت) أخرجه الطبراني والترمذي وحسنه، وعن أنس مرفوعاً [صحيح، وراجع الصحيحة]، و"هل أتاك حديث الغاشية" رواه البزار وعن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقرأوا هود يوم الجمعة) أخرجه الدارمي وأبو داود والبيهقي وغيرهم/١٢ فتح . [وسنده ضعيف، وصنيعه يوهم أن أبا داود أخرجه في سننه، وليس كذلك، وإنما أخرجه في مراسيله]

سورة يوسف مكية

وهي مائة وأحدى عشرة آية واثناعشر ركوعاً

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرَّتِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَىٰ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ ءَالٍ يَعْقُوبُ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾

﴿الرَّتِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات السورة ، ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ :
الواضح الجلي ، أو المفصح عن الأشياء المبهمة ، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أى : الكتاب ،
﴿قُرْآنًا﴾^(١) ، حال ، فإنه مصدر بمعنى مفعول ، ﴿عَرَبِيًّا﴾^(٢) صفة له ، أو حال^(٣) ،

(١) القرآن اسم جنس يقع على الكل وعلى البعض / ١٢ منه .

(٢) أخرج الحاكم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلى قرآنًا عربيًا ثم قال :
ألهم إسماعيل هذا اللسان العربي إلهامًا / ١٢ فتوح . [المستدرک (٢/ ٤٣٩) وصححه على

شرط الشيخين ، وتعقبه الذهبي بأن فيه إبراهيم بن إسحاق ، كان يسرق الحديث.]

(٣) من الضمير الذي في قرآنًا أو حال بعد حال / ١٢ منه .

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي : أنزلناه بلغتكم كي تفهموا معانيه ، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ ^(١) مصدر بمعنى الاقتصاد ، وأحسنيته في كونه بالغة في الفصاحة ، فيكون مفعولاً مطلقاً ، والمقصود محذوف ، أو فعل بمعنى مفعول ، وأحسنيته لما فيه من النكت والحكم والعجائب ، فيكون مفعولاً به ، ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا﴾ : بإيحائنا ، ﴿إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ أي : السورة ، وهو إما مفعول الإيحاء ، أو مفعول نقص على الوجه الأول ، ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ﴾ : عن هذه القصة ، لا تعلمها ، وإن هي المخففة ، ﴿إِذْ قَالَ﴾ بتقدير اذكر ، أو بدل اشتمال من أحسن القصص على تقدير مفعوليته ، ﴿يُوسُفُ﴾ ^(٢) لَأَبِيهِ يَا أَبَتِ ﴿تَاءِ التَّانِيثِ عوض عن الياء ، ومن يفتح التاء ، فلأنه كان يا أبنا ، فحذفت الألف ، ﴿إِنِّي﴾ ^(٣) رَأَيْتُ ﴿: من الرؤيا ، ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ ^(٤)

(١) لما فيه من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها فإن إحدى الفوائد: التي في هذه القصة أنه لا دافع لقضاء الله تعالى ولا مانع من قدر الله تعالى ، وأنه تعالى إذا قضى للإنسان بخير ومكرمة فلو أن أهل العالم اجتمعوا عليه لم يقدروا على دفعه والفائدة الثانية: دلالتها على أن الحسد سبب للخذلان والنقصان والفائدة الثالثة: أن الصبر مفتاح الفرج كما أن يعقوب ويوسف فازا بصبرهما / ١٣ كبير .

(٢) ويوسف اسم عبري ، ولذلك لا يجرى عليه الصرف ، وقيل عربي ، وسئل أبو الحسن عن يوسف فقال: الأسف في اللغة الحزن ، والأسيف: العبد ، واجتمعا في يوسف عليه السلام فسمى به / ١٢ معالم .

(٣) وكان يوسف عليه السلام ابن اثنتي عشرة سنة حين رأى هذه الرؤيا / ١٢ معالم .

(٤) ساهما باسمهما كأههما ليسا من جنس الكواكب ولم يقل ثلاثة عشر / ١٢ منه .

رَأَيْتُهُمْ^(١) لِي سَاجِدِينَ^(٢) استئناف^(٣) ، كأنه قيل : كيف رأيتهم ؟ فقال : رأيتهم لى ساجدين ، وأجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم ، وساجدين حال ، ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ﴾ التصغير للشفقة ، ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ : يخالون لإهلاكك حيلة ، حسداً منهم ، فإنهم يعلمون تأويلها ، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ فيحملهم على الكيد ، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ، كما اجتنبك هذه الرؤيا العظيمة ، ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ : يصطفيك ، ﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ كلام برأسه غير داخل في التشبيه ، ﴿مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ، وقيل : تأويل آيات كتب الله - تعالى ، ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ : بالنبوة ، ﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ أراد سائر أولاده ، ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ : من قبل هذا الوقت ، ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ عطف بيان لأبويك ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ : عن يستحق النبوة ، ﴿حَكِيمٌ﴾ : في أفعاله .

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِلْسَّالِينَ﴾ ٢٧ ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ٢٨ ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ ٢٩ ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهَا بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ٣٠ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصِحُونَ﴾ ٣١ ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ ٣٢ ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ

(١) وكان النجوم في التأويل إخوته وكانوا أحد عشر رجلاً يستضاء بهم كما يستضاء

بالنجوم ، والشمس أبوه والقمر أمه قاله قتادة . وقال السدى : القمر خالته لأن أمه

راحيل كانت قد ماتت / ١٢ معالم .

(٢) فلا يكون في رأيت تكرار / ١٢ .

تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّقْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١١﴾ قَالُوا لَنْ أَكُلَهُ
الذِّقْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لُخْسِرُونَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ
يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٣﴾ وَجَاءَ آبَاَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا
يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكُلَهُ الذِّقْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٥﴾
وَجَاءَ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٦﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى
دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾
وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿١٨﴾
﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾: في قصتهم ، ﴿آيَاتٌ﴾: عظة وعبرة ،
﴿لِلنَّاسِ لَئِنْ﴾^(١): عنها المستخبرين ، فإنه خبر عجيب يستحق الإخبار عنه ، وقيل :
اليهود سألوه ومن آياته وضوح دلالاته على صدق محمد — عليه السلام — فإنه موافق
لما في التوراة ، ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ﴾ اللام للابتداء ، ﴿وَأَخُوهُ﴾ أي : من الأبوين ،
﴿أَحَبُّ﴾ يستوي في أفعل ، من الواحد والجمع ، ﴿إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ﴾ الواو
للحال ، ﴿عُصْبَةٌ﴾ جماعة أقوياء ، أليق بالحب ، ﴿إِنْ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾
لتفضيل المفضل أي : ضلال دنيوي، ولا يجب عصمة الأنبياء عن ذلك^(٢) الضلال ،

(١) روى أن علماء اليهود قالوا للكبراء المشركين : سلوا محمداً لم انتقل آل يعقسوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف فترلت السورة / ١٢ منه .

(٢) فلا يكون ذلك الإطلاق كفراً منهم ، نعم يكون سوء أدب وقول حرام / ١٢

ولا شك أن إخوته ليسوا في ذلك^(١) الحين أنبياء ، قال بعضهم : لم يقم دليل على أنهم صاروا أنبياء ، «**اقْتُلُوا يُوسُفَ**» من جملة المحكي ، «**أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا**» بعيدة منكورة ، وهو معنى تنكيرها ، وإلهاهما نصبت نصب الظروف المبهمة ، «**يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ**» جواب الأمر ، يخلص لكم وجهه عن إقباله بيوسف ، فيقبل بكليته عليكم ، «**وَتَكُونُوا**» عطف على يخل ، «**مِنْ بَعْدِهِ**» : بعد يوسف ، «**قَوْمًا صَالِحِينَ**» : تائبين أو يصلح أمركم فيما بينكم وبين أبيكم ، «**قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ**» هو يهوذا ، أو روبييل ، أو شمعون ، «**لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ**» : في قعر^(٢) البئر قيل : هو بئر بيت المقدس ، «**يَلْتَقِطُهُ**» : يأخذه ، «**بِغَضِ السَّيَّارَةِ**» : المسافرين ، «**إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**» : عازمين على أن تفعلوا به شيئاً ، كأنه لم يرض بإضراره ، «**قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ**» أي : لم تخافنا عليه ، ونحن مشفقون عليه يريدون له الخير «**أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا**» : إلى الصحراء ، «**يَرْتَع**» : الرتع الاتساع في الملاذ ، «**وَيَلْعَبُ**» : بالاستيقاق^(٣) ، «**وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**» : من أن يناله ضرر ، «**قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ**» : لشدة مفارقه على ، «**وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ**» : فإن أرضهم كانت مذابة ، «**وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**» : مشغولون بلبعكم ، «**قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ**» : اللام موطئة للقسم ، «**وَنَحْنُ عُصْبَةٌ**» : جماعة أقوياء والواو للحال ، «**إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ**» : ضعفاء عاجزون وهو جواب القسم ، «**فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا**» : اتفقوا ، «**أَنْ يَجْعَلُوهُ**

(١) فلا يجب عصمتهم ولا يشكل بقصدهم إهلاك أخيه / ١٢ منه .

(٢) قيل : بئر على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب أو بئر بين مصر ومدين أو بأرض أردن /

١٢ منه .

(٣) بدليل قوله : "ذهبنا نستيق" / ١٢ منه .

فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ ﴿١﴾ وجواب لما محذوف ، أي : فعلوا به ما فعلوا ، ﴿وَأَوْحَيْنَا^(١) إِلَيْهِ^(٢) لَنُتَبِّنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ ، لتخبرن إخوانك بصنيعهم هذا ، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ :
 بوحى الله وإعلامه إياه ذلك ، أو هم لا يعرفونك حين تخبرهم ، كما قال تعالى : " فعرّفهم وهم له منكرون " ، ﴿وَجَاعُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَنْكُونَ﴾ ، العشاء: آخر النهار ،
 ويكون حال ، ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ : تتسابق في الرمي أو العدو ،
 ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ : بمصدق ، ﴿لَنَا﴾ :
 في هذه القصة ، ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ : عندك في القضايا لسوء ظنك بنا ، ﴿وَجَاعُوا
 عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ ، وصف بالمصدر مبالغة ، كأنه نفس الكذب ، وعلى قميصه
 حال من دم ، وجاز تقدمه على صاحبه ، لأنه ظرف ، أو محله النصب على الظرف ،
 أي : فوق قميصه ، كما تقول : جاء على جماله بأحمال ، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ :

(١) أى إلى يوسف تبشيراً له وتأنيساً لوحشته مع كونه صغيراً اجتمع على إنزال الضرر به
 عشرة رجال من إخوانه بقلوب غليظة قد نزعت عنها الرحمة وسلبت منها الرأفة فإن
 الطبع البشرى — دع عنك الدين — يتجاوز عن ذنب الصغير ويغفره لضعفه عن الدفع
 وعجزه عن أيسر شيء يراد منه ، فكيف بصغير لا ذنب له ، بل كيف بصغير هو أخ
 وله ولهم أب مثل يعقوب ، فلقد أبعد من قال إنهم كانوا أنبياء في ذلك الوقت فما
 هكذا عمل الأنبياء ولا فعل الصالحين ، وفي هذا دليل على أنه يجوز أن يوحى الله إلى
 من كان صغيراً ويعطيه النبوة حيثئذ كما وقع في عيسى ويحيى بن زكريا ، وقيل : معنى
 الوحي هنا الإلهام كقوله تعالى " وأوحى ربك إلى النحل " (النحل: ٦٨) ، " وأوحينا إلى
 أم موسى " (القصص: ٧) ، والأول أولى وقد قيل : إنه كان في ذلك الوقت قد بلغ مبلغ
 الرجال وهو بعيد جداً فإن من كان قد بلغ مبالغهم لا يخاف عليه أن يأكله الذئب / ١٢
 فتوح .

(٢) لوحشته في الحب وشدة فيه / ١٢ وجيز .

سهلت، ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾: عظيماً، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: أجمل، أو فأمرى^(١)
صبر جميل، ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾، أي: على احتمال ما تصفون من
هلاك يوسف، وقد نقل أنهم ذبحوا سخلة ولطخوا ثوبه بدمها فلما^(٢) جاعوا بثوبه،
قال يعقوب: ما رأيت كاليوم ذنباً أحلم من هذا، أكل ابني، ولم يمزق عليه قميصه^(٣)،
﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: مسافرون، ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾، وهو الذى يطلب لهم الماء،
﴿فَادْلَى﴾: أرسل، ﴿دَلْوَهُ﴾، في الحب فتدلى بها يوسف فلما رآه، ﴿قَالَ يَا
بُشْرَى﴾: نادى البشرى: كأنه يقول: تعالى فهذا من أونتك، قال بعضهم: بشرى
اسم صاحب له ناداه^(٤)، ﴿هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ﴾: أخفى الواردون أمره من بقية
السيارة، ﴿بِضَاعَةٍ﴾، حال، أي متاعاً للتجارة، قالوا: هو بضاعة لنا من أهل هذا
الماء، أو ضمير الجمع لإخوة^(٥) يوسف أى كتموا أنه أخوهم، وباعوه، فإنهم يستخبرون
كل يوم منه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: بيوسف، ﴿وَشَرَوْهُ﴾: باعه الواردون أو
إخوته، ﴿بِثَمَنِ بَخْسٍ﴾: زيف^(٦) أو قليل، ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾: قليلة، بدل من الثمن،
والدراهم عشرون أو اثنان وعشرون أو أربعون، ﴿وَكَانُوا﴾، أي: إخوته، ﴿فِيهِ﴾:

(١) يعنى فصبر جميل إما مبتدأ محذوف الخبر أو خبر مبتدأ محذوف / ١٢

(٢) فأخذ يعقوب بثوبه ولطخ به وجهه وبكى ثم تأمل وقال: ما رأيت إلخ / ١٢ وجيز .

(٣) ثم قال: "بل سولت" / إلخ ١٢ .

(٤) قيل تعلقه بالحبل وإخراجه من الحب دال على صغر سنه ، و غلام يرجح هذا المعنى ،

لأنه ابن سبعة عشر / ١٢ .

(٥) قاله ابن عباس قيل: إن يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام ، فأثاه يومئذ فلم يجده فيها

فأخبر إخوته فجاءوا إلى السيارة ووجدوه عندهم فقالوا: هذا عبدنا أبق منا فاشتروه

وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه / ١٢ منه .

(٦) ناقص العيار / ١٢ .

في يوسف ، ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ : من الراغبين عنه أو كان السواردون زاهدين في يوسف فهم الذين باعوا بثمان بخس ، لأنه ملقظ وهم خائفون من انتزاعه فاستعجلوا في بيعه فيكونوا راغبين عنه وفيه متعلق بمحذوف بينه من الزاهدين ، لأن ما بعد الجار والموصول لا يعمل فيما^(١) قبله .

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٥١﴾ وَرَاودَتْهُ أَلَّتْيَ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٥٣﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِيَّ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٥٥﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٥٧﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٥٨﴾﴾ *

(١) وجوز صاحب البحر تعليقه بالزاهدين وقال: في الظرف اتساع/ ١٢ وجيز .

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ وهو العزيز^(١) الذي كان على خزائن مصر ،
﴿لَا مِرَاتِهِ﴾: راعيل أو زليخا ، ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾: منزله ، أي : أحسن تعهده ،
﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾: يكفينا أمورنا أو نبيعه بالريح ، ﴿أَوْ نَتَّخِذْهُ وَلَدًا﴾ وكان
عقيماً ، ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي : مكناه في مصر ، وجعلناه
ملكاً ، مثل ما أنجينا وعطفنا عليه العزيز ، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ﴾ ، عطف على مقدر أي: مكن
لمصالح ولنعلمه ، ﴿مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا وقيل: معاني كتب الله تعالى ،
﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾: يفعل ما يشاء لا يغلبه شيء قيل : الضمير ليوسف أي
أراد إخوته شيئاً والله أراد شيئاً آخر ولا راد لما أراد ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ﴾: إن الأمر كله بيده، والمراد منه الكفار أو لا يعلمون لطائف تدبيره ،
فالمراد منه أعم ، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: استكمل خلقه وتم كان سنه حينئذ ثلاثة
وثلاثين أو بضعا وثلاثين أو عشرين أو أربعين أو هو الحلم وقيل غير ذلك ، ﴿آتَيْنَاهُ
حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: نبوة وفقها في الدين ، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: فإنه محسن
في عمله صابر على النوائب ، ﴿وَرَأَوْنَاهُ الْتِي هُوَ فِي بَيْتِهِ عَنْ نَفْسِهِ﴾: طلبت^(٢)
منه أن يواقعها ، ﴿وَوَعَلَّتِ الْأَبْوَابُ﴾ وكانت سبعة ، ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾: أقبل
وبادر اسم فعل واللام للتبيين كما في سقيالك ، ﴿قَالَ﴾: يوسف ، ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾:

(١) والملك غيره / ١٢ .

(٢) من راد يرود إذا جاء وذهب والمراودة منازعة في الرود بأن يكون له مقصداً محيئاً وذهاباً
ومعنى المفاعلة هاهنا إما المبالغة في رودها أو الدلالة على اختلافهما فيه وكفى ، عن
المخادعة لأجل النكاح ولأجل ذلك عداه بعن كأنه قال: وخادعته عن نفسه ولم
يصرح باسمها سترأ على الحرم والعرب يضيف البيوت للنساء فيقال: ربة البيت ،
وصاحبة البيت / ١٢ وحيز .

أعوذ بالله معاذًا ﴿إِنَّهُ﴾، أي : الشأن ، ﴿رَبِّي﴾: سيدي الذي اشتري ، ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾: أكرمني فلا أخونه وقيل إن الله ربى أحسن منزلتي فلا أعصيه ، ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ﴾: المجازون الحسن بالسيئ أو لا يسعد الزناة ، ﴿وَلَقَدْ هَمَمْتُ﴾^(١) به: قصدت مخالطته ، ﴿وَهُمَّ بِهَا﴾: قصد مخالطتها لميل الطبع والشهوة الغير الاختيارى ، ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ جوابه^(٢) محذوف أى لخاطبتها وما ذكره أكثر السلف هو أن رأى صورة أبيه عاضًا على أصبعه^(٣) يعظه ، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل

(١) نقل محيي السنة عن بعض أهل الحقائق أن الهم همان هم ثابت وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضى مثل هم امرأة العزيز فالعبد مأخوذ به ، وهم غير ثابت وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير مأخوذ به / ١٢ منه / .
عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : " إذا تحدث عبدى بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها ما لم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها سيئة / ١٢ معالم . [أخرجه البخاري في "الرقاق" (٦٤٩١) ، ومسلم في "الإيمان" ، (١/٣٣٥)]

(٢) قال صاحب البحر ونعم ما قال: أن جواب لولا هو هو عين المقدم أو دل عليه المقدم وليس في كلام العرب ولا في قواعد النحو ما بينا في ذلك نحو فارقت لولا أن عصمك الله معناه لولا العصمة لفارقت فتقديره هنا لولا أن رأى برهان ربه لهم لكن ما هم لرؤية برهان ربه فمن يجوز تقديم الجواب فقوله هم بما نفس الجواب ومن لم يجوز فمحذوف دال عليه المقدم نحو "إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها" (القصص: ١٠) ، هذا هو الكلام ولم يصح من أقوال السلف شيء دال على همه عليه السلام / ١٢ وحيز .

(٣) قال في الفتح بعد ما ذكر الاختلاف: والحاصل أنه رأى شيئاً حال بينه وبين ما هم به والله أعلم بما هو وقد أطل المفسرون في تعيين البرهان الذى رآه بلا دليل يدل عليه من السنة المطهرة / ١٢ . [لم يثبت في ذلك شيء يشتغل به]

ذلك الثبوت ثبتناه ، ﴿لَتَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ : خيانة صاحبه ، ﴿وَأَلْفَحْشَاءَ﴾ : الزنا ،
﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ، من الذين اخلصهم الله تعالى لعبادته ، ﴿وَأَسْتَبَقَا
الْبَابَ﴾ فيه تضمير الابتدار ولذلك عدى بنفسه أو تسابقا إليه بحذف إلى ، ﴿وَقَدَّتْ﴾
: شقت ، ﴿قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ : من خلف ، وذلك لأنه فر منها وأسرعت وراءه
واجتذبت ثوبه لتمنعه الخروج فانقد ، ﴿وَأَلْفَيَا﴾ : صادفا ، ﴿سَيِّدَهَا﴾ : زوجها ،
﴿لَدَا الْبَابِ﴾ فأحضرت كيدها وتبرأت ساحتها ونسبت إليه ، ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ
أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ليس جزاؤه إلا السجن أو أى
شيء جزاؤه ^(١) إلا السجن ، ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ
أَهْلِهَا﴾ الشاهد كان صبياً في المهد أو رجلاً من أقارب زليخا أو من خاصة الملك ،
﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ﴾ أى : فقال الشاهد : إن كان قميصه وسماه شاهد ، لأنه ثبت قول
يوسف بكلامه قال بعضهم : شهد شاهد أى : حكم ^(٢) حاكم فقال : إن كان إلح ،
﴿قَدْ مِّنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ : فإنه إذا كان تابعها وهى دافعة عن
نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع ، ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ
مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ : فإنه دال على أنها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه إليها والجمع بين
إن التي للاستقبال وكان على تأويل أن يعلم أنه كان قميصه ، ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصُهُ
قَدْ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ﴾ : لما عرف خيانة امرأته ، ﴿إِنَّهُ﴾ : إن هذا الصنيع ، ﴿مِّنْ

(١) يعنى "ما" فى ما جزاؤه جاز أن يكون نافية وجاز أن يكون استفهامية / ١٢ .

(٢) هذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس وروى سعيد بن
جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم "أن شاهد يوسف طفل تكلم" /
١٢ منه . [أخرجه الحاكم (٤٩٦/٢) ، وضعفه الشيخ الألباني كما فى الضعيفة

كَيْدُكُنَّ» والخطاب لها ولسائر النساء ، «إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ»^(١) يُوسُفُ» أي : يا يوسف ، «أَعْرِضْ عَنْ هَذَا» : اكنمه ولا تذكره ، «وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ» : من القوم المتعمدين للذنوب والتذكير للتغليب قيل : إنه كان قليل^(٢) الغيرة .

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْلَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرُلَهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٦٨﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٧٠﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧١﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آلَ يُوسُفَ لَيُصْغَبْنَ حَتَّىٰ جِئَ ﴿٧٢﴾ ﴾

(١) وحيل النساء قد اشتهرت قال تعالى : " ومن شر النفاثات في العقد " (الفرق: ٤) / ١٢

وحيز .

(٢) ولا شك أنه كان قليل الغيرة قال صاحب البحر تربة المصر اقتضت هذا ولذلك لا ينشأ

فيها الأسد ولو أتى به إليها لأسرع له الموت وليس يبعد أن يقال : إن قوله : إن

كيد كن بصيغة الجمع براءة الاستهلال عذرها كأنه قال : مثل تلك الشنيعة ليست بأول

قارورة كسرت منك فإنها عادة جميع النساء / ١٢ وحيز .

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾، اسم مفرد لجمع^(١) المرأة وتأنيته غير حقيقى ، ﴿فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةٌ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾: تطلب من عبدها الفاحشة ، ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ ، أي : خرق^(*) حبه شغاف أي : حجاب قلبها ، فوصل إلى الفؤاد ، وحبًّا تمييز ، وفاعل شغف ضمير الفتى ، ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ ، تسميته مكرًّا لما علمت أنهن أردن بهذا القول أن تريهن يوسف أو لأنهن أفشين^(٢) سرها ، ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: دعتهن ، ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكِنًا﴾^(٣) : ما يُتَكَّى عليه قال أكثر السلف المتكأ المجلس المعد فيه مفارش ومخاد^(٤) وطعام فيه ما يقطع بالسكين ، ﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾: لقطع ما في المائدة مما يحتاج إليه ، ﴿وَقَالَتْ﴾: حين أخذن السكاكين: ﴿اخْرُجْ﴾: يا يوسف ، ﴿عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ عظمنه وهبن ذلك الحسن وقيل: أكبرنه أى : حضن له من شدة الشبق فإن المرأة إذا أكبرت حاضت أو الهاء للسكت ، ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: جرحنها من فرط الحيرة ، ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾: أصله حاشا فحذفت الألف تخفيفا وهى من حروف الجر وضعت موضع التثنية والبراءة كأنه قال : براءة ثم قال : لله؛ لبيان من يرى ويتره كسقيا لك والمعنى تزيها لله من العجز وتعجبا من قدرته على هذا الخلق الجميل ، ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾: فإنه لم يعهد للبشر مثل ذلك الجمال

(١) كلمة اسم لجماعة النساء أيضا ولهذا لم يقل وقالت / ١٢ منه .

(*) في الأصل (خزف) ص ٣٣٢ .

(٢) يعني هي استكنمتهن فأفشينه عليها / ١٢ .

(٣) يقال اتكاؤنا عنده : أى طعمنا وعن مجاهد متكأ طعاما يجز جزأ كأن المعنى يعتمد

بالسكين لقطعه/ ١٢ .

(٤) جمع مخدة بالكسر / ١٢ .

وأعمل ما عمل ليس لمشاركتهما في نفى الحال وهو لغة الحجاز ، «إِنْ هَذَا إِلَّا
مَلَكٌ كَرِيمٌ» فإن^(١) جماله فوق جمال البشر ، «قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ»
وضع ذلك موضع هذا رفعا لمزله واستبعادا لمحلله في الحسن ، «وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَنِ
نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ» : بالغ في عصمته اعترفت عندهن لما علمت أنهن يعذرنها ،
«وَلَكِنْ لَمْ يَقْعُلْ مَا أَمَرُهُ» بحذف حرف الجر أي : ما أمر به ، «لَيْسَ جَنًّا
وَلَيْكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ» : من الأذلاء والنون الخفيفة يكتب في خط المصحف
ألفا على حكم الوقف ، «قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ» : من
المعصية أصناف الدعوة إليهن لأنهن تنصحن له مطاوعتها ، «وَالَا» أي : وإن
لم ، «تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ» : أمل ، «إِلَيْهِنَّ» بإجابة كلامهن ، وقيل :
إنهن جميعا دعونه إلى أنفسهن ، «وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ»^(٢) : من السفهاء الذين
يعملون القبائح ، «فَاسْتَجَابَ» : أجاب ، «لَهُ رَبُّهُ» : دعاءه ، «فَصَرَفَ عَنْهُ
كَيْدَهُنَّ» : بأن عصمه الله حتى اختار السجن ، «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ» : لدعوات
الملتجئين إليه ، «الْعَلِيمُ» : بأحوالهم ، «ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ» : ظهر للعزيز وأصحابه ،
«مَنْ بَعْدَ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ»^(٣) : على براءة يوسف من قد القميص وكلام الطفل

(١) أخرج أحمد وغيره عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "أعطى يوسف وأمه شطر
الحسن" وقد وردت روايات عن جماعة من السلف في وصف حسن يوسف والمبالغة في
ذلك / ١٢ فتح . [أخرجه أحمد (٢٨٦/٣) ، والحاكم (٥٧٠/٢) وغيرهما وصححه الحاكم
على شرط مسلم وأقره الذهبي ، ولفظ مسلم (٣٩٠/١) كما في حديث الإسراء : "فإذا أن
بيوسف صلى الله عليه وسلم إذا هو قد أعطى شطر الحسن" .

(٢) لأن من لا يعمل بعلمه فهو والجاهل سواء / ١٢ .

(٣) نقل عن ابن عباس أنها قالت لزوجها : هذا الغلام العبراني قد فضحني وهو يحكي عند
الخلق الحكاية ، وأنا محبوسة [في الأصل : (محبوس)] بي بيتك محبوبة عن الخلق لا أقدر

وغيرهما وفاعل بدا ضمير يفسره قوله ﴿لَيْسَ جُنَّتُهُ حَتَّىٰ حِينَ﴾ أي: إلى مدة يرون فيه رأيهم فإن المرأة خدعت لزوجها وحملت على سجنه ليظهر للناس أنه راودها عن نفسها .

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجَنَ فَتَيَّانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْسَلْتُ أَخَصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْسَلْتُ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٨) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَّأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (١٩) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٢٠) يَصْحَبِي السَّجَنُ ۖ أَرْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٢١) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٢) يَصْحَبِي السَّجَنُ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (٢٣) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا

= أروح إليهم وأعتذر وأكذبه فلما أذنت لي أخرج وأعتذر أو احبسه كما أبي محبوسة فحيث بدا لهم سجنه وأمر به فحمل على حمار وضرب أمامه بالطبل ونودي عليه في الأسواق إن هذا الغلام العبراني يريد خيانة سيده فجزاؤه أن يسجن قال أبو صالح : ما ذكر ابن عباس هذا الحديث إلا بكى / ١٢ وحيز.

أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ
سِنِينَ ﴿١٢﴾

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾: أحدهما ساقى الملك والآخر خبازه اتهما بأهما يريدان إهلاك الملك بالسم ، ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ أي: الشرابي ﴿إِنِّي أَرَانِي﴾: في المنام ﴿أَعَصِرُ خَمْراً﴾ أي: عنبا سماه باسم ما يئول إليه ﴿وَقَالَ الْآخَرُ﴾ أي: الخباز ﴿إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْنَأُ﴾: أخبرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾: بتعبير ما قصصنا قال بعضهم: إنهما اخترعا تلك الرؤيا لاختبار يوسف ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: في أعمالك وأقوالك أو من الذين يحسنون تعبیر الرؤيا ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾: في نومكما ﴿إِلَّا نَبَأْتُكُمَا فِي تَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾^(١) التعبير في اليقظة أو معناه لا يأتیکما طعام من بيتكما تطعمانه وتأكلانه إلا نبأتكما بقدره ولونه ووقته قبل وصوله إليكم وهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال: "وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم" (آل عمران: ٤٩) ﴿ذَلِكُمَا﴾: العلم ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾: لا من التكهّن والتنجيم ﴿إِنِّي تَرَكْتُ﴾^(٢) كأنه قال علمني لأني تركت ﴿مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ

(١) وصف نفسه بمزيد تعبیر الرؤيا مما هو فوق علم العلماء فقالوا: من أين لك هذا وأنت لست بكاهن ولا منجم؟ فقال: "ذلكما" الآية، وما قال ذلك إلا لأن يشرب في قلوبهم الإيمان ويغض لهما الشرك وفي الحديث: "لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير، لك من حمر النعم" / ١٢ وجيز. [أخرجه البخاري في "الجهاد"، (٣٠٠٩)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "الفضائل"، (٢٧١/٥) ط الشعب]

(٢) عبر بتركت مع أنه لم يثبت قط بتلك الملة إجراء للترك مجري التجنب من أول أمره استجلأيا لهما لأن يتركا وقوم لا يؤمنون هم أهل مصر / ١٢ وجيز .

بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١﴾ لتأكيد كفرهم كرر الضمير ﴿وَاتَّبَعْتُ﴾^(١) مِلَّةَ آبَائِي
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ ﴿٢﴾ : ما صح وما استقام ، ﴿لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ
 مِنْ شَيْءٍ﴾ أى شَيْءٍ^(٢) كان ﴿ذَلِكَ﴾ : التوحيد ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
 النَّاسِ﴾ : على الرسل والمرسل إليهم فإنهم أرشدوهم إلى فضل الله ونبهوهم
 عليه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ذلك الفضل، بل يعرضون عنه ﴿يَا
 صَاحِبِي السَّجْنِ﴾ : ياساكنيه^(٣) دعاهما إلى الإسلام فقال: ﴿أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾ :
 آلهة شتى واحد من فضة وواحد من ذهب وواحد من حديد وواحد من حجر
 ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾^(٤) الْفَهَّارُ ﴿٥﴾ : الذى ذل كل شيء لعز جلاله ﴿مَا تَعْبُدُونَ
 مِنْ دُونِهِ﴾ : من دون الله خطاب لهما ولن على دينهما ﴿إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا
 أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ إلا أسماء خالية عن المعنى لا مسميات تحتها فإنهم سموا ما لا
 يستحق الإلهية آلهة ثم يعبدونها ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ : بتسميتها ، ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ :
 حجة ﴿إِنْ الْحُكْمُ﴾ : الأمر والنهي ﴿إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ﴾ : على لسان أنبيائه ﴿أَلَا تَعْبُدُوا
 إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ : المستقيم الذى لا عوج فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

(١) لما ذكر رفض الشرك وعرفهما بالمعجزة نبوته أثبت لهما أنه من بيت النبوة ليتقوى
 رغبتهما فى الاستماع إليه / ١٢ وجيز .

(٢) من ملك وإنس وجن / ١٢ وجيز .

(٣) نحو أصحاب الجنة أو معناه يا صاحبيّ فيه فإضافتهما إليه على الاتساع نحو: " يا سارق
 الليلة " / ١٢ منه .

(٤) أبرز بطلان ما هما عليه من الشرك فى صورة الاستفهام حتى لا ينفر طبعهما من المفاجأة
 بدليل البطلان وجاء بصفة القهار؛ لأن يخافوا من سطوته ومن لا يكون له الغلبة
 والقدرة لا يستحق الألوهية / ١٢ وجيز .

لَا يَعْلَمُونَ : فيهلكون في جهالتهم ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ﴾^(١) أَمَا أَحَدُكُمَا : أى :
 الشرايى ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ : يعود منصبه إليه ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾ : أى :
 الخباز ﴿فَيَصْلُبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ قال بعضهم : لما عبر رؤياهما قالا :
 ما رأينا شيئاً فقال : ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ : هذا ما يؤول
 إليه أمركما وهو لا محالة واقع صدقتم أو كذبتم وفى الحديث "الرؤيا على
 رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت" (*) وأيضاً "الرؤيا لأول عابر" (**)
 ﴿وَقَالَ﴾ : يوسف ﴿لِلَّذِي ظَنَّ﴾ : علم يوسف ﴿أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ : أو
 الظان الشرايى ﴿اذْكُرْنِي﴾ : أذكر حالى ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أى : الملك كى
 يخلصنى^(٢) ، ﴿فَأَنسَاهُ﴾ أى : الشرايى ، ﴿الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبِّهِ﴾ أى : ذكره لربه
 أو معناه أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه فاستعان بغير^(٣) الله تعالى ، ﴿فَلَبِثَ فِي

(١) لما ألقى إليهما (٥) ما كان أهم من أمر الدين ناداهما ثانياً لتجتمع أنفسهما لسماع
 الجواب / ١٢ وجيز .

(٥) فى الأصل: إليها.

(*) صحيح أخرجه أبو داود وابن ماجه عن أبي رزين مرفوعاً، وانظر صحيح الجامع
 (٣٥٣٥)، والسلسلة الصحيحة .

(**) ضعيف أخرجه ابن ماجه (٣٩١٥)، من حديث أنس مرفوعاً، وانظر ضعيف ابن
 ماجه .

(٢) من جور امرأة العزيز / ١٢ وجيز .

(٣) قاله ابن عباس وعليه الأكثر / ١٢ . [وهو قول ضعيف، والصواب كما قال ابن كثير
 (٢/ ٤٨٠) أن الضمير فى قوله: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبِّهِ﴾ عائذ على الناجي كما قاله

مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد.]

السَّجْنِ بَضْعٌ^(١) سِنِينَ ﴿ هو ما بين الثلاث إلى التسع وأكثرهم على أنه سبع سنين^(٢) .

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَأْتِيهَا أَلْمَلَأُ أَقْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾^(٣) قَالُوا أَضَعَتْ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَلَمِينَ ﴿^(٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿^(٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿^(٦) قَالَ

(١) وعن أنس قال : أوحى إلى يوسف من استنقذك من القتل حين همَّ إخوانك أن يقتلوك؟ قال: أنت يا رب ، قال : فمن استنقذك من الجب إذ ألغوك فيه؟ قال : أنت يا رب ، قال : فمن استنقذك من المرأة إذ همت بك ، قال أنت يا رب قال : فمالك نسيتني وذكرت آدمياً قال: جزعاً وكلمة تكلم بها لسانى ، قال : فوعزتي لأخلدك في السجن بضع سنين، فلبث فيه سبع سنين أخرجه ابن أبي شيبه وعبد الله بن أحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ / ١٢ فتح . [الأثر لا يصح، قال د/ أبو شهبه رحمه الله معلقا على هذا الأثر وأضرابه: أغلب الظن عندي أن هذا من الإسرائيليات، فقد صورت سجن يوسف على أنه عقوبة من الله لأجل الكلمة التي قالها، مع أنه عليه السلام- لم يقل حجرا ولا منكرا، فالأخذ في أسباب النجاة العادية، وفي إظهار البراءة والحق، لا ينافي قط التوكل على الله والبلاء للأنبياء ليس عقوبة وإنما هو رفع لدرجاتهم، وليكونوا أسوة وقدوة لغيرهم في باب البلاء" الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد بن محمد أبو شهبه (ص ٢٣٠).]

(٢) منذ سجن إلى أن خرج / ١٢ وجيز .

تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا
تَأْكُلُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا
قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ
يَعَصِرُونَ ﴿١٩﴾

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ^(١)﴾ : بعد مضي سبع سنين ، ﴿إِنِّي أَرَى^(٢) سَبْعَ بَقَرَاتٍ^(٣) سِمَانٍ﴾ : وسبع بقرات مهازيل ، ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ^(٤) عِجَافٌ﴾ : ابتلعت المهازيل
السمان والعجف ناية الهزال ، ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ﴾ : قد انعقد حبها ،
﴿وَأُخْرَى﴾ أى : وسبعًا أخر ، ﴿يَابِسَاتٍ﴾ : قد استحصدت والتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبن^(٥) عليها ، ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ أى : الأشراف من العلماء
والحكماء ، ﴿أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾ : عبروها ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ :
عالين بتعبيرها واللام لتقوية العامل فإن معموله مقدم عليه فضعف عمله فقوى
باللام أو لتضمنين تعبرون معنى تنتدبون^(٦) ، ﴿قَالُوا﴾ : هذه ، ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ :
أضغاث الأحلام تخاليطها وأباطيلها والأحلام جمع حلم وهو الرؤيا لتضمنه أشياء

(١) الأعظم / ١٢ .

(٢) فى أرى جاء بالمضارع لحكاية الحال / ١٢ وجيز .

(٣) خرجن من نمر يابس / ١٢ وجيز .

(٤) وقياس جمع العجفاء عجف لكنه حمل على سمان الذى هو نقيضه وقال: عجاف ومن
دأبهم حمل النقيض على النقيض كحمل النظير على النظير / ١٢ وجيز .

(٥) قد استغنى عن بيان حالها بما نص من حال البقرات / ١٢ .

(٦) ندب فانتدب أى: دعاه فأجاب كأنه قيل : إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة
عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها / ١٢ منه .

مختلفة جمعوا وإن لم يكن إلا حلم واحد أو للمبالغة^(١) في وصف الحلم بالبطلان، «وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ» أي: ذلك الأحلام التي هي الأضغاث، «بِعَالَمِينَ» أو المراد أنهم اعترفوا بالعجز وقالوا لسنا في علم التعبير بنحارير، «وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا»: من صاحبي السجن، «وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ»: تذكر يوسف بعد جماعة كثيرة من الزمان يعني مدة طويلة «أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ»: إلى من عنده علمه فأرسل إليه فجاء وقال: «يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ»: الكثير الصدق، «أَفْتِنَا فِي»: رؤيا، «سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ»: إلى الملك وأهله، «لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ»: تأويلها أو فضلك ولما جرب كمال علمه كلمه كلام محترز وبناء على الرجاء لا على اليقين فرما اخترم^(٢) دون الرجوع وربما لم يعلموا، «قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا^(٣)»: على عادتكم حال، «فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ»: لئلا يفسد ويحفظ من السوس، «إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ»: في تلك السنين، «ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ»: السبيع، «سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ»: أصناف الأكل إلى السنين وهو لأهلهم على المجاز، «مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ»: ما ادخرتم لأجلهم، «إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ» تحززون للبذر والظاهر أن قوله: "تزرعون" على أصله بدليل قوله: "ثم يأتي" لا أنه^(٤) خبر بمعنى الأمر

(١) كما يقال: فلان يركب الخيل ويلبس عمام الحز وليس له إلا فرس واحد وعمامة فردة تزيدًا في الوصف / ١٢ وجيز .

(٢) أي: ربما قطعه قاطع عند الرجوع فلا يرجع / ١٢ منه .

(٣) أي: دائبين مستمرين على عادتكم / ١٢ .

(٤) رد على الزمخشري ومن تبعه فإنه قال : تزرعون خبر بمعنى الأمر بدليل قوله: "حصدتم"

إلخ ، وأيضًا إذا كان أمرًا فأين تعبير الرؤيا فإن تعبير الرؤيا لا يكون إلا الإخبار فتضمن هذا الكلام من يوسف ثلاثة أنواع من القول أحدها: تعبير بالمعنى، الثاني: عرض رأي

وقوله: "فما حصدم" اعتراض لاهتمامه عليه الصلاة والسلام بشأنهم يأمرهم بما فيه صلاحهم في أثناء التأويل ، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ من الغيث أى : يمطرون ، ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ : العنب والزيتون وما يعصر قال بعضهم : ويدخل فيه حلب اللبن أيضاً، أوّل البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بمجدبة وأكل العجاف السمان بأكل ما جمع في المخصبة في المجدبة ثم بشرهم بما يكون بعد المجدبة بإلهام الله تعالى إياه لا من تأويل رؤياه .

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ النَّسْأَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿١١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ﴾ ﴿١٢﴾ وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِمُ اسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ﴿١٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٦﴾ وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿١٧﴾

= ونصح وهو قوله: "فما حصدم فذروه في سبيله"، والثالث: الإعلام بالغيب في العام الثامن وهو قوله: "ثم يأتي" / ١٢ وحيز.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤَنِّي بِهِ﴾: بعد مراجعة الرسول ، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ ليخرجه ، ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾: إلى الملك ، ﴿فَأَسْأَلُهُ﴾^(١) مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أراد أن يعلم الملك براءة ساحته ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدباً واحتراماً وهن يعلمن أيضاً براءته بإقرارها عندهن وفي الحديث^(٢) ”لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي“ وفيه^(٣) أيضاً ”لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه — والله يغفر^(٤) له حين سئل عن تعبير الرؤيا ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتى أشرت أن يخرجوني“ ، ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾: حين قلن : أطع مولاتك، فيه الاستشهاد بعلم الله تعالى على براءته أو الوعيد لهن على كيدهن أو تعظيم كيدهن ، ﴿قَالَ﴾: الملك لهن ، ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾: ما شأنكن ، ﴿إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾: هل وجدتن منه سوءاً خاطبهن والمراد الأصلي امرأة العزيز ، ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تعجباً من عفته ونزاهته ، ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾

(١) لم يقل فأسأله أن يفتش عن حالهن لأن السؤال عن أحد يهيجه ويحركه للبحث عما سئل عنه فأراد تمهيج الملك في التفتيش والتبيين عن حقيقة القصة، وأيضاً هذه العبارة أقرب من الأدب / ١٢ منه :

(٢) المخرج للبخاري ومسلم والترمذي / ١٢ منه . [أخرجه البخاري في "الأنبياء"، (٣٣٨٧)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "الفضائل"، (٢١٨/٥) ط الشعب] (٣) رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي / ١٢ . [هذا لفظ عبد الرزاق في مصنفه أخرجه عن عكرمة مرفوعاً، كذا مرسلًا كما في تفسير ابن كثير (٤٨٢/٢)، وذكره الهيثمي في "المجمع"، (٤٠/٧) وعزاه إلى الطبراني وقال: "فيه إبراهيم بن يزيد القرشي وهو متروك"، ولفظ أحمد مغاير تماماً]

(٤) مثل هذه المقدمة مشعرة بتعظيم المخاطبة وتوقيره وتوفر حرمة كما تقول عفى الله عنك ما فعلت في أمرى ورضى الله عنك ما جوابك عن كلامي / ١٢ .

قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ: ثبت واستقر ، «الْحَقُّ» قِيلَ : أقبلن كلهن عليها فقررنها ، «أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ»^(١) ذَلِكَ: الذى فعلت من رد الرسول ، «لِيَعْلَمَ»: العزيز ، «أَنِّي لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ»: بظهر الغيب ، حال من الفاعل أى: وأنا غائب أو من المفعول أو ظرف أى : بمكان الغيب ، «وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي»: لا ينفذ ولا يسدد ، «كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي» عن السلف أنه لما قال : ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال له جبريل: ولا حين هممت^(٢) فقال ذلك ، «إِنَّ النَّفْسَ»: بطبعها ، «لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي» إلا وقت رحمة ربي أو إلا ما رحمه الله من النفوس فعصمه ، «إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ» قال بعضهم: قوله: "ذلك ليعلم" إلخ من كلام امرأة العزيز أى : اعترفت بما هو الواقع ليعلم زوجى أنى لم أخنه وما صدر منى المحذور الأكبر وإنما راودته مراودة فامتنع ولست أبرئ نفسى فإن النفس تمنى وتشتهى ولذلك راودته: لأنها أمارة بالسوء إلا نفس من عصمه الله تعالى إنه غفور حلیم وعند بعض المفسرين إن هذا القول أليق^(٣) وأقرب ، «وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ»:

(١) فيما نسب إلى / ١٢ .

(٢) أراد أن الأليق بشأن النبوة الاجتناب عن الهم وإن كان غير محذور فأجاب "وما أبرئ"

/ ١٢ وجيز من مصنف جامع البيان .

(٣) لأن الظاهر أن قوله: "ذلك ليعلم" من كلام امرأة العزيز داخل تحت قالت تعنى اعترفت بالحق، ليعلم يوسف أنى لم أخنه فى غيبته ولم أرمه بالبهتان الذى رميته به خوفاً وحياء من يعلى ثم اعتذرت عما وقعت فيه من الميل والشهوة بقولها: "وما أبرئ نفسى" فإن النفس تمنى وتشتهى ولذلك راودته لأنها أمارة بالسوء إلا نفس من عصمه الله إنه غفور للمذنب رحيم ومن ذهب إلى أن قوله: "ذلك ليعلم" من كلام يوسف يحتاج

يوسف ، **﴿أَسْتَخْلَصْنَهُ﴾** : أجعله خالصاً ، **﴿لِنَفْسِي فَلَمَّا﴾** : أتوا به ، **﴿كَلِمَةً﴾** وشاهد منه الكمال ، **﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾** : ذو منزلة ، **﴿أَمِينٌ﴾** ، مؤتمن على الأشياء صادق ، **﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾** : ولني أمر خزائن^(١) أرض مصر ، **﴿إِنِّي حَفِيزٌ﴾** : لها ، **﴿عَلِيمٌ﴾** بوجوه التصرف فيها وقيل : حفيظ عليم كاتب حاسب أو عليم بسنين الجذب وسأل العمل لما في ذلك من مصالح الناس ليتصرف لفهم في القحط على الوجه الأحوط قيل : ^(٢) إن العزيز توفى أو عزل فجعل الملك يوسف مكانه فزوجه امرأته زليخا فوجدها عذراء وولد له منها ابنان **﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾** : أرض مصر ، **﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا﴾** : يتزل ، **﴿حَيْثُ يَشَاءُ﴾** : بعد الضيق والحبس أو يتصرف فيها كيف يشاء ، **﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا أَجْرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾** ، فما أعد الله ليوسف في الآخرة أعظم وأجل مما^(٣) حوله في الدنيا .

= إلى تكلف ربط بينه وبين ما قبله ولا قرينة على أنه من كلام يوسف إذ لم يكن يوسف حاضراً وقت سؤال الملك وإقرار امرأة العزيز / ١٢ وجيز .

(١) قال مجاهد : أسلم الملك على يده ، أو نقول التولى من يد الكافر جائز إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق وسياسة الخلق إلا باستظهاره / ١٢ وجيز .
(٢) نقله محيي السنة / ١٢ .

(٣) لما روى أن الملك توجه بتاجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه وأجلسه على سرير مكلل بالدر والياقوت ودانت له الملوك وهو بنفسه يطيعه وأقام العدل وأحبه الرجال والنساء وباع الطعام لأهل مصر في السنة الأولى من القحط بالنقد ثم بالحلي ثم بالدواب ثم بالضياع ثم برقاهم وحاز ذلك في شرعهم ثم قال للملك : كيف ترى صنع الله بي فيما حولني فما ترى؟ قال : الرأي رأيك قال فإني أشهد الله وأشهدك أبي أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أموالهم / ١٢ وجيز .

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ ١٢٠ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتَشْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ ١٢١ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ ١٢٢ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ ١٢٣ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ آجِعُلُوا بِهِمْ صُغَّرْتُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ١٢٤ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَنَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُمْ لَحَافِظُونَ ﴾ ١٢٥ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ قَالُوا خَيْرٌ خَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ ﴾ ١٢٦ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَنَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ ١٢٧ قَالَ لَن أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ ١٢٨ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ ١٢٩ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَلَهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ١٣٠ ﴿

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ﴾ ، لما ولاه ملك مصر الوزارة العدل اجتهد في العدل وتكثير الزراعات فدخلت السنون المجدبة وعم القحط حتى وصل بلاد كنعان

فجاءه إخوته ليشتروا منه الطعام ، ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾: يوسف ، ﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ لم يعرفوه فإنه قد تقرر في أنفسهم هلاكه وكان مدة المفارقة أربعين سنة ، ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾^(١): أصلحهم بعدتهم وأوفر حمولاتهم بما جلاءوا له ، ﴿قَالَ اثْنُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ لما دخلوا عليه قال كالمنكر عليهم: لعلمكم عيون جواسيس قالوا: معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد نبي من أنبياء الله تعالى قال : كم أنتم؟ قالوا: كنا إثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وله أخ من أمه احتبسه أبوه ليتسلى به عنه قال: اثنوني به حتى أعلم صدقكم ، ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾: أمه ، ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُرْلَيْنِ﴾: المضيفين^(٢) ، ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي﴾: ليس لكم عندى طعام أكله لكم ، ﴿وَلَا تَقْرُبُونِ﴾: لا تدخلوا بلادى وهو إما عطف على الجزاء أو هى ، ﴿قَالُوا سُبْرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: نلح في طلبه من أبيه ، ﴿وَأَنَا لَفَاعِلُونَ﴾: ما وعدناك ، ﴿وَقَالَ﴾: يوسف ، ﴿لِفَتْيَانِهِ﴾: لغلماناه ، ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾: ثمن^(٣) طعامهم ، ﴿فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾: بأها بضاعتهم ، ﴿إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾: وفتحوا أوعيتهم ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إذا عرفوا ذلك فإنهم لا يستحلون إمساكها أو إذا عرفوا كرامتهم علينا وبرنا عليهم أو فعل ذلك حذراً من ألا يكون عندهم بضاعة أخرى

(١) أصل الجهاز ما يعد من الأمتعة للسفر وما يحمل من بلدة إلى أخرى وما تزف به المرأة إلى زوجها/ ١٢ وجيز .

(٢) في هذا العصر والزمان ثم توعدهم بقوله: "فإن لم تأتوني به" / ١٢ .

(٣) قيل: كانت بضاعتهم النعال والأدم وفيه شبهة والظاهر أن متاعهم شيء صغير الجثة قليل الوزن حيث لم يعرفوا أنه في حملهم إلى بلادهم ودواهم قادرات على حملها مع الكيل/ ١٢ .

فلا يمكن لهم الرجوع أو رأى لؤم أخذ الثمن من أبيه وإخوته مع حاجتهم ،
﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ : بعد ذلك إن لم نذهب
بأخيـنا ، **﴿فَارْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلُ﴾** : نحن وهو الطعام ، ونرفع المانع من الكيل ،
﴿وَأِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾
فإنكم ذكرتم في يوسف مثل ما ذكرتم هنا بعينه فهل يكون أمانى هنا إلا كأملين
هنالك أى كما لا يحصل الأمان هناك لا يحصل هنا ، **﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾** فاعتمد
عليه ونصبه على التمييز ، **﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** : فالله أسأل أن يرحمنى
بحفظه ، **﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا
نَبْغِي﴾** أى : لا نطلب أو أى شيء نطلب وراء ذلك من الإحسان قيل : لا نبغى
منك شيئاً في ثمن الكيل وقيل : هو من البغى بمعنى الكذب أى : لا نبغى
في القول ولا نزايد فيه ، **﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾** استئناف موضح لما نبغى ،
﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ مار أهله حمل إليهم الطعام من بلد آخر عطف على محذوف أى :
ردت إلينا فنستظهر بها ونمير ويحتمل عطفه على ما ينبغى إذا كانت نافية ،
﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَنَا﴾ : عن المكاره ، **﴿وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾** : حمل بعير من الطعام لأن
يوسف إنما يعطى كل شخص وقرا ، **﴿ذَلِكَ﴾** : الذى جئنا به ، **﴿كَيْلُ﴾** : مكيل ،
﴿يَسِيرٌ﴾ : قليل لا يكفيننا أو ذلك أى : كيل بعير شيء قليل لا يضايقنا فيه
الملك ، **﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ﴾** ، تعطونى ، **﴿مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾** : عهداً
مؤكدًا بذكر الله تعالى ، **﴿لَتَأْتِيَني بِهِ﴾** جواب القسم إذ معناه حتى تحلفوا لتأتينى ،
﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ : إلا أن تغلبوا فلا تقدرُوا على إتيانه أو إلا أن تهلكوا جميعاً
أى : لتأتيني على كل حال إلا حال الإحاطة بكم ، **﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ﴾** :
يعقوب ، **﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾** : من العهد ، **﴿وَكَيْلُ﴾** : مطلع ويمكن أن يكون
معناه الله تعالى وكيل على حفظ ذلك العهد نكـل أمره إليه ، **﴿وَقَالَ يَا**

بَنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴿١﴾ لَأَنْ لَا يَصِيْبَكُمْ
 الْعَيْنُ ، ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ، أي: لو أراد الله بكم سوءاً لا
 يدفع عنكم ما قلت لكم من التفرق وهو مصيبيكم لا محالة ، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ
 عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾
 أى: من أبواب متفرقة في البلد ، ﴿مَا كَانَ يُغْنِي﴾: يدفع دخولهم متفرقين ،
 ﴿عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾: من قضاءه عليهم ، ﴿مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ
 قَضَاهَا﴾ استثناء منقطع أى: لكن حاجة أى: شفقة في نفسه قضاهها أى: أظهرها
 ووصى بها، أو معناه ما دفع عنهم بسبب دخولهم كذلك إلا إصابة العين وهى
 الحاجة التى (٣) في نفس يعقوب ، ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ﴾: لذو يقين أو لذو عمل ،
 ﴿لَمَّا عَلِمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن يعقوب لذو علم فإن المشركين
 لا يعلمون ما ألهم الله أوليائه .

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ
 بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ
 ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا
 تَفْقِدُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ

-
- (١) فإنهم لو كانوا مجتمعين لزاد في عين الناس عظمتهم قيل: لم يوصهم في الكرة الأولى
 لأنهم كانوا مجهولين وليس فيهم أيضاً أخو يوسف الذى هو مطرح حبه / ١٢ منه .
 (٢) أي شيئاً فقد أصابهم ما شاء بهم من إضافة السرقة إليهم واقتضاهم بذلك و تضاعف
 المصيبة بأخذ أخيهم بوجدان الصواع في رحله / ١٢ منه .
 (٣) على هذا الاستثناء متصل أى: ما دفع عنهم إلا العين لكن وصل إليهم مصائب / ١٢ منه .

رَعِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٩﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٨٠﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَنَرُّكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٢﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَلَعْنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ ﴿٨٣﴾

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ﴾ ^(١) ﴿أَخَاهُ﴾ من أبويه في منزله وأجلسه معه في مائدته واسمه بنيامين ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: ولا تحزن ، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: في حقنا فيما مضى ، ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾: أصلحهم بعدتهم ، ﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ﴾: المشربة ^(٢) ، ﴿فِي رَحْلِ﴾ ^(٣) ﴿أَخِيهِ﴾: من أبويه وهى من

(١) روى أنهم قالوا له: هذا أخونا قد جئناك به فقال: أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي فأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكى فقال يوسف: بقى أخوكم وحيداً فأجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك؟ قال من يجد أخا مثلك؟ لكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام إليه / ١٢ وجيز .

(٢) بكسر الميم إناء يشرب منه ويفتحها الغرفة / ١٢ منه .

(٣) ثم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا متراً وقيل: حتى خرجوا من العمارة ثم بعث من خلفهم من استوقفهم وحبسهم / ١٢ معالم .

فضة أو من ذهب أو من زبرجد وكان يشرب فيها ويكيل بها للناس من عزة الطعام ﴿ثُمَّ أَذِنَ مُؤَدِّنٌ﴾: نادى مناد ﴿أَيُّهَا الْعِيرُ﴾ أى: القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ قال بعضهم: إن كان النداء بأمر يوسف فعلى^(١) تأويل إهم سرقوا يوسف من أبيه - عليه السلام - أو النداء برضى أخيه ، ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ أى شيء ضاع عنكم ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾: من الطعام ﴿وَأَنَا بِهِ﴾: يحمل من الطعام ﴿زَعِيمٌ﴾: كفى له المؤذن ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم ثم استشهدوا بعلمهم على براءة ساحتهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم في كرتى^(٢) بجيئهم فقالوا ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾: لا نوصف بها قط ، ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ أى: السارق ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾: في ادعاء البراءة ، ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾ أى: جزاء سرقته ، ﴿مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ﴾ أى: أخذ من وجد واسترقاقه ، ﴿فَهُوَ^(٣) جَزَاؤُهُ﴾ تقرير للحكم وقيل: جزاء لمن على أنها شرطية والجملة الشرط والجزاء خير جزاؤه على إقامة الظاهر مقام الضمير وأصله فهو هو وضمير الثانى إلى جزاؤه ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي^(٤) الظَّالِمِينَ﴾: بالسرقة وشرعية إبراهيم أن السارق يدفع إلى المسروق منه ، ﴿فَبَدَأَ﴾: المؤذن أو يوسف

(١) لأنه نبي الله فهو برئ من الافتراء البتة / ١٢ منه .

(٢) فإنهم قد اشتهروا بمصر بصلاح وعفة وكانوا ربطوا أفواه دواجم لغلا تنال زرع الناس / ١٢ وجيز .

(٣) فجزاؤه مبتدأ ومن وجد في رحله بمعنى أخذه خير / ١٢ وجيز .

(٤) الفاعلين ما ليس لهم فعله من سرقة مال الغير فقال الرسول - عند ذلك - : لا بد من تفتيش أمتعتكم، فأخذ في تفتيشها، وروى أنه ردهم إلى يوسف فأمر بتفتيش أوعيتهم بين يديه / ١٢ معالم .

بعد واردوا إليه ، «بِأَوْعِيَّتِهِمْ» ففتشها أولاً ، «قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ» : (١) من أبويه ، «ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ» : مثل ذلك الكيد ، «كِدْنَا لِيُوسُفَ» : بأن علمناه إياه ، «مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ» فإن دين ملك مصر الضرب والتغريم في السارق دون الاسترقاق ، «إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» ، أي : لم يكن يتيسر له أخذه في دين الملك بحال من الأحوال إلا في حال مشيئة الله تعالى بأن أجرى على السنة إخوته أن جزاء السارق الاسترقاق فوجد السبيل إلى ذلك وجاز أن يكون منقطعاً (٢) «تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ» : بالعلم كما رفعنا درجة يوسف «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ» : حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى ، «قَالُوا» أي : إخوته «إِنْ يَسْرِقْ» : بنيامين «فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ» أي : يوسف «مِنْ قَبْلُ» يعني لا عجب فإن هذا طريقتهم ونحن براء منها وإما وصفهم إياه بالسرقه فإنه كان لجدّه أبى أمه صنم يعبدّه فأخذه سرّاً وكسره أو كانت عمته تحضنه بعد وفاة أمه فلما ترعرع أراد يعقوب أن يكون معه ويأخذه من عمته وكانت لا تطيق فراقه فعمدت إلى منطقة هي لها ورثتها من إسحاق فحزمتها (٣) على يوسف تحت ثيابه ثم قالت : فقدت المنطقة اكشفوا أهل البيت فكشفوا فوجدوها مع يوسف وهو صغير فقالت : صار يوسف مسلماً لي فأمسكته ، فإن السارق يُسْتَرَقُّ لمن سرق منه كما مر وكان يأخذ من البيت للسائل أشياء فيعطيه ففقطن به إخوته ،

(١) قال قتادة : ذكر لنا أنه كان لا يفتح متاعاً ولا ينظر في وعاء إلا استغفر الله تأمناً مما قذفهم به حتى إذا لم يبق إلا رحل بنيامين قال : ما أظن هذا أخذه ، فقال لإخوته : والله لا نترك حتى ننظر في رحله فإنه أطيب لنفسك ولأنفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوه منه فذلك قوله : "ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا" الآية / ١٢ وحيز .

(٢) أي : لكن أخذه بمشيئة الله تعالى وإذنه / ١٢ منه .

(٣) أي : شدتها / ١٢ .

﴿فَأَسْرَهَا﴾^(١) يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ ضمير أسرها كناية بشرطة التفسير يفسرها قوله ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ يعنى قال في نفسه: أنتم شر منزلة في السرقة : لأن خيانتكم حقيقة وأنث الضمير لأن المراد منه جملة وهى بدل من أسرها وهو المنقول عن ابن عباس - رضى الله عنهما - وقيل: الضمير للإجابة أو للمقالة أو لنسبة السرقة ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾^(٢): في شأني من السرقة فإنه كذب وهذا أيضاً من جملة ما أسر يوسف ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾^(٣) إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾: بدله فإن أباه مستأنس به على أخيه الهالك ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: إلى الخلق فأحسن إلينا ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾: أعوذ بالله^(٤) معاذاً من ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا ظَلَمُومٌ﴾: في فتواكم لو أخذنا غير السارق .

(١) ضمير أسرها إلى مثل الكراهة والحزاة التي دل عليها سياق الكلام / ١٢ وحيز .
(٢) روى أنهم دخلوا على يوسف فقال روبيل: لتردن علينا أخانا أو لأصبحن صيحة لا تبقى بمصر امرأة حامل إلا ألفت ولدها وقامت كل شعرة في جسد روبيل فخرجت من ثيابه فقال يوسف، لابن له صغير: قم إلى جنب روبيل فمسه ويروى خذ بيده فأتى به فذهب الغلام فمسه فسكن غضبه فقال روبيل : إن هاهنا لبذراً من بذر يعقوب ، فقال يوسف: من يعقوب؟ وروى أنه غضب ثانياً فقام إليه يوسف فركضه برجله وأخذ بتلابيه فوقع على الأرض وقال: أنتم يا معشر العبرانيون تظنون أن لا أحد أشد منكم فلما صار أمرهم إلى هذا ورأوا أن لا سبيل لهم إلى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا: "يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً" إلخ / ١٢ معالم .

(٣) أهل مصر يسمون نائب السلطان عزيزاً / ١٢ .

(٤) فيه إشارة أن "معاذاً" مصدر لفعل محذوف "وأن نأخذ" متعلق به وحذف حرف الجر من أن وأن ليس بعزير / ١٢ .

﴿ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ
أَخَذَ عَلَيْكُمْ مِيثَاقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ
حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٢٦﴾ أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ
فَقُولُوا يَتَابَعَانَا إِبْرَاهِيمَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ
حَافِظِينَ ﴿٢٧﴾ وَسَأَلَ الْقَرِيَّةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا
لَصَادِقُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ
يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢٩﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ
عَلَى يُوسُفَ وَأَبِیضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٣٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا
تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّمَا
أَشْكُو بَنِيَّ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ يَبْنِي
أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ
رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٣٣﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَّيْهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا
وَأَهْلْنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُرَجَبَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ
يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ
جَاهِلُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَأَنْتَ يَا يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ
اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالُوا تَاللَّهِ
لَقَدْ عَازَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ
يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٣٨﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى
وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾

﴿فَلَمَّا اسْتِأْذَنُوا مِنْهُ﴾: من يوسف وإجابته إياهم وباب الاستفعال للمبالغة
﴿خَلَصُوا﴾: انفردوا واعتزلوا ، ﴿نَجِيًّا﴾: ذوى نجوى أو فوجاً^(١) نجياً وكان
تناجيههم في تدابير أمرهم ، ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾: في السن روبيل أو في الرأى وهو
يهودا أو في الرياسة وهو شمعون ، ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتَقَا
مِّنَ اللَّهِ﴾: عهداً وثيقاً بذكر الله ، ﴿وَمِن قَبْلُ﴾^(٢) مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ مَا صِلَة
أى: من قبل هذا قصرتم في شأنه^(٣) أو مصدرية عطف على مفعول تعلموا أو
موصولة أى : لم تعلموا ما قدمتموه^(٤) فهو من الفرط وهو التقدم ، ﴿فَلَن
أُبْرَحَ﴾: أفارق ﴿الْأَرْضَ﴾: أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾: في الرجوع ﴿أَوْ
يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾: بخلّاص أخى أو بخروجى أو بالمقاتلة ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾
فحكمه الحق ، ﴿ارْجِعُوا إِلَى آبَيْكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾: على
حسب الظاهر ، ﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾: عليه ، ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾: بأن رأينا إخراج
الصاع من متاعه ، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾: فلا ندرى أنه سرق أو دسّ
الصاع في رحله أو ما كنا حين عهدنا أن نأتى به للعواقب عالمين فلم ندر أنه

(١) على الأول نجيا مصدر وهو حال بحذف المضاف وعلى الثانى بمعنى مناجياً كالعشير بمعنى

المعاشر وإفراده لأنه صفة لموصوف مفرد اللفظ كالفرج / ١٢ .

(٢) وجوز الزمخشري أن ما مصدرية مبتدأ ومن قبل خبره ، قال صاحب البحر: ذهل عن

قاعدة عربية وحق له أن يذهل وهى أن الظروف التى هى غايات إذا بنيت لا تقع خبراً
ولا صلة ولا صفة ولا حالاً فلا يجوز عمرو جاء زيد خلف، بل يقال خلفه، وكذلك

قال أبو البقاء / ١٢ وحيز .

(٣) على هذا الوجه ومن قبل عطف على لم تعلموا والجملة حالية / ١٢ .

(٤) يعنى على هذا الوجه يكون من الفرط بمعنى التقدم لا بمعنى التقصير وضمير الموصول

محذوف / ١٢ منه .

سيسرق ﴿وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾، أى: أرسل مصر واسألم عن القصة، ﴿الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ﴾، أى: القافلة ، ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا﴾: توجهنا ﴿فِيهَا وَإِنَّا﴾: والله ﴿لَصَادِقُونَ﴾^(١) قَالَ: أى: لما رجعوا وقالوا ليعقوب ما قالوا قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾: زينت وسهلت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾^(٢): عظيمًا قررتموه ﴿فَصَبِرْ جَمِيلٌ﴾: أجمل، ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾: بيوסף وأخيه وأخيها الذى توقف بمصر ﴿جَمِيعاً﴾: مجتمعين ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾: بحالى ﴿الْحَكِيمُ﴾: في أفعاله ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: أعرض عنهم كراهة ﴿وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ﴾: يا شدة حزنى إليه تعالى فهذا أوانك والألف عوض عن ياء المتكلم ، ﴿وَأَبْيَضْتُ﴾^(٣) عَيْنَاهُ^(٤) مِنَ الْحُزَنِ: عَمى من كثرة العبرة التى لا يتمالك فيها نفسه ، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(٥): مملوء من الغيظ على أولاده لا يظهره ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ لا ﴿تَفْتَوُا﴾ بحذف حرف النفى^(٦) فإنه لا يلتبس بالإثبات لأنه لو كان إثباتًا لآبد في جوابه من اللام والنون

-
- (١) فإن قيل: كيف استبحار يوسف أن يعمل مثل هذا بأبيه ولم يخبره بمكانه وحبس أخاه مع شدة وجد أبيه وفيه معنى العقوق وقطيعة الرحم قيل : قد أكثر الناس فيه والصحيح إنه عمل ذلك بأمر الله سبحانه أمره به ليزيد في بلاء يعقوب / ١٢ معالم .
- (٢) وإلا فمن أين يدرى الملك أن السارق يؤخذ بسرقة وما هذا إلا في ديننا / ١٢ منه .
- (٣) قال مقاتل: ما لم يبصر بهما ست سنين / ١٢ معالم .
- (٤) كثرة البكاء محقت سواد عينيه فعمى / ١٢ منه .
- (٥) قال الحسن : كان بين خروج يوسف من حجر أبيه إلى يوم التقى معه ثمانون عاماً لا تحف عينا يعقوب، وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب / ١٢ معالم .
- (٦) قال امرؤ القيس.

فقلت يمين الله أبرح قائماه ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى .

/ ١٢ معالم ومنه .

المؤكد أى : لا تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾: مشفياً(*) على الهلاك أو ذائباً(**) من الغم أو من المرض مصدر وضع موضع الاسم ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾^(١): الميتين ، ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي﴾ هو أصعب هم لا يصبر صاحبه على كتمانها فيبيته وينشره إلى الناس ، ﴿وَحَزَنِي إِلَى اللَّهِ﴾: لا إليكم ولا إلى غيركم فحلوني وشكايي ، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: فإن أعلم أن رؤيا يوسف صدق وإلى سوف أسجد له أو أخبره ملك الموت بحياة يوسف ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا﴾: تفحصوا ﴿مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا﴾: لا تنظتوا ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾: من فرجه وتنفيسه ﴿إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾: فإن المؤمن لا يزال يطمع في رحمة الله تعالى ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا﴾: بعدما رجعوا إلى مصر ﴿عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الصُّرُ﴾: شدة الجوع ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ﴾^(٢) مُزْجَاةٍ رديئة أو قليلة كانت دراهم رديئة أو الغرائير والحبائل أو الصوف والأقط أو حبة الخضراء أو الأدم والنعال ، ﴿فَأَوْفٍ لَنَا الْكِيلَ﴾: أتمه لنا ، ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾: برد أحنيا أو بقبض هذه البضاعة المزجاة أو بالزيادة على ما يساويها ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾: أحسن الجزاء ، ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ﴾: قُبْحَ ﴿مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: فرقتم بينهما وذللتموه حتى لا يستطيع أن يتكلم

(*) مشفياً - مشرفاً.

(**) ذائباً - ذائباً.

(١) قاله مجاهد و غرضهم منع يعقوب من البكاء والحزن والأسف شفقة عليه وإن كانوا هم

سبب أحزانه ومنشأ همومه وغمومه / ١٢ فتح .

(٢) وأما أن البضاعة أى شيء ففيه اختلاف، ولا فائدة في تحقيقها له / ١٢

وحيز .

بينكم بعد فقد يوسف إلا بذلة **﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾**^(١) : فإن فعلكم فعل الجهال **﴿قَالُوا أَنْتَكَ﴾** استفهام تقرير **﴿لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾** وضع التاج وكان فوق جبهته مثل شامة بيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها فعرفوه أو هو من وراء ستر فرفع الحجاب فعرفوه ، **﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾**^(٢) : من الأبوين ذكره لتعريف نفسه ولإدخاله في قوله : **﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾** : بالوصال **﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾** : الله ، **﴿وَيَصْبِرِ﴾** : على المصائب **﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** أى : أجره لإحسانه بالجمع بين الصبر والتقوى **﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرْنَا﴾** : اختارك ، **﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾** : بالعلم والحسن **﴿وَإِنْ كُنَّا﴾** : إن شأنا إنا كنا **﴿لَخَاطِئِينَ﴾** : مذنبين **﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ﴾** : لا تغيير ولا مواخظة **﴿عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾** متعلق بمتعلق الخبر أى لا مواخظة في هذا اليوم فكيف بما بعده من الأيام أو المراد من اليوم الدنيا أى : لا مواخظة في الدنيا وأما في الآخرة فبيد الله ولذلك قال ، **﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾** دعا لهم بالمغفرة ، **﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** : فإنه يغفر الصغائر والكبار **﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي﴾**^(٣) هذا أى : القميص الذى كان عليه ، **﴿فَالْقَوَّةَ عَلَى وَجْهِ أَبِي﴾**

(١) لما أبدى عذرهم بقوله: "إذ أنتم جاهلون" دل على أن قوله: "هل علمتم" ليس تعتيياً، بل هو حث على إنابتهم مع خفى معاتبة على وجود الجهل وأنه حقيق الانتفاء عن مثلهم فلهذا هذا الخلق الكريم / ١٢ وجيز .

(٢) زادهم فى الجواب لأنه سبق منه قوله: "هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه" وتوطئة لما ذكر بعد من قوله: "قد من الله علينا" / ١٢ وجيز .

(٣) وأخرج الحكيم الترمذى وأبو الشيخ عن وهب بن منبه قال: لما كان من أمر إخوة يوسف ما كان كتب يعقوب إلى يوسف، وهو لا يعلم أنه يوسف:

بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب بن إسحق بن إبراهيم إلى عزيز آل فرعون سلام عليك فإن أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد، فإنا أهل بيت مولع بنا أسباب

يَأْتِ^(١) بَصِيرًا: يصير بصيرًا ذا بصر قالوا: القميص من نسج الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفى ، ﴿وَأَتُونِي﴾: أنتم وأبى ، ﴿بِأَهْلِكُمْ﴾^(٢): نسائكم وذراريكم ، ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾^(٣)
 قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٤﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى
 وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥﴾
 قَالُوا يٰتَابْنَا أَسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٦﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ
 رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوَتِهِ

= البلاء كان جدى إبراهيم خليل الله ألقى فى النار فى طاعة ربه فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا وأمر الله جدى أن يذبح له أبى ففداه وكان لى ابن وكان أحب الناس إلى ففقدته فأذهب حزنه عليه نور بصرى وكان له أخ من أمه كنت إذا ذكرته ضمته إلى صدرى فأذهب عني بعض وجدى وهو المحبوس عندك فى السرقة وإني أخبرك لم أسرق ولم ألد سارقًا، فلما قرأ يوسف الكتاب بكى وصاح وقال: اذهبوا بقميصي / ١٢ فتح وزاد محبي السنة بعد قوله: "لم ألد سارقًا" فإن رددته أتى وإلا دعوت إليك دعوة تدرك السابغ من ولدك / ١٢ .

(١) على أن يأتى من أخوات كان قيل: كان ذلك بوحي الله، وقيل: بعث إليه قميصه ليزول بكأؤه وينشرح صدره قال يهوذا: أنا أحمل قميص الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء ، قيل : حمله وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان وبينهما مسير ثمانين فرسخًا / ١٢ فتح.

(٢) أى : جميع من شمله لفظ الأهل من النساء والذرارى قيل: كانوا سبعين وقيل: ثلاثة وتسعين / ١٢ فتح .

وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿١٢٦﴾ وَرَفَعَ أَبُوتَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِبَ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُوفِّى مُسْلِمًا وَالْحَقِيقَى بِالصَّلَاحِينَ ﴿١٢٨﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٩﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٠﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ﴾: خرجت ، ﴿العير﴾ : من مصر^(١) ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾: لمن حضره^(٢) ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ هاجت ريح فجاءت برائحة قميصه من مسيرة ثمانية أيام ﴿لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾^(٣) أى: لولا تسفهوني وتنسبونى إلى نقصان عقل للهم لصدقتموني وجواب لولا محذوف ﴿قَالُوا﴾: الحاضرون ، ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾: لفى خطئك القديم من حب يوسف ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ أى: البريد قال البصريون: تقديره لما ظهر بحجيء البشير فأضمر الرافع قال بعضهم: البشير يهوذا الذى جاء بقميصه ملطخًا بدم كذب ﴿الْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ﴾:

(١) قاصدة مكان يعقوب والأصح أنه قريب من بيت المقدس .

(٢) من أولاده وأحفاده وعشائره .

(٣) قال بعض العلماء : يقال شيخ مفند أى فاسد الرأى ، ولا يقال عجوزة مفندة لأن المرأة لم تكن لها قط رأى أصيل / ١٢ منه .

عاد ﴿بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾: بتعليمه ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ﴾: يعقوب ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾: أخر الدعاء إلى السحر(*) أو إلى ليلة الجمعة(**) أو إلى أن يستحل لهم من يوسف ، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾: في (١) موضع خارج عن البلد حين استقبلهم يوسف وأهل مصر ﴿آوَى﴾: ضم ﴿إِلَيْهِ أَبِيهِ﴾: أباه وخالته فإن أمه ماتت وعن بعض السلف أن أمه في حياة ، ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾: من القحط والمكاره فلا استثناء متعلق بالدخول المكيف بالأمن ، ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾: السرير ﴿وَوَحَّرُوا لَهُ سُجْدًا﴾: أبواه وإخوته وكان سجود التعظيم شائعاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام فحرم في هذه الملة الغراء(***) وجعل السجود مختصاً بجناب الرب تعالى شأنه قال بعضهم: المراد من السجود الانحاء ، وعن بعضهم معناه : خروا لله تعالى سجداً شكراً له والأول أصح ، ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾: الشمس والقمر أبوإى وأحد عشرو كوكباً إخوتي ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾: صدقاً وكان بين رؤياه وتأويله أربعون سنة أو ثمانون سنة أو خمس وثلاثون سنة أو ثمانى

(*) صح ذلك عن ابن مسعود وغيره، كما في تفسير ابن كثير (٤٩١/٢).

(**) ورد في ذلك حديث مرفوع أخرجه ابن جرير بسند ضعيف، انظر المصدر السابق.

(١) روى أن يوسف جهز إلى أبيه مائتي راحلة وخرج في أربعة آلاف من عظماء مصر وخرج أهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب يمشى متكئاً على يهودا فنظر إلى الخيل والناس وقال: هذا يا يهودا فرعون مصر؟ قال: لا، ولكن هذا ولدك فلما لقيه أبوه قال: السلام عليك يا مذهب الأحران وسأله أول ما كلمه عن دينه/ ١٢ وجيز .

(***) وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: "ما ينبغي لأحد أن يسجد لأحد....." وقد روى

من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم. راجع الإرواء (١٩٩٨).

عشرة سنة والله تعالى أعلم ، ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ : ولم يذكر الحب لأنه وعد مع إخوته لا تثريب عليكم بعد هذا ، وأيضاً عد لهم نعماً غير معلومة لهم وإخراجه من الحب معلوم لإخوته ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ : البادية فإنهم كانوا أهل بادية ومواشى ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ﴾ : أفسد ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾ : تدبيره ﴿لَمَّا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ : بالأمور ﴿الْحَكِيمُ﴾ : الذى لا يفعل إلا على وفق الحكمة ﴿رَبِّ﴾ ^(١) قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ أَي : بعضه وهو ملك مصر ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ : بعض تعبير الرؤيا ﴿فَاطِرُ﴾ : مبدع ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، منصوب بالمنادى ﴿أَنْتَ وَلِيِّي﴾ : ناصرى ومتولى أمرى ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي﴾ : اقْبِضْنِي ﴿مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ^(٢) : من آبائى وغيرهم سأل الوفاة على الإسلام واللحاق

(١) فلما جمع الله تعالى ليوسف شمله علم أن نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله تعالى حسن العاقبة فقال: "رب قد آتيتنى من الملك" / ١٢ معالم .

(٢) قال قتادة: لم يسأل نبي من الأنبياء الموت إلا يوسف، وفي القصة لما جمع الله شمله وأوصل إليه أبويه وأهله اشتاق إلى ربه عز وجل فقال هذه المقالة قيل كان عمره عند أن ألقى في الحب سبع عشرة سنة وكان في العبودية والسجن والملك ثمانين سنة إلى قدوم أبيه يعقوب ثم عاش بعد اجتماع شملهم حتى كمل عمره المقدار الذى سيأتى وتوفاه الله وليس فى اللفظ ما يدل على أنه طلب الوفاة فى الحال ، ولهذا ذهب الجمهور إلى أنه لم يتمن الموت بهذا الدعاء فى الحال وإنما دعا به أن يتوفاه على دين الإسلام ويلحقه بالصالحين من عباده عند حضور أجله وقد عاش بعد ذلك سنين كثيرة وولد له من امرأة العزيز ثلاثة أولاد إفرائيم وميشا ورحمة امرأة أيوب المبتلا - عليه السلام - ولما مات دفنوه فى أعلى النيل فى صندوق من رخام وقيل: من حجارة المرمر لتعم البركة جانبيه فسبحان من لا انقضاء لملكه فبقى أربعمئة سنة إلى أن أخرجه موسى وحمله معه حتى

بالصالحين إذا حان أجله وانقضى عمره وكلام بعض السلف وهو أنه ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف عليه السلام يشعر بأنه سأل منجزاً وهو جائز في ملتهم ويحتمل أن مراده أنه أول من سأل الوفاة على الإسلام كما أن نوحاً عليه السلام أول من قال "رب اغفر لي ولوالدي وللمن دخل بيتي" الآية (نوح: ٢٨)، وقالوا: أقام يعقوب عند يوسف أربعاً وعشرين سنة ثم مات وحمل جسده الشريف عند أبيه إسحاق عليه السلام بالشام ، ﴿ذَلِكَ﴾ أى: نبأ يوسف ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾: لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾: عزموا على أمرهم ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾: ييوسف وهذا كالدليل على أنه بالوحي لأنه لم تكن عندهم وما كان أحد من قومك يعلمه فيعلمك ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ : على إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: لعنادهم وعدم إرادة الله تعالى قال بعضهم: نزلت حين سأل قريش واليهود عن قصة يوسف فلما أخبرهم رجاء إيمانهم ، ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغ الوحي ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: من جعل ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ : عظة ، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾: عامة لا تخص بهم .

﴿وَكَايِنَ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿١٢﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١٣﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٤﴾ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحٰنَ ٱللَّهِ وَمَا أَنَا

= دفنه بقرب آبائه بالشام في الأرض المقدسة وهو الآن هناك / ١٢ فتح . [إخراج موسى لجسد يوسف عليهما السلام ودفنه له بقرب آبائه بالشام صحيح ثبت في حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه الحاكم (٥٧١/٢) وغيره.]

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ
الْقَرْيَةِ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ
وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرِدُّ بَأْسُنَا عَنِ
الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا
يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾

﴿وَكَايْنِ﴾ أى: وكى (١)، ﴿مَنْ آيَةٍ﴾: دلائل دالة على وجوده وصفاته الحسنى ﴿فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾: على الآيات يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا
مُعْرِضُونَ﴾: لا يتفكرون فيها ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾: في الإقرار بخالقيته
﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (٢): لعبادتهم غيره إهم إذا قيل لهم: من خلق السماوات

(١) والمشهور أنه مركب من كاف التشبيه ومن أى / ١٢ وجيز .

(٢) يعبدون معه غيره كما كانت تفعله الجاهلية فإنهم مقررون بالله سبحانه الخالق لهم لكنهم
كانوا يثبتون له شركاء فيعبدهم ليقربوهم إلى الله كما قالوا: "ما نعبدهم إلا ليقربونا
إلى الله زلفى" (الزمر: ٢)، ومثل هؤلاء الذين اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون
الله المعتقدون في الأموات بأنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه كما يفعل
عباد القبور ولا ينافي هذا ما قيل من أن الآية نزلت في قوم مخصوصين فالاعتبار بما يدل
عليه اللفظ لا بما يفيد السبب من الاختصاص بمن كان سبباً لتزول الحكم ، قال ابن
عباس في الآية : سلهم من خلقهم ومن خلق السماوات والأرض؟ فسيقولون: الله
فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره ، وقال عطاء : كانوا يعلمون أن الله ربهم وهو خالقهم
وهو رازقهم وكانوا مع ذلك يشركون وقال الضحاك: كانوا يشركون في

والأرض؟ قالوا: الله وهم يشركون به ، وعن الحسن البصري أن هذا في المنافقين قال بعض السلف: ثمة شرك آخر لا بد أن تشعره وهو الرياء ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ : عقوبة تغشاهم وتشملهم ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ : فجأة مفعول مطلق ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ : فلا يستعدون لها ، ﴿قُلْ هَذِهِ أَيْ: الدعوة إلى التوحيد ﴿سَبِيلِي﴾ : طريقتي ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ : بيان وتفسير للسبيل ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ : معرفة وحجة ﴿أَنَا﴾ : تأكيد لضمير أدعو ، ﴿وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾ أي^(١) : من آمن بي أيضًا يدعوا إلى الله تعالى ، قال بعضهم : تم الكلام عند قوله : "إلى الله" و"على بصيرة" خبر أنا وما عطف عليه ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أي: قل أنزهه تزيهاً عن الشريك ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ : يا محمد ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ : لا نساء ولا ملائكة ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ : كما أوحينا إليك ﴿مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ فإن أهلها أعقل من أهل البادية ، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ : من الأمم المكذبة فيعتبروا ﴿وَلَدَارُ﴾ : الحياة ﴿الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ : الشرك ، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ :

= تلبيتهم يقولون: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك / ١٢ فتح.

(١) قال ابن عباس : يعني أصحاب محمد كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية معدن العلم وكثر الإيمان وجند الرحمن قال عبد الله بن مسعود: من كان مستتاً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم / ١٢ معالم التنزيل .

يستعملون(*) عقولهم فيؤمنوا ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ﴾ متعلق بما دل عليه الكلام كأنه قيل : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً فتراخى نصرهم وتطاول عهدهم في الكفار حتى إذا استيسر الرسل من قومهم أن يصدقوهم ، أو استياسوا من نصرهم ﴿وَوَظَّنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ فيه قراءتان التخفيف والتشديد وعلى الأول: الضمائر كلها لمن أرسل الرسل إليهم فإن الرسل دال عليهم وحاصله أنهم حسبوا كذب الرسل في الوعيد والوعد والضمائر للرسل يعني قد خطر بخواطيرهم خلف الوعد من الله تعالى في نصرهم ، وعن ابن عباس^(١) رضى الله عنهما لأهم كانوا بشرًا وتلا: "حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله" (البقرة: ٢١٤)، وقيل معناه : ظنوا كذب القوم بوعد الإيمان وخلف وعدهم وعلى الثاني، الضمائر للرسل والظن بمعنى اليقين وهو شائع أى: أيقنوا تكذيب القوم لهم أو بمعناه أى : ظنوا أنهم يكذبهم من آمن بهم أيضًا يرتد عن دينهم لاستبطاء النصر ﴿جَاعَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾ وهم أتباع الأنبياء، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ أى : عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ : قصص المرسلين مع قومهم أو قصص يوسف وإخوته ﴿عِبْرَةٌ﴾ : عظة ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ﴾ : القرآن ، ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ : يختلق ، ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ : من الكتب السماوية ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ : يحتاج إليه العباد من أمر الدين ﴿وَهُدًى﴾ : من الضلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ : ينال بها خير الدارين ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ : يصدقونه.

اللهم اجعلنا منهم .

(*) بالأصل: تستعملون.

(١) رواه البخارى عن ابن عباس، والمراد الوسوسة وحديث النفس لا الظن المصطلح/١٢.

سورة الرعد مكية أو مدنية

وهي ثلاث وأربعون آية وست مركات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْمَرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٍ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ * وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِىٰ أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنْمَأ أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾

﴿المر﴾ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أنا الله أعلم وأرى ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ أي : تلك الآيات التي في هذه السورة آيات القرآن، ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ﴾ أي : القرآن كله، ﴿الْحَقُّ﴾ لا هذه السورة وحدها وهو خير والذي ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١) لما فيهم من العناد، ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ أي : أساطين جمع عماد أو عمود ﴿تُرَوْنَهَا﴾، صفة لعمد، وعن بعض السلف أن لها عمداً ولكن لا ترى ، أو استئناف للاستشهاد برؤيتهم للسموات كذلك فضمير المؤنث حينئذ للسموات ﴿ثُمَّ اسْتَوَى^(٢) عَلَى الْعَرْشِ﴾،

(١) لما ذكر أن المتزل هو الحق بين أن أكثر الناس لا يؤمنون على سبيل الزجر والتهديد ثم ذكر عقبيه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد فقال : " الله الذي " الآية / ١٢ كبير .

(٢) وقال الإمام أبو الحسن علي بن مهدي الطبري تلميذ الأشعري في كتاب مشكل الآثار له في باب قوله تعالى " الرحمن على العرش استوى " (طه: ٥): اعلم أن الله في السماء فوق كل شيء مستو على عرشه بمعنى أنه عال عليه ومعني الاستواء الاعتلاء كما تقول العرب : استويت على ظهر الدابة ، واستويت على السطح ، بمعنى علوته ، واستوت الشمس على رأسي واستوى الطير على عمة رأسي بمعنى علا في الجو فوجد فوق رأسي ، فالقدم جل جلاله وتعالى عظمته عال على عرشه بذاته بائن من مخلوقاته بقوله : " أأمنتم من في السماء " (الملك: ١٦)، وقوله : " يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى " (آل عمران: ٥٥)، وقوله : " ثم يعرج إليه " (السجدة: ٥)، وزعم البلخي أن استواء الله على العرش هو الاستيلاء مأخوذ من قول العرب : استوى بشر على العراق ، إذا استولى عليها ، فالجواب أن الاستواء هاهنا ليس بمعنى الاستيلاء ، لأن الله مستول على العرش وعلى جميع مخلوقاته من حين أوجدهم ، كما هو المعلوم من الدين بالضرورة ، فلا معنى حينئذ لتخصيص العرش بالاستيلاء عليه من دون سائر خلقه ، فإن بذلك بطلان قوله ، وكذلك أيضاً أن الاستواء هاهنا ليس هو الاستيلاء الذي هو من قول

قال السلف : الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، وقيل: علا^(١) عليه ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ ذللهما لما أراد منهما ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أى : لدرجاتهما

= العرب: استوى فلان على كذا أى : استولى ، إذا تمكن منه بعد أن لم يكن متمكناً والبارئ عز وجل لا يوصف بالتمكن بعد أن لم يكن متمكناً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً انتهى.

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتاب اختلاف المضلين ومقالات الإسلاميين : إن الله تعالى على عرشه كما قال: "الرحمن على العرش استوى" (طه: ٥)، وذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال : فلولا أن الله تعالى على عرشه ما قال في حق ملائكته: " يخافون ربهم من فوقهم " (النحل: ٥٠)، ولما فطر الخلق عند سؤاله على رفع الأيدي إلى السماء، قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : إن معنى استوى استولى وملك وقهر مما يفيد التجدد والحدوث في الملك - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - بل هو مستول ومالك وقاهر على العرش وعلى جميع مخلوقاته من حين خلقهم وقالوا : إنه في كل مكان وجحدوا أن يكون على عرشه ، كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلى القدرة فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش وبين الأرض السابعة ، لأنه قادر على كل شيء وكيف يكون في كل مكان ومنه الحشوش والخانات والمزابل وما أشبه ذلك من الأماكن المستقدرة - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - ولم يخبر عند أحد من المسلمين أن يكون الله في شيء من ذلك فبطل ما قالوه بالنقل والعقل وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك / ١٢ .

(١) قال البغوي في تفسيره وجزم به بلا ذكر الاختلاف، وفي صحيح البخاري قال مجاهد : استوى على العرش : علا على العرش ، ونقل الذهبي عن محمد بن جرير الطبري في قوله : " ثم استوى على العرش الرحمن " (الفرقان: ٥٩)، أى علا وارتفع فأيضاً نقل عنه أنه قال في تفسير قوله : ثم استوى على العرش في كل مواضعه أى : علا وارتفع وقد مر البحث مستوفى في سورة الأعراف فارجع إليه/ ١٢ .

ومنازلهما ينتهيان إليها لا يجاوزانها ، أو إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا ﴿يَذَبِّرُ﴾^(١)
 الأمر: جميع أمور ملكوته ﴿يَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾: يوضحها، ويترها مفصلة ﴿لَعَلَّكُمْ
 بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: لكي تفكروا فيها فتعلموا كمال قدرته بحيث لا يعجز عن
 الإعادة والجزاء ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ^(٢) الْأَرْضَ﴾: بسطها، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾:
 جبالا ثوابت ﴿وَأَنْهَارًا﴾: ضمها مع الجبال فإنها تخرج من الجبال أكثرها ﴿وَمِنْ كُلِّ
 الشَّجَرَاتِ﴾، ظرف لقوله: ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي: صنفين أسود وأبيض،
 أكبر وأصغر، حلوا وحامضا قيل: أول ما خلق العالم خلق من كل نوع من الأشجار
 اثنين فقط كما خلق الإنسان من زوجين ﴿يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾: يلبسه مكانه فيصير
 مظلمًا بعدما كان مضيئًا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فيما فيها من
 الصنائع والبدائع، ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾: بقاع مختلفة مع كونها متجاورة
 متلاصقة طيبة إلى سبخة صلبة إلى رخوة ومن غير ذلك وهي دالة على قدرته واختياره
 ﴿وَجَنَّاتٌ﴾: بساتين، ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِينَوْنَ﴾ هي: نخلة لها رأسان
 وأصلهما واحد ﴿وَعُغَيْرُ صِينَوْنَ﴾: مختلفة الأصول ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِثَ لِّ
 بَعْضِهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾: في الثمر طعمًا وشكلًا، ورائحة وقدرًا مع أنها
 تستمد من طبيعة واحدة وهي الماء، بل وبعضها من أصل واحد فسبحانه من قادر
 ومختار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم، ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ﴾:

(١) وهذا التدبير والإنفاذ والإمضاء وهو من فوق العرش وهو ظاهر نظم القرآن الكريم/ ١٢

فتح.

(٢) لما قدر الدلائل السماوية أردفها بالدلائل الأرضية فقال: " هو الذي مد الأرض /" ١٢

كبير .

يا محمد من إنكارهم النشأة الآخرة، ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾^(١) أي : فعجبت في موضعه حقيق بأن تتعجب، أو أن تعجب من تكذيبهم إياك، بعد ما حكموا بصدقك فاعجب

(١) اعلم أنه أخطأ صاحب الفتح هاهنا خطأ بيناً وغلط غلطاً فاحشاً حيث قال ناقلاً عن القرطبي : والله تعالى لا يجوز عليه التعجب لأنه تغير النفس بشيء تخفى أسبابه وذلك في حق الله محال انتهى.

أقول هذا بناء على أصل فاسد وضعه نفاة الصفات فنفوا ذلك كثيراً من الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة كالرحمة ، والغضب ، والمحبة ، والرضا ، والضحك والتعجب يقولون : إن هذه انفعالات نفسانية والله تعالى متره عنها ولا يدرون أنها انفعالات فينا لا في الله تعالى - تعالى الله عن ذلك - وكما أن ذاته تعالى ليس كذوات المخلوقات وصفاته أيضاً لا يشابه صفات المخلوقين ، وبيان ذلك أن كل ما سوى الله تعالى مخلوق منفعل ، ونحن وذواتنا منفعة فكونها انفعالات فينا لغيرنا نعجز عن دفعها لا يوجب أن يكون الله منفعلاً لها عاجزاً عن دفعها، فإن كل ما يجري في الوجود فإنه بمشيئته وقدرته لا يكون إلا ما يشاء ، ولا يشاء إلا ما يكون ، له الملك وله الحمد وأما قولهم التعجب استعظام للمتعجب منه، فيقال : نعم، وقد يكون مقروناً بجهل بسبب المستعجب منه وقد يكون لما خرج عن نظائره والله تعالى بكل شيء عليم فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما يعجب منه، بل يتعجب منه لخروجه عن نظائره تعظيماً ، والله تعالى يعظم ما هو عظيم ، إما لعظمه أو لعظمته فإنه وصف بعض الخير بأنه عظيم ووصف بعض الشر بأنه عظيم فقال تعالى : " رب العرش العظيم " (التوبة: ١٢٩)، وقال : " ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم " (الحجر: ٨٧)، وقال : " ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ تنبيهاً وإذا لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً " (النساء: ٦٦، ٦٧)، وقال : " لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم " (النور: ١٦)، وقال : " إن الشرك لظلم عظيم " (لقمان: ١٣)، ولهذا قال تعالى : " بل عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ " (الصافات: ١٢)، على قراءة الضم فهنا هو عجب من كفرهم مع وضوح الأدلة وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - أثر هو وامرأته لضييفهما: "لقد عجب الله من صنيعكما

من قولهم أو إن تعجب من شيء فاعجب من قولهم: ﴿أَلَيْسَ كُنَّا تُرَابًا﴾ مرفوع بأنه بدل من قولهم أو منصوب به وإذ نصب بما دل عليه قوله: ﴿أَلَيْسَ كُنَّا تُرَابًا﴾ فحقيق جديد ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾: هم الكاملون في الكفر ﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾: يوم القيامة يسحبون بها في النار، ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: بالعقوبة، ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي: العافية سألوا نزول العذاب استهزاء أو يطلبون النعمة لا النعمة كقولهم: "عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب" ﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ﴾: عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ﴾ أي: لذو إمهال وستر ﴿عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾: على كفرهم ومعاصيهم، وإن فسرت المغفرة بالعفو فعلى ظلمهم حال ولا بد أن يفسر الظلم بمعاصي غير الكفر، ولا يناسب المقام فإنه إن

= البارحة" [أخرجه البخاري في "التفسير"، (٤٨٨٩) ومسلم في "الأشربة"، (٧٤٩/٤) ط الشعب]، وفي لفظ في الصحيح "لقد ضحك الله الليلة" [أخرجه البخاري في "مناقب الأنصار"، (٣٧٩٨)]، وقال: "إن الرب ليعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت"، يقول الله: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنا" [أخرجه أحمد (٧٥٣) ط شاكر] وأبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٣). وغيرهم، وانظر صحيح الجامع (٢٠٦٩)، والصحيحة (١٦٥٣)]، وقال: "عجب ربك من شاب ليست له صبوة" [ضعيف، أخرجه أحمد والطبراني عن عقبة بن عامر مرفوعا، وانظر ضعيف الجامع (١٦٥٨)]، وقال: "عجب ربك من راعي غنم على رأس جبل شظية - يؤذن ويقيم، فيقول الله: انظروا إلى عبدي" [صحيح، أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي عن عقبة مرفوعا، وانظر صحيح الجامع (٨١٠٢)، وراجع الإرواء]، أو كما قال، ونحو ذلك هكذا قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - قدس الله روحه / ١٢ .

فسرت بما يعمه فلا يخفى(*) أن العفو من غير توبة فلا يصح بمذهب، وإن كان بعد التوبة فلا يلائم، لأنهم بعد التوبة ليسوا على الظلم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ : لمن شاء ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ : هلا، ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ ، لم يعتدوا بالآيات الباهرات واقترحوا مثل ما أوتى موسى وعيسى، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ : لا عليك الإتيان بما اقترحوا كجعل الصفا ذهاباً ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ : نبي مخصوص يدعوهم إلى الهدى ، أو معناه أنت منذر ولكل قوم هاد يهديهم إذا أراد ، وهو الله ، وعن بعض السلف الهادي علي بن أبي طالب^(١) - رضى الله عنه - وأيضاً في ذلك^(٢) حديث؛ لكن قيل فيه نكارة شديدة^(٣).

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِالْئِيلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ﴿لَهُ

(*) في الأصل المطبوع : "فلا يخ" ولعل الصواب ما أثبت .

(١) روي عن ابن عباس في أحد الروايات قاله ابن أبي حاتم، وعن أبي جعفر محمد بن علي نحو ذلك ونقل ابن أبي حاتم عن علي أنه قال : الهادي رجل من بني هاشم ، قال ابن الجنيد : هو علي بن أبي طالب / ١٢ منه .

(٢) ذكره ابن جرير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية وضع عليه الصلاة والسلام يده على صدره فقال : "أنا المنذر وأوماً بيده إلى منكب علي فقال : أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدى" / ١٢ .

(٣) قاله الشيخ عماد الدين ابن كثير / ١٢ منه . [تفسير ابن كثير (٢/٥٠٢)]

مُعَقَّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ
حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۖ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُمْ مِنْ
دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ
النِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ
فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُ
دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ
كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغٍ ۖ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ
وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى
وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ
فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ
عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلَهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ
وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ
كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ
يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ
أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوِلُهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَفِيهَا أَلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ * ﴿١٩﴾

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ﴾^(١) كُلُّ أُنْثَى ﴿من ذكر وأُنْثَى سِوَى الْخَلْقِ أَوْ نَاقِصَهُ ، وَاحِدٌ وَأَكْثَرُ﴾ وَمَا تَغِيضُ : تنقص ، ﴿الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ : فى مدة الحمل أو عدد الولد أو المراد نقصان غذاء الولد وازدياده وهو دم الحيض وغاز وازداد جاءا لازمين ومتعدين ، فإن كانا لازمين تعين أن يكون ما مصدرية ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ : بقدر معلوم وحد لا يجاوزه ، وعنده ظرف للمقدار ، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ، ما غاب عن الخلق وحضر ﴿الْكَبِيرُ﴾ : العظيم القدر ، ﴿الْمُتَعَالَى﴾^(٢) : المستعلى على كل شيء أو متعال عما لا يليق بكماله ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ كما يحيط علمه بعلايته يحيط بسرهِ ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾ : طالب للخفاء ، ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ : بارز به يراه كل أحد ، وهو إما عطف على من أو على مستخف على أن من فى معنى الاثنين كأنه قال : سواء منكم اثنان مستخف وسارب ، ﴿لَهُ﴾ الضمير لمن ، أى : لمن أسر وجهه واستخفى وسرب ﴿مُعَقَّبَاتٌ﴾ : ملائكة يعقب بعضهم بعضًا فى الليل والنهار ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ : ملكان من قدامه وورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ : من بأسه وبلائه ، أو من أجل أمر الله وبإذنه ، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه وعن بعض السلف المعقبات الحرس^(٣) حول السلطان يحفظونه بزعمهم من أمر الله قيل : مراده بهذا أن حرس الملائكة تشبه حرس هؤلاء للملوكهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ : من النعمة أو النعمة ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ : من

(١) ولما تقدم إنكارهم البعث لتفتت الأجزاء بحيث لا يتميز بينها نبه على إحاطة علمه بالخفيات فقال : " الله يعلم ما تحمل " الآية / ١٢ وحيز .

(٢) أو المتعالي عن الخلق باستوائه على عرشه ، ومبائنته عن خلقه وهو الأولى / ١٢ فتح البيان .

(٣) قاله عكرمة وابن عباس والضحاك والظاهر أن مرادهم أنه ينكر عليهم اتخاذ الحرس فإنهم يحفظونه ولا يمكن الحفظ منه / ١٢ منه .

الأحوال الجميلة أو القبيحة وقد ورد "قال الرب : وعزّي^(١) وجلالى وارتفاعي فوق عرشي ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجال ببادية كانوا على ما كرهته من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي ما يحبون من رحمتي" **﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾** : لا راد له **﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ﴾** : يلي أمرهم فيدفع عنهم السوء **﴿هُوَ الَّذِي^(٢) يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾** نصبهما بالمفعول له بتقدير إرادة خوف وطمع ، أو التأويل بالإخافة والإطماع ، وعن بعض السلف الخوف للمسافر والطمع للمقيم **﴿وَيُنشِئُ﴾** : يخلق ، **﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾** : من كثرة الماء ، **﴿وَيَسْبِغُ الرُّعْدُ﴾** هو اسم لهذا الصوت أو لملك موكل^(٣) بالسحاب **﴿بِحَمْدِهِ﴾** : متلبسًا بحمده **﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾** : من خوف الله تعالى ، **﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا﴾** : فيهلك ، **﴿مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾** : يكذبون آياته ورساله ، والواو للحال أو للعطف نزلت^(٤) في كافر قال : مم ربك ؟ من ذهب أو فضة أو لؤلؤ ، وهو يجادل إذ أخذته صاعقة فأحرقته **﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ^(٥)﴾** : الحول أو القوة أو الأخذ أو المحال المحالة وهي شدة

(١) نقله الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال الشيخ ابن كثير : وهذا غريب وفي إسناده من لا أعرفه [تفسير ابن كثير (٢/٥٠٥)] ، هذا ما في المنهية وفي الوجيز نقله الترمذي في أربعينه وصححه / ١٢ .

(٢) ولما خوف عباده بقوله : "وإذا أراد الله أتبعه بما يشتمل على أمور دالة على قدرته وحكمته تشبه النعم من وجه والنقم من وجه فقال : " هو الذي " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) كما في حديث رواه الإمام أحمد والترمذي / ١٢ . [صحيح ، أخرجه أحمد (١/٢٧٤) والترمذي (٤/١٢٩) ، وغيرهما ، وراجع الصحيحة (١٨٧٢)]

(٤) نقله الحافظ أبو يعلى والبخاري / ١٢ وجيز .

(٥) وفي الشواذ بفتح الميم مفعول من حال يحول إذا احتال / ١٢ وجيز .

الماكرة والمكائدة ﴿لَهُ﴾: لله ﴿دَعْوَةٌ﴾^(١) الحقّ: دعوة الحق التوحيد ، وقيل : معناه العبادة والدعاء الحق لا الباطل ، كان له لا لغيره ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: الأصنام، ﴿مِنْ

(١) اعلم أن الدعاء نوع من أنواع العبادات المطلوبة من العباد ولو لم يكن في الكتاب العزيز إلا مجرد طلبه منهم لكان ذلك مفيداً للمطلوب قال الله تعالى : " ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين " (الأعراف: ٥٥، ٥٦)، وقال سبحانه : " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّما تدعوا فله الأسماء الحسنى " (الإسراء: ١١٠)، فهذه البينات دلت على أن الدعاء مطلوب لله عز وجل من عباده وهذا القدر يكفي في إثبات كونه عبادة فكيف إذا انضم إلى ذلك النهي من دعاء غير الله تعالى قال سبحانه : " فلا تدعوا مع الله أحداً " (الجن: ١٨)، وقال تعالى : " له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء " وقال سبحانه ناعياً على من يدعو غيره ضارباً الأمثال " إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم " (الأعراف: ١٩٤)، وقال تعالى : " قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض " (سبأ: ٢٢)، فكيف إذا صرح القرآن الكريم بأن الدعاء عبادة تصريحاً لا يبقى عنده ريب لمرتاب قال الله سبحانه : " ادعوني استجب لكم إن الذي يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين " (غافر: ٦٠)، ومع هذا كله فقد جاءت السنة المطهرة بما يدل أبلغ دلالة على أن الدعاء من أكمل أنواع العبادة فأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وابن أبي شيبه والحاكم من حديث النعمان بن بشير قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : "إن الدعاء هو العبادة" [صحيح، وانظر صحيح الجامع (٣٤٠٧)، وفي رواية مخ العبادة " ، ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الآية المذكورة [ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٣٠٠٣)]، فهذه القضية الشريفة قد اشتملت على تعريف المسند إليه وتعريف المسند وعلى ضمير الفصل ، وقد صرح أهل المعاني والبيان والأصول بأن كل واحد من هذه الثلاثة آلة من آلات الحصر وإن وجد أحدها يقتضيه ، فكيف إذا اجتمعت جميعاً وانضم إليها حرف التأكيد / ١٢ قاضى محمد بن على الشوكاني في بعض رسائله / ١٢ .

دُونِهِ ﴿: من دون الله - تعالى، أو المراد من الذين الأصنام، أي : الأصنام الذين يدعوهم من دون الله ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ﴾ أي : الأصنام ﴿لَهُمْ﴾: لعبادهم، ﴿يَشِيءُ إِلَّا كَبَاسِطٍ﴾: إلا استجابة كاستجابة من بسط ﴿كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ﴾: يطلب منه أن يبلغ، ﴿فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ لأن الماء جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر أن يصل إلى فيه كالأصنام وعن بعض السلف كمثل الذي تناول الماء من طرف البئر بيده وهو لا يناله أبداً ، فكيف يبلغ فاه ؟! وعن بعض معناه مثلهم كمثل من بسط كفيه ناشراً أصابعه والماء لا يبقى في الكف إذا نشرت الأصابع ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: في ضياع^(١) لا منفعة فيه أو ما دعاؤهم رهم إلا في ضلال ؛ لأن أصواتهم محجوبة عن الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾: ينقاد ويخضع ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾: الملائكة، ﴿وَالْأَرْضِ﴾: الثقلين ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ نصبهما بالمفعول له أو بالحال قيل: المراد من السجدة وضع الجبهة وهو من المؤمنين بالطوع ومن الكفرة وقت الضرورة^(٢) قيل: اللفظ عام والمراد منه الخصوص ﴿وَوَضَّلَهُمْ بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾: في هذين الوقتين يسجد ظلال الكافر والمؤمن بكيفية لا نعرف، وهل يبعد أن يخلق الله - تعالى - في الظلال عقولاً يسجد لخالقه كما خلق في الجبال وتجلي له والمأولة يأولونها إلى تصريحه إياها بالمد والتقليص فقالوا: تخصيص الوقتين لأن المد والتقليص فيهما أظهر والأظهر أن بالغدو ظرف ليسجد والتخصيص لأهما أشرف أوقات العبادة أو المراد بهما الدوام ﴿قُلْ مَنْ (٣) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ أجاب عنهم فإنهم مضطرون إلى هذا

(١) في الوجيز نقله عن ابن عباس / ١٢ .

(٢) والشدة قال الله - تعالى: " فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله " (العنكبوت: ٦٥) / ١٢

منه .

(٣) قال الحافظ عماد الدين بن كثير عند قوله تعالى : " قل من رب السموات والأرض ":

يقدر تعالى أنه لا إله إلا هو لأنهم معترفون أنه هو الذي خلق السموات والأرض وهو

لجواب ﴿قُلْ أَفَاتُخَذْتُمْ مِّنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ ألزمهم بأنكم تأخذون الأصنام ربًّا مع أنكم تسلمون أن الله - تعالى - رب السماوات والأرض ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: لا يقدرون على أن ينفعوا أنفسهم ويدفعوا عنها ضرًّا ، فكيف يملكون لكم؟! ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾: فلا يستوي المؤمن والكافر ، وقيل المراد: هل يستوي الإله الغافل عنكم والإله المطلع على أحوالكم؟ ، ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ فلا يستوي الكفر والإيمان ، ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾: بل أ جعلوا والهمزة للإنكار ، ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ صفة لشركاء ، ﴿فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ﴾: خلق الله وخلق الشركاء ، ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: ما اتخذوا شركاء خالقين حتى يتشابه عليهم الأمر، فيقولوا: هؤلاء خالقون كما أن الله - تعالى - خالق فاستحقوا العبادة أيضًا ، بل اتخذوا شركاء من أعجز الخلق ، ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: وحده لا شريك له فلا تشركوا في عبادته غيره ، ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ﴾: بالألوهية ، ﴿الْقَهَّارُ﴾^(١): الغالب ، ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ جمع واد ، وهو موضع يسيل فيه الماء ، فنسبة السيل مجاز للمبالغة ، ﴿بِقَدَرِهَا﴾ أي : أخذ كل واد بحسبه ، فالكبير يسع

= ربا ومدبرها ومع هذا قد اتخذوا من دون الله أولياء يعبدونهم وإنما كان عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم يعترفون أنها مخلوقة عبيد له ، كما كانوا يقولون في تليبتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ، وكما أخبر عنهم قوله - تعالى : " ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " (الزمر: ٣) ، فأنكر - تعالى - ذلك عليهم حيث اعتقدوا ذلك ، وهو - تعالى - لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له ، ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم يزجرهم عن ذلك وينهاهم عن عبادة ما سوى الله فكذبوهم / إنتهى ١٢ .

(١) ولما وصف نفسه الأقدس بأنه القهار أتبعه بذكر مثال نافع من قهره وغلبيته فقال : " أنزل من السماء " / ١٢ وحيز .

الكثير ، والصغير يسع القليل ، قيل : بمقدارها الذي علم الله أنه نافع ، ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا﴾ أي : الزبد الذي يظهر على وجه الماء من غليانه ، ﴿رَأْيَا﴾ : مرتفعًا على وجه السيل ، ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ^(١) عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ أي : جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس وغير ذلك ، ﴿اِبْتِغَاءً﴾ : طلب ، ﴿حِلْيَةً أَوْ مَتَاعٍ﴾ : كالأواني وآلات الحرث والحرب ، ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾ أي : مما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء ومن للابتداء أو للتبويض ، ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي : مثلهما ، فالحق كالماء الذي ينتفع به الناس بقدر وسع أنهارهم وأوديتهم ، ويمكث في الأرض وكالجواهر الأرضية المنتفعة بها في صواغ الحلبي والأمتعة عنها ويدوم نفعها والباطل كالزبد الذي ليس له نفع ويزول بسرعة وإن علا بعض الأحيان على الماء الصافي وعلى الجواهر حين أذيت ، وعن بعض السلف أراد من الماء القرآن^(٢) ، ومن الأودية القلوب احتملت القلوب منه على قدر يقينها وشكها فأما الشك فلا ينفع معه العمل وأما اليقين فينفع الله به أهله ، وقالوا أيضًا : العمل السيئ يضمحل عن أهله كالزبد لا نفع له ولا يبقى وأما من عمل بالحق كان له ويبقى كما يبقى الماء الصافي والجواهر الخالصة ، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ أي : يرمى به السيل منصوب على الحال ، ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ : كالماء الصافي وخلاصة الفلزات ، ﴿فَيَمْكُثُ^(٣) فِي الْأَرْضِ﴾ وبه ينتفع

(١) أى : ومما توقدون ينشأ زبد الماء أو بعضه زبد مثله / ١٢ .

(٢) وفي الحديث الصحيح يؤيد هذا التأويل وهو "مثل ما بعثت به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبثت ، ومنها أجادب فأمسكت الماء فانتفع الناس به ، بسقيهم وزرعهم ، ومنها قيعان فلا يمسك ولا ينبث" / ١٢ وجيز .

[أخرجه البخاري في "العلم" ، ، ومسلم في "الفضائل" ، (٢٢٨٢)]

(٣) بدأ بالزبد إذ هو المتأخر والباطل كناية عنه ، وهو أيضًا متأخر وهذه طريقة حسنة ، يبدأ بتقسيم ما ذكر آخرًا ليكون بجنبه نحو "يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين

الخلق ، «كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ» : للإيضاح والتبيين ، «لِلَّذِينَ^(١) اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ» وهم المؤمنون ، «الْحَسَنَى» : المثوبة الحسنی وهي الجنة مبتدأ ، والذين استجابوا خبره ، «وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ» وهم الكفرة مبتدأ وقوله «لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ» خبره ، أي : لو كان لهم جميع الدنيا ومثله في دار الآخرة^(٢) لافقدوا به للتخلص من عذابه ، قيل : ضرب المثل لبيان الفريقين ، فقوله : "الذين" متعلق بيضرب ، والحسنی صفة مصدر ، أي : استجابوا الاستجابة الحسنی، وقوله : "لو أن لهم" إلخ ... كلام مبتدأ لبيان مآل الفريق الآخر ، «أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ» : المناقشة فيه وعدم غفر شيء من ذنبه ، «وَمَا وَاهُمْ» : مرجعهم ، «جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمِهَادُ» جهنم ، أي : المستقر .

«أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿٦٠﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٦٢﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٦٣﴾ جَنَّتُ

= اسودت وجوههم" (آل عمران: ١٠٦)، وقد يكون الأمر بالعكس نحو: "فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا" (هود: ١٠٥)، فكان الله أعلم يبدأ بما هو أهم بالمقصود والذكر / ١٢ وحيز .

(١) ولما ضرب المثل للحق والباطل انتقل ما لأهلها من الثواب والعقاب ، فقال : " للذين استجابوا " / ١٢ وحيز .

(٢) وهم في الدنيا بخلوا بقليل منها / ١٢ .

عَدَنِي يَنْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ
يَنْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿١٢﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ
﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ
يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿١٤﴾ اللَّهُ
يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي
الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ﴿١٥﴾

﴿أَفَمَنْ﴾ (١) يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ: فيؤمن به، ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾:
القلب لا يعلم فلا يؤمن، والهمزة لإنكار تشابههما، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾:
العقول السليمة، ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: بما أمرهم في كتابه، أو بالعهد الذي
أخذ منهم حين أخرجهم من صلب آدم، ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾: ذلك الميثاق أو
مطلق الميثاق، ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: من صلة الرحم والإيمان
بجميع الرسل ومراعاة الحقوق، ﴿وَيَخْشَوْنَ﴾ (٢) رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٣)
وَالَّذِينَ (٤) صَبَرُوا: على أمر الله تعالى أو على المصائب، ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾،
طلب مرضاته، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: بجدودها وبركوعها وسجودها على الوجه

(١) ولما بين حال المحيب ومن لم يجب أراد أن يبين أن بينهما بوناً بعيداً فقال: " أفمن يعلم
أما أنزل " / ١٢ وحيز .

(٢) فلا يتجاوزون عن أمره / ١٢ .

(٣) فأجابوا داعي الله، وحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا / ١٢ وحيز .

(٤) فيما يليق فيه الصبر جاءت الصلة هنا بلفظ الماضي بخلاف ما تقدم ، لأن حصول تلك
الصلات إنما هي مرتبة على حصول الصبر وتقدم عليها ولذلك لم تر صلة في القرآن
بالصبر إلا بصيغة الماضي إذ هو شرط مقدم على حصول التكليف / ١٢ وحيز .

الشرعي ، «وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ» يؤدون الزكاة أى: من يجب عليه ، «سِرًّا وَعَلَانِيَةً»^(١): لم يمنعهم عن ذلك حال من الأحوال في الليل والنهار وفسر بعضهم بوجه يشمل صدقة التطوع وهو الأولى ، «وَيَذَرُوعُونَ» : يدفعون ، «بِالْحَسَنَةِ»^(٢) السَّيِّئَةِ أي : بالصالح^(٣) من العمل السيئ منه ، أو يجازون الإساءة بالإحسان ، إذا أذاهم أحد قابله باللفظ ، «أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ» : عاقبة الدنيا وهي الجنة ؛ لأنها التي ينبغي أن تكون عاقبة أهلها ومرجعهم ، «جَنَّاتُ عَدْنٍ» بدل من عقى الدار ، والعدن الإقامة ، أي : جنات يقيمون فيها ، أو في الجنة قصر يقال له عدن له خمسة آلاف باب ، أو مدينة من الجنة فيها الأنبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم بعد ، والجنات حولها ، «يَدْخُلُونَهَا» صفة جنات عدن ، «وَمَنْ صَلَحَ» عطف على فاعل يدخلون وجاز للفصل بالضمير ، «مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ» يعني يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغهم كرامة^(٤) لهم ، «وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ» : من أبواب منازلهم للتهنئة قائلين «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ» متعلق بما تعلق عليه عليكم أو تقدير هذه بما صبرتم والباء

(١) والأولى تعميم الإنفاق لتكون السر لصدقة التطوع والعلانية للواجب / ١٢ وجيز .

(٢) فيه إشارة إلى أن التخلص من السيئة متعذر كما ورد:

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُ تَغْفِرَ جَمًّا فَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَا

قاله - صلى الله عليه وسلم - حين قرأ إلا اللهم / ١٢ وجيز . [صحيح، أخرجه

الترمذي والحاكم عن ابن عباس مرفوعا، وانظر صحيح الجامع (١٤١٧)]

(٣) كما ورد في الحديث " أتبع السيئة الحسنة تمحها " . [حسن، أخرجه أحمد وأبو داود

والترمذي والحاكم وغيرهم عن أبي ذر مرفوعا، وانظر صحيح الجامع]

(٤) كما قال تعالى : " والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان " الآية (الطور: ٢١) / ١٢

وجيز .

للسببية أو البدلية ، «فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» : جنة عدن ، «وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ» : بعد ما أوثقوه وأقروا وقبلوا وهذا قسيم الأولين ، «وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» : بالكفر والمعاصي ، «أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» أي : سوء عاقبة الدنيا وهو جهنم ، «اللَّهُ يَبْسُطُ^(١)» : يوسع ، «الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ» : يضيقه ، «وَفَرِحُوا» أي : مشركو مكة ، «بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا» : فرح بطروأشر ، «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي» : جنب ، «الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ» : نزر قليل مثل ما يستمتع به الراكب كتميرات^(٢) .

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٢٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتَسِرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٢١﴾﴾

(١) ولما كان كثير من الأشقياء في نعم دنيوية وكثير من السعداء في ضنك من العيش ، وهذا أمر مشكك أراد تبين ما هو حقيقة الأمر فقال : " الله يبسط " / وجيز .

(٢) قال عبد الرحمن بن سابط : كزاد الراعي ، يزوده أهله الكف من التمر ، أو الشيء من الدقيق أو الشيء يشرب عليه اللبن / ١٢ فتح .

﴿وَيَقُولُ^(١) الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كما قالوا: "فليأتنا بآية كما أرسل الأولون" (الأنبياء: ٥)، حتى نعلم حقيقتها فنؤمن بها ، ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ كما أضلكم بأن طلبتم الآية بعد تلك الآيات البينات ، ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾: يرشد إلى دينه، ﴿مَنْ أُنَابَ﴾: من أقبل إليه ورجع عن العناد وحاصل الجواب أن الله أنزل آيات بينات دالة على صدقه بأوضح وجه لكن الله تعالى هو المضل والمهادي وقد أضلكم الله تعالى فلا تفتدون إلى تلك الآيات ، بل وإن أنزلت كل آية ما اهتديتم بهدا ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، بدل من "مَنْ" ، ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ^(٢) بِذِكْرِ اللَّهِ﴾: بالقرآن فلا يشكون فيه أو تطيب وتسكن قلوبهم عند ذكره أنسابه ، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾: تسكن إليه ويزول عنها القلق ، وعن ابن عباس هذا في الحلف إذا حلف المسلم في شيء يشك أخوه المسلم فيه اطمئن قلبه ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ ، ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ خبره وهو مصدر لطاب كبشرى قلبت ياؤه واوًا والضممة ما قبلها ، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أي : فرح وقرة عين ، أو اسم الجنة بلغة^(٣) الحبشة ، أو شجرة في الجنة ، وذكروا في وصفها ما يطول الكتاب بذكره ، ﴿وَحَسُنُ مَا تَابَ﴾ أي : حسن المنقلب ، ﴿كَذَلِكَ^(٤)﴾: مثل ذلك الإرسال العظيم الشأن ، ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ﴾: مضت ، ﴿مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لَّتَلَوُا عَلَيْنَهُمُ

(١) ولما كان الفساد واللجاج من لوازم البطر والفرح عقبه بقوله: "ويقول الذين كفروا" / ١٢ .

(٢) قيل: بذكر دلائله الدالة على وحدانيته / ١٢ منه .

(٣) هكذا قاله أبو هريرة وابن عباس أيضاً وكثير من السلف / ١٢ منه .

(٤) ولما ذكر أن أمته صارت فرقتين أراد أن يبين أن فرقة الضلال خلف لسلفهم لا أن

إرسالك وضاللتهم شيء بدع غير معهود ، فقال : " كذلك أرسلناك " الآية / ١٢

وحيز .

الذي أوحينا إليك ﴿أي: القرآن﴾ ، ﴿وهم﴾ الواو للحال ، ﴿يكفرون بالرحمن﴾ :
 بالبليغ الرحمة ، لا يشكروه ، نزلت في قريش حين قيل لهم : "اسجدوا للرحمن قالوا
 وما الرحمن" (الفرقان: ٦٠) ، أو في أبي جهل حين قال : إن محمدا يدعو إلهين الله وإلهـ
 آخر يسمى الرحمن ، ﴿قل هو﴾ أي الرحمن ﴿ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه
 متاب﴾ : مرجعي ، ﴿ولو أن^(١) قرآنا سيرت به الجبال﴾ عن مقارها وزعزعت عن
 مضاجعها ، ﴿أو قطعت به الأرض﴾ : حتى تتصدع وتزایل قطعا أو شققت فجعلت
 أنهارا وعيوناً ، ﴿أو كلم به الموتى﴾ ، فتسمع وتجب وجواب لو محذوف ، أي :
 لكان هذا القرآن ومع هذا هؤلاء المشركون كافرون به ، وقال بعضهم : تقديره لما آمنوا
 به ، فقد نقل في سبب^(٢) نزوله أنهم قالوا : يا محمد لو سيرت لنا جبال مكة حتى يتسع
 أو قطعت بنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح ، أو أحيت لنا الموتى كما
 كان لعيسى ، وقيل : جواب لو ما يدل عليه وهم يكفرون بالرحمن ، وقوله قل هو
 ربي بينهما اعتراض ، ﴿بل لله الأمر جميعا^(٣)﴾ هو إضراب عن معنى النفي الذي
 تضمنه لو أي : بل لله القدرة على كل شيء ، لو يشأ إيمانهم لآمنوا به وإذا لم يشأ لا
 ينفعهم إتيان ما اقترحوا من الآيات ، ﴿أفلم ييأس^(٤) الذين آمنوا﴾ : عن إيمانهم ولم

(١) ولما ذكر علة إرساله وهو تلاوته ، عظم هذا الوحي فقال : " ولو أن قرآنا " الآية / ١٢
 وحيز .

(٢) نقل ابن أبي حاتم عن أبي سعيد وكذا روي عن ابن عباس والشعبي وقادة والثوري
 وغيرهم / ١٢ منه . [وهو ضعيف]

(٣) وهذا نحو " ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا
 ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله " (الأنعام: ١١١) / ١٢ منه .

(٤) أي : ألم ييأسهم العلم بأن الله لو شاء لهدى الناس جميعا عن إيمانهم ، فيقترحون آيات
 تكون سببا لإيمانهم / ١٢ .

ينقطع رجاؤهم عنه مع ما عاينوا من لجاحهم ، ﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾ متعلق بمحذوف ، أي : علما منهم أن لو يشاء الله - تعالى ، ﴿لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ وقيل : متعلق^(١) بآمنوا ، وفسر أكثر السلف أفلم يئأس بأفلم يعلم ، فقليل : هو بمعنى العلم في لغة النخع ، أو هوازن ، وقيل فسروه به ؛ لأن اليأس عن الشيء عالم بأنه لا يكون وقرأ جماعة من الصحابة والتابعين أفلم يتبين الذين آمنوا ، قيل : نزلت حين أراد المسلمون أن تظهر آية مما اقترحوا ، ليجمعوا على الإيمان ، ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا﴾ : من خبائث أعمالهم ، ﴿قَارِعَةً﴾ : داهية تفرعهم وتقلقهم ، ﴿أَوْ تَحُلْ قَرْيَةً مِنْ دَارِهِمْ﴾ أو تصيب القارعة من حولهم ، كما قال - تعالى - : " ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى " الآية (الأحقاف: ٢٧) ، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ﴾ : الموت أو القيامة وعن بعض السلف ، أن المراد من الذين كفروا أهل مكة ومن القارعة السرية التي يبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - إليهم ، أو عذاب من السماء يترل إليهم ، أو تحل أنت يا محمد بنفسك قريبا^(٢) من دارهم وتقاتلهم حتى يأتي وعد الله - تعالى - أي : فتح مكة ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ .

﴿وَلَقَدْ أَتَّهَرَى بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۖ﴾ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُل سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِيْظَهَرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن

(١) أي : أو لم يقنط الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس من إيمان هؤلاء الكفرة فعلى

هذا مفعول يئأس كالأول محذوف / ١٢ منه .

(٢) ليتعظوا ويعتبروا / ١٢ منه .

هَادٍ ﴿١٢﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿١٣﴾ * مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿١٦﴾ ﴿

﴿وَلَقَدْ﴾ ^(١) استهزئ برسل من قبلك فأملت للذين كفروا: أطلت لهم المدة ،
 ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: عقابي إياهم وهذا تسلية لبينا عليه السلام ،
 ﴿أَفَمَنْ﴾ ^(٢) ﴿هُوَ قَائِمٌ﴾: رقيب ، ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: من خير وشر
 فيحفظهما ويجازيها والخبر محذوف، أي: كمن لا يكون كذلك والهمزة لإنكار
 المساواة، ﴿وَجَعَلُوا﴾ ^(٣) ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ عطف على كسبت أو استئناف ، وقيل: نقدر
 الخبر المحذوف لم يوحده فقله وجعلوا عطف ^(٤) عليه ، وقيل تقديره أفمن هو قائم
 على كل نفس موجود وقد جعلوا لله شركاء فعلى هذا الواو للحال، ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾

(١) ولما قال : لا تزال تصيهم بسبب صنيعهم قارعة شرع يظهر بعض صنائعهم ، فقال :
 استهزئ برسل من قبلك مثل تلك القبائح من عاداتهم القديمة / ١٢ وجيز
 (٢) ولما ذكر أن ما أصابهم ليس إلا بسبب كسبهم قال : " أفمن هو قائم " الآية / ١٢
 وجيز .

(٣) ولما علم أن لا يساويه ولا يناسبه شيء بين جهلهم وحقهم ، فقال : " وجعلوا لله
 شركاء " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) ويكون الظاهر فيه موضع المضرر للتنبيه على أنه المستحق للعبادة / ١٢ منه .

بأسماء من القادر أو الرازق، أو الخالق، أو القاهر أو غيرها من مثل أسماء الله الحسنى حتى تعرفوا أنهم غير مستحقين للعبادة ، ﴿أَمْ﴾ ، أي : بل ، ﴿تَتَّبِعُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ ، أي : تخبرون الله . تعالى - شركاء لا يعلمهم ، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وهو العالم بكل شيء ، ﴿أَمْ بَظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ أي : أم تسمحونهم شركاء بظاهر من القول لا حقيقة له أصلاً^(١) ، ﴿بَلْ زَيْنَ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ : كيدهم وما هم عليه من الضلال ، ﴿وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ : عن طريق الهدى ، ﴿وَمَن يَضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ : بالقتل والأسر وغيرهما ، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾^(٢) : يقيهم ويمنعهم منه ، ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ أي : صفتها التي هي مثل في الغرابة ، ﴿الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ من الشرك وهو مبتدأ خبره مقدر أي : فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقوله ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حال من العائد المحذوف من الصلة أو هو خبر مثل الجنة كقولك : صفة زيد أسمر أو تقديره مثل الجنة^(٣) الجنة تجري ، ﴿أَكُلُوهَا دَائِمًا﴾ : لا ينقطع نعيمها ، ﴿وَوُظِّلُوهَا﴾ : كذلك ، ﴿تِلْكَ﴾ أي : هذه الجنة ، ﴿عُقْبَى﴾ : مآل ، ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ﴾^(٤) النَّارُ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ المراد مسلموا أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ : من القرآن لما في كتبهم من الشواهد على صدقه ، ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ أي : ومن أحزاب اليهود والنصارى ، ﴿مَنْ يُنْكِرْ بَعْضَهُ﴾ أي : ما يخالف كتبهم أو رأيهم ،

(١) كتسمية الزنجى كافوراً / ١٢ منه .

(٢) ولما ذكر ما أعد للكفار أخذ يذكر ما أعد للمؤمنين فقال : " مثل الجنة " الآية/ الوجيز

(٣) المثل على الوجه الأخير بمعناه اللغوي وعلى الوجهين الأولين بمعنى الصفة/ ١٢ منه .

(٤) ولما بين حال القسمين وما أعد لهما عقب ببعض من القسمين فقال : " والذين آتيناهم

الكتاب " الآية / ١٢ وجيز .

قال بعضهم : هذا في مؤمني أهل الكتاب حزنوا بقلة ذكر لفظ الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فلما نزل " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن " (الإسراء: ١١٠)، فرحوا وكفر المشركون به ، فقالوا : وما الرحمن ، «قل»: لهم، «إنما أمرت أن أعبد^(١) الله»: وحده ، «ولا أشرك به إليه أدعو»: لا إلى غيره، «وإليه»: لا إلى غيره ، «متاب»: مرجعي للجزاء ، يعني قل لهم: هذا شغلي وأمرى حتى يعلموا أن إنكارهم إنكار عبادة الله مع ادعائهم واتفاقهم وجوها ، «وكذلك»: أي : كما أنزلنا على قلبك الكتاب بلغايم ، «أنزلناه»: أي: القرآن حال كونه ، «حكما عرييا»: حكمه مترجمة بلسان العرب، قال بعضهم: سماه حكما ؛ لأنه منه يحكم في الوقائع، أو لأن الله تعالى حكم على الخلق بقبوله ، «ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاعلك من العلم»: بحقيقة ما معك وبطلان ما معهم، «ما لك من الله من ولي»: ينصرك، «ولا واق»: يمنع العقاب عنك وهذا في الحقيقة وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ ﴿٢٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ

(١) قوله : "أن أعبد الله ولا أشرك به" هذا يدل على نفى الشركاء والأنداد والأضداد بالكلية ويدخل فيه إبطال كل من أثبت معبودا سوى الله - تعالى - سواء كان ذلك المعبود هو الشمس والقمر أو الكواكب ، أو الأصنام والأوثان والأرواح العلوية أو يزدان من على ما يقوله المجوس أو النور والظلمة على ما يقوله الثنوية وكما يجب عبادة الله وحده فكذلك يجب الدعوة إلى عبودية الله وحده كما قال: "إليه أدعوا وإليه متاب" / ١٢ مفاتيح الغيب المعروف بالكبير للإمام الرازي .

وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٦٦﴾ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٦٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٦٨﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعِلَّمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٦٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٧٠﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾: نساء وأولاداً كما هي لك، قيل: نزلت حين قال المشركون أو اليهود: ليست همة هذا الرجل إلا في النسلاء ، ﴿وَمَا كَانَ﴾: ما صح، ﴿لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾: خارقة للعادة ، ﴿إِلَّا يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ قيل: هذا جواب لسؤالهم توسيع مكة ، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ أي: لكل مدة مضروب كتاب مكتوب بها وكل شيء عنده بمقدار ، ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾، أي: ينسخ الله تعالى ما يشاء من الأقدار ويثبت منها ما يريد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره يمحو ما يشاء إلا الشقاء^(١) والسعادة والحياة ، والموت

(١) وإما أن السعادة والشقاء ومدة الحياة ووقت الأجل لا يغير ولا يمحو فالأحاديث والآثار دالة على خلاف ذلك فإن الصدقة وصلة الرحم تزيدان في العمر وظاهر النظم القرآني العموم في كل شيء مما في الكتب فيمحو ما يشاء محوه من شقاوة أو سعادة أو رزق أو عمر أو خير أو شر ويبدل هذا بهذا ويجعل هذا مكان هذا ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وإلى هذا ذهب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وابن مسعود^(*) وابن عباس وأبو وائل وقتادة والضحاك وابن^(*) جريح - رضي الله عنهم - وغيرهم / ١٢ فتح البيان.

(*) تكررت لفظة: وابن في الأصل.

وعن كثير من السلف : أنهم يدعون بهذا الدعاء^(١) اللهم إن كتبنا أشقياء فامحه واكتبنا سعداء ، وإن كنت كتبنا سعداء فأثبتنا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، ولكل وقت حكم يكتب على عبادته^(٢) فيمحو ما يشاء ويثبت بنسخ ما يستصوب نسخه، وإثبات ما يقتضيه حكمته، أو فيه تقدم وتأخير^(٣) تقديره لكل كتاب أي : منزل من السماء مدة مضروبة عند الله - تعالى - يمحوا ما يشاء ويثبت حتى نسخت كلها بالقرآن ، ويمحو الله ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت بدلها الحسنات أو هو الرجل يعمل بطاعة الله تعالى ثم يعود بمعصيته فيموت على الضلالة فهو الذي يمحوا والذي يثبت ما يشاء فلا يغفرها، أو يمحوا الذنوب بالتوبة ويثبت هو الرجل يعمل بطاعته ويموت عليها أو يمحوا الله ما يشاء من ديوان الحفظة كالمباحات ويثبت ما يتعلق به جزاء ، أو قال^(٤) : قريش حين نزلت وما كان لرسول أن يأتي بأية إلا بإذن الله ما نراك يا محمد تملك من شيء، ولقد فرغ من الأمر فأنزلت هذه تخويفاً ووعيداً لهم ، **﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾** هو اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - الكتاب كتابان، كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت وكتاب لا يغير منه شيء، أو المراد منه علم الله - تعالى، **﴿وَإِنْ^(٥) مَا تُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾**، أي :

(١) هذا الدعاء المنقول عن كثير من السلف كعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وابن مسعود - رضي الله عنه - وغيرهما مخالف لما قال ابن عباس - رضي الله عنه - / ١٢ منه .
(٢) هذا غير الأول فإن الأول نسخ الأقدار وهذا نسخ الأحكام كنسخ القرآن بعضه ببعض / ١٢ منه .

(٣) هذا قول الضحاك ويعني المراد من قوله لكل أجل كتاب بكل كتاب أجل / ١٢ منه .

(٤) نقله ابن أبي نجيع عن مجاهد / ١٢ منه .

(٥) تكرار رضي الله عنه ص ٣٥٣ .

(٥) ولما ذكر أن الأقدار يمحوا ويثبت طمحت النفوس إلى العلم بأن إهلاك أعداء الدين هل هو من أي القسمين من المحو والإثبات فقال : " وإما نرينك بعض الذي نعدهم " الخ / ١٢ وحيز .

كيفما دارت الحال أريناك بعض ما أوعدناهم من عذابهم ، ﴿أَوْ نَتَوَقَّئُكَ﴾ : قبل نزول عذابهم ، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ : ما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة ، ﴿وَعَلَيْنَا﴾ : لا عليك ، ﴿الْحِسَابُ﴾ ، أي : حسابهم وجزاؤهم فلا تستعجل بعذابهم ولا يهمنك إعراضهم ، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ : أرض الكفر ، ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ : بما نفتح على المسلمين من بلادهم ونزيد في دار الإسلام وما ذلك إلا من آيات نصرهم ، وقال ^(١) بعضهم معناه : أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها فنخرها من أطرافها ونهلك أهلها ، أو ننقص أهلها وثمارها ، أفلا يخافون أن نفعل بهم ذلك ، أو نقصانها موت ^(٢) علمائها وذهاب فقهاءها ، ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ﴾ : بما يشاء ، ﴿لَا مُعَقَّبَ﴾ ^(٣) : لا راد **لِحُكْمِهِ** والنفي مع المنفي في موضع الحال ، أي : نافذاً حكمه ، ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ : فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا ، ﴿وَقَدْ﴾ ^(٤) **مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** أي : الكفار الذين من قبل مشركي أهل مكة مكروا بأنبيائهم ، ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ﴾ ^(٥) **جَمِيعًا** ، فإن مكر الماكرين في جنب مكر الله تعالى كلا مكر ، فإنه القادر

(١) هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة / ١٢ منه .

(٢) هذا أيضاً منقول عن ابن عباس - رضى الله عنه - ومجاهد - رضى الله عنه - / ١٢ منه .

(٣) المعقب : الذي بكر على الشيء فيبطله / ١٢ منه .

(٤) ولما ذكر إقبال المسلمين وإدبار الكافرين عقب شيئاً هو السبب لإدبارهم فقال : "وقد مكر الذين" / ١٢ وحيز .

(٥) وصف تعالى نفسه بالمكر والكيد في القرآن كما وصف عبده بذلك فقال : "ويعكرون ويمكر الله" (الأنفال : ٣٠) وقال : "إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً" (الطارق : ١٦) ، وليس المكر كالمكر ولا الكيد كالكيد والله المثل الأعلى ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير / ١٢ (*) .

(*) تكرر رقم ١٢ / بالأصل .

على ما هو المقصود منه دون غيره، أو هو خالق جميع المكر فلا يضر مكر إلا بإذنه ،
فلا تخف إلا من الله تعالى ، ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ ، ويعد لها الجزاء ،
﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ : لمن تكون الدائرة والعاقبة المحمودة لهم أو
للمسلمين في الدنيا والآخرة ، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ، هم من اليهود والنصارى ، فإنهم
عرفوا حقيقته في التوراة والإنجيل ، أو من عنده علم الكتب هو الله تعالى ويؤيده قراءة
من قرأ من عنده بكسر الميم والdal قال بعضهم المراد مؤمنوا أهل الكتاب ، ثم اعترض
عليه بأن هذه الآية مكية ومن آمن منهم ما آمن إلا بعد الهجرة والله سبحانه وتعالى
أعلم .

سورة إبراهيم مكية

وهي اثنان وخمسون آية وسبع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرَّكَتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحْجِبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيْمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَلَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾

﴿الرَّكَتُ﴾ أي : هو كتاب ، ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾ : بدعوتك إياهم إلى ما فيه ، ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ : أنواع الضلال ، ﴿إِلَى النُّورِ﴾ : الهدى ، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ : بأمره وتوفيقه ، ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ بدل من إلى النور ، ﴿الْعَزِيزِ﴾ : الغالب ، ﴿الْحَمِيدِ﴾ : المستحق للحمد ، ﴿اللَّهُ﴾ عطف بيان للعزیز وعلى قراءة الرفع مبتدأ خبره قوله : ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أو خبر مبتدأ محذوف والذي صفته ، ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ والويل اسم معنى كاهلاك ، ﴿الَّذِينَ﴾

يَسْتَحِبُّونَ»: يختارون، «الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ»: يمنعون الناس عن دين الله تعالى، «وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا»، أي: يطلبون لها الاعوجاج، ويقولون للناس: إنها معوجة بحذف الجار وإيصال الفعل، «أَوَّلِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ»: عن الحق ووصفه بالبعد مع أنه في الحقيقة للضلال للمبالغة، «وَمَا^(١) أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ»: بلغة، «قَوْمِهِ»: الذي هو بعث فيهم، «لِيُبَيِّنَ لَهُمْ»: ما أمروا به فيفهموه بلا كلفة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإن بعث إلى الأحمر والأسود بصرائح الدلائل، لكن الأولى أن يكون بلغة من هو فيهم حتى يفهموا ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم، «فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ» أي: بعد البيان، «وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»: باتباعه، «وَهُوَ الْعَزِيزُ»: الذي ما شاء كان ولم يشأ لم يكن، «الْحَكِيمُ»: في أفعاله فيضل من يستحق الإضلال، ويهدي من هو أهل الهداية، «وَلَقَدْ^(٢) أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا^(٣)» كاليد والعصا، «أَنْ أَخْرِجَ» أي: بأن أخرج أو أن مفسرة ففي الإرسال معنى القول، «قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ»: بنعمائه عليهم من فلق^(٤) البحر والإنجاء من يد فرعون وغير ذلك أو بوقائعه في الأمم السالفة، «إِنَّ

(١) ومن طلب الاعوجاج أنهم قالوا: ما بال الكتب كلها أعجمية وهذا عربي!؟ فقال الله: "وما أرسلنا" الآية / ١٢ وحيز .

(٢) ولما ذكر أن كتب الرسل بلسان قومهم شرع في حكاية رسول كتابه بعد القرآن، أحل الكتب تسلية وتثبيتاً وتصبيراً للنبي المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فقال: "ولقد أرسلنا" / ١٢ وحيز .

(٣) الجمهور على أن المراد بآياتنا تسع الآيات المشهورة / ١٢ وحيز .

(٤) وهذا التفسير رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [المسند (١٢٢/٥)] عن أبي بن كعب مرفوعاً، وذكر ابن كثير (٥٢٤/٢) أن عبد الله بن أحمد رواه أيضاً موقوفاً وهو أشبهه، وهو =

فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١﴾، أي : ما صنعنا ببني إسرائيل أو ما نزل من البلاء على الأمم عبرة لمن يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه، ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ أي : واذكر إذ قال، ﴿مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ﴾ ظرف للنعمة بمعنى الإنعام وقيل بدل اشتغال من نعمة الله، ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ أي : والحال أنه ييغونكم ، ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ : أفضحه وهو ثاني مفعوليهِ، ﴿وَيَذَّبُحُونَ﴾^(١) أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ : يتركونهن^(٢) أحياء ، ﴿وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ : ابتلاء من حيث إنه أمهلهم فيه أو ذلكم إشارة إلى الإنجاء بمعنى النعمة.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ٧ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَعَنِي حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ

= قول كثير من السلف كمجاهد وقتادة وغيرهم وعلى هذا يكون التذكير لإسلام بعض أو يكون بعد كفرهم لعبادة العجل / ١٢ وجيز .

(١) الواو في ويذبحون إشارة إلى أن ذبح الأبناء أحد أنواع عذابهم وهم معذبون بأنواع

أخرى من الاستعباد والتكاليف الشاقة والإذلالات / ١٢ منه .

(٢) للخدمة / ١٢ .

أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتُّونَا
بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ
اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ
هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٤﴾

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ عطف على إذ أنجأكم ^(١) أي: أذن وأعلم، ﴿رَبُّكُمْ﴾: فقال، ﴿لَنْ
شَكَرْتُمْ﴾: يا بني إسرائيل نعمتي فأطعموني ، ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾: في النعمة، ﴿وَلَنْ
كَفَرْتُمْ﴾: نعمتي، ﴿إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ^(٢) ، لمن كفر نعمتي ، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنْ
تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾، عن خلقه وشكرهم ،
﴿حَمِيدٌ﴾، مستحق للحمد في ذاته وإن لم يحمده الحامدون ، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، من الكفار كلام مستأنف من الله تعالى أو من تمام كلام موسى
والأول أظهر فقد نقل أن قصة عاد وثمود ليست في التوراة ، ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي : بعد هؤلاء من الأمم المكذبة، ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا
اللَّهُ﴾: لا يحصي عددهم لكثرتهم إلا الله تعالى ولهذا قال بعض السلف: كذب

(١) جاز أن يكون عطفًا على نعمة الله ، أي : اذكروا حين تأذن ربكم / ١٢ .

(٢) جاء التركيب على ما عهد في القرآن من أنه إذا ذكر الخير أسند إلى نفسه الأقدس
وإذا ذكر الشر بعده عدل عن نسبته إلى نفسه وصرح في لأزيدنكم بالمفعول، ولم يذكره
في جانب العذاب وإن كان المعنى عليه رجاء ورحمة ثم نبه موسى قومه على أنه أوعدهم
على الكفر لا لأنه محتاج إلى شكرهم فقال وقال موسى "إن تكفروا" الآية ١٣ وحيز.

النسابون^(١) ، «جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» : المعجزات الواضحات ، «فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ» ، أي : الكفار عضوها من الغيظ أو أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وإلى ما نطقت ألسنتهم به من قولهم : "إنا كفرنا بما أرسلتم به" ، أي : هذا جوابنا ليس عندنا غيره أو وضعوا أيديهم على أفواههم كما يفعل ذلك من غلبة الضحك ، أي : ضحكوا وتعجبوا ووضعوها عليها مشيرين للأنبياء بالسكوت أو أخذ الكفار أيدي الرسل ووضعوها على أفواه الرسل ليسكتوهم أو الرسل لما أيسوا منهم ، وضعوا أيديهم على أفواه أنفسهم ، وسكتوا ووضعوا الكفار أيدي أنفسهم على أفواه الرسل ، ردًا أو تكذيبًا لهم ، أو منعًا لهم من الكلام ، أو سكتوا عن الجواب يقال للرجل إذا أمسك عن الجواب : رد يده في فيه ، «وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ» ، على زعمكم ، «وَأِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ^(٢)» : موقع في الريبة ، «قَالَتْ» : لهم ، «رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ» ، أي : في تفرده بوجوب العبادة له ، «شَكٌّ» : فاعل الظرف ، «فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» : لا يستحق العبادة إلا من ابتدعهما من غير مثال سبق ، «يَدْعُوكُمْ» : إلى طاعته ، «لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ» ، أي : بعض ذنوبكم الذي يُكْفَرُ بالإيمان فإن المظالم لا يُكْفَرُ بالإيمان^(٣) للذمي خصوصًا ، وقيل من

(١) قاله ابن مسعود وعروة بن الزبير: يعني أنهم يدعون علم الأنساب .

(٢) صفة توكيد بادروا أولاً إلى التكذيب المحض ثم أخبروا أنهم في ترددهم كأنهم نظروا بعض نظر اقتضى انتقاهم من التكذيب المحض إلى التردد ، أو هما قولان من طائفتين طائفة بادرت بالتكذيب وطائفة شكت وهذا الشك أيضاً كفر ، قالت لهم رسلهم : أفي الله شك / ١٢ وجيز .

(٣) سيما إذا كان المال موجوداً وقيل للتبعض لأن الإسلام يجب ما قبله ويبقى ما يستأنف بعده من الذنوب / ١٢ وجيز .

صلة، وقيل بمعنى البدل، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: فلا يعاجلكم بالعذاب، ﴿قَالُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: فمن أين لكم المتبوعية، ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا﴾: تمنعونا، ﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: حجة ومعجزة ظاهرة دالة على فضلكم وصحة دعواكم كأهم اقترحوا آية أظهر مما جاءوا به من المعجزات^(١)، ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: في الجنس والصورة، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، فاخترنا بالنبوة والمتبوعية من فضل الله، ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: ليس هذا في وسعنا، بل شيء يتعلق بمشيئة الله تعالى وإذنه، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فنحن نتوكل عليه في الصبر على معاداتكم، ﴿وَمَا لَنَا﴾: وأي عذر لنا في، ﴿أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾: طرق الرشاد، ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ﴾ جواب قسم محذوف، ﴿عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ونحن متوكلون ومن توكل على أحد فليتوكل على الله لا على غيره أو فليثبت المتوكلون على توكلهم فإنه إذا قيل للمتوكل توكل فمعناه^(٢) اثبت.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٢١﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٢٢﴾ مِّنْ وَرَائِهِم جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٢٣﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ

(١) فإنهم قد جاءهم رسلهم بالحجج والمعجزات الباهرات / ١٢ .

(٢) فلا تكرر بوجه بل الأمر الأول لاستحداث التوكل والثاني للثبات فيه وفي الحث على

التوكل مبالغات / ١٢ وحيز .

عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿٦٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ
الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَلُ
الْبَعِيدُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ
وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٦٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٧٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ
الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ
عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْزَعْنَا أَمْ
صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِصٍ ﴿٧١﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ حلفوا
بأن لا محالة يكون أحد الأمرين، إما إخراجكم وإما عودكم، والأنبياء ما كانوا على ملة
الكفرة، فلذلك قالوا العودة بمعنى الصيرورة، ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ إلي الرسل، ﴿رَبُّهُمْ
لَيُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَيُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ﴾ أي: أرضهم، ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ﴾ أي:
وعدي هذا، ﴿لَمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾، موقفه بين^(١) يدي الله في القيامة، ﴿وَخَافَ
وَعِيدٍ﴾: تخويفي وعذابي، ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾، استنصرت الرسل ربها على قومها وسألوا منه
الفتح على أعدائهم أو استفتحت الأمم الفتح كما قالوا: "اللهم إن كان هذا هو الحق من
عندك فأمطر" الآية أو الضمير للرسل والأمم أي: سألوا كلهم نصر الحق وهلاك المبطل،
﴿وَوَخَّابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: متكبر معاند للحق كأنه قال استفتحت الرسل فنصروا
وأفلحوا وخاب أو استفتح الكفار فلم يفلح وخاب، ﴿مَنْ وَرَّاهُ^(٢) جَهَنَّمُ﴾ أي: أمامه

(١) فإنه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة وقيل: خاف قيامي عليه وحفظي
لأعماله/ ١٢ منه .

(٢) على الوجه الثاني من وضع الظاهر موضع المضمحل فإن الظاهر أن يقال حينئذ خابوا/
١٢ منه .

وبين يديه وقيل: من وراء حياته، ﴿وَيُسْقَى﴾ تقديره من وراء جهنم يلقي فيها ويسقى، ﴿مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾: ما يسيل من جلود أهل النار من القيح والدم قيل ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر عطف بيان للماء، ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾: يتكلف جرعه يعني يشربه قهراً، فإنه لا يضعه في فمه حتى يضربه الملك بمطراق من حديد، صفة الماء أو حال من ضمير يسقى، ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾: لا يقارب أن يسيغه، فكيف يكون إلا ساغه وهي جواز الشراب على الخلق بسهولة، ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه من الشدائد، ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾: من جميع جوانبه وقيل: كل مكان من أعضائه، ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾: ليستريح، ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ﴾ بين يديه، ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي: له عذاب آخر أدهى وأمر، فإن أنواع عذاب الله تعالى لا يحصها إلا هو، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ مبتدأ، ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾^(١) كرماد^(٢)، خيره أو تقديره فيما يقص عليكم مثل الذين كفروا وقوله أعمالهم كرماد مستأنفة كأنه قيل: كيف أعمالهم؟ فقال: أعمالهم كرماد، أو أعمالهم بدل وكرماد خيره، ﴿اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ العصف اشتداد الريح فهو في المبالغة كنهاره صائم يعني لا يتفعون بأعمالهم ولا يجدونها كرماد ذرته الريح هل يجد أحد منه ذرة، ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾: في القيامة، ﴿مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾^(٣): لحبوطه، ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى عدم وجدان أعمالهم،

(١) قوله: "أعمالهم" إلخ الصالحة كالصدقة وصلة الأرحام وفك الأسير وإقرار الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك أو عبادتهم الأصنام في عدم الانتفاع بها أو الأعمال التي أشركوا فيها غير الله تعالى / ١٢ فتح .

(٢) كما تقول: صفة زيد عرضه مصون وماله محفوظ / ١٢ .

(٣) منها ولا يرون له أثراً في الآخرة يجازون به ويثابون عليه، بل جميع ما عملوه في الدنيا باطل ذاهب كذهاب الريح بالرماد عند شدة هبوبها وهو فذلكة التمثيل، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- لا يقدرُونَ على شيء من أعمالهم ينفعهم كما لا يقدر على الرماد إذا أرسل في يوم عاصف / ١٢ - ١٢ فتح البيان .

﴿هُوَ الضَّالُّ الْبَعِيدُ﴾ فإنه الغاية في البعد عن الحق، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾^(١) : يا محمد والمراد خطاب أمته، ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لا بالباطل في خلقه حكم ومصالح ، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بعدمكم، ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ : يخلق خلقاً آخر مكانكم أطوع منكم فإن من قدر على خلق السماوات والأرض قدر على مثل ذلك، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ : بمتعسر ومن كان كذلك فحقيق بأن يعبد رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه، ﴿وَيَبْرُزُوا﴾^(٢) لِلَّهِ جَمِيعًا : خرجوا من قبورهم إلى الله وظهروا، ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ الأتباع ، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ : رؤسائهم الذين استكبروا عن عبادة الله - تعالى - ، أو تكبروا على الناس، ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ : في الدين جمع تابع، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ﴾ ، دافعون، ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ حال ومن للتبيين، ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ ، مفعول ومن للتبعض، ﴿قَالُوا﴾ أي: الرؤساء جواباً عن الضعفاء ، ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ﴾ أي : لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم لكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ، أو لو هدانا الله ووفقنا للإيمان لهديناكم ، أي : إنما أضللناكم لأننا كنا على الضلال، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ هما مستويان علينا، ﴿مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾^(٣) : مهرب نقل أن بعض أهل النار قالوا لبعضهم : تعالوا نبكي ونتضرع ، فإنما أدركوا الجنة بالبكاء والتضرع ، فلما

(١) ولما ذكر حال من ينكر الآخرة ومآله عقبه بدليل واضح على الإعادة فقال : " ألم تر "

الآية / ١٢ وحيز .

(٢) ولما ثبت بالبرهان قدرته الكاملة عطف وعقب قوله : " وبرزوا " ليكون كالنتيجة للأولى /

١٢ وحيز .

(٣) ولما ذكر المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والأتباع من كفره الأنس أردفها بالمناظرة التي

وقعت بين الشيطان وأتباعه من الإنس فقال تعالى : " وقال الشيطان " الآية / ١٢

وحيز .

رأوا ذلك لا ينفعهم ، قالوا : تعالوا نصر فإنما أدركوها بالصبر فصبروا صبراً لم ير مثله، فلما لم ينفعهم قالوا: "سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص".

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ۚ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ۚ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦﴾ وَأَدْخَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٨﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٩﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٠﴾ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢١﴾ ۝ ﴾

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ (١) ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: لما فرغ منه ودخل أهل الجنة الجنة، والنار النار، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾: وعداً من حقه الإنجاز أو أنجزه وهو الوعد

(١) قيل: هذا بعد تعيين كل قوم لمنازلهم من الجنة والنار ولكنه في الموقف فقد نقل من حديث عقبة بن عامر "أن الكافرين يقولون: وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا؟ فقبل شفيعكم إبليس، فقاموا إليه، فقام خطيباً وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ﴾ الآية" ١٢/

وحيز .

بالبعث وأن الناجي من اتبع الرسل، ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ إنه غير كائن والناجي عابد الصنم، ﴿فَأَخْلَقْتُكُمْ﴾، كما قال يعدمهم ويمنيهم، وما يعدمهم الشيطان إلا غروراً، ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ﴾: ليس لي عليكم دليل ولا حجة، أو ليس لي تسلط فألجئكم إلى الآثام، ﴿إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ﴾: لكن دعوتكم^(١)، ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ﴾: حيث أجبتموني، وما أطعتم ربكم مع ظهور حجتهم، ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾: بمغيثكم، ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾: بمغيثي، ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾، أي: إني جحدت وتبرأت أن أكون شريكاً لله - تعالى -، فما مصدرية، ومن متعلقة بأشركتموني، أي: كفرت اليوم بإشراككم^(٢) إياي في الدنيا، وقيل: كفرت بسبب إشراككم إياي في الدنيا، وقيل: ما^(٣) بمعنى من، ومن متعلقة بكفرت، أي: كفرت قبل إشراككم، أي: حين أبيت السجود بالذي أشركتموني^(٤)، وهو الله تعالى، ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ابتداء كلام من الله، أو تنمة كلام إبليس^(٥)، ﴿وَأُدْخِلَ^(٦)﴾ والمُدْخِل الملائكة، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا

(١) إشارة إلى أن الاستثناء منقطع، قال الزمخشري أي إلا دعائي إياكم بوسوستي وليس الدعاء من جنس السلطان لكنه على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع، فعنده أن الاستثناء متصل / ١٢ منه .

(٢) منقول عن قتادة والأول هو الوجه / ١٢ .

(٣) نحو سبحان ما سخر كن لنا / ١٢ .

(٤) يقال شركنيه فلان، أي: جعلني له شريكاً / ١٢ .

(٥) وهو الظاهر / ٢١ وجيز .

(٦) ولما تم مقابلة الضعفاء مع الرؤساء، ومقابلة الشيطان، الذي هو رأسهم ورئيسهم، يذكر حال أهل النجاة كما هو عادة القرآن فقال: " وأدخل الذين آمنوا " الآية / ١٢

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا يِاذنِ رَبِّهِمْ ﴿١﴾
 أي: أدخل بأمر الله تعالى وإذنه، ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾: ويحيي بعضهم بعضاً،
 والملائكة تحييهم بالسلام، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ﴾ أي: قصد^(٢)، ﴿مَثَلًا﴾:
 ووضعه، ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ هي كلمة التوحيد، ونصبها بتقدير جعل كلمة، ويكون
 تفسيراً لقوله ضرب الله، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: هي النخلة^(٣) أو شجرة في الجنة،
 ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾: في الأرض، ﴿وَفُرْعَاهَا﴾: غصونها ورأسها، ﴿فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي﴾:
 هذه الشجرة، ﴿أَكْلَهَا﴾: ثمرها، ﴿كُلَّ حِينٍ﴾: عينه الله تعالى لإثمارها، أو صيف
 وشتاء، صباح ومساءً، ﴿يِاذنِ رَبِّهَا﴾: بإرادة خالقها وكلمة التوحيد كشجرة أصلها
 في أرض قلب المؤمن، وثمرها صوالح أعمال المؤمن، وفرعها في السماء، يرفع بها
 عمل المؤمن إلى السماء، والشجرة لا تكون شجرة إلا بعرق وأصل وفرع، كذلك
 الإيمان لا يتم إلا بتصدق وإقرار وعمل، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
 يَتَذَكَّرُونَ﴾ فإن فيها زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني، ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾:
 هي الشرك، ﴿كَشَجَرَةٍ﴾ أي: كمثل شجرة، ﴿خَبِيثَةٍ﴾ وهي الخنظلة^(٤)، ﴿اجْتَنَّتْ﴾

(١) لما تقرر أن الوعد الحق ما قاله الله وأذن له، والوعد الباطل ما قاله الشيطان ووعده،

ضرب لهما مثلاً تقريباً للفهم فقال: "ألم تر كيف" الآية / ١٢ وجيز.

(٢) يقال فلان ضرب البلد، أي: قصده / ١٢ منه.

(٣) هي النخلة بهذا فسرته النبي - صلى الله عليه وسلم - رواه ابن أبي حاتم [وكذا أحمد وابن

مردويه بسند جيد كما في الدر المنثور للسيوطي (٤/١٤٣)]، وفي البخاري ما يؤيده

[أخرجه البخاري في "التفسير"، (٤٦٩٨)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في

"صفات المنافقين"، (٢٨١١)]، وهو قول مسروق ومجاهد وعكرمة وغير واحد / ١٢ منه.

(٤) رواه ابن أبي حاتم وغيره عن أنس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم / ١٢

منه. [أخرجه ابن أبي حاتم بسند رجاله ثقات، وانظر تفسير ابن كثير (٢/٥٣٢)]

اقتلعت وأخذت جثتها بالكلية ، ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ لأن عروقها قريبة منه ، ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ استقرار ، فإن الكفر لا أصل له ، ولا يصعد للكافر عمل ، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾: بالحجة عندهم ، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فلا يزولون عنه بحال ، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(١) : في القبر ، عن ابن عباس ، من دام على الشهادة في الدنيا ، يلقنه الله تعالى إياها في قبره ، ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾: لا يلقنهم إياها في قبورهم ، فيقولون في جواب الملكين لا ندري^(٢) ، ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(٣) ، ولا اعتراض .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْآبَوَارِ ۖ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنْسَوْنَ الْقَرَارَ ۚ﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ۚ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٍ ۚ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ

(١) وعن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه وقال: "استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل" أخرجه أبو داود / ١٢ فتح . [صحيح، أخرجه أبو داود والحاكم وغيرهما، وانظر صحيح الجامع] .

(٢) كما صرح في الصحيح / ١٢ . [أخرجه البخاري في "الجنائز"، (١٣٧٤)]

(٣) ما يشاء فعله ، لا راد لما أراد ، لكن لا يفعل باختياره واقتداره ، إلا ما فيه حكم ومصالح ، ولما قال: "ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء" ، ذكر من أحوالهم وأعمالهم ما يدل على أنهم مستحقون للعقاب فقال : " ألم تر إلى الذين بدلوا " الآية / ١٢ وجيز .

الْأَنْهَارَ ﴿١٦﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿١٧﴾
وَأَتَيْنَكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا
الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿١٨﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي : نفس نعمته ، ﴿كُفْرًا﴾ فإن كفار
قريش أنعم الله - تعالى - عليهم بمحمد - عليه الصلاة والسلام - وغيره من النعم ،
فكفروا ذلك ، فسلبت منهم فبقوا مسلوبى النعمة ، حاصلاً لهم الكفر بدل النعمة ،
وقحطوا وأسروا وقتلوا ، أو بدلوا شكر نعمته كفرًا بأن وضعوه مكانه ، ﴿وَأَحَلُّوا
قَوْمَهُمْ﴾ : الذين اتبعوهم ، ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ ^(١) : الهلاك ، ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان ،
﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ : يدخلونها حال ، ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ أي : بئس المقر جهنم ، ﴿وَجَعَلُوا﴾ ^(٢)
لِلَّهِ أُنْدَادًا ﴿أَمْثَلًا﴾ ، ﴿لِيُضِلُّوا﴾ الناس ، ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾ عن دينه ، والإضلال نتيجة
فجعل غرضاً مثل لدوا للموت ، ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ بلذاتكم ، ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾ ^(٣) إلى
النَّارِ ﴿والأمر للتهديد ، ﴿قُلْ لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا﴾ أي : ليقموا ^(٤)
﴿الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ منصوبان بالظرفية ، أي : وقتى سر

(١) وعن على بن أبى طالب وغيره ، أنها نزلت في قتلى بدر وقلب بدر أو بوارهم ، وعلى

هذا جهنم منصوب ب يصلون المقدر والمذكور هو المفسر / ١٢ .

(٢) يعني زادوا إلى كفر نعمته ، أن صيروا له أنداداً ، أمثلاً في عبادته ليضلوا / ١٢ منه .

(٣) ولما أمر بأن يقول للكافرين المشركين بقوله قل تمتعوا كأن النفس توجه إلى ما يقال

للمؤمنين الموحدين ، فقال : " قل لعبادي " / ١٢ وحيز .

(٤) فاللام مقدر كما هو مذهب الزجاج والكسائي وجماعة من النحويين ، وهذا كأنه أولى

من تقدير أقيموا الصلاة وأنفقوا وقيموا وينفقوا جواب الأمر لفلة الحذف ، ولأن قوله :

"من قبل أن يأتي" يناسب الأمر لا الجواب ، والأمر الغائب بعد قل واقع ، نحو قل لهم إن

ينتهوا يغفر لهم / ١٢ وحيز .

وعلانية، أو على المصدر، أي: اتفاهما أو على الحال، أي: ذوى سر وعلانية، ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِ﴾ فيشتري المقصر ما يتدارك به تقصيره، ﴿وَلَا خِلَالَ﴾ لا مودة، يعني مودة تكون بميل الطبيعة لكن مودة المتقين لما كانت^(١) لله تنفعهم.

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ، ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ خبره ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: بعضها، ﴿رِزْقًا﴾ مفعول له أو حال أو مصدر، فإن أخرج بمعنى رزق، ﴿لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ﴾ لأجل انتفاعكم، ﴿الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ سراجاً ونوراً وحساباً وغير ذلك، ﴿ذَاتَيْنِ﴾ وهو مرور الشيء على عادة مطردة، يعني: يجران لمصالح العباد دائماً، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله، ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ﴾ من تبيضية، ﴿مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ بلسان القول والحال، ﴿وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾ لا تطبقوا عدها فضلاً عن القيام بشكرها، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ﴾ على النعمة بترك شكرها، ﴿كَفَّارٌ﴾^(٢) لها وقيل: يشكر غير منعمه ويحجده.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٣) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي

(١) فإن مودة التقوى نافعة، ولما ذكر أن لا شيء من البيع والخلال ينفع، كأن قائلاً قال: فمن الحاكم؟ قال: "الله الذي" الآية / ١٢ وحيز.

(٢) وقيل: ظلوم يشكو في شدة ويجزع، كفار يجمع ويمنع ولما قال: "إن تعدوا نعمة الله" الآية، ذكرهم نعمة أنعمها عليهم وهم كفروا بها فقال "وإذ قال" أي: وذكرهم بأيام الله إذ قال إبراهيم: "رب اجعل" الآية / ١٢ وحيز.

زَرَعَ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ
تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا
نُخْفِي وَمَا نَعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٣﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ
الدُّعَاءِ ﴿١٤﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿١٥﴾
رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿١٦﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ مكة شرفها ^(١) الله - تعالى، ﴿آمِنًا﴾ ذات
أمن، يذكر الله كفار مكة أنه إنما وضعت أول ما وضعت على عبادة الله وحده،
﴿وَاجْتَنِبِي﴾ بعدني، ﴿وَبَنِي﴾ المراد أبناؤه من صلبه، ﴿أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ
أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ أسند إلى السبب، ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي﴾ على ديني، ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾
بعضي لفرط اختصاصه بي، ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ ^(٢) فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿تقدر إن تغفر
له، ولا يجب عليك شيء، قيل: معناه ومن عصاني فيما دون الشرك أو إنك غفور بعد
الإنابة، ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ بعضها أي: إسماعيل، ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي
زَرْعٍ﴾ ^(٣) أي: مكة، ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ الذي في علمك أنه يحدث في ذلك

(١) والظاهر أن الدعاء حين صار المكان بلدًا / ١٢ وحيز .

(٢) قوله ومن عصاني فيه طباق معنوي لأن التبعية طاعة / ١٢ .

(٣) غير ذي زرع، روي أن هاجر لما ولدت إسماعيل، غارت منها سارة، فروي أنه ركب
البراق هو والطفل وأمه، فجاء مكة بيوم واحد من الشام، فأقامهما ورجع من يومه
بوحى من الله، فلما ولى دعا بهذا، وليس في الوادي ماء وكأنه طلب من الله لهما الماء،
بقوله: "غير ذي زرع عند بيتك المحرم" / ١٢ وحيز . [انظر القصة مطولة في صحيح

البخاري (٣٣٦٤)]

الوادي^(١) ، قال بعض المفسرين: هذا دعاء بعد بناء البيت بعد الدعاء الأول بزمان ،
«رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ» أي: أسكتهم كي يقيموا الصلاة عند بيتك، وتوسيط النداء
للإشعار بأنها المقصودة بالذات والغرض من إسكائهم، «فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ»
أفئدة من أفئدتهم، «تَهْوِي» تسرع، «إِلَيْهِمْ» شوقاً، وعن السلف لو قال: أفئدة
الناس لازدحم إليه فارس والروم والناس كلهم، ولكن قال: من الناس فاختص به
المسلمون، «وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» نعمتك وقد استجاب الله
دعائه، «رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ» فلا حاجة إلى الطلب لكنا ندعوك
إظهاراً للعبودية، أو ما نخفى من الوجد بإسماعيل وأمه، حيث أسكتتهما بواد غير ذي
زرع ، وما نعلن من الدعاء، «وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ» صفة
شيء ، «وَلَا فِي السَّمَاءِ» هو من تنمة كلام إبراهيم، أو مبتدأ من الله، «الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ» أي: وأنا كبير وآيس من الولد ، «إِسْمَاعِيلَ» وهو
في تسع وتسعين ، «وَأِسْحَاقَ» وهو في مائة واثنين عشرة، وهذا دليل علي أن الدعاء
بعد^(٢) بناء البيت «إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ» لحجبه، «رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ»
محافظاً عليها معدلاً لأركانها، «وَمِنْ ذُرِّيَّتِي» واجعل منهم من يقيمها، وهو يعلم من
الله -تعالى- أن في ذريته بعضاً من الكفار، «رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ»^(٣) فيما سألتك كله،

(١) قوله في ذلك الوادي إلخ، فإن موضع البيت نحو جبل يأتيه السيل ويأخذ عن يمينه
وشماله، قال بعض هذا الدعاء بعد بناء البيت بعد الدعاء الأول بزمان ، وهو الأرجح
كما يجيء المرجح / ١٢ وحيز .

(٢) فإن الدعاء الأول في طفولية إسماعيل، ولم يكن إسحاق، اللهم إلا أن يقال:
إن الدعاء والحمد في زمن مختلفة، جمع الله جميعهم وحكى عنهم / ١٢
وحيز .

(٣) هو عطف جملة على جملة بتوسط ربنا للتضرع / ١٢ .

أو عبادتي، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾^(١) وهذا قبل أن يتبين أنه عدو الله - تعالى، قيل: أراد وفقهما على الإيمان، ﴿وَاللَّمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ﴾^(٢) يثبت، ﴿الحِسَابُ﴾.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾^(٣) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ^(٤) وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبِ دَعْوَتِكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوَّلَمَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ^(٥) وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ^(٦) وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ مَكَرُهُمْ لَتَرَوُنَّ مِنَ الْجِبَالِ^(٧) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ^(٨) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَزُرُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ^(٩) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ^(١٠) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ^(١١) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ^(١٢) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذْكَرُوا وَلَوْ آلَاءُ الْبَيْتِ^(١٣) ﴿

(١) كانت أمه مؤمنة كما قيل ، ولم يئأس من إيمان والده / ١٢ وجيز .

(٢) قيام الحساب مجاز عن ثبوته، نحو قامت الحرب على ساق، ولما ذكر قريباً نعمة من نعمة الله أنعمها عليهم وهم كفروا بها ولم يشكروها، وتلك النعمة بناء جدهم - الذي افتخروا به - البيت للتوحيد ودعائه من قوله: "واجنبي وبني أن نعبد الأصنام"، وأتم حكايته، رجع إلى ما كان فيه بأحسن وجه حين فصل حكاية دعائه إلى قوله: "يوم الحساب"، فقال: "ولا تحسبن الله غافلاً" الآية / ١٢ وجيز .

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾ إذ أجل المشركين وأنظرهم ، ﴿غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾
والآية تسلية لمحمد - عليه الصلاة والسلام - وتهديد للمشركين ، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾
يؤخر عذابهم ، ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ لا تقر في أماكنها لهول ذلك اليوم ،
﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين ، أي: إلى المحشر ، كما قال - تعالى: "مهطعين إلى الداع"
(القمر: ٨) ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ رافعيها لا ينظر أحد أحدًا ، ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ﴾
طَرَفُهُمْ ﴿فَعِوَنَهُمْ شَاحِصَةٌ يَدْعُونَ النَّظَرَ وَلَا يَطْرَفُونَ لِحَّةً﴾ ، ﴿وَأَفْنَدْتُهُمْ﴾ في ذلك
اليوم ، ﴿هَوَاءٌ﴾ خالية^(١) عن الفهم خلاء ، قال بعضهم: أمكنة أفندتهم خالية لأن
القلوب لدى الحناجر قد خرجت عن أماكنها ، ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ﴾ يا محمد ، ﴿يَوْمَ﴾
مفعول ثان لأنذر ، ﴿يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ يوم القيامة ، ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أشركوا ،
﴿رَبَّنَا أَخْرِنَا﴾ أمهلنا ، ﴿إِلَى أَجَلٍ﴾ حد من الزمان ، ﴿قَرِيبٍ﴾^(٢) ، سألوا الرد إلى
الدنيا ، ﴿ثَجِبْ﴾ جواب للأمر ، ﴿دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فيجابون بقوله: ﴿أَوْ لَمْ
تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ﴾ حلفتُم في الدنيا ، ﴿مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ﴾ جواب القسم ،
أي : أقسمتم أنكم لا تنتقلون إلى الآخرة ، ولا معاد لكم ، فذوقوا وباله ، ﴿وَسَكَنْتُمْ
فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والعصيان ، ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا
بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ من أحوالهم فما اعتبرتم ، ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾
العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم ، ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ﴾ مكتوب ، ﴿مَكْرُهُمْ﴾ فهو
بجارتهم ، ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ في العظم ، ﴿لَتَنْزِيلُ مِنْهُ الْجَبَالُ﴾ مهياً لإزالة الجبال ،

(١) خالية عن الفهم يقال للبليد: قلبه هواء ، أي: لا رأي له ، أو معناه كالهواء ، فإن الهواء
أبداً في اضطراب لا سكون له ، قيل: هذه الصفات الخمس لهم عند الحساب لذكرها
عقيب قوله: "يوم يقوم الحساب" / ١٢ وجيز .

(٢) إلى أجل قريب ، ولا يبعد أن قولهم ربنا أخرنا عند سكرات موتهم ومعاناة أمور الآخرة
ومن مات فقد قامت قيامته / ١٢ وجيز .

وعن بعضهم معناه : وما كان مكرهم لتزول إلخ والجبال مَثَلٌ لأمر^(١) محمد - صلى الله عليه وسلم - فإن نافية واللام مؤكدة لها، ومن قرأ بفتح لام لتزول فإن مخففة، واللام هي الفاصلة، وعن بعضهم معناه: وإن كان شركهم لتزول كقوله تعالى : "تكاد السموات يتفطرن منه" الآية . وعن علي - رضي الله عنه : إن الآية في غمرد^(٢) حيث اتخذ تابوتًا وربط قوائمه الأربع بنسور ومكر حتى طرن إلى جانب السماء ثلاثة أيام، وغابت الدنيا عن نظره يريد محاربة إله السماء ، فلما هبط إلى الأرض سمعت الجبال خفيق التابوت ففرغت ظنًا من حدوث القيامة ، فكادت تزول عن أماكنها.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ من نصرهم في الدارين، أضاف^(٣) إلى المفعول الثاني إيذانًا بأنه لا يخلف الوعد أصلاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ يغالب ولا يغالب، ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾ لأولياته، ﴿يَوْمَ﴾ بدل من يوم يأتيهم العذاب أو ظرف للانتقام، ﴿تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ أي: والسموات غير السماوات فتكون الأرض من فضة والسماء^(٤) من ذهب أو الأرض خبزة بيضاء يأكلها المؤمن من تحت

(١) قوله: مثل لأمر محمد إلخ يعني: ما كان مكرهم لتزول منه شرائع الله التي هي كالجبال الراسيات في التمكن والثبات، وقرأ ابن مسعود وما كان مكرهم/ ١٢ وحيز .

(٢) قوله: إن الآية في غمرد، قال الرازي: قال القاضي: وهذا بعيد جداً؛ لأن الخطر فيه عظيم ولا يكاد العاقل يقدم عليه وما جاء فيه خبر صحيح معتمد ولا حجة في تأويل الآية البتة / ١٢ .

(٣) يعني: أن مخلفاً متعد إلى مفعولين، قال الفراء وغيره: جازت إضافته إلى أيهما شاء، وهما مضاف إلى الثاني ولو أضاف إلى الأول لأوهم أنه يجوز أن يخلف غير رسله وعده، ولما قدم وعده اندفع الوهم لدلالته على أن الاعتناء بشأن الوعد أتم وأن الإخلاف إنما لم يجز في الوعد ، لكونه وعدًا لا لكونه مع الرسل ، قيل: مخلف هنا متعد إلى واحد، نحو لا يخلف الميعاد ونصب رسله بالوعد كأنه قال: مخلف ما وعد رسله / ١٢ وحيز .

(٤) كذا قال السلف / ١٢ .

قدميه، أو تكون السماوات جنائاً والأرض نيراناً، أو المراد تغيير هيئتها تبسط وتمد مد الأديم^(١) العكاظي^(٢) وتكور شمسها وتنشر نجومها وتخسف قمرها، «وَبَرَزُوا» من قبورهم، «لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» بحازة الله الواحد الغلاب فلا مستجار لأحد إلى غيره، «وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ» كل كافر مع شيطان في غل أو بعض الكفار مع بعض أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقاهم، «فِي الْأَصْفَادِ» في الأغلال متعلق بمقرنين أو حال من ضميره، «سَرَّابِلُهُمْ» قمصاهم، «مِّنْ قَطْرَانٍ» ما يطلّى به الإبل الجري، فيحرق الجرب بحرّه وحدته والجلد فيصير كيّاً ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار، وهو أسود متنن، وعن بعض السلف هو النحاس المذاب، وهذا التفسير لمن قرأ قطر وهو النحاس، وإن وهو المتناهي حره، «وَتَغْشَىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ» تعلوها، «لَيَجْزِيَنَّ اللَّهُ» أي: فعل بهم ذلك ليجزي الله، «كُلَّ نَفْسٍ» من الكفار، «مَا كَسَبَتْ» أو معناه برزوا ليجزي الله كل نفس من المؤمن والكافر ما كسبت من خير وشر، «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» لأنه لا يخفى عليه شيء ولا يشغله شيء عن شيء، «هَذَا» أي: القرآن، «بَلَاغٌ» كفاية في الموعظة، «لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ» تقديره بلاغ لينصحوا ولينذروا به^(٣)، أو تقديره ولينذروا به أنزل «وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ» يستدلوا بالآيات على وحدانيته، «وَلِيَذْكُرُوا الْأَبَابِ» ذووا العقول الخالصة .

(١) قوله: تمد مد الأديم إلخ وهذا قول ابن عباس ولا يبعد أن الصواب قول حبر الأمة؛ لأن الغرض من الآية التهويل والتخويف، وأرض الفضة أرض الجنة لا أرض يوم القيامة والكلام في أرض القيامة ولهذا قال: "وبرزوا" إلخ .

(٢) من أسواق العرب في الجاهلية بموضع يبعد عن مكة ثلاثة أيام وهو بين نخلة والطائف .

(٣) فيكون عطف على جملة / ١٢ منه .

سورة الحجر مكية

وهي تسع وتسعون آية وست ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ۝ رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ۝ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ۝ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ مَا نُنْزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ۝ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ۝﴾

﴿الر تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات السورة ، ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ، ﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ أي : تلك آيات جامعة لكوها آيات كتاب كامل ، وقرآن يبين الأحكام ، ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حين موهم ، أو يوم القيامة ، أو حين اجتمع^(١) بعض

(١) رواه الطبراني عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وابن أبي حاتم والترمذي [رواه الطبراني من حديث جابر مرفوعا، وفيه خالد بن نافع الأشعري، قال أبو داود متروك، =

المسلمين مع الكفار في النار ، فيقول الكفار معهم: ما أغنى عنكم الإسلام فغضب الله - تعالى - على الكفار وأخرج المسلمين من النار، وما كافة تكفه عن الجر، فجاز دخوله على الفعل والترتب في أخبار الله - تعالى - كالماضي في تحققه، ولذلك أجرى المضارع مجرى الماضي، فدخلت رُبَّ عليه مع أنه لا يجوز دخولها عليه، «لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ» حكاية ودادهم بلفظ الغيبة كقولك: حلف بالله ليفعلن، «ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا» في الدنيا بديانهم^(١)، «وَيُلْهِمُهُمْ» يشغلهم، «الْأَمَلُ» عن الأخذ بحظهم من الإيمان والطاعة، «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ»^(٢) سوء عملهم وهذا من باب الإيذان بأن غضب الله - تعالى - حل عليهم فلا ينفعهم نصح ناصح، وقيل: منسوخة بآية القتال^(٣)، «وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ» أهل، «قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ» أجل مؤقت مكتوب عند الله - تعالى - لا يهلكهم حتى يبلغوه، جيء بين الصفة والموصوف وهما لها كتاب وقرية بالواو تأكيداً للصوقها بالموصوف، «مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ»^(٤) لا

= قال الذهبي: هذا تجاوز في الحد فلا يستحق الترك، فقد حدث عنه أحمد بن حنبل وغيره، وبقية رجاله ثقات" كذل في المجمع للهيثمي (٤٥/٧). وأخرجه أيضا الطبراني وابن أبي عاصم في السنة وغيرهما من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعا، وقال الشيخ الألباني في ظلال الجنة: "حديث صحيح، وليس عند الترمذي كما ذكره"، وهو قول ابن عباس وأنس بن مالك، روى عنهما ابن جرير، وهكذا روى عن مجاهد والضحاك وقتادة وأبي العالية وغيرهم / ١٢ .

(١) وافتقت السلف على أن التمتع في الدنيا من أخلاق الهالكين / ١٢ وجيز .
 (٢) ولما أوعدهم بهذا الوعد الشديد استبطأ بعض النفوس حلول عذابهم فقال : " وما أهلكنا" الآية : ١٢ وجيز

(٣) لأن ظاهر قوله ذرهم أمر بعدم التعرض / ١٢ منه .

(٤) أنث الفعل في ما تسبق وذكر في يستأخرون حملاً على اللفظ والمعنى / ١٢ منه .

يتأخرون عنه ، ﴿وَقَالُوا^(١) يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ أَي : القرآن وهذا استهزاء منهم﴾ ، ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ^(٢) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي : هلا تأتينا بهم يشهدون بصدقك ، قيل : هلا تأتينا بهم للعقاب على تكذيبنا لك ، ﴿مَا نُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أجاب الله - تعالى - عنها بأن إنزالهم لا يكون إلا تزيلاً متلبساً بحق عند حصول الفائدة ، وقد علم الله أنهم معرضون عن الحق ، وإن شاهدوا الملائكة ، قال - مجاهد : بالحق أي بالعذاب ، ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ^(٣)﴾ ، أي : لو نزلنا الملائكة ما أخرج عذابهم ، ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من التحريف والزيادة والنقص ، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلاً ، ﴿فِي شَيْعٍ﴾ في فرق ، ﴿الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ﴾ حكاية حال ماضية ، فإن ما لا يدخل إلا على مضارع بمعنى الحال أو ماض قريب من الحال ، ﴿مَنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وهذا تسلية لمحمد - صلى الله عليه وسلم ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ ندخل الاستهزاء والتكذيب ، ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ حال من المجرمين ، أو بيان الحملة أو مثل ذلك السِّلْكُ نسلك الذكر^(٤) ونلقيه في قلوبهم مكذباً به غير مقبول ، ﴿وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي : قد مضت سنة الله - تعالى - بأن يسلك الكفر في قلوبهم أو بإهلاك

(١) ولما أثبت العذاب والانتقام عنهم في وقت ما بين من أعمالهم وأقوالهم ما يبين استحقاقهم للعذاب فقال " وقالوا يا أيها الذي " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) سبو نبي الله بعد الاستهزاء / ١٢ .

(٣) ولما قالوا : " يا أيها الذي نزل عليه الذكر " مستهزئين دل على أنهم أنكروا أن الله أنزل الذكر؛ أثبت بوجوه مؤكدة فقال : " إنا نحن نزلنا الذكر " الآية / ١٢

وجيز

(٤) على هذا ضمير نسلكه إلى الذكور وهو غير بعيد، بل لا يبعد أن يكون أشد ملائمة / ١٢ .

من كذب الرسل من الأمم الماضية، ﴿وَلَوْ^(١) فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾ على هؤلاء المشركين، ﴿بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا^(٢)﴾ أى: المشركون، ﴿فِيهِ يَغْرُجُونَ﴾ يصعدون فينظرون إلى ملكوت الله - تعالى - وعبادة الملائكة ، أو ظل الملائكة فيه يصعدون والكفار ينظرون ذلك ، ﴿لَقَالُوا﴾ من غلوهم فى العناد ، ﴿إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ أغشيت وسدت بالسحر أو حيرت كما يتحير السكران ، ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ^(٣)﴾ سحرنا محمد بذلك.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَآنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢﴾ إِلَّا مَنْ أَصْرَقَ أَلْسَمَعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿٣﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿٤﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهِ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٦﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٨﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

-
- (١) ولما قال نسلكه فى قلوبهم ، أثبت هذا المعنى بقوله: " ولو فتحنا " الآية / ١٢ وجز .
 (٢) ذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون / ١٢ .
 (٣) ولما قال: " ولو فتحنا عليهم باباً من السماء " ، أى: نحدث لهم فى السماء أمراً بديعاً لما كانوا برؤيته يؤمنون ، ثم بين أن فى السماء والأرض ما هو أبعد وهم معرضون عنه ، فقال: " ولقد جعلنا " الآية / ١٢ وجز .

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر منازل الشمس والقمر، أو المراد من البروج الكواكب، ﴿وَزَيَّنَّاها﴾ بالنجوم، ﴿لِلنَّاطِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ فلا يقدر^(١) أن يطلع على أحوالها، ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ استراقه اختلاسه سرًا، وعن بعضهم أن الشياطين كانوا غير محجوبين عن السماوات، فلما ولد عيسى - عليه السلام - منعوا عن ثلاث سماوات، ولما ولد محمد - صلى الله عليه وسلم - منعوا من كلها بالشهب، والاستثناء منصوب متصل من كل شيطان، أو منقطع، ﴿فَاتَّبَعَهُ﴾ لحقه، ﴿شِهَابٌ﴾ شعلة نار ساطعة، ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهرة لأهل الأرض، ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها، ﴿وَوَلَقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالًا ثوابت، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ مقدر بمقدار معين، قيل: ضمير فيها للرجال والأشياء، الموزون جواهرها كالذهب وغيره، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ تعيشون بها من المطاعم والملابس والمشارب، ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ عطف على معاش، أي: جعلنا في الأرض من رزقه على الله - تعالى - ونفعه لكم كالخدم والعيال والدواب، أو عطف على محل لكم، أي: جعلنا المعاش فيها لكم، ولمن رزقه على الله - تعالى - كالعبيد والإماء وسائر الحيوانات، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾

(١) في البخاري إن الشياطين يركب بعضهم فوق بعض إلى السماء الدنيا؛ يسترق السمع من الملائكة، فيسمع الكلمة فيلقوها الآخر إلى من تحته، حتى يلقوها على لسان الساحر أو الكاهن، فرما أدرك الشهاب قبل أن يلقوها وربما يلقوها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء / ١٢ منه. [أخرجه البخاري في "التفسير"، (٤٧٠١)، وفي غير موضع من صحيحه].

(٢) عند كثير من السلف، أن الخزائن على حقيقتها، وهي التي تحفظ في أمكتها فإن للريح مكانًا، وكذا لنمطر، ولكل مكان ملك وحفظة، فإذا أمر الله بإخراج شيء منه أخرجه الحفظة بقدر ما أمر الله، وفي الأحاديث الصحاح ما يدل على صحة ما قال / ١٢ وحيز.

ضرب الخزائن مثلاً لاقتداره على كل مقدور ، وقد نقل في الحديث^(١) ، خزائن الله - تعالى - الكلام ، إذا أراد شيئاً قال له: كن فكان، «وَمَا تُنَزِّلُهُ» ما نعطيه، «إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ» تعلقت به مشيئتنا فإن المقدورات غير متناهية والموجودات متناهية، وقيل المراد من الشيء: المطر وما من عام أكثر مطراً من العام الآخر، لكن الله - تعالى - يقسمه حيث شاء ، عاماً يكثر في بلد ، وعاماً يقل ، «وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ» أي: حوامل شبه الريح إذا جاءت بخير من سحب ماطر بالحامل، أو بمعنى الملاقح، أي: للشجر والسحاب يقال ألحقها الفحل، إذا ألقى عليها الماء فحملته، وعن كثير من السلف^(٢) أن الله - تعالى - يرسل الريح فيحمل الماء من السماء ، ثم يجري السحاب حتى تدر كما تدر اللقحة ، «فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَا كُومَهُ» جعلناه لكم سقياً^(٣)، «وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ» حافظين بل نحن نحفظه عليكم في العيون والآبار والأنهار، ولو شاء الله - تعالى - لأغاره وذهب به، أو معناه: نحن نزل المطر، وهو في خزائنتنا ، لا في خزانتكم ، «وَأِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ» الباقون بعد فناء الخلق ، «وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ» كل من هلك من لدن آدم^(٤) وكل من هو حي ومن سيأتي إلى آخر الدنيا ، أو المستقدمين^(٥)

(١) رواه الحافظ البزار / ١٢ منه ، وأبو الشيخ / ١٢ فتح . [وقد ذكره ابن كثير في "التفسير" ، (٢/ ٥٥٠) من طريق البزار، وفي سنده حيان بن أغلب بن تميم، قال البزار: لا يرويه إلا أغلب وليس بالقوي، وقد حدث عنه غير واحد من المتقدمين، ولم يروه / عنه إلا ابنه.]

(٢) كعبد الله بن مسعود وابن عباس وإبراهيم النخعي وقتادة / ١٢ .

(٣) أي : نصيباً من الماء / ١٢ .

(٤) قوله : كل من هلك إلخ الأول هو قول ابن عباس وأكثر السلف / ١٢ منه .

(٥) قاله الحسن - رضى الله عنه .

الخير والمبطلين عنه ، أو المتقدمين في الصف الأول والمستأخرين منه، فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما رغب في الصف الأول ازدحموا عليه ، أو أناس يستقدمون في الصفوف لثلاثاً^(١) يرو النساء، وبعضهم يستأخرون لينظروا إليهن، أو المراد في صف القتال، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَخْشَرُهُمْ﴾ للجزاء ، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ بآهر الحكمة واسع العلم.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ ٢٦ ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ ٢٧ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ ٢٨ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ٢٩ ﴿فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ٣٠ ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ ٣١ ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ ٣٢ ﴿قَالَ

(١) روى الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم عن أبي الجوزاء عن [ابن عباس: أن امرأة حسناء كانت تصلى فتقدم بعض لثلاث ينظر إليها وتأخر بعض لينظروا إليها إذا سجدوا من تحت أيديهم فتزلت ، قال الشيخ ابن كثير : في هذا الحديث نكارة شديدة / ١٢ منه . [تفسير ابن كثير (٢/ ٥٥٠)، وقد صحح الحديث الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٩٧)، وعقد في الصحيحة (٢٤٧٢) بحثاً فيه مورداً طرقاً ومناقشاً الحافظ ابن كثير في استنكاره له، فراجعه فإنه مفيد]

(٥) غير موجودة بالأصل.

(٢) ولما نبه منتهى الخلق وهو الحشر؛ أنبأهم مبدأ أصلهم وما جرى لعدوهم إبليس ليحذرهم من كيده، فإنه هو الذي أخرج أصلكم من محل الراحة إلى مقر التكليف والتعب فقال: ولقد خلقنا الإنسان " الآية / ١٢ وحيز .

لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ ﴿٣٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٤٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٤١﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٣﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٦﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٧﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أرد آدم، ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ طين يابس يصوت إذا نقر أو من طين منتن من صل اللحم إذا أتن وهو كزلزال، ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ أي: كائن من طين أسود، ﴿مَّسْنُونٍ﴾ أي: أملس أو منتن أو مصبوب كالجواهر المذابة تصب في القوالب، ﴿وَالْجَانَّ﴾ أي: إبليس وهو أبو الشياطين، أو أبو الجن مطلقاً، ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل خلق آدم، ﴿مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ نار الحر الشديد، أو نار لا دخان لها، وعن بعضهم من نار الشمس.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ أي: اذكر وقت قوله ﴿لِّلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ عدلت صورته وأتممت خلقته، ﴿وَوَفَّقْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾ إضافة الروح للتشريف، ﴿فَفَقَعُوا﴾ فاسقطوا، ﴿لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ وقد مر أن المأمورين بالسجود جميع الملائكة أو جمع خاص منهم، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ أي: لكن هو أبى

السجود، وجاز أن يكون الاستثناء متصلاً، وجملة أبي أن يكون حيثُذ مستأنفة ،
«قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ^(١)» أي غرض لك في، «أَلَا تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ
أَكُنْ لِأَسْجُدَ» اللام لتأكيد النفي، أي: لا يصح مني ويستحيل أن أسجد، «لِبَشَرٍ
خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ» استكبر واستعظم نفسه، «قَالَ فَاخْرُجْ
مِنْهَا» من تلك المنزل التي أنت فيها من الملائكة الأعلیٰ، «فَإِنَّكَ رَجِيمٌ» مطرود من
الخير والشرف باعتبار الكرامة عند الله تعالى لا باعتبار النوع، «وإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ» أي: تلك اللعنة لا تزال متصلة لاحقة بك إلى يوم القيامة، وهذا
بعد غاية^(٢) يضرها الناس، «قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي» أخر أجلي، «إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ^(٣)»
آخر الدنيا، «قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» وهو^(٤) نفخة
الأولى، أمهله الله استدراجاً له وابتلاء وامتحاناً للخلق، قيل: سأل الإمهال إلى يوم
يبعثون ثلثا يموت؛ لأنه لا يموت حيثُذ أحد ، فلم يجب إلى ذلك وأمهل إلى آخر أيام

(١) ظاهره يقتضي أن الله تعالى تكلم مع إبليس بغير واسطة؛ لأنه قال في الجواب: "لم أكن
لأسجد لبشر خلقته"، فقوله: خلقته خطاب الحضور لا خطاب الغيبة، فقول بعض
المتكلمين، أنه - تعالى - أوصل هذا الخطاب إلى إبليس على لسان بعض رسله
ضعيف/ ١٢ فتح .

(٢) لا أنه انتهت اللغة حيثُذ/ ١٢ وجيز .

(٣) قوله: يوم يبعثون إلخ .. ولا يبعد أن يقال: إن يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت
المعلوم واحد، وتغيير الكلام للمتقين؛ لأنه قدم مر في سورة الأعراف أنه قال: "أنظرني
إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين" (الأعراف: ١٤، ١٥)، فإنه يدل على الإجابة،
والملعون كان عالماً بأن لا يسأل ما لا يجاب عنه / ١٢ وجيز .

(٤) قاله ابن عباس / ١٢ .

التكليف فهو ميت، بين النفختين أربعين سنة، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أي: أقسم^(١) بإغوائك إياي، ﴿لَأُزَيِّنَ لَهُمْ^(٢)﴾ المعاصي، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، أو معناه بسبب غوايتك إياي، أقسم لأزين الخ..، ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾، أحملهم علي الغواية، ﴿أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾، أي: إلا عبادك الموصوفين بالإخلاص لطاعتك حلال كوفهم من أولاد آدم.

﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ إشارة إلى قول إبليس: لأغوينهم إلا عبادك أي: هذا هو الذي حكمت به وقدرت على عبادي، وهو حق مستقيم، كما قال تعالى: "ولكن حق القول مني" (السجدة: ١٣) الخ.. أو تهديد، كما تقول لخصمك: طريقك على أي لا تفلت مني، أو الإشارة إلى تخلص المخلصين من إغوائه الدال عليه الاستثناء، أي: تخلصهم طريق حق علي أن أراعيه لا انحراف عنه، أو الإخلاص طريق علي من غير اعوجاج يؤدي إلى الوصول إلى كرامتي ولقائي، ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أي: ليس لك حجة وتسلط على أحد منهم، فمن أين لك الاختيار في غوايتهم، ﴿إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ لكن من اتبعك هو من الغاوين، أو الاستثناء متصل ويكون كالتصديق لقول إبليس، ﴿وَأِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ أي:

(١) وفي الفتح: والفقهاء قالوا: الإقسام بصفات الذات صحيح واختلفوا في القسم بصفات الأفعال، ومنهم من فرق بينهما، ولأن جعل الإغواء مقسم به غير متعارف، قاله الكرخي، قلت: وإقسامه هنا بإغواء الله، ولا ينافي إقسامه في موضع آخر بعزة الله التي هي سلطانه وقهره؛ لأن الإغواء له هو من جملة ما يصدق عليه العزة / ١٢ .

(٢) لذرية آدم والمرجع يفهم من الكلام قال في الآية الأخرى: "لأحتكن ذريته إلا قليلاً" (الإسراء: ٦٢)/ ١٢ وجيز .

الغاوين، ﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد للضمير، ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾^(١) سبعة أطباق، وعن علي - رضى الله عنه - إن أبواب جهنم هكذا، ووضع إحدى يديه على الأخرى، أي: بعضها فوق بعض أو سبعة منازل لكل منزل باب، ﴿لِكُلِّ بَابٍ طَبَقَةٌ أَوْ مَرْتَلٌ، مِنْهُمْ﴾ من أتباعه، ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ افرز له، ومنهم حال من الجزاء، أو من ضمير الظرف .

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿١٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿١٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿١٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿١٨﴾ * نَبِيٌّ عِبَادَى أَنَّى أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٢٠﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا لَا تَوَجَّلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٢٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٢٨﴾ إِلَّا آءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدْ رَأَىٰ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٠﴾

(١) قوله: "سبعة أبواب" إلخ قال الخطيب: تخصيص هذا العدد؛ لأن أهلها سبع فرق، وقيل: جعلت سبعة على وفق الأعضاء السبعة من العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لأنها مصادر السيئات انتهى، أقول الحكمة في تخصيص هذا العدد، لا ينحصر فيما ذكر، بل الأولى تفويضها إلى جاعلها، وهو الله سبحانه إلا أن يرد به خير صحيح، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيجب المصير إليه / ١٢ فتح .

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ عن الكفر والفواحش ، ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ بساتين وأنهار ،
﴿ادْخُلُوهَا﴾ أي : يقال لهم ادخلوها ، ﴿بِسَلَامٍ﴾ سالين من الآفات ، وقيل مسلماً
عليكم ، ﴿آمِنِينَ﴾ من المكاره ، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾
حسدٍ وحقْدٍ ، ﴿إِخْوَانًا﴾ في المودة وهو حال ، ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ متواجهين
وهما صفتان أو حالان ، وعن علي - رضي الله عنه : إني لأرجو أن أكون أنا
وعثمان وطلحة والزبير منهم (*) - رضي الله عنهم ، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾
تعب ، ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (١) نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ (٢) الرَّحِيمُ وَأَنَّ
عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ (٣) الْأَلِيمُ (٤) وقد نقل (٤) أنه - صلى الله عليه وسلم - خرج
على أصحابه ، وهم يضحكون فقال أتضحكون وبين أيديكم النار؟! ، فترل جبريل
بهذه الآية ، وقال : يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي؟ ، ﴿وَنَبِّئْهُمْ (٥) عَنْ

(*) أخرجه سعيد بن منصور وابن مردويه عن علي كما في الدر المنثور للسيوطي (١٨٩/٤).

(١) ولما تقدم ذكر ما في النار وما في الجنة وهو للمتقين ، كما قال : "إن المتقين في جنات" ،
وقد علم أن الموصوفين بالتقوى كانوا في الدنيا صواحب حقد وحسد ، وهو مناف
للتقوى ، رفع الالتباس والتنافي بقوله : " نبي عبادي " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) فمن اتقى عن الشرك ووقع في سوء بجهالة ، فلإني أرحمه وأغفر له / ١٢ وجيز .

(٣) لم يقل من جهة المقابلة وإني أنا المعذب المؤلم ، ليعلم أن جهة العفو والرحمة أرجح والله
الحمد / ١٢ وجيز .

(٤) نقله ابن جرير وابن أبي حاتم / ١٢ وجيز [ذكره الهيثمي في "المجمع" ، (٤٦/٧) وقال :
"رواه الطبراني ، وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف"] .

(٥) قوله : ونبيهم إلخ ليتحقق أن رحمته واسعة ، وأن عذابه أليم ، ذكر العرب بأحوال من
يعرفونه ممن عصى وكذب الرسل ؛ فحل بهم عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ليعتبروا ،
فبدأ بذكر جدهم الأعلى وما جرى لقوم ابن أخيه لوط ثم فثم / ١٢ وجيز

صَيِّفٌ^(١) إِبْرَاهِيمَ ﴿ ذَكَرَ لَهُ هَذِهِ الْقِصَّةَ عَقِيبَ هَذِهِ الْآيَةِ ، لِتَحَقُّقِ أَنَّ رَحْمَتَهُ وَاسِعَةٌ وَعَذَابُهُ أَلِيمٌ ، ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا ﴾ نَسْلِمُ عَلَيْكَ ﴿ سَلَامًا قَالَ^(٢) ﴾ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿ خَائِفُونَ ؛ لِأَنَّهُمْ مَا أَكَلُوا مِنْ طَعَامِهِ ، وَدَخَلُوا بِغَيْرِ إِذْنٍ ، ﴿ قَالُوا لَا تَوَجَّلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ^(٣) عَلِيمٍ ﴾ اسْتِثْنَاءٌ فِي مَعْنَى التَّعْلِيلِ لِلنَّهْيِ عَنِ الْوَجَلِ ، وَهُوَ إِسْحَاقُ وَالْأَصْيَافُ مَلَائِكَةٌ فِي صُورِ الْبَشَرِ ، ﴿ قَالَ أَبَشِّرْهُنِي ﴾ بِالْوَلَدِ ، ﴿ عَلَى أَنْ ﴾ أَي : أَنَّهُ ، ﴿ مَسْنِيَّ الْكِبَرِ ﴾ وَالْوَلَدُ فِي هَذِهِ الْحَالِ كَالْحَالِ ، ﴿ فِيمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ بِأَيِّ شَيْءٍ تَبَشِّرُونَ ، فَإِنَّ الْبَشَارَةَ بِمِثْلِ هَذَا بَشَارَةٌ بِغَيْرِ شَيْءٍ ، ﴿ قَالُوا بِشَرِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ بِالصِّدْقِ وَالْيَقِينِ ، ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ^(٤) ﴾ مِنَ الْآيِسِينَ ، ﴿ قَالَ ﴾ ، إِبْرَاهِيمُ لَهُمْ : ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ أَي : لَمْ اسْتَنْكَرْ ذَلِكَ قَنُوطًا ، بَلْ اسْتَبْعَادًا عَادِيًّا ، مِنْ اسْتِفْهَامِيَّةٍ إِنكَارِيَّةٍ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : لَا يَقْنَطُ أَحَدٌ إِلَّا الضَّالُّونَ ، ﴿ قَالَ ﴾ إِبْرَاهِيمُ لَهُمْ : ﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ^(٥) ﴾ شَأْنُكُمْ ، ﴿ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ وَمَا الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ ، ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴾ أَي : قَوْمِ لُوطٍ ، ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ ﴾ اسْتِثْنَاءٌ مُتَّصِلٌ مِنْ ضَمِيرِ الْمُجْرِمِينَ ، أَي : إِلَى قَوْمٍ أَجْرَمَ كُلُّهُمْ إِلَّا آلَ لُوطٍ مِنْهُمْ ، ﴿ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ اسْتِثْنَاءٌ ، وَجَازٌ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعًا عَنْ قَوْمٍ ، فَإِنَّ الْقَوْمَ مَوْصُوفُونَ بِالْإِجْرَامِ دُونَهُمْ حَيْثُذْ ، إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ جَرَى بِجَرَى لَكِنْ وَلَمْ يَكُنْ

(١) والضيف أصله المصدر ، و الأفصح أن لا يثنى ولا يجمع ، ولا حاجة إلى تكلف إضمار

أصحاب ضيف / ١٢ و جيز .

(٢) قال بعد ما أجاب سلامهم / ١٢ و جيز .

(٣) وهذا الغلام هو إسحاق ، كما وقع في موضع آخر من القرآن .

(٤) عما يمكن من رحمته / ١٢ .

(٥) فإنه علم أن البشارة لا تحتاج إلى جمع ، فلا بد لهم من أمر عظيم / ١٢ و جيز .

مستأنفاً ، ﴿إِلَّا أَمْرًا تَهُ﴾ استثناء ، من ضمير لنحوهم ، ﴿قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْعَابِرِينَ﴾^(١) مع أن التعليق^(٢) من خواص أفعال القلوب لتضمن التقدير معنى العلم ، أو لأنه أجرى مجرى قلنا ، قال بعضهم : هذا من كلام الله - تعالى - لا من كلام الملائكة^(٣) ، وجاز أن يكون من كلامهم ، وإسناد التقدير إلي أنفسهم لما لهم من القرب إلى الله - تعالى .

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾^(١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٩﴾ قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿١٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿١٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿١٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿١٨﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾

(١) قدرنا ولم يقل قدرناها / ١٢ .

(٢) التعليق هاهنا بإدخال أن على الاسمين ، قال الرضي : ومن المعلقات إن المكسورة إذا لم

يكن فتحها بإدخال اللام على الخبر / ١٢ .

(٣) وهو الظاهر / ١٢

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قَالَ لُوطُ لَهُمْ: «إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنكَرُونَ» لَا أَعْرِفُكُمْ أَوْ تَنْكَرُكُمْ نَفْسِي وَتَنْفِرُ مِنْكُمْ مَخَافَةَ شَرِّكُمْ، «قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ» أَي: مَا جِئْنَاكَ لَتَعْرِفُنَا أَوْ مَا جِئْنَاكَ لِشَرِّكَ، بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا يَسُرُّكَ وَهُوَ مَا أَوْعَدْتَ بِهِ أَعْدَاءَكَ مِنَ الْعَذَابِ، فَيَشْكُونَ فِيهِ وَلَا يَصْدُقُونَكَ، «وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ» بِالْيَقِينِ مِنْ عَذَابِهِمْ، «وَأِنَّا لَصَادِقُونَ فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ» اذْهَبْ بِهِمْ فِي اللَّيْلِ، «بِقِطْعٍ» فِي طَائِفَةٍ، «مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ» سِرْ خَلْفَهُمْ لَتَطَّلِعَ عَلَى حَالِهِمْ حَتَّى لَا يَتَخَلَّفَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، «وَلَا يَلْتَفِتْ»^(١) مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَى مَا وَرَاءَهُ إِذَا سَمِعْتَ الصَّيْحَةَ بِالْقَوْمِ وَذَرَوْهُمْ، «وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ» إِلَى حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ، «وَقَضَيْنَا» أَوْحَيْنَا، «إِلَيْهِ» مَقْضِيًّا، «ذَلِكَ الْأَمْرُ» بِهِمْ مَفْسَرٌ بِقَوْلِهِ: «أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ» وَدَابِرُهُمْ آخِرُهُمْ، أَي: يَسْتَأْصِلُونَ عَنْ آخِرِهِمْ، وَهُوَ بَدَلٌ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ، «مُصْبِحِينَ» دَاخِلِينَ فِي الصَّبْحِ، «وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ» أَي سَدُومُ، قَرِيَّةٌ قَوْمِ لُوطٍ، «يَسْتَبْشِرُونَ» يَفْرَحُونَ بِأَضْيَافِ لُوطٍ طَمَعًا فِي رُكُوبِ الْفَاحِشَةِ مِنْهُمْ، «قَالَ» لُوطُ، «إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ»^(٢) بِفَضِيحَةِ ضَيْفِي، «وَاتَّقُوا اللَّهَ» فِي تِلْكَ الْفَاحِشَةِ، «وَلَا تُخْزُونِ» لَا تَخْجَلُونِي فِيهِمْ، مِنَ الْخِزَايَةِ وَهِيَ الْحَيَاءُ، «قَالُوا

(١) قوله: "ولا يلتفت"، فهو عن الالتفات، لتلا يروا عذابهم فيرقوا ويرحموا، أو هو كناية عن مواصلة السير وترك التأني، لأن الالتفات لابد له من أدنى توقف، ويدل على ذلك قوله: "وامضوا حيث تؤمرون" / ١٢ الخ ...

(٢) اعلم أن قول الملائكة: جئناك بالحق متأخر عن مجيء أهل المدينة، ومقاولته لهم، ألا ترى إلى قولهم: إنا رسل ربك، وإنما جيء على هذا النسق لدلاله كل على أمر مستقل يصلح أن تساق له القصة الأولى تفريج لهم عن الصابرين ونصرة الله، أي نصر وانتقامه من أعدائهم، والثاني ذكر مساوئ الأمم وسوء الأحداث عنهم، وقد جاء ذلك مرتباً في سورة هود/ ١٢ وحيز .

أَوَلَمْ تَنْهَكْ^(١) عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿ أَي : عن ضيافة أحد من العالمين ، أو أن تجير منهم أحداً ، ﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي ﴾ فتزوجوهن واطرکوا أضيافى وعن كثير من السلف أن المراد من البنات نساء القوم ، فإن نبي كل أمة بمنزلة أبيهم^(*) ، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ لا محال قضاء وطركم بمحال المباشرة دون المنكر ، ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ أي : لعمرک^(٢) قسـمي ، ﴿ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ ﴾ ، حيرتهم وغوايتهم ، ﴿ يَغْمَهُونَ ﴾ يتحIRON عن ابن عباس^(**) - رضى الله عنهما - ما خلق الله وما ذراً وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد - عليه الصلاة والسلام - وما سمعت الله - تعالى - أقسم بحياة أحد غيره ، وعن بعض المفسرين أن الضمير لقريش والجملة اعتراض ، ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ هي ما جاءهم من الصوت العاصف حال كونهم داخلين في وقت طلوع الشمس ، ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا ﴾ أي : المدينة ، ﴿ سَافِلَهَا ﴾ صارت منقلبة ، ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً ﴾ قبل التقلب أو

(١) هذا دليل على أنه كان يقوم بالنهي عن المنكر فأوعده/ ١٢ وجيز .

(*) ويؤيد هذا التأويل ما أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي ابن ماجه وابن حبان مرفوعاً وغيرهم بسند حسن عن أبي هريرة مرفوعاً : "إنما أنا لكم الوالد أعلمكم...." وانظر صحيح الجامع (٢٣٤٦)

(٢) قوله : "لعمرک" ، قيل : الخطاب من الملائكة للوط وكثير من السلف أنه خطاب من الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - وعلى هذا فعل المضارع لاستحضار عمهم ١٢ ، وفي الفتح جاءت الأحاديث الصحيحة في النهي عن القسم بغير الله ، فليس لعباده أن يقسموا بغيره ، وهو سبحانه يقسم بما شاء من مخلوقاته ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

(**) أخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو نعيم والبيهقي معا في الدلائل وغيرهم بهذا اللفظ ، ورواه أبو يعلى مختصراً بسند جيد ، كما في المجموع [١. (٤٦/٧)]

معه، أو التقلب للمتوطنين والحجارة للمسافرين، «مَنْ سَجَّلٍ» من حجر وطين، وقد مر في سورة هود، «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ»^(١) المتفرسين، من توسمت في فلان كذا، إذا عرفت وسم ذلك وَسَمَّتُهُ فيه، «وَأَيُّهَا»، أي: تلك المدينة، «لَبَسِيلٍ مُّقِيمٍ» بطريق ثابت يسلكه الناس ولم يندرس آثارهم وهو تنبيه لقريش، «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ» بالله ورسله فيعرفون أن ذلك انتقام لأوليائه من أعدائه، «وَأِنْ كَانَ» أي: إنه كان، «أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ» قوم شعيب، والأيكَة الشجر الملتف، «لِّظَالِمِينَ» بالشرك وقطع الطريق ونقص المكيال والميزان، وكانوا قريباً من قوم لوط بعدهم في الزمان، ومستأمنين لهم في المكان، «فَأَنتَقَمْنَا مِنْهُمْ» بالصيحة وعذاب الرجفة وعذاب يوم الظلة، «وَأَيُّهَا» مدينة لوط وأصحاب الأيكة، «لِيَأْمُرَ مُبِينٍ» لبطريق واضح ظاهر.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٨ ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ آبَاتِنَهُمْ ءَابَتُنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ١٩ ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ ٢٠ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ ٢١ ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٢٢ ﴿وَمَا خَلَقْنَا

(١) قوله: "للمتوسمين" قال مجاهد: للمتفرسين، وأخرج البخاري في التاريخ والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن السني وأبو نعيم وابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ" [وهو ضعيف، انظر ضعيف الجامع، وراجع الضعيفة (١٨٢١)]، والفراسة على نوعين، أحدها ما يوقعه الله في قلوب الصالحاء، فيعلمون بذلك أحوال الناس بإصابته الحدس والنظر والظن والتثبت، والثاني: ما يحصل بدلائل التجارب والأخلاق وللناس في هذا العلم تصانيف قديمة وحديثة/ ١٢ فتح البيان في مقاصد القرآن.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحِ
 الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنْ
 الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تُمَدِّنْ عَيْنِيكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا
 مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ
 الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ
 عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ
 بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾
 الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ
 يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾
 وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ﴾ وهو مدينة بين المدينة والشام يسكنها ثمود،
 ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: صالحاً، ومن كذب نبياً فقد كذب الرسل بأجمعهم، ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾
 معجزات، كما في الناقة من غرائب الآيات، ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ما استدلو بها
 علي صدق نبينهم - عليه الصلاة والسلام، ﴿وَكَانُوا يَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا آمِنِينَ﴾
 من أن تنهدم، أو من عذاب الله، يحسبون أن الجبال تحميهم منه، ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ
 مُصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصباح، ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ ما دفع عنهم العذاب، ﴿مَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ﴾ من البيوت الوثيقة والزراعة والأموال، ﴿وَمَا^(١) خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، خلقاً متلبساً بالحق "ليجزى الذين أساءوا بما

(١) ولما ذكر قصص الأمم السالفة ليتعظ بها المشركون، فيؤمنوا بالقيامة والبعث عقبه بما
 يدل على البعث فقال: "وما خلقت السموات والآية / ١٢ وجيز .

عملوا ويمجزي الذين أحسنوا بالحسنى" (النجم: ٣١)، ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ، ﴿فَاصْفَحْ﴾ يا محمد عن المشركين ، ﴿الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ يعني عاملهم معاملة الحليم الصفوح ، وهذا قبل القتال، فإنما هذه مكية والأمر بالقتال بعد المهاجرة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الذي خلق كل شيء فقادر على الإعادة ، ﴿الْعَلِيمُ﴾^(١) بجميع الأحوال فيجازي بما علم منهم، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا﴾ هي السبع الطوال^(٢) من البقرة إلى الأعراف ثم يونس، نص عليه ابن عباس وغيره - رضي الله عنهم، أو من البقرة إلى براءة على أن الأنفال وبراءة سورة واحدة، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أوتي النبي - عليه الصلاة والسلام - السبع الطوال، وأعطى موسى ستًا، فلما ألقى الألواح رفعت ثنتان وبقي أربع، أو المراد فاتحة الكتاب، روي ذلك عن عمر وعلي - رضي الله عنهما -، وفي البخاري قال - صلى الله عليه وسلم - : "أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم(*)"، ﴿مَنْ الْمَثَانِي﴾ بيان

(١) لما صبره على أذى قومه ، وأمره بأن يصفح الصفح الجميل ، أتبع ذلك بذكر النعم العظيمة ، التي خص الله - تعالى - محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بها لأن الإنسان إذا تذكر كثرة نعم الله عليه سهل عليه الصفح والتجاوز فقال : " ولقد آتيناك " الآية / ١٢ كبير .

(٢) جمع طويلة ، روى النسائي بإسناد صحيح عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن السبع المثاني السبع الطوال ، وأنكر بعضهم هذا القول ، لأن هذه السورة مكية ، وأكثر الطوال مدنية ، وأجيب بأن المراد من الإتيان إنزائها إلى السماء الدنيا ، والمكية والمدنية في ذلك بيان وضعف بأن إطلاق لفظ الإتيان على ما لم يصل بعد إليه خلاف الظاهر ، لكنك خبير خصوصًا في مقام الامتنان بأن تزيل المتوقع منزلة الواقع له نظائر في القرآن العظيم، منها قوله - تعالى - : " كما أنزلنا على المقتسمين " (الحجر: ٩٠)، على التفسير الأول المختار / ١٢ منه .

(*) أخرج البخاري في "التفسير" ، (٤٧٠٤).

للسبع لأن الفرائض والحدود والأمثال والخبر والعبر تُثبت في تلك السورة؛ أو لأن الفاتحة ثني في كل صلاة فيقرأ في كل ركعة، ﴿وَأَلْقُرْآنَ^(١) الْعَظِيمِ^(٢)﴾ إن أريد به جميع القرآن، فمن عطف الكل على البعض، وإن أريد به الفاتحة كما دل عليه حديث البخاري، فمن عطف أحد الموصوفين على الآخر، وعن بعض السلف القرآن كله مثالي؛ لأن الأنباء والقصص تُثبت فيه، فعلى هذا المراد بالسبع أسباع القرآن، ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ لا تطمح ببصرك طموح راغب متمن، ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا^(٣) بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ أصنافاً من الكفار، أي: استغن بما آتاك الله - تعالى - من القرآن عما في الدنيا من الزهرة الفانية، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا أو عن بعضهم لا تحزن على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا، ﴿وَاخْفِضْ^(٤) جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ارفق بهم، ﴿وَقُلْ^(٥) إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ تقديره أنا النذير لمن لا يؤمن عذاباً مثل ما أنزلنا عليهم، والمقتسمون المتحالفون الذين تحالفوا على مخالفة الأنبياء وأذاهم، كما قال - تعالى - في قوم صالح: "تقاسموا بالله لنبيته وأهله"، أي: نقتلهم ليلاً ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ أي: جعلوا كتبهم المترلة عليهم أجزاء، فأمنوا ببعض وكفروا ببعض، أو معناه اقتسموا كتبهم

(١) القرآن اسم يقع على الكل وعلى البعض / ١٢ .

(٢) لما بين الله لرسوله ما أنعم به عليه من هذه النعمة الدينية، نفعه الله عن اللذات العاجلة الزائلة فقال: "لا تمدن عينيك" الآية / ١٢ فتح .

(٣) وعن سفيان بن عيينة، قال: من أعطي القرآن فمد عينيه إلى شيء مما صغر القرآن فقد خالف القرآن، ألم تسمع قوله: "ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم" إلى آخر الآية، ثم لما ناه عن الالتفات إليهم فقال: "ولا تحزن عليهم" الآية / ١٢ فتح .

(٤) لما أمره بما يستلزم التهاون بالكفار وبما معهم أمره أن يتواضع للمؤمنين، فقال: "واخفض" الآية / ١٢ فتح .

(٥) لما أمر رسوله بالزهد في الدنيا وخفض الجناح للمؤمنين أمره أن يقول: "أنا النذير المبين" / ١٢ .

وجزؤه أجزاءً، فأمنوا ببعض وكفروا ببعض، فعلى هذا من القسمة لا من القسم، والقرآن يطلق على جميع الكتب السماوية، وعن بعضهم هم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الإيمان برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويجزؤون القرآن، يقولون: سحر، ويقولون: مفترى، ويقولون: أساطير الأولين، فأنزل الله تعالى بهم خزيًا فماتوا شر ميتة، أو اقتسموا القرآن منهم من قال: سحر، ومنهم من قال: كذب، ومنهم^(١) من قال: أساطير الأولين، فعلى هذا الذين جعلوا القرآن عشرين بيان للمقتسمين، وهو جمع عضة، وأصلها عَضْوَةٌ، فِعْلَةٌ من عَضَّى الشاة، إذا جعلها أعضاء، وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أى: نسأل عن لمة تحالفهم واقتسامهم وجعلهم القرآن عشرين، أو عن كل ما فعلوا، يقول: لم فعلتم كذا وكذا، أو سؤال توبيخ لا استعلام، ﴿فَاصْدَعْ﴾ أظهر، ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ به من الشرائع، ولا تحفه، وعن مجاهد: هو الجهر بالقرآن في الصلاة، وعن^(٢) بعضهم مازال - صلى الله عليه وسلم - مستخفياً حتى نزلت فخرج هو وأصحابه، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ لا تلتفت إلى أقوالهم، ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^(٣) كان عظماء المستهزين خمسة نفر من كبار قريش، مات كل

(١) وأما قول المفسرين إن قريشاً استهزءوا واقتسموا، فمن قائل: البعوض لي، ومن قائل:

الذباب لي، ومن قائل: النمل لي، ومن قائل: العنكبوت لي، ومن قائل: الأنعام لي، ففيه

إشكال، فإن بعض هذه السور مثل البقرة وغيرها مدنية والسورة مكية / ١٢ وجيز .

(٢) قاله أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود / ١٢ . [وأخرجه أبو نعيم في دلائله كما في الدر

المثور (١٩٩/٤) من طريق السدى الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس،

والسدی متهم بالكذب، والكلبي كذلك]

(٣) اختلفوا في عدد هؤلاء المستهزين وأسمائهم وكيفية استهزائهم، ولا حاجة إلى شيء

منها والقدر المعلوم أنهم طائفة لهم قوة ورياسة أظهروا السفاهة مع الرسول الكريم،

فأنفاهم الله وأزال كيدهم / ١٢ كبير .

واحد منهم في أقرب زمان ، «الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ»
عاقبة أمرهم، «وَلَقَدْ^(١) نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ» من أذاك ، «فَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ»، فاشتغل بتسبيحه وتحميده وتوكل على الله تعالى «وَكُنْ مِنَ
السَّاجِدِينَ»^(٢) «وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» الموت المتيقن لحاقه.

اللهم أمتنا على أحسن الأحوال والأعمال.

(١) لما ذكر - تعالى - أن قومه يسفهون عليه ويستهزئون ، قال له: "ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون" ، لأن الجلبة البشرية يقتضي ذلك ، فعند هذا قال له: "فسبح بحمد ربك" ، فأمره بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة ، لأن الإقبال على الطاعات سبب لزوال ضيق القلب والحزن ، لأنه إذا اشتغل الإنسان بالعبادات انكشفت له أضواء عالم الربوبية ، ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا حقيرة، خَفَّ على القلب فقداها ووجداتها، فلا يستوحش من فقداها، ولا يستريح بوجداتها، وعند ذلك يزول الحزن والغم / ١٢ كبير .

(٢) وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة [حسن أخرجه أحمد وأبو داود عن حذيفة، وانظر صحيح الجامع (٤٧٠٣)]، أخرج سعيد بن منصور وابن المنذر والحاكم في التاريخ وابن مردويه والديلمي عن أبي مسلم الخولاني قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "ما أوحى إلى أن أجمع المال وأكن من التاجرين، ولكن أوحى إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" [انظر الدر المنثور (٢٠٣/٤)]، وأخرجه البغوي في "شرح السنة" (٢٣٧/١٤) بسند مرسل، وفيه أيضا شرحه ابن مسلم مختلف فيه]، وروى بطرق كثيرة / ١٢ فتح البيان وكذا في المعالم .

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها

وهي مائة وثمان وعشرون آية وستة عشر ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَاللَّعْنَةُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلَغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿أَتَىٰ﴾ (١) أَمْرُ اللَّهِ أي: القيامة التي هي بمنزلة الواقع في تحققه، أو العذاب الذي وعده نبينا فيمن (*) خالفه، ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فإنه لا محالة واقع، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢)

(١) روي أنه لما نزلت وثب النبي -عليه الصلاة والسلام- ورفع الناس رءوسهم فترلت "فلا تستعجلوه" / ١٢ منه .

(٥) في النسخة (ن): من .

(٢) ولما نزه ذاته الأقدس عن الشريك شرع يصف نفسه بصفات الكمال من الأمر والخلق

فبدأ بالأمر لأنه مقدم وأعلى وكان ما يشركون لا تصرف له أصلاً، قال : " يتزل

الملائكة " الآية م ١٢ وحيز .

ما مصدرية أو موصولة بحذف مضاف أي : إن مشاركة ما يشركون رد لما قالت الكفرة لو صح ما تقوله فالأصنام تشفع لنا ، «يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ^(١)» بالوحي ، «مِنْ أَمْرِهِ» من أجل أمر الله تعالى ، «عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا» أي : بأن اعلّموا متعلق بالروح^(٢) أو بدل منه ، «أَلَهُ» إن الشأن ، «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ» عقوبي لمن عبد غيري رجع إلى مخاطبتهم بما هو المقصود ، «خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» متلبسًا ، «بِالْحَقِّ» لتجزى كل نفس بما كسبت ، «تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» نزه نفسه عن مشاركة غيره فإنه هو الخالق وحده ولا مناسبة بين الخالق والمخلوق ، «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» أي : جنسه ، «مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ» حين استقل ، «خَصِيمٌ» يخاصم ربه ويكذب رسله ، «مُبِينٌ» ظاهر الخصومة ، «وَالْأَنْعَامَ» منصوب بما أضمر عامله ، «خَلَقَهَا لَكُمْ» أو عطف على الإنسان وخلقها لكم مستأنفة يبين ما خلق لأجله ، «فِيهَا دِفْءٌ» ما يدفأ به من البرد ، فإن من أشعارها بيوتًا ولباسًا وملاحف ، «وَمَنْافِعُ» بالنسل والدر والركوب وغيرها ، «وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ» قدم الظرف للاختصاص كأن الأكل من الصيد والطيور ليس هو المعتدل بل بعملة التفكه ، «وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ» زينة ، «حِينَ تَرِيحُونَ» تردوها بالعشي من مراعيها إلى مراحها ، «وَحِينَ تَسْرَحُونَ» حين تخرجونها إلى المراعي بالغداة وقدم الأول ، لأن الزينة إذا أقبلت ملأى البطون ممتلئة الضروع أظهر ، «وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ» أحمالكم ، «إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ» إن لم تكن الأنعام ، «إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ» بكلفة ومشقة ، «إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ» عطف على الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم ،

(١) الذي بعملة الروح للجسد / ١٢ منه .

(٢) لما كان الروح بمعنى الوحي يمكن أن يكون متعلقًا وجاز أن يكون مفسرة ؛ لأن الروح

لما كان بمعنى الوحي دل على القول / ١٢ منه .

﴿وَالْبَعَالُ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾^(١) عطف على محل لتركبوها أو تقديره ولتزينوا بها زينة، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي : ويخلق لكم ما لم يحيط به علمكم ، ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أوجب على نفسه بفضله ولطفه بيان مستقيم الطريق أو معناه طريق الحق^(٢) على الله تعالى يصل إليه لا محالة من يسلكه والمراد بالسبيل الجنس ، ﴿وَمِنْهَا﴾ أي : وبعض السبيل ، ﴿جَائِرٌ﴾ مائل عن الحق ، ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ هدايتكم ، ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلى قصد السبيل .

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾^(٣) يُنَبِّتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤) وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٥) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾^(٦) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٧) وَالْقَلَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٨) وَعَلَّمَتْ رَبِّي النُّجُومَ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٩) أَفَمَنْ

(١) وتغيير النظم حيث لم يقل ولتزينوا بها ليعلم أن المقصود من الخلق الركوب وأما التزين

بها فحاصل بالعرض ولأن الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله / ١٢ منه .

(٢) يعني قصد السبيل الذي هو الإسلام مؤد إلى رضاه ولقائه وثوابه نحو: "هذا صراط علي

مستقيم" (الحجر : ٤١) / ١٢ منه .

يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُمْ وَمَا تَعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾

﴿هُوَ الَّذِي﴾^(١) أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ﴿من جانبه أو من السحاب ، ﴿مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ ما تشربونه ومياه العيون والآبار مما أنزل من السماء ، ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ﴾ أى : في الشجر ﴿تَسِيمُونَ﴾^(٢)﴾ ترعون أنعامكم والمراد من الشجر الجنس الذى ترعاه المواشي، وقيل هو كل نبت من الأرض ، ﴿يَنْبِتُ لَكُمْ بِهِ﴾ أى : بسبب الماء ﴿الزَّرْعَ﴾^(٣) وَالزَّيْتُونَ^(٤) وَالنَّخِيلَ^(٥) وَالْأَعْنَابَ^(٦) وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ^(٧)﴾ أى : بعض كلها لأن ما يمكن من الثمار لم ينبت في الأرض كله ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

(١) ولما أمتن عليهم بإيجادهم بعد العدم وإيجاد ما ينتفعون به امتن عليهم بما هو قيام حياتهم وحياة كل حيوان وما يتولد ويحصل منه من الزرع والضرع فقال هو (الذي) إلخ/ ١٢ وجيز.

(٢) أى : في جنس الشجر ترعون أنعامكم وتقدم فيه لرعاية الفواصل أسام الماشية جعلها ترعى وسامت رعت حيث شاءت / ١٢ وجيز .

(٣) التى فيه قوت العالم .

(٤) فيه الاستصباح والانتدام والاطلاء / ١٢ .

(٥) فاكهة وقوت / ١٢ .

(٦) فيه قوت وهو فاكهة .

(٧) وكل الثمرات لا يكون إلا في الجنة وفي الأرض بعض منها للتذكرة وفي قوله: "من كل الثمرات" إشارة إلى أن تفصيلها لا يكاد يحصر كما أن تفصيل ما خلق كذلك/ ١٢ وجيز .

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾ على وجوده وكمال قدرته ووحدته ، «وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴿١﴾ أي : هيأها لمنافعكم حال كون الكل مسخرات تحت قدرة الله تعالى وسلطانه ، «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ فإن من له عقل يفهم أنواع دلالاتها ولا يحتاج إلى إمعان نظر كأحوال ﴿٢﴾ النبات «وَمَا ذَرَأَّا لَكُمُ الْعُشْبَ الْأُخْضَرُ عَلَى الْغُلِيِّ الْعَظِيقِ ﴿٣﴾ وفي الأرض ﴿٣﴾ من الحيوانات والجمادات ، «مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴿٤﴾ أشكاله ، «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَكِّرُونَ ﴿٥﴾ فإن اختلاف أشكالها دال على حكمته وقدرته ، «وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ جَعَلَهُ يَمِينًا ﴿٦﴾ وتمكنون من الانتفاع به ، «لَتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴿٧﴾ أي : السمك ، «وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا مِّنْ قَبْضَاتٍ ﴿٨﴾ كاللؤلؤ والمرجان ، «تَلْبَسُونَهَا كَلَسَاتٍ ﴿٩﴾ وترى الفلك مَوَاجِرَ ﴿١٠﴾ المخرشق الماء بصدورها أو صوت جري الفلك بالرياح ، «فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴿١١﴾ سعة رزقه أي : سخر البحر للأكل والاستخراج والتجارة للربح ، «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ نعمه وإحسانه ، «وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴿١٣﴾ جبالاً ثوابت ، «أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴿١٤﴾ كراهة أن تميل بكم وتضطرب فإنه لما خلق الأرض كانت تتحرك فقالت

(١) فيه رد على الفلاسفة والمنجمين لأنهم يعتقدون أن هذه النجوم هي الفعالة المتصرفة في

العالم السفلي فأخبر سبحانه أنها مذلات تحت قهره وإرادته / ١٢ .

(٢) قوله : كأحوال النبات إلخ فإن النظر في ذلك يحتاج إلى فضل تأمل فإن الجنة الواحدة إذا

مرت عليها أيام في الأرض لحقها من نداوة الأرض ينشق أعلاها فتصعد منه شجرة إلى الهواء وتغوص أسفلها في عمق الأرض ثم ينمو ثم يخرج الأوراق والأغصان والأنهار والثمار المشتملة على طباع مختلفة وطعوم وألوان وروائح وأشكال وكل ذلك بتقدير

قادر مختار / ١٢ وحيز .

(٣) ولا تكفرونه بالشرك .

الملائكة: ما هي بمقر أحد فأصبحت الملائكة وقد خلقت الجبال ولم تدر الملائكة مـ خلقت ، «وَأَنْهَارًا» أي : وجعل فيها أنهاراً لأن في ألقى معنى الجعل ، «وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» إلى مقاصدكم ، «وَعَلَامَاتٍ» كالجبال والتلال والوهاد وغيرها فإنها علامات للطرق ، «وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» أي : بجنس النجم خصوصاً القريش خصوصاً يهتدون في البراري والبحار فإن لقريش بذلك علماً لم يكن مثله لقوم غيرهم فالشكر عليهم أوجب ، «أَفَمَنْ يَخْلُقُ» وهو الله سبحانه ، «كَمَنْ لَا يَخْلُقُ» وهو كل معبود من دون الله تعالى وغلب جانب أولي العلم فجاء بمن أو المراد الأصنام وجعلها من أولي العلم بزعمتهم أو للمشاكلة وحق الكلام أن يقال : أفمن لا يخلق كمن يخلق وعكس للتنبيه على أنهم جعلوا الله بالإشراك من جنس المخلوقات العجزة شبيهاً بها ، «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» فتعرفوا فساد ذلك ، «وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» لا تضبطوا عددها لكثرة فكيف تطيقون القيام بشكرها ، «إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ» حيث لا يعاقبكم بتقصير في شكرها ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها ، «وَاللَّهُ^(١) يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ» من عقائدكم وأعمالكم ، «وَالَّذِينَ^(٢)» أي : والآلهة الذين ، «يَدْعُونَ» أي : يعبدونهم ، «مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا» فكيف تجوزون شركتهم مع الله الخالق لاسيما ، «وَهُمْ يُخْلَقُونَ» بخلق الله أو بخلقهم الناس بالنحت والتصوير ، «أَمْوَاتٌ» أي : هم أموات لا أرواح لهم ، «غَيْرُ أَحْيَاءٍ» في وقت من الأوقات لا يعقب موته حياة فهم أغرق في الموت من النطف أيضاً ،

(١) ولما أثبت لنفسه الإحسان وأن الخلق مغفرون في إنعامه وأنه قادر مطلق أراد أن يثبت له إحاطة العلم صريحاً فقال : " والله يعلم " الآية / ١٢ وحيز .

(٢) ولما أثبت الإحسان والقدرة والعلم لنفسه أراد أن ينفي كل ذلك عن آلهتهم ليظهر التباين فقال : " والذين " الآية / ١٢ وحيز .

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ لا يعرفون وقت بعثهم فإن الأصنام تبعث فتبرأ من عبادتها وقيل: ضمير يبعثون إلى عبدتهم يعني هم جهلاء فلا يستحقون الإلهية .

إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿١٦﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَّاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿١٩﴾

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ بعد ذكر حجج وحدانيته أخبر بالنتيجة ، ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ لا يتأملون في الحجج وإن كانت واضحة ويستكبرون عن اتباع الرسل بخلاف من يؤمن بالآخرة فإنه طالب الدلائل متبع للحق ، ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فيجازيهم وهو في موضع الرفع بمحذوف أي: حق أن الله تعالى يعلم سرهم وعلايتهم حقاً ، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ لا يشيهم ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَّاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ السائل الحاج يسألون هؤلاء المكذبين ، ﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي : ما يدعي نزوله مأخوذ من الكتب المتقدمة ليس بمثل من الله تعالى ، ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ هي لام العاقبة فإن قولهم هذا أداهم إلى حمل أوزار ضلالهم كاملة لم يكفر منها شيء بمصيبة أصابتهم في الدنيا لكفرهم ، ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ﴾ أي : ليحملوا أوزار أنفسهم وبعض أوزار ، ﴿الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ يعني خطيئة إغوائهم لغيرهم ، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من مفعول يضلون أو من فاعله ، ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ أي : بشس شيئاً يزرونه صنيعهم .

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ
 السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ
 الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ
 عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ
 مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٩﴾ * وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ
 لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٠﴾
 جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ
 كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٧١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ
 الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ
 وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ
 بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧٤﴾

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ليهدموا ما أسس الله تعالى من بنيان دينه ، ﴿فَأَتَى اللَّهُ﴾
 أي : أمر الله تعالى ، ﴿بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ أي : من جهة أساطين ما بنوا عليه
 وخربت من أصله وأسه ، ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾ ^(١) من فَوْقِهِمْ ، وصار سبب
 هلاكهم ، ﴿وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لا يتوقعون وهذا على سبيل

(١) والأظهر أن ذلك على سبيل التمثيل / ١٢ منه .

التمثيل وعن ابن عباس^(١) - رضي الله عنهما - أن المراد به غرود^(٢) حين بنى الصرح ليصعد إلى السماء فهبت الريح وألقت رأسها في البحر وخر عليهم الباقي وهم تحته وكان طولها خمسة آلاف ذراع ، «ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ» يذلمهم ، «وَيَقُولُ» الله تعالى تقرعاً^(٣) وتوبيخاً ، «أَيْنَ شُرَكَائِي» في زعمكم ليدفعوا العذاب عنكم ، «الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ» : تحاربون ، «فِيهِمْ» في سبيلهم ، «قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» هم السادة في الدارين إظهاراً للشماتة وزيادة للإهانة ، «إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ» العذاب ، «عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ» حال من مفعول تتوفى ، «فَأَلْقُوا السَّلَمَ» سالموا وانقادوا عند الموت قائلين : «مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ» كفر وعدوان ، «بَلَى» أي : فقالت الملائكة بللى ، «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فيجازيكم ، «فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ» أي : كل صنف بأما المعد له ، «خَالِدِينَ فِيهَا فَلْيَبْسُ ثَوْبِي» : منزل ، «الْمُتَكَبِّرِينَ» عن عبادة الله جهنم.

(١) رواه ابن أبي حاتم عن مجاهد أيضاً / ١٢ منه .

(٢) ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد به غرود بن كنعان حيث بنى بناءً عظيماً ببابل طولها في السماء خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان ورام الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها فأهب الله الريح فخر ذلك البناء عليه وعلى قومه فهلكوا وكان أعظم أهل الأرض تحجراً في زمن إبراهيم عليه السلام وغرود بضم النون والذال المعجمة وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة والأولى أن الآية عامة في جميع المبطلين الماكرين الذين يحاولون إلحاق الضرر بالمحققين المؤمنين ومعنى المكر هنا الكيد والتدبير الذي لا يطابق الحق وفي هذا وعيد للكفار المعاصرين له - صلى الله عليه وسلم - بأن مكرهم سيعود عليهم كما عاد مكر من قبلهم على أنفسهم / ١٢ .

(٣) فإهانتهم جامعة بين الفعل والقول / ١٢ .

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا﴾ أنزل ، ﴿خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ مكافأة ، ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ﴾ ، ﴿الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ لهم ، ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ دار الآخرة ، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ خير مبتدأ محذوف أو مخصوص بالمدح أو بدل من دار المتقين ، ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ كل ما يشتهون يجدون فيها لا في الدنيا ، ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل هذا الجزاء ، ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الشرك وقيل: فرحين ﴿يَقُولُونَ﴾ أي : الملائكة ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ لا يلحقكم بعد مكروه وقيل: يبلغوهم سلام الله تعالى ، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ المعدة لكم حين تبعثون ويمكن أن يكون المراد دخول أرواحهم الجنة قبل البعث كما في الحديث^(١) ، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ﴾^(٢) أي : هل ينتظر الكفرة ، ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ، لقبض أرواحهم ، ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ ، العذاب والهلاك أو القيامة يعني ما لهم إما أن يموتوا حتف أنفهم أو يقتلوا فكأنهم لا ينتظرون إلا فرداً من هذين لكن المؤمنون ينتظرون أنواع رحمة الله تعالى بعد الموت ، ﴿كَذَلِكَ﴾ أي : مثل فعلهم من التكذيب ، ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بتعذيبهم ، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فاستحقوا به عذاب الله تعالى

(١) الذي رواه مالك في الموطأ والترمذي قال -صلى الله عليه وسلم: (إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه) وقد صححه الترمذي وغيره ، قال المحققون : هذا غير مختص بالشهداء / ١٢ وحيز ومنه .

(٢) لما ذكر طعن الكفار في القرآن كقولهم: أساطير الأولين، ثم أتبع ذلك بوعيدهم وتهديدهم ثم أردف حال المؤمنين ووعد لهم كما هو دأب القرآن رجع إلى حال الكفرة فإن المقصود بيان حالهم (هل ينظرون) الآية : ١٢ وحيز .

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي : وبال سيئات عملهم ، ﴿وَحَاقَ﴾ : أحاط ،
 ﴿بِهِمْ﴾ : جزاء ، ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ .

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا
 آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ
 عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٦٦﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ
 وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا
 فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٦٧﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى
 هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ
 جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرَ
 النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٧٠﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ
 فَيَكُونُ ﴿٧١﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن لا نعبد غيره ، ﴿مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ
 شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي : ما عبدنا نحن ،
 أي : البحيرة والسائبة وغيرهما ومضمون كلامهم أنه لو كان تعالى كارها لما فعلنا^(١)
 ولما مكنتنا منه وقيل : إنما قالوا استهزاء ، ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الشرك
 وتحريم الحلال ورد الرسل ، ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي : ليس الأمر

(١) حاصله أنهم استدلوا على عدم قبح أعمالهم بأنها برضاه فمذهبهم أن المشيئة ملزوم لا
 تنفك عن الرضاء كمذهب المعتزلة بعينه هداهم الله / ١٢ وحيز ومنه .

كما زعمتم من عدم الكره كيف وقد أنكرنا عليكم أشد الإنكار بلسان رسلنا وإنما عليهم التبليغ لا الإهداء ، «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ»^(١) أي : بعثناهم بذلك الأمر فكيف يتمسكون بمشيئته؟! «فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ» فلا يشرك ولا يحرم حلاله ، «وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ وَجِبَتْ ، «عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ» إذ لم يوفقهم ولم يهدهم فالله تعالى عنهم غير راض؛ بل أراد شقاوتهم ، «فَسِيرُوا» يا معشر قريش ، «فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ» حتى تعرفوا أنهم في سخط من الله تعالى ، «إِنْ تَحْرَصْ» يا محمد ، «عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ» من أراد الله تعالى إضلاله ولا يغير إرادته القديمة بحرصك على هدايتهم ، «وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ»^(٢) ينصرونهم وينجونهم من عذابه عطف على إن الله أي : إن تحرص على هدايتهم فلا فائدة فيه ، لأن الله لا يهديهم وليس لهم ناصر فمجموع المعطوف والمعطوف عليه علة للجزاء قائمة مقامه .

«وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ» غلظوا في الحلف ، «لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ»^(٣) بَلَى يبعثهم ، «وَعَدَّا» ، مصدر مؤكد لنفسه فإن بلي دال على وعد الله تعالى

(١) هو كل معبود من دون الله / ١٢ معالم .

(٢) ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم في كمال الشفقة على من بعثه الله إليهم وقد أنزل عليه ومنهم من حققت عليه الضلالة اغتم قلبه الرحيم للضالين فقال الله : " إن تحرص على هدايتهم " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر فيه إقناط من هدايتهم يذكر ما يشعر على سبب الإقناط فقال : " وأقسموا بالله جهد أيمانهم " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) نصبه على أنه مصدر أو حال كما مر .

(٥) ونعم قول من قال: أمر البعث مجملًا عقلي لا حاجة إلى مخبر فإننا نرى من يظلم صالحًا كمال الظلم، وماتا فلو لم يكن بعده قصاص فأين العدل وحاشا لله أن يرضى بذلك ولا ينتقم منه / ١٢ وجيز .

بعثهم ، ﴿عَلَيْهِ﴾ إنجازه لامتناع خلف وعد ﴿حَقًّا﴾ صفة أخرى لوعدا ، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنهم يبعثون ، ﴿لَيَبْلُغَنَّ﴾ أي : يبعثهم ليبين ، ﴿لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ الضمير لمن يموت والمختلف فيه هو الحق ، ﴿وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ في إقسامهم لا يبعث الله من يموت ، ﴿إِنَّمَا﴾ ^(١) قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ أَي : احدث ، ﴿فَيَكُونُ﴾ ^(٢) فيحدث وهو بيان سهولة الأشياء له حتى يعلم أن البعث لا يتعسر على الله بوجه .

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْوِئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ

(١) ولما كان إنكارهم البعث لحسابهم أن البدن الممزق إحياءه بعيد عن العقل قال : " إنما قولنا " الآية / ١٢ وحيز .

(٢) ولما بين أن ما أراد لا يتخلف ولا شيء عليه عسير أخذ يبين أنه تعالى لما أراد نصرة دين نبيه وعد أن العقابة للمتقين خاب سعيهم وجهدهم في خلاف مراد الله ورجع عليهم شوم مكرهم وبين كذب ما أقسموا بأن الآخرة والبعث بعد الموت ثابت فقال : " والذين هاجروا " الآية / ١٢ وحيز .

بِمُعْجِزِينَ ﴿١١﴾ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَوْ لَمَّا يَأْتِ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَقَّهُوا ظِلَلَهُ عَنْ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٤﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١٥﴾ *

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ أي : في رضاه وحقه ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ ، عذبوا وأودوا والمراد المهاجرون إلى الحبشة وغيرها كعثمان بن عفان رضي الله عنه - وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه - وغيرها ، ﴿لَتَبَوُّنَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بثوية ^(١) ، ﴿حَسَنَةً﴾ وهي أن مكنهم الله تعالى في البلاد وحكمهم على رقاب العباد فصاروا أمراء حكاما وللمتقين إماما أو مباءة حسنة وهي المدينة ، ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ مما أعطي لهم في الدنيا ، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ قيل الضمير للكفار فإن المؤمنين يعلمون ، ﴿الَّذِينَ﴾ ^(٢) صَبَرُوا منصوب أو مرفوع على المدح ، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ^(٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا لا ملائكة رد على من قال: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا ، ﴿ثَوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ أهل الكتاب ليخبروكم أنهم بشر لا ملائكة ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ كأنه جواب قائل: بم أرسلوا؟ فقال: أرسلناهم بالمعجزات والكتب وقيل صفة رجالا ، وقيل : متعلق بما

(١) إشارة إلى أن حسنة صفة مصدر محذوف / ١٢ منه .

(٢) أي : هم الذين صبروا على الأذى ومفارقة الوطن لاسيما حرم الله المحبوب على القلوب، فكيف لمن كان مسقط رأسه وأول مس جلده تراها؟ / ١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر ومدح الصابرين المتوكلين وقدوتهم وإمامهم الأنبياء مخاطبا لنبيه : " وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا " الآية / ١٢ وجيز .

أرسلنا ، وقيل : بما تعلمون أو بنوحى ، «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ» : يا محمد ، «الذِّكْرَ» : القرآن ، «لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» يعني لتفصل لهم ما أحمل وتبين لهم ما أشكل لعلمك بمعنى ما أنزل الله عليك وحرصك عليه ، «وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» فيما أنزلنا إليك فيهدتدون ، «أَفَأَمِنَ^(١) الَّذِينَ مَكَرُوا» المكرات ، «السَّيِّئَاتِ» كأهل مكة ، «أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ» كما خسف بقارون ، «أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ» لا يعلمون مجيئه إليهم ، «أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ» : في المعاش واشتغالهم بها من أسفار ونحوها من الأشغال الملهمة ، أو تقلبهم في الليل والنهار^(٢) ، «فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ» الله ، «أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ» أي : في حال خوفهم من أخذه لا بغتة أو على تنقص بأن يأخذ شيئاً بعد^(٣) شيء حتى يستأصلوا ، «فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ» حيث لا يعاجلكم بعقوبته ، «أَوَلَمْ^(٤) يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ» ما موصولة مبهمة ، «مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظُلَالُهُ» بيانه أي : يميل ويدور ، «عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ» جمع الشمال باعتبار معنى ما خلق^(٥) الله تعالى ، «سُجَّدًا لِلَّهِ» حال من الظلال كل شيء له ظل يسجد ظله لله تعالى ولا يبعد ذلك عن قدرة الله تعالى أو

(١) ولما ذكر أن الإنزال للتبيين والتفكر ناسب إن يسأل أن بعد تبينك وتفكرهم آمنوا إن

لم يطيعوا أنواع العقوبة فقال : " أفأمن الذين " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) قول مجاهد والضحاك / ١٢ .

(٣) من قولك : تخوفته وتخونته إذا انتقصته ، وقيل : هذا لغة بني هذيل / ١٢ .

(٤) ولما بين قدرته على تعذيب الماكرين أراد تنبيههم على أنه يجب عليهم أن يكونوا طائعين

فقال : " أو لم يروا " الآية / ١٢ وجيز .

(٥) فإنما خلق الله أشياء كثيرة لكل شيء منها جانبان فوحد الضمير باعتبار اللفظ كما

وحد الضمير في ضلاله وجميع الشماثل رعاية للمعنى كما جمع قوله سجدا وهم

داخرون / ١٢ منه .

سجودها انقيادها لما قدر له من التفيؤ ، أو حال من ضمير ظلاله قال كثير من السلف: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله تعالى، ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾: صاغرون حال من ضمير ظلاله لأنه في معنى الجمع وجمعه بالواو والنون للتغليب ، أو لأن الدخور والسجود من أوصاف العقلاء^(١) واليمين يمين الفلك أي: الجانب الشرقي والشمال الجانب الغربي أو المراد من اليمين والشمال جانبا كل شيء استعارة من يمين الإنسان وشماله ، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾: ينقاد^(٢) ، ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ والديب هي الحركة الجسمانية فجاز أن يكون بياناً^(٣) لما في السماوات أيضاً ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ عطف على ما في السماوات عطف خاص على عام فإن في السماوات غير الملائكة من الأرواح ، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادته ، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ﴾ حال^(٤) أو بيان أو تأكيد لنفي الاستكبار ، ﴿مَنْ^(٥)

(١) فإنه لما وصفه بوصف العقلاء جمعه جمعهم / ١٢ منه .

(٢) فسرنا السجود بالانقياد ليشمل السجود المتعارف وغيره / ١٢ منه .

(٣) كما أنه بيان لما في الأرض / ١٢ .

(٤) فإن من خاف أحداً لا يستكبر عليه / ١٢ .

(٥) قوله تعالى : " يخافون ربهم من فوقهم " وكم في القرآن الكريم من أمثالها ونظائرها مما يدل على فوقية الله تعالى على خلقه ومبائنته من جميع مخلوقاته قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في النقض على المريسي : وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سماواته فقال الإمام أبو سليمان الخطابي في كتابه شعار الإيمان إن إنكار فوقية شيء سرقة المتأخرون من الفلاسفة وفي ذلك رد لكتاب الله وسنة رسوله ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : العرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ، وقال الإمام أبو حنيفة : من أنكر الله عز وجل في السماء فقد كفر وقال الإمام مالك: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان ، وسئل الإمام أحمد: ما تقول في من قال إن الله ليس على العرش ؟ قال: كلامهم كله يدور على الكفر، وأيضاً قال: ما فطر العباد إلا على أن

فَوْقَهُمْ^(١)﴾ أي : حال كون الرب قاهرًا عاليًا^(٢) لهم^(*)، وهو القاهر فوق عباده ، أو

= رهم في السماء وقال الإمامان أبو حاتم وأبو زرعة : إن الله تبارك وتعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف أحاط بكل شيء علمًا ، ليس كمثله شيء وهو السميع والبصير انتهى.

وقال الإمام البخاري في كتاب خلق الأفعال: قال ابن المبارك : لا نقول كما قالت الجهمية أنه في الأرض ها هنا بل على العرش استوى، وقيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: نعرفه بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه ، وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: من لم يقر بأن الله استوى على عرشه فوق سبع سماواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه ، ثم أُلقي على بعض المزابل لئلا يتأذى بريجه أهل القبلة ولا أهل الذمة ، وقال الحافظ الذهبي : ما أدر كنا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنا يقولون : إن الله على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف وأحاط بكل شيء علمًا وهكذا يقولون في جميع الصفات القدسية انتهى.

وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه "مختلف الحديث" : ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرهم وما ركبت عليه ذواتهم من معرفة الخالق لعلموا أن الله عز وجل هو العلي الأعلى وأن الأيدي ترفع بالدعاء إليه والأمم كلها أعجميها وعربيها تقول : إن الله في السماء ما تركت على فطرهما انتهى.

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه "اختلاف المصلين" ومقالات الإسلاميين : فلولاً أن الله تعالى على عرشه ما قال في حق ملائكته: "يخافون رهم من فوقهم" ولما فطر الخلق عند سؤاله على رفع الأيدي إلى السماء انتهى/ ١٢ .

(١) الذي فوقهم على العرش / ١٢ .

(٢) لما بين أن كل ما سوى الله سواء كان من عالم الأرواح أو من عالم الأجسام فهو منقاد خاضع لجلال الله وكبريائه أتبعه بالنهي عن الشرك وبالأمر بأن كل ما سواه فهو ملكه ومملكه وأنه غني عن الكل فقال : " لا تتخلوا إلَهِين اثنين " الآية/ ١٢ كبير .

(*) في النسخة (ن): عاليًا عليهم.

معناه يخافون من فوقهم ، أي : أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم ، وقيل : أي يخافون والحال أن الملائكة من فوق ما في الأرض من الدواب فمن دونهم أحق بالخوف ، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونِ ﴿١٠﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ ﴿١٢﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿١٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٨﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٩﴾

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ فإنه الاثنينية تنافي الإلهية ^(١) ، ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ فإن الوحدة من لوازم الإلهية ، ﴿فَإِنِّي فَارْهَبُونِ﴾ كأنه قال : فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غيري ، ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ﴾ أي : الطاعة ، ﴿وَاصِبًا﴾ دائماً فإن طاعة غير الله تنقطع ، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ ^(٢) مع أنه

(١) يعني ذكر العدد مع المحدود ويدل عليه إيماء إلى أن الاثنينية تنافيها / ١٢ .

(٢) يعني بعد ما عرفتم أن إله العالم واحد وكل ما سواه محتاج إليه في كل حال فبعد العلم بهذا كيف يعقل أن يكون للإنسان رغبة في غير الله تعالى أو رهبة عن غير الله تعالى فلهذا قال على سبيل التعجب : " أفغير الله تتقون " / ١٢ كبير .

تعالى خالق الأشياء وحده ، «وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ ^(١) فَمِنَ اللَّهِ» ما شرطية ، أي : أي شيء اتصل بكم من النعم فهو من الله تعالى ، «ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ» إليه لا إلى غيره تتضرعون ، «ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ» وهم الكفار ، «لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ» من النعم كأهم قصدوا بشركهم كفران النعم واللام لام العاقبة ، «فَتَمَتَّعُوا» أمر وتهديد ، «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» : عاقبة أمركم ، «وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ» أي : لأصنامهم التي لا علم لهم فضمير الجمع لما ، «نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ» ، كما مر "هذا الله بزعمهم وهذا لشركائنا" (الأنعام: ١٣٦) ، «تَاللَّهِ لَنُتَسَلَّنَّ» سؤال توبيخ ، «عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتُرُونَ» من إثبات الشريك وغيره ، «وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ» يقولون: الملائكة بنات الله تعالى ، «سُبْحَانَهُ» تزيه له من قولهم ، «وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ» أي : البنون والجملة مبتدأ وخبر ، أو تقديره يجعلون لهم ^(٢) ما يشتهون ، أي : يختارون لأنفسهم البنين ، «وَإِذَا بُشِّرَ» أخبر ، «أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَى» بولادها ، «ظَلَّ» صار ، «وَجْهَهُ مُسْوَدًّا» من الكآبة وهو كناية عن شدة الغم ، «وَهُوَ كَظِيمٌ» مملوء غمًا وغيظًا ، «يَتَوَارَى» : يستخفي ، «مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ» الضمير لما ولفظه مذكر ، أي : متفكرًا في أن يتركه ، «عَلَى هُونٍ» : على ذل ، «أَمْ يَدُسُّهُ» : يخفيه ، «فِي الشُّرَابِ» فإهم كانوا يدفنون البنات أحياء ، «أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» حيث يجعلون لمن تنزه عن الولد أحسن الولد عندهم ، «لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ» : صفة النقص ،

(١) يعني أن جميع النعم من الله تعالى ثم إذا اتفق مضرّة تزيل شيئاً من تلك النعم فإلى الله يجار أي : لا يستغيث أحداً إلا الله لعلمه بأنه لا مفرع للخلق إلا هو فكأنه تعالى قال لهم :

فأين أنتم عن هذه الطريقة في حال الرخاء والسلامة؟ / ١٢ كبير .

(٢) فعلى هذا "لهم" عطف على الله و"يشتهون" على البنات / ١٢ منه.

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ الكمال المطلق والتزاهة عن صفات الخلاق ، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: المتفرد بكمال الغلبة والحكمة التامة .

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾

﴿وَلَوْ^(١) يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ بما كسبوا من المعاصي ، ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ الضمير للأرض لدلالة الدابة عليها ، ﴿مِنْ دَابَّةٍ^(٢)﴾ وعن بعض السلف كاد الجعل^(٣) يهلك في حجره بذنب ابن آدم ، وعن بعضهم معنى من دابة : من مشرك يدب على

(١) لما حكى عظيم كفرهم وقبيح قولهم بين أنه يمهل هؤلاء الكفار ولا يعاجلهم بالعقوبة إظهاراً للفصل والرحمة والكرم فقال : " ولو يؤاخذ الله الناس " الآية/ ١٢ كبير .

(٢) سمع أبو هريرة - رضي الله عنه - رجلاً يقول إن الظالم لا يهلك إلا نفسه، فقال: لا والله الحبارى تموت في وكرها بظلم الظالم / ١٢ وجيز .

(٣) الجعل كـ "صرد": دوية في تاج الأسامي الجعل سركين غلطان وفي حياة الحيوان هو كصرد جمعه جعلان بالكسر دوية معروفة شديد السواد في بطنه لون حمرة ومن شأنه جمع النجاسات / ١٢ .

الأرض فإنه لو أهلك الآباء الكفرة لم تكن الأبناء ، «وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» انقضاء عمرهم المقدر فيتوالدون ، «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ» أي : وقته ، «لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ» أي : لا يمهلون لحظة ، «وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ» أي : ما يكرهون لأنفسهم من البنات والشريك في الرياسة والأموال ، «وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ» فسر الكذب بقوله : «أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى» كما قال تعالى : "ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي إن لي عنده للحسنى" (فصلت: ٥٠) ، «لَا جَرَمَ»^(١) أي : ليس الأمر كما زعم كسب قولهم هذا ، «أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ»^(٢) مقدمون إلى النار من الفرط وهو السابق إلى الماء أو منسيون من أفرطت فلاناً خلفي إذا نسيتَه ومن قرأ بكسر الراء فهو من الإفراط بالمعاصي ، «تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا: رسلاً ، «إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ» فأصروا على ما هم عليه ولم يتبعوا رسلنا فلنك يا محمد في إخوانك من المرسلين أسوة ، «فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ» أي : الشيطان ناصرهم الآن وهم تحت نكاله ومن هو ناصرهم فالويل عليه ، وقيل: المراد من اليوم يوم القيامة ، «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»: في الآخرة ، «وَمَا»^(٣) أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ: للناس ، «الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ»: من أمر الآخرة ، «وَهُدًى وَرَحْمَةً» معطوفان على

(١) معنى لا جرم يأتي في سورة "حم" "المؤمن" واختار هاهنا هذا المعنى لتعلم كلا معنييه ١٢/ منه .

(٢) ولما استوفى الكلام في عنادهم وجهلهم بحيث يظن ظان أنهم أجهل الأمم وأضل أكد في نفي هذا الظن بالقسم تسلية لرسوله - صلى الله عليه وسلم - فقال : " لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) ولما أعلم أنهم في خلاف وضلال أراد التحريض في تبين الحق لهم وإهدائهم فقال: (وما أنزلنا عليك الكتاب) الآية / ١٢ وجيز .

حل لتبين ولا يجوز أن يقال إلا تبييناً لأنه فعل المخاطب لا المنزل بخلاف الهداية والرحمة ، ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١) وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا^(٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ^(٣) ﴿ لا لمن هو أصم فيتدبر في دلالة على البعثة المختلف فيها .

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ دلالة على كمال قدرته ، ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾: لما كان الأنعام اسم جمع وحد ضميره ومن قال: جمع نَعَم فالضمير للبعض

(١) أي: لقوم في علم الله أنهم يؤمنون فإن ما أنزلنا حياة لأرواحهم وشفاء لما في صدورهم ولما أراد التشبيه قال : " والله أنزل من السماء ماء " الآية / ١٢ وحيز .

(٢) تصير الأرض خضرة بالنبات نضرة بعد همودها كذلك القلب " إن في ذلك " الآية/ ١٢ .

(٣) كأنه في كونه آية دالة على إمكان البعث لا يحتاج إلا إلي حس السمع ولا يحتاج معه إلى كثير عمل بالقلب من عميق الفكر / ١٢ وحيز .

فإن اللبن لبعضها أو من للتبعيض ، «مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ» هو ما في الكرش من الثفل ومن للابتداء ، «وَدَمٌ لَبَنًا خَالِصًا» : صافيًا ليس عليه لون دم ولا رائحة فرث ، «سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ» هنيئًا يجري على السهولة في حلوهم ، «وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ» متعلق بمحذوف أي ونسقيكم من ثمراتهما يعني عصيرهما ، «تَتَخَذُونَ» استئناف لبيان الإسقاء ، «مِنْهُ» ^(١) «سَكْرًا» وهو الخمر والآية قبل تحريمه وتذكير الضمير لأنه يرجع إلى المضاف ^(٢) المقدّر أعني العصير قيل من ثمرات متعلق بتخذون ومنه تكرير التأكيد ، وقيل : تقديره ومن ثمراتهما ثمر تتخذون منه فتخذون صفة لمبتدأ محذوف ، «وَرَزَقًا» ^(٣) «حَسَنًا» كالخل والدبس ، «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» يستعملون عقولهم قيل : ناسب ذكر العقل ها هنا فإنه أشرف ما في الإنسان ولهذا حرم السكر صيانة لعقولهم ، «وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ» ألهمها وأرشدّها ، «أَنِ اتَّخِذِي» أي : بأن اتخذي أو أن مفسرة للوحي وتأنيث الضمير لأن المراد منه الجمع ، «مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا» تأوي إليها ، «وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ» ضمير الجمع للناس يعني أرشدنا النحل باتخاذ المسكن لأنفسها من الجبال والأشجار ومما يبنون لها في أي موضع كان أو منهما ومن البيوت فإنه قد يكون بيوت الناس مسكنه ، «ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ» التي تشتهينها ، «فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ» في الجبال والبراري والأودية في ذهابك إلى رعيك وإيابك إلى بيتك ، «ذُلُلًا» حال كون السبل مُذَلَّلَةً سهلها لك أو اسلكي أنت حال كونك ذللاً منقاداً لما أمرك به ، «يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ» هو

(١) ولما كان اللبن ليس فيه معالجة لأحد قال نسقيكم والسكر والنحل والدبس يحتاج إلى معالجة قال: "تتخذون" / ١٢ وحيز .

(٢) مع أن المرجع بحسب الظاهر الثمرات / ١٢ .

(٣) وفيه إيماء إلى أن السكر ليس من الرزق الحسن قيل: السكر الطعم وقال الطبري: السكر في كلام العرب ما يطعم / ١٢ وحيز .

حال كونك ذللاً متقادة لما أمرتك به ، «يُخْرَجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ» هو العسل ، «مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ» أبيض وأصفر وأحمر وأسود ، «فِيهِ شِفَاءٌ»^(١) لِلنَّاسِ» في الحديث: ^(٢) (عليكم بالشفائين العسل والقرآن) «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» في صنع الله وإحكام أمره ، «وَاللَّهُ»^(٣) خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلٍ»^(٤) الْعُمُرِ أحسنه وهو الهرم وعن علي - رضي الله عنه - أنه خمس^(٥) وسبعون سنة فيه ضعف القوى وسوء الحفظ وقلة العلم ، «لَكِنِّي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا»: ليصير إلى حالة شبيهة بالطفولية في أكثر الأشياء ، «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» بما يصنع ، «قَدِيرٌ» على ما يريد .

(١) في بعض الأحاديث ما يدل على أنه شفاء لكل داء وصرح بذلك ابن مسعود، فالتنوين للتعظيم ولما كان أمر النحل عجيب في بنائها البيوت المسدسة وفي أكلها الأزهار المتنوعة وفي طواعيتها لأمرها وكان النظر في ذلك محتاجاً إلى تأمل ختم بقوله : " إن في ذلك " الآية / ١٢ وجيز . [حديث "عليكم بالشفاء ، العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور" أخرجه ابن عدى في "الكامل" (٢/١٨٣) عن سفيان بن وكيع: ثنا أبي عن سينان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله مرفوعاً... فذكره. وضعفه الشيخ الألباني في "الضعيفة" تحت حديث (١٥١٤).]

(٢) رواه ابن ماجه وابن جرير . [وضعفه الشيخ الألباني في "الضعيفة" (١٤١٥).]

(٣) ولما أثبت كمال قدرته في الأربعة المتقدمة نبه على قدرته التامة في أنفسنا فقال : " والله خلقكم " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) ولا يقيد بسن مخصوص ويتفاوت بالأشخاص قيل: أُرْدِلَ العمر للكافر ولذلك قال تعالى "ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات" (التين: ٥، ٦)، قال عكرمة : من قرأ القرآن لم يرد إلى أُرْدِلَ العمر / ١٢ وجيز .

(٥) وعن قتادة وهو خمس وتسعون / ١٢ .

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧٦﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِالنِّعْمَةِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٨﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨١﴾

﴿وَاللَّهُ﴾ (١) فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ بسط على واحد وضيق على آخر ، ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ : في الرزق ، ﴿بِرَادَى﴾ : بمعطي ، ﴿رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي : ممالكهم ، ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ : فيستوون في الرزق عن ابن عباس رضي الله عنه - وغيره يقول الله تعالى : " لم يكونوا ليشركوا عبيدهم في أموالهم ونسائهم فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني؟! " فهو رد وإنكار على المشركين حيث لا يرضون أن يكون حيوانًا مثلهم شريكًا لهم ويقولون مخلوقات الله شركاؤه في

(١) ولما ذكر خلقنا وإماتتنا وتفاوتنا في العمر أراد ذكر تفاوتنا في الرزق فقال : " واللَّهُ فضل " الآية / ١٢ وحيز .

ألوهيته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، «أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ» حيث يتخذون معه شركاء والباء لتضمين الجحود معنى الكفر ، وقيل: معناه جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق ممالككم وهو بشر مثلكم فكان ينبغي أن تُردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في المطعم والملبس ثم جعل عدم ردهم إلى الممالك من جملة جحود النعمة ، «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ»^(١) أي : من جنسكم ، وقيل: المراد خلق حواء من آدم ، «أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ»^(٢) وَحَفَدَةً أولاد الأولاد، أو بني امرأة الرجل أي : الرباب أو الخدم فعلى هذا تكون عطفاً على أزواجاً لا على بنين أو البنات أو الأختان أي : الأصهار والحفد^(٣) في اللغة الخدمة ، «وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ» اللذائذ ، «أَفَبِالْبَاطِلِ»: الأصنام ، «يُؤْمِنُونَ وَبِعِزَّةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ» حيث يضيفونها إلى غيره ، «وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ»^(٤) لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: لا المطر ولا النبات والثمار ، «شَيْئًا» بدل من رزقاً أي : لا قليلاً ولا كثيراً وإن جعلت رزقاً مصدراً فمعه أي : لا يملك أن يرزق شيئاً ، «وَلَا يَسْتَطِيعُونَ» أي : لا يستطيع تلك الآلهة أن يملكوه أو لا استطاعة لهم أصلاً ، «فَلَا تَضْرِبُوا»^(٥) لِلَّهِ الْأَمْثَالَ: لا تشبهوه بخلقه فإن ضرب المثل تشبيه ذات

(١) لما امتن بالرزق جعل يمتن بما هو من مصالحه ويستأنس به والمراد بالأنفس الجنس/١٢.

(٢) ولم يذكر البنات لأن الآية للامتنان والبنات عند أكثرهم مكروه/١٢ وحيز .

(٣) ومنه إليك نسعى ونخفد أي نسرع في الطاعة / ١٢ وحيز .

(٤) عن قتادة قال: هذه الأوثان التي تعبد من دون الله لا تملك لمن يعبدها رزقاً من السماوات والأرض ولا ضرراً ولا حياة ولا نشوراً/ ١٢ .

(٥) أقول يحتمل أن يكون المراد أن عبدة الأوثان كانوا يقولون إن إله العالم أجل وأعظم من أن يعبد الواحد منا، بل نحن نعبد الكواكب أو نعبد هذه الأصنام ثم إن الكواكب والأصنام عبيد الإله الأكبر الأعظم والدليل عليه العرف فإن أصاغر الناس يخدمون أكابر حضرة الملك وأولئك الأكابر يخدمون الملك، فكذا هاهنا فعند هذا قال الله تعالى لهم

بذات أو وصف بوصف وتعالى عن ذلك ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ خطأ ماتضربون ،
﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قيل: معناه لا تضربوا الله المثل فإنه يعلم كيف يضرب الأمثال
وأنتم لا تعلمون، ثم علمهم كيف تضرب فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾
لا عبداً^(١) حراً ، ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ
سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ هو تمثيل^(٢) للكافر والمؤمن فالكافر رزقه الله مالاً فلم يقدم
فيه خيراً فهو كالعبد لا يملك شيئاً وإن كان هو متصرفاً فيه ، والمؤمن أعطاه الله مالاً
فعمل فيه بطاعة الله وأنفقه في رضاه سرّاً وجهراً فهو كالحُر يتصرف في ماله ولا يسلب
عنه أبداً ، أو مثل الصنم بالمملوك العاجز ومثل نفسه الأقدس بالحر المالك الذي رزقه
الله مالاً يتصرف فيه كيف يشاء فالتسوية بينهما مع الاشتراك في النوعية ممتعة فكيف
بالقادر الغني المطلق والصنم العاجز على الإطلاق؟! وجمع الضمير في يستون ، لأن
معناه هل يستوي الأحرار والعبيد؟! ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كل الحمد له لأنه وحده مُولي النعم
كلها ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، أنه وحده مُولي النعم فيعبدون غيره ،
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ أي : جعل رجلين مثلاً ، ﴿أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ : ولد
أخرس ، ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ من الصنائع لنقصان جسده وعقله ، ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾

= اتركوا عبادة هذه الأصنام والكواكب ولا تضربوا الله الأمثال التي ذكرتموها وكونوا
مخلصين في عبادة الإله الحكيم القدير واتركوا دليلكم الذي عولتم إليه وهو قولكم
الاشتغال بعبادة عبيد الملك أدخل في التعظيم من الاشتغال بعبادة نفس الملك لأن هذا
قياس والقياس يجب تركه عند ورود النص فلهذا قال إن الله يعلم أنه لا مثل له في الخلق
وأنتم لا تعلمون بشيء من ذلك وفعلكم هذا هو عن توهم محض وخاطر باطل وخيال
مختل / ١٢ كبير مع الفتح .

(١) فإن حر عبد من عباد الله / ١٢ منه .

(٢) قاله ابن عباس وقتادة واختاره بن جرير / ١٢ منه .

ثقل ، ﴿عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ﴾ حيثما يرسله سيده في أمر ، ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ لا يكفٍ منهم مرسله ، ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ ، فهم منطق ذو رشد ينفع الناس أحسن نفع ، ﴿وَهُوَ﴾ في نفسه ، ﴿عَلَى صِرَاطٍ^(١) مُسْتَقِيمٍ﴾: مسيرة صالحة لا يرجى منه شيء إلا وهو يأتي بأمثل منه فالأول: هو الأصنام لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل ومع ذلك كلفة إلى عابدها تحتاج إلى أن يخدمها ، والثاني: هو الله القادر المتكلم النافع الصمد المستغني مطلقاً المحتاج إليه ما عداه ، أو مثل للكافر والمؤمن وقد نقل أن الأول في عبد رجل^(٢) من قريش والثاني في عثمان بن عفان والأبكم الذي هو مولاة ينفق عليه عثمان وهو يكره الإسلام ويأباه .

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٦﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ
إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ
سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ
إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَاءَ وَتَلَعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ

(١) ولما قال: إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون وضرب المثل وصف نفسه بأنه عالم قادر قال:
"ولله غيب السموات" / ١٢ وجيز .

(٢) نقله ابن جرير عن ابن عباس ومراده أن الممثل به في قوله: "ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً"
عبد رجل من قريش وفي قوله: "ضرب الله مثلاً رجلين" عبد لعثمان وحاصله أن الممثل
به موجود لا يخيل كما هو شأن أكثر المثل / ١٢ منه .

جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿٢٧﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٨﴾

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يختص به علم ما غاب عن العباد ، ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ قيام القيامة في السرعة والسهولة ، ﴿إِلَّا كَلِمَةٍ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ أو أمرها أقرب منه بأن يكون في أقل من ذاك الزمان وأو للتخيير أو بمعنى بل ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على إعادة الخلائق دفعة .

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ﴾ دليل على كمال قدرته ، ﴿مَنْ بَطُونُ أُمَهَاتِكُمْ﴾ حال كونكم ، ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ﴾ أنشأ ، ﴿لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾^(١) التي هي سبب معرفتكم الجزئية والكلية ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم فلا تعبدون غير موليا ، ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذلات للطيران بما خلق لها من الأجحة ، ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ الجو الهواء المتباعد من الأرض ، أي : في هواء العلو ، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ فيه ، ﴿إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ والآيات خلق الطيرهيئة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن فيه الطيران وإمساكها في الهواء مع ثقل جنة الطير ولا ينتفع بها إلا كل مؤمن ، ﴿وَاللَّهُ﴾^(٢) جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ

(١) ولما ذكر السمع والبصر والفؤاد وهي الحس والعقل ذكر مدركها فقال : " ألم يروا " الآية / ١٢ وحيز .

(٢) ولما ذكر الطير الذي ليس له إلا الوكر في مثل الأشجار، وقد خلق له من الرياش التي منها الطيران وهي دافعة عنه ضر الحر والبرد عقبه امتناناً لمن لا يتمكن من الطيران وليس

سَكَنَّا: موضعًا تسكنونها كالبيوت الحجرية والمدرية والسكن بمعنى المسكون ، أي : ما يسكن إليه بأن خلق الآلات ثم علمكم الترصيف ، **«وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا»** هي القباب المتخذة من الأدم والأنطاع ، **«تَسْتَخِفُّونَهَا»** تجدونها خفيفة^(١) ، **«يَوْمَ ظَعْنِكُمْ»** ترحالكم في سفركم ، **«وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ»**: وقت حضركم أو نزولكم ، **«وَمِنْ أَصْوَابِهَا»**: هي للضأن ، **«وَأَوْبَارِهَا»**: هي للإبل ، **«وَأَشْعَارِهَا»** هي للمعز ، **«أَثَانًا»** من الفرش والأكسية وغيرهما ، **«وَمَتَاعًا»** ما يتمتعون به ، **«إِلَى حِينٍ»** مدة متطاولة أو إلى أجل معلوم ، **«وَاللَّهُ جَعَلَ^(٢) لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا»** تستظلون بها من الحر كالأشجار وغيرها ، **«وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا»** جمع كِنٍّ وهو ما يستكن به من الغيران والبيوت المنحوتة في الجبال والحصون ، **«وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ»** القمصان والثياب ، **«تَقِيَكُمْ الْحَرَّ»** والبرد واكتفى بأحد الضدين عن الآخر أو خصه بالذكر ؛ لأن الحجاز بلاد الحر ، **«وَسَرَابِيلَ»** لباس الحرب كالدرع ، **«تَقِيَكُمْ بِأَسْكُنُمْ»** تمنعكم الطعن والقطع والرمي ، **«كَذَلِكَ»** مثل تمام هذه النعم التي مر ذكرها ، **«يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ»** لتستعينوا بها على الطاعة ، **«لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ»**: تنظرون في نعمه فتؤمنون به أو تنقادون لحكمه وعن عطاء إنما نزل القرآن على قدر معرفة العرب هم أصحاب جبال وأوبار وأشعار ألا ترى إلى قوله: "سرابيل

= معه ما يدفع به ضر البرد والحر بذكر ما هو دافع عنه فقال : " والله جعل لكم من بيوتكم " الآية / ١٢ وجزير .

(١) يعني خففه عليكم في أوقات السفر والحضر جميعاً أو خفف عليكم حملها ونقلها يوم ترحالكم وضرها يوم نزولكم وإقامتكم في مكان / ١٢ منه .

(٢) ولما كانت بلاد العرب غالباً عليها الحر امتن عليهم بذكر ما يكنهم من الحر فقال : " والله جعل لكم " الآية / ١٢ وجزير .

تقيكم الحر" وما بقي من البرد أعظم لكنهم أصحاب حر ، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا عن قبول كلامك ، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ لا يضررك إعراضهم ، ﴿يَعْرِفُونَ﴾ أي : المشركون ، ﴿نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ وأن كلها من الله ، ﴿ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾^(١) بعبادتهم غيره ويقولون : إنها بشفاعة آلهتنا ، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾: الجاحدون عنادًا وذكر الأكثر ؛ لأن بعضهم لنقصان عقلهم لم يعرفوا أنها من الله أو الأكثر بمعنى الجميع ، وعن مجاهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قرأ على أعرابي أتاه : " والله جعل لكم من بيوتكم سكنًا" قال الأعرابي : نعم "وجعل لكم من جلود الأنعام" إلى آخر النعم فقال: نعم، فلما بلغ "كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون" ولى الأعرابي، فأنزل الله "يعرفون نعمة الله" إلى "وأكثرهم الكافرون"(*) .

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَّكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا

(١) يعترفون أنها من الله ثم يقولون: حصلت بسبب الآلهة / ١٢ منه ، ونقل البغوي عن الكلبي قال : هو إنه لما ذكر لهم هذه النعمة قالوا : نعم هذه كلها من الله ولكنها حاصلة بشفاعة آلهتنا / ١٢ .

(*) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٢٦٠) وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢٣٨/٤) وعزاه لابن أبي حاتم في "تفسيره" .

يُفْسِدُونَ ﴿٣٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٩﴾ *

﴿وَيَوْمَ﴾ (١) نَبْعَثُ أَي : اذكر هول هذا اليوم ، «مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا» يعني رسولها يشهد لهم وعليهم ، «ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا» في الاعتذار لأنه لا عذر لهم ، «وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» ولا هم يسترضون أي : لا يكلفون بإرضاء ربهم لأن الآخرة ليست بدار عمل ، «وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ» : عذاب جهنم عطف على "يوم نبعث" ، «فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ» : يمهلون ، «وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ» أوثانهم التي جعلوها شركاء لله ، «قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو» ، نعبدهم ، «مِنْ دُونِكَ» كأن هذا القول منهم التماس بأن يشاركهم في عذابهم ، «فَأَلْقُوا» آهتهم ، «إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ» (٢) إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ أَي : أجابوهم بالكذب (٣) وقالوا: لسنا شركاء الله ومادعوناكم إلى عبادتنا بل عبدتم أهواءكم وليس ببعيد إنطاق الله الأصنام ، «وَأَلْقُوا» : الكفار ، «إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ» استسلموا لحكمه ، «وَضَلَّ» ضاع وبطل ، «عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» من شفاعة آهتهم ونصرتها ، «الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا» : الناس ، «عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» عن

(١) ولما ذكر إنكارهم لنعمة الله ذكر لهم هول يوم لا ينفع فيه ندم نادم فقال : " ويوم نبعث " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) يعني قالوا لهم: إنكم لكاذبون / ١٢ .

(٣) أجاب شركاؤهم عابديهم بالكذب وقالوا: حاشا لله أن نكون شركاء له وما دعوناكم إلى عبادتنا؛ بل عبدتم أهواءكم وشركاءهم عام من صنم ووثن وملك وشيطان فيكذبهم من له نطق وانطق الله الأوثان / ١٢ وجيز .

دخوله في الإسلام ، «زِدْنَاهُمْ»^(١) عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ : بسبب إفسادهم فإنهم ضالون مضلون ، «وَيَوْمَ نَبْعَثُ» أي : اذكر هذا اليوم وهوله ، «فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ» نبي كل أمة بعث من قومه ، «وَجِئْنَا بِكَ» : يا محمد ، «شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ» : على أمتك ، «وَنَزَّلْنَا» حال بإضمار قد ، «عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا» : بيانًا بليغًا ، «لِّكُلِّ شَيْءٍ» يحتاجون إليه من أمور الدين ، «وَهُدًى» : من الضلال ، «وَرَحْمَةً» : للجميع ، «وَبُشْرَى» وبشارة ، «لِّلْمُسْلِمِينَ»^(٢) خاصة وحاصله أن الله أمره أن يخوف أمته بيوم شهادته - عليه الصلاة والسلام - على أمته حال كونه مسئولاً عن تبليغ أحكام الله المبينة في القرآن والأمة عن قبولها كما قال تعالى : " فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين " (الأعراف: ٦) ، " فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون " (الحجر: ٩٢) .

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٦﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ عُزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ

(١) قال ابن مسعود وابن عباس: المزيّد عقارب أنبيائها كالنخل الطوال وأثمار من صفر مذاب/ ١٢ وحيز .

(٢) ولما قال في وصف القرآن : تبياناً لكل شيء وصل به ما يقتضي التكليف فرضاً ونفلاً وأخلاقاً وآداباً وعقبه بآية جامعة لأصول التكليف كلها تصديقاً لذلك فقال : " إن الله يأمر بالعدل " الآية / ١٢ وحيز .

إِنَّمَا يَبْتَلُوكُمْ اللَّهُ بِهِمْ وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٣٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسُوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٨﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٠﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٤٢﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٤٤﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ^(١) بِالْعَدْلِ﴾ ، بالتوسط في الأمور اعتقاداً وعملاً ﴿وَالْإِحْسَانِ^(٢)﴾: إلى الناس وعن ابن عباس العدل التوحيد ، والإحسان الإخلاص فيه ، ﴿وَأَيُّهَا ذِي الْقُرْبَى﴾: صلة الرحم ، ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾: ما غلظ من المعاصي كالزنا ، ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ وما تنكره الشريعة ، ﴿وَالْبَغْيِ﴾: العدوان على الناس ، ﴿يُعْظِكُمْ لَعَلَّكُمْ

(١) قوله تعالى "إن الله يأمر" الآية ، قال ابن مسعود: هي أجمع آية في القرآن للخير والشر/ ١٢ منه .

(٢) إلى الخلق كلهم ولهذا قيل: من أحسن إلى الجميع سوى هرة في بيته لم يكن محسناً/ ١٢ وحيز .

تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾: تتعظون والله در من قال (١): لو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة ولعل لإبرادها عقيب قوله: "ونزلنا عليك الكتاب" للتنبيه عليه ، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ البيعة التي بايعتم على (٢) الإسلام أو كل عهد وميثاق ، ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي : أيمان البيعة بعد توكيدها بذكر الله أو الأيمان مطلقاً ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾: شاهداً بتلك البيعة والواو للحال ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تهديداً لمن نقض الأيمان ، ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾: في نقض الأيمان ، ﴿كَالَّذِي نَقَضَتْ﴾: أفسدت ، ﴿غَزَلَهَا﴾ مصدر بمعنى المفعول ، أي : ما غزلته ، ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ أي : نقضت بعد إحكامه وقتله ، ﴿أَنْكَاثًا﴾ جمع نكث وهو ما ينكث قتله ثاني مفعولي نقضت بتضمين معنى الجعل أو بأنه بمعنى صيرت ، أو مفعول مطلق لنقضت وهو مثل لمن نقض عهده بعد توكيده وقد نقل أن في مكة كانت امرأة حمقاء تفعل (٣) ذلك ، ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ﴾ حال من اسم كان ، ﴿دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ أي : مفسدة (٤) ودغلاً ، وهو ثاني مفعولي تتخذون ، ﴿أَنْ تَكُونُ﴾ أي : بسبب أن تكون ، ﴿أُمَّةٌ﴾: جماعة ، ﴿هِيَ أَرَبِي﴾ أكثر عدداً وعُددًا ، ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾: من جماعة أخرى كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر وأعز منهم فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون الأكثرين ، ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ يختبركم الله بكونهم أربي لينظر أنكم متمسكون بحبل الوفاء أم تغتروا بكثرة قريش وثروتهم وقلّة المؤمنين

(١) قائله القاضي البيضاوي / ١٢ منه .

(٢) وكل من دخل في الإسلام فقد بايع ولم يرد بيعة الرضوان؛ لأن السورة مكية والوفاء بالعهد من العدل والإحسان ، ونقضه من الفحشاء والمنكر / ١٢ وجيز .

(٣) فيكون الممثل به موجوداً لا مخيلاً / ١٢ .

(٤) أي : لا تكونوا مثلها متخذي أيمانكم مفسدة بينكم / ١٢ .

وفقرهم أو ضمير به راجع إلى الأمر بالوفاء ، «وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» : في الدنيا فيجازي كل بعمله ، «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» : متفقة الكلمة والدين ، «وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ» عدلاً منه ، «وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» : فضلاً منه ، «وَلَتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» : يوم القيامة بنقيض وقطمير ويجازيكم ، «وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ» صرح بالنهي بعد النهي مبالغة ، «دَخَلًا بَيْنَكُمْ» : مكرراً وخديعة ، «فَتَزِلْ قَدَمُ^(١)» عن محجة الإسلام ، «بَعْدَ ثُبُوتِهَا^(٢)» : عليها ، «وَتَذُوقُوا السُّوءَ» : العذاب في الدنيا ، «إِمَّا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أي : بسبب صدكم غيركم عنه فإن الكافر إذا رأى المؤمن قد غدر لم يبق له وثوق بالدين فانصد عن الإسلام ، أو لأن من نقض البيعة جعل ذلك سنة لغيره ، أو بصدودكم عن الوفاء ، «وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» : في الآخرة ، «وَلَا^(٣) تَشْتَرُوا» : لا تستبدلوا ، «بِعَهْدِ اللَّهِ» : ببيعة رسوله ، «ثَمَنًا قَلِيلًا» : عرضاً يسيراً من الدنيا ، «إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ» : من الثواب على الوفاء ، «هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أي : من أهل العلم والتمييز ، «مَا عِنْدَكُمْ» : من أمتعة الدنيا ، «يَنْفَقُ» : ينقضي ، «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ» : دائم لا ينقطع ، «وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا» : على الوفاء أو على أذى الكفار ، «أَجْرَهُمْ» ثاني مفعولي نجزيين فإنه بمعنى نعطين ، «بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» : بجزاء أحسن من أعمالهم ، قيل معناه : بنجزيهم بما ترجح فعله من أعمالهم وهو الواجب

(١) المراد من قدم أقدامكم ، قال الزمخشري : وحُدو نكر للدلالة على أن ذلك قدم واحد عظيم فكيف بالكثير / ١٢ منه .

(٢) فتهلكوا بعد ما كنتم آمنين ، والعرب تقول " لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط في ورطة بعد سلامة به زلت قدمه " / ١٢ معالم .

(٣) ثم نهاهم سبحانه عن الميل إلى عرض الدنيا والرجوع عن العهد لأجله فقال : " ولا تشتروا " الآية / ١٢ فتح .

والمندوب ، «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً» :
نرزقه رزقًا حلالًا وقناعة وحلاوة طاعة وانسراح صدر ، «وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ» : ولنعطينهم ،
«أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَإِذَا^(١) قَرَأْتَ الْقُرْآنَ» أردت قراءته ،
«فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» : سل الله أن يعيدك من وساوسه وهو أمر
ندب ، «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ» : تسلط ، «عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ
إِنَّمَا سُلْطَانُهُ» : تسلطه ، «عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْهُ» : يحبونه ويطيعونه ، «وَالَّذِينَ هُمْ
بِهِ» : بالله أو بسبب الشيطان ، «مُشْرِكُونَ» .

وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ
إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّلسَّانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾
إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿٢٠﴾
مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ
وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

(١) ولما قال: "ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء" وأعقبه بما يؤيده حتى ختم بالحث على
الأعمال الصالحة التي في القرآن تبيينها وذكر أن الإيمان شرطها والمؤمن من هو سالم من
غوائل الشيطان وهو الذي يحول بينه وبين فهم القرآن وصالحه الأعمال أمر أن يستعيز
من خداعه وسواسه ويلجأ إلى ربه فقال : " فإذا قرأت القرآن " الآية/ ١٢ وجيز .

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ لَمْ يَأْمُرْهُمْ إِلَّا رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاءَهُمْ أَصْحَابُ رِبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَنُوا رَجِيعَهُمْ * ﴿١٨﴾

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا^(١) آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾: رفعناها وأنزلنا غيرها لمصالح ، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾: أعلم بمصالح عباده في التبديل والنسخ ، ﴿قَالُوا^(٢) إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ ، أي : قالت الكفرة وهو جواب إذا وما بينهما اعتراض أو حال ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾: جبريل عليه السلام ، ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ متلبساً بالحكمة ، ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على إيمانهم حين تأملوا وفهموا مصالح النسخ ، ﴿وَهُدَىٰ بُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ معطوفان على محل ليثبت أي : تثبيتاً وهدايةً وبشارةً ، ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ ، كان غلام لبعض^(٣) بطون قريش، وكان يئاعاً فرمما كان -صلى الله عليه وسلم- يجلس إليه ويكلمه ولسانه أعجمي لا يعرف من العربي إلا قدر ما يرد الجواب فقال المشركون : هو الذي^(٤) يعلمه القرآن ، وقد نقل أن كاتب وحيه الذي ارتد افترى هذه المقالة ، ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ﴾: لغة الرجل

(١) ولا يبعد أن يقال المراد من الذين يتولونه الفجار من المسلمين، ولما ذكر تسلط الشيطان لأوليائه بين بعض ما أنتج تسلطه فقال: "وإذا بدلنا" الآية / ١٢ وحيز .

(٢) من تعليم الشيطان ووساوسه / ١٢ منه .

(٣) قاله سعيد بن المسيب / ١٢ منه .

(٤) وأما نسبة تعلمه من سلمان فباطل ؛ لأن الآية مكية وقد أسلم سلمان بالمدينة / ١٢

وحيز .

الذي يُمِيلُونَ قَوْلَهُمْ عن الاستقامة ، «إِلَيْهِ أَعِجْمِي وَهَذَا» : القرآن ، «لِسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه من لا يعرفه؟! (١) «إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ» : إلى الحق فيتفوهون بكلمات هي أضحوخة لمن يسمع «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» : في الآخرة ، «إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ» : بالله ، «الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» : فلا يخافون عقابه ، «وَأُولَئِكَ» : المفترون بهذا الافتراء ، «هُمْ الْكَاذِبُونَ» : الكاملون في الكذب ، فإن الطعن بمثل هذه الخرافات أعظم الكذب ، «مَنْ كَفَرَ» (٢) «بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ» مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله : "فعليهم غضب" ، «إِلَّا مَنْ أُنْكِرَهُ» على كلمة الكفر استثناء (٣) متصل ، «وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» : لم يتغير عقيدته ، «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا» : طاب به نفسًا ، «فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ» جزاء لمن شرح ، «وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» عن (٤) ابن عباس : إنها نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون ليرتد فوافقهم مكرهاً وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذراً (٥) والإجماع على جواز كلمة الكفر عند الإكراه لكن الأفضل تركه وإن قتل ، «ذَلِكَ» : الكفر بعد الإيمان أو غضب الله عليهم ، «بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

(١) يعني هب أنه تعلم منه المعنى لكن من أين تلقف لفظه والقرآن كما هو معجز بحسب المعنى معجز بحسب اللفظ / ١٢ وحيز .

(٢) وإنما قال : "إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون" ذكر أن من المفتري من هو ألد وأشد الكاذبين ومنه من ليس من الكاذبين حقيقة فقال : "من كفر بالله" الآية / ١٢ وحيز .

(٣) لأن الكفر لغة يعم القول والعقيدة كالإيمان / ١٢ منه ووحيز .

(٤) رواه البيهقي وغيره / ١٢ منه . [وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢٤٨/٤) وعزاه

لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.]

(٥) فقبل رسول - الله صلى الله عليه وسلم - عذره / ١٢ وحيز .

الكَافِرِينَ ﴿١﴾ أَي : قَوْمًا كَفَرُوا فِي عِلْمِ اللَّهِ وَخَلَقَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ ، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ﴾ : خَتَمَ ، ﴿اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ فلا يفهمون ولا يسمعون ولا يبصرون الحق ، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ : الكاملون في الغفلة ، ﴿لَا جَرَمَ﴾^(١) : حقًا ، ﴿أَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ، إذ اشتروا برأس ما لهم العذاب المخلد ، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ أَي : ربك لهم لا عليهم وليهم وناصرهم وهم المستضعفون الذين كانوا بمكة ما تيسرت لهم الهجرة مع المهاجرين ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنُوكَ﴾ عذبوا^(٢) وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال أولئك ، ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ على المشاق للدين ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ بعد الهجرة والجهاد والصبر ، ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر ذنوبهم ويرحمهم فينعم عليهم .

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَكُلُوا مِنْ مَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلٍ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ السِّتُّكُمْ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَروا عَلَى اللَّهِ

(١) قد بسطنا تحقيق معنى لا جرم في سورة حم المؤمن / ١٢ منه .

(٢) وهم المستضعفون الذين كانوا بمكة ما تيسرت لهم الهجرة مع المهاجرين / ١٢ وجيز .

الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ مَتَّعْ قَلِيلٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا
ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ
يَجْهَلُهُ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩﴾

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بغفور رحيم أو بتقدير اذكر ، «تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا»
تحتج عن ذاتها وتسعي في خلاصها ، «وَتُوقَى كُلُّ نَفْسٍ» : جزاء «مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ» : بنقص أجورهم ، «وَضُرِبَ^(١) اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً» أي : جعلها مثلاً لمن أنعم
الله عليه فكفر بالنعمة فأنزل الله عليه العقوبة ، «كَانَتْ آمِنَةً» أي : كمكة^(٢) كانت ذات
أمن ، «مُطْمَئِنَّةً» : مستقرة لا يزعج أهلها خوف ، «يَأْتِيهَا رِزْقُهَا» : أقواتها ، «رَغَدًا» :
واسعاً ، «مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ» : من نواحيها ، «فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ
الْجُوعِ وَالْخَوْفِ» قد جرت الإذاعة عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في الشدائد فيقولون
ذاق فلان البؤس ، واستعار اللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف ، ثم إن
أهل مكة لما استعضوا فدعا عليه السلام عليهم بسبع كسبع يوسف أصابتهم حتى أكلوا
العظام المحرقة والجيف ، وأما الخوف فمن سطوة سرايا المؤمنين حتى فتح الله على أيديهم ،
﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ : بسبب صنيعهم ، «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ^(٣)» : من نسبهم

(١) ولما بين أن كل نفس لا تجزى إلا جزاء عملها في الآخرة غير مظلومين في ذلك ضرب
مثلاً أنموذجاً في تحقق ما بين فقال: "وضرب الله" إلخ / ١٢ وحيز .

(٢) كما نقل عن ابن عباس: القرية المضروب بها المثل مكة ضرب مثلاً لغيرها مما يأتي بعدها
/ ١٢ وحيز .

(٣) وهذا صريح في أن القرية المضروبة مثلاً ليست قرية مقدرة كما جوزة الزمخشري بل
هي قرية كانت موجودة / ١٢ وحيز .

وأصلهم ، «فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ» من الجوع والخوف والقتل ، «وَهُمْ ظَالِمُونَ» أي: حال التيساهم بالظلم ، «فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» أمرهم الله بأكل الحلال وشكر النعمة بعد أن هددهم وزجرهم عن الكفر ، «حَلَالًا طَيِّبًا» مفعول كلوا والظرف حال أو بالعكس ، «وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» إن كنتم تطيعون الله وحده ، «إِنَّمَا حَرَّمَ^(١) عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» عدد عليهم ما حرم الله لا ما حرموا من عند أنفسهم من البحائر والسوائب وغيرهما بعد ما أمرهم بتناول^(٢) ما أحل لهم وقد مر تفسيره مفصلاً في سورة البقرة ، «وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ» وصف ألسنتهم الكذب مبالغة في كذبهم كأن الكذب مجهول وألسنتهم تعرفه وتصفه بكلامهم هذا كقولهم: وجهها يصف الجمال والكذب مفعول تصف وما مصدرية أي: لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لو صف ألسنتكم الكذب يعني: لا تحللوا ولا تحرموا بمجرد قول ينطق به ألسنتكم من غير حجة ، أو نصب الكذب بلا تقولوا واللام في لما تصف كاللام في لا تقولوا لما أحل الله لك هذا حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب أو متعلق بتصف على إرادة القول ، أي: لا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من الأنعام والحارث بالحل والحرمة فيقول هذا حلال وهذا حرام ، «لَتَنفَثَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» اللام لام العاقبة ، «إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ»: لا ينجون من عذابه ،

(١) أمرهم الله بأكل الحلال المستلذ وشكر النعمة بعد أن هددهم عن الكفر ولما قال: "مما رزقكم الله حلالاً" شرع يبين ما هو حرام ليظهر الحلال فقال: "إنما حرم" الآية/ ١٢ وجيز .

(٢) فلا يدل على حصر المحرمات في تلك الأشياء كأنه قال الحرمة محصورة في تلك الأشياء لا تجاوز إلى البحائر والسوائب / ١٢ منه ووجيز .

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ أي : ما يفترون لأجله أو ما هم فيه منفعة قليلة ، ﴿وَلَهُمْ﴾ : في الآخرة ، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ وَعَلَى^(١) الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ في سورة الأنعام وهو : " على الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظفر " (الأنعام: ١٤٦) الآية ، ﴿مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ : بالتحريم ، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فاستحقوا التضييق عليهم وهذا إشارة إلى أن تحريم بعض الأشياء على المؤمنين لمضرة فيه وعناية في شأنهم وأما تحريم بعض الأشياء على اليهود فجزاء نكاههم وتضييق عليهم كما قال تعالى : " فبظلم من الذين هادوا " الآية (النساء: ١٦٠) ، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ لَا عَلَيْهِمْ أَيْ : لهم بالنصر والرحمة ، ﴿عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ أي : متلبسين^(٢) بها أو بسببها، وعن بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل ، ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ ، حالهم ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ من بعد التوبة ، ﴿لَغَفُورٌ﴾ : كثير المغفرة ، ﴿رَحِيمٌ^(٣)﴾ : واسع الرحمة لهم فيثيبهم على أعمالهم وجاز أن يكون لغفور رحيم خبر إن الأولي وإن ربك من بعدها تكرير وتأکید .

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٦﴾ شَاكِرًا لَا نَعْمَهُ أَجْتَبَلَهُ وَهَدَيْتُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦٧﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ

(١) ولما ضرب مثلاً لمن لم يشكر نعم الله من المشركين بين مثلاً آخر من أهل الكتاب فقال : " وعلى الذين هادوا " الآية / ١٢ وحيز .

(٢) غير عارفين بعقابه غير مدبرين للعاقبة ملتذا بهواه لا يبالي بمعصية مولاه مغترّاً بالحال عن المال / ١٢ وحيز .

(٣) ولما أمر قريشاً ونهاهم وهم مفتخرون بجدهم إبراهيم -عليه السلام- مقرون بحسن سيرته ووجوب اتباعه ذكره في آخر السورة وأوضح منهاجه فقال : " إن إبراهيم " الآية / ١٢ وحيز .

فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١٧٦﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧٧﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧٨﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٧٩﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٨٠﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٨١﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٨٢﴾

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ أي : مأمومًا مقصودًا يقصده الناس ليأخذوا منه الخير^(١) أو مؤتمًا به مقتدى فُعلة بمعنى مفعول كرحلة ونخبة ، أي : ما يرتحل إليه وما ينتخب أي يختار أو أمة لأنه وحده مؤمن^(٢) والناس كلهم كفار، أو لكماله واستجماعه فضائل لا توجد إلا في أمة ، ﴿فَإِنَّا﴾ : مطيعًا ، ﴿لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ ، مائلاً عن الباطل ، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كما زعم قريش أنهم على ملة إبراهيم^(٣) وهم مشركون ، ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ﴾ لقلائل نعمه^(٤) فكيف بالكثير ، ﴿اجْتَبَاهُ﴾ للنبوة ، ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ عبادة الله وحده ، ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هي كونه حبيب الخلائق

(١) قاله ابن مسعود / ١٢ .

(٢) قاله مجاهد / ١٢ .

(٣) من وقف على علم القرآن علم أن إبراهيم -عليه السلام- كان غارقًا في بحر

التوحيد/ ١٢ كبير .

(٤) علم ذلك من أنعمه فإن أفعال جمع قلة / ١٢ منه .

ومن أولاده الأنبياء ، «وَأِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» أي : جمعنا له خير الدارين ومن دعائه عليه السلام : "وألحقني بالصالحين" ، «ثُمَّ^(١) أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» : يا محمد ، «أَنْ أَتَّبِعَ» أي : بأن أو تفسيرية ، «مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا» وهذا أدل دليل على عظمته فإن مثل أفضل الخلق قاطبة مأمور باتباعه ، «وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» كما يزعم قومك ، «إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ» فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه ، «عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ» : اليهود ، فإن موسى عليه السلام أمرهم بتعظيم الجمعة^(٢) فأبوا إلا شرذمة منهم ، وقالوا : نريد يوماً فرغ الله فيه من الخلق وهو السبت فأذن الله لهم في السبت وغلظ وشدد الأمر فيه عليهم فابتلاهم بتحريم صيده فما أطاعوا إلا الشرذمة التي رضوا بيوم الجمعة وعن قتادة اختلفوا فيه أي : استحلّه بعضهم وحرّمه بعضهم ، وقيل : أي : إنما جعل وبال السبت ، أي : المسخ على الذين حرّموه تارة وحلّوه أخرى وهو الاختلاف ، «وَأَنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» فيجازي كل فريق بما يستحقه ، «ادْعُ^(٣) إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ» : دينه ، «بِالْحِكْمَةِ» : بالقرآن^(٤) ، «وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ» : مواظظ القرآن وقيل المراد القول

(١) ولما وصفه صلى الله عليه وسلم بتلك الأوصاف الحسنى أمر نبيه وحبيبه صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال : "ثم أوحينا" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ذكره مجاهد وفي صحيح البخاري ومسلم ما يدل على ذلك / ١٢ منه . [أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه ، فهدانا الله ، فالناس فيه تبع اليهود غدا ، والنصارى بعد غد" .]

(٣) ولما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم مأمور باتباع خليله أمر حبيبه بما هو الأصل والمقصود من اتباعه وإرساله فقال : "ادع إلى سبيل ربك" الآية / ١٢ وجيز .

(٤) قاله ابن عباس - رضي الله عنه - / ١٢ .

اللين بلا تغليظ وتعنيف ، «وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق وحسن خطاب^(١) وقيل نسختها آية القتال ، «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» أي : قد علم الشقي والسعيد وكتب ذلك عنده وفرغ منه فادعهم أنت إلى الله ولا تذهب نفسك على من ضل منهم حسرات فإنما عليك البلاغ ، «وَأِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ» السورة مكية وهذه الآيات^(٢) مدنية نزلت^(٣) حين وقعت وقعة أحد ففعلوا ما فعلوا بحمزة -رضي الله عنه- فحين نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله لئن أظفري الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فلما نزلت كفر عن يمينه ، وعن بعضهم أن هذا أمر بالعدل في الاقتصاص والمماثلة في استيفاء^(٤) الحق مطلقاً ، «وَلَكِنْ صَبَرْتُمْ»: عن المجازاة بالمثلثة ، «لَهُوَ» أي : الصبر ، «خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» من الانتقام للمتقين وعلى ما فسرنا الآية محكمة وعن بعضهم ، هذا هو الأمر بالصبر عن القتال والابتداء به فنسخت بسورة براءة وعلى كل تقدير الآية في غاية المناسبة مع قوله : " ادع إلى سبيل ربك " الآية ، «وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ»: بتوقيفه وعونه ، «وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ» على من خالفك وقيل: على ما فعل بالمؤمنين ، «وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ» في ضيق صدر من مكروهم فإن الله كافيك وناصرك ، «إِنَّ اللَّهَ

(١) وتوضيح مقصود بمثل مثال ودليل ظاهر الدلالة / ١٢ وحيز .

(٢) من هاهنا إلى آخر السورة / ١٢ منه .

(٣) كذا قاله عطاء بن يسار وفيه حديث مرسل وذكر الحافظ البزار بطريق متصل وفيه ضعف / ١٢ منه . [وأخرجه الترمذي (٣٣٤٩) من حديث أبي بن كعب -رضي الله عنه- وقال الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٥٠١): حسن صحيح

[الإسناد]

(٤) فلا يلزم أن يكون تلك الآيات في تلك السورة مدنية / ١٢ وحيز .

مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا» المحرمات أو الشرك بتأييده ومعونته ، «وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ»^(١) في العمل وقيل: بالشفقة على خلقه.

اللهم اجعلنا منهم برحمتك الواسعة .

(١) قيل لهرم بن حبان عند الموت: أوص فقال إنما الوصية في المال ولا مال لي ولكني أوصيك بخواتيم سورة النحل / ١٢ فتح . [ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢٥٦/٤) وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن سعد وابن شيبه وهناد وابن رير وابن المنذر وابن أبي حاتم.]

سورة بني اسرائيل

مكية وقيل لاقوله: "وان كادوا ليفتنوك" الى ثمان آيات

وهي مائة واحدى عشرة آية واثناعشر ركوعا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْمَنِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ﴾ ١ ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا
تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ ٢ ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا
شَكُورًا﴾ ٣ ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ
وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ ٤ ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا
أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ ٥ ﴿ثُمَّ
رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُم أَكْثَرَ
نَفِيرًا﴾ ٦ ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ
الْآخِرَةِ لِيُسْئَلُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ ٧ ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا
وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ ٨ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْسَمُ
وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ ٩ ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ١٠ ﴿

﴿سُبْحَانَ﴾ اسم بمعنى التسبيح ، أي : أنزهه تزيهاً من جميع القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله تعالى مجد الله نفسه وعظم شأنه لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه ، ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ محمد^(١) صلى الله عليه وسلم ، ﴿لَيْلًا﴾ أي : في بعض الليل ،

(١) فإنه صلى الله عليه وسلم قال : أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن قال جبريل : أصبت الفطرة ، قال : ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل قيل له : من أنت؟ فقال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل : من أنت؟ فقال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بابني الحائلة يحيى وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت؟ قال : جبريل فقيل : ومن معك؟ قال : محمد ، فقيل : وقد أرسل إليه؟ قال : قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف فإذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت؟ قال : جبريل ، فقيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه؟ قال : بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل : من أنت؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، فقيل : وقد بعث إليه؟ قال : بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل : من أنت؟ قال : جبريل ، فقيل : ومن معك؟ قال : محمد ، فقيل : وقد بعث إليه؟ قال : بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل : من أنت؟ قال : جبريل ، فقيل : ومن معك؟ قال :

فإنه مع تنكيره دال على تقليل مدة الإسرائ ، «مَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» مسجد مكة أو من مكة لا من المسجد ويطلق على مكة كلها مسجد الحرام ، «إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى» الذي ببيت المقدس بيدنه الأشرف والأصح ، بل الصحيح أن الإسرائ في اليقظة بعد البعثة مرة^(١) واحدة وإن كان في المنام قبلها ، «الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ» بالثمار والأثمار وبركات الدين والدنيا ، «لِتَرِيَهُ» أي : محمدًا ، «مِنْ آيَاتِنَا» الكبرى عجائب سماواته وغرائب آياته ، «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ» لأقوال العباد مصدقين ومكذبين ،

= محمد ، فقيل : وقد بعث إليه ؟ ، قال بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم فإذا هو مستند إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كأذان الفيلة فإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسننها قال : فأوحى إلى ما أوحى وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، قال : ارجع إلى ربك فسله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك وإني قد بلوت بني إسرائيل وخيرهم قال : فرجعت إلى ربي فقلت : أي رب ! خفف عن أمتي فحط عني خمسًا فرجعت إلى موسى قال : ما فعلت ؟ قلت قد حط عني خمسًا ، قال : إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك ، قال : فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسًا حتى قال : يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فلك خمسون ، صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرًا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب فإن عملها كتبت سيئة واحدة ، فزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال : ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فقلت : قد رجعت إلى ربي حتى استحييت" رواه الشيخان

واللفظ لمسلم . [البخاري ومسلم (١/٣٨٨) ط الشعب]

(١) لا كما قال بعضهم: كان مرات جمعاً بين الأحاديث / ١٢ .

«البَصِيرُ» فيجزئهم وفق ما يستحقون ، «وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» كثيراً ما يقرن بين ذكر محمد وموسى -عليهما السلام- والقرآن والتوراة ، فأولاً ذكر شرف سيدنا محمد رسول الله ثم شرع في فضل كليمة موسى^(١) ، «وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا» أن مفسرة ، ومن قرأ بالغية فأن ناصبة ولام العاقبة محذوفة أي: لئلا ، «مِنْ دُونِي وَكِيلًا»: ربًّا تَكِلُونِ إليه ، «ذُرِّيَّةَ» نصب على الاختصاص وعلى قراءة الخطاب جاز نصبه بالنداء ، «مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ»: نوحاً ، «كَانَ عَبْدًا شَكُورًا» كثير الحمد فيه تذكير لنعمة إنجائهم من الغرق ثم الحث للذرية على الاقتداء به.

«وَقَضَيْنَا»: أوحينا وحياً مقضياً مقطوعاً ، «إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ»: التوراة ، «لِنَفْسِدَنَّ» جواب قسم محذوف ، «فِي الْأَرْضِ» بالمعاصي ، «مَرَّتَيْنِ»^(٢) مخالفة أحكام التوراة ، ثم قتل يحيى وزكريا ، «وَلِتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا» تستكبرن عن طاعة الله أو تظلمن الناس ، «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ»: عقاب ، «أُولَاهُمَا» ، أي : أولى الإفسادتين ، «بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا» هم جالوت وجنوده ، أو ملك الموصل سنجاريب أو بُخْت نَصَّر فأذلم وقهرهم وقتلهم ، «أُولَى»: ذوي ، «بَأْسٍ»: قوة ، «شَدِيدٍ فَجَاسُوا»: ترددوا لطلبكم ، «خِلَالِ»: وسط ، «الدِّيَارِ» للقتل والغارة والسي ، «وَكَانَ وَعْدًا مَّقْعُولًا» فإنه قضاء مبرم ، «ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ»: الدولة ، «عَلَيْهِمْ» بأن سلط داود على جالوت فقتله أو دانيال على جنود بخت نصر ، «وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ» حتى عاد أمركم كما كان ،

(١) وكان بينهما في تلك الليلة حكاية مراجعة إلى الله لخمسين صلاة فرضت بأمر موسى وصلاحه مشهور مسطور في كتب الأحاديث/١٢ وجيز . [وقد تقدم ذكر الحديث قريباً.]

(٢) قتل زكريا وأولهما ، والثانية قتل حيرار مياحين أنذرهم سخط الله/١٢ وجيز .

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: مما كنتم وهو من ينفر مع الرجل من قومه أو جمع نفر ، أي : أكثر عددًا مما كنتم ، ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أي : الإحسان والإساءة كلاهما مختصان^(١) بها لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم ، وقيل: أتى باللام دون على في قوله وإن أسأتم فلها للازدواج ، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ عقوبة المرة ، ﴿الْآخِرَةِ لَيَسُوءُوا﴾ تقديره بعثانهم ليسوءوا ، ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ يهينوكم ومن قرأ ليسوء فالضمير لله أو للوعد أو للبعث ، ﴿وَلْيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ عطف على ليسوءوا ، ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي : كما خربوا أولاً بيت المقدس بعثانهم ليخربوا ثانياً ، ﴿وَلْيَتَبَرَّوا﴾ يهلكوا ، ﴿مِمَّا عَلَوْا﴾ مفعول يتبروا ، أي : ليهلكوا كل شيء غلبوه ، ﴿تَتَبِيرًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم﴾ يا بني إسرائيل بعد انتقامه منكم برد الدولة إليكم ، ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ إلى المعصية ، ﴿عُدْنَا﴾ إلى العقوبة وعن بعض السلف عادوا فبعث الله عليهم المسلمين ، ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾^(٢) محبسًا أو بساطًا كما يسيط الحصير ، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي﴾ للحالة أو الطريقة التي ، ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾ أسد الحالات ، ﴿وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ﴾ أي : بأن ، ﴿لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ﴾^(٣) عطف

(١) فاستعمل اللام للدلالة على الاختصاص لا للازدواج وكلام الزمخشري دال على ذلك فانظر / ١٢ منه .

(٢) ولما ذكر من اختصه بالإسراء ومن آتاه التوراة وأن التوراة هدى لبني إسرائيل وذكر ما قضى إليهم بذنوبهم تنبيهاً وردعاً عن المعاصي بين أن كتابنا يهدي وبين حال من يهتدي به ومن لا يهتدي به فقال : " إن هذا القرآن " الآية / ١٢ وحيز .

(٣) قوله : " وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة " إلخ دل بمفهومه على أن من آمن لا يعدله عذاب أليم والعمل الصالح ليس شرطاً من نجاته عن تلك العقوبة ولا شك أن قد وقع في • الصدر الأول هنات وسقطات بعضها مذكور في القرآن وبعضها في الأحاديث الصحاح وإنكار ذلك مكابرة ، ولما بين إعطافه على المؤمنين بإثابتهم والانتقام من أعدائهم ذكر

على أن لهم ، ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَتَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ، أي : يشهرهم بشواهم وعقاب أعدائهم .

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ ١٠ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَانَهُ تَقْصِيلًا ١١ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ١٢ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ١٣ مِّنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ١٤ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ١٥ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ١٦ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّنحُورًا ١٧ وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ١٨ كَلَّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِن عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ١٩ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ

= لطفًا آخر على الإنسان مؤمنهم وكافرهم في صورة قهر فقال : " ويدع الإنسان " الآية
١٢ / وجيز .

عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْثَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْثَرُ تَفْضِيلًا ﴿١١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ
الْهَاءَ آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿١٢﴾ *

﴿وَيَذَعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ﴾ أي: يسأل الله عند غضبه الشر على نفسه وأولاده وأمواله ،
﴿دُعَاةُ بِالْخَيْرِ﴾ أي: مثل مسألته الخير ، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾: يسارع إلى ما
لا يعلم خيريته لكن الله تعالى صبور عليهم لا يجيب جميع مسألته لطفًا وإنعامًا،
﴿وَجَعَلْنَا^(١) اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ^(٢)﴾ تدلان على قدرة خالقهما وحكمته ، ﴿فَمَحَوْنَا
آيَةَ اللَّيْلِ﴾ ، الإضافة بيانية ، ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً^(٣)﴾ مضيئة أو مبصرة
للناس من أبصره فبصر^(٤) وعن ابن عباس كان القمر وهو آية الليل يضيء كما تضيء
آية النهار وهي الشمس فمحونا آية الليل محوه السواد الذي في القمر ، وسئل عن^(٥)
علي ما هذه اللطخة التي في القمر؟ فقال: ويحك! أما تقرأ القرآن فمحونا آية الليل
فهذه محوه ، وروي عن آخرين من السلف^(٦) ما يدل على ذلك ، ﴿لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّنْ
رَّبِّكُمْ﴾ لتطلبوا في النهار أسباب معاشكم ، ﴿وَلِتَعْلَمُوا^(٧) عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسْلَ﴾

(١) ثم عدّ ما عدّ للكل من إنعام عام ظاهرة باهرة دالة على قدرته الكاملة فقال : " وجعلنا
الليل " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) كلام السلف كما سنذكره دال على أن آيتين مفعول جعلنا وقوله: "الليل والنهار" ظرفان في
موقع المفعول الثاني "فمحونا آية الليل" وعلى ما ذكرنا ليست الإضافة بيانية/ ١٢ وجيز .

(٣) قال الكسائي: أبصر النهار إذا أضاء بحيث يبصر فيه الأشياء / ١٢ منه .

(٤) فيكون متعديًا، أي يجعل الناس بصراء / ١٢ منه .

(٥) كما وراه ابن جرير وغيره من طرق متعددة/ ١٢ .

(٦) مثل قتادة والحسن وغيرهما / ١٢ منه .

(٧) ظاهر القرآن، على أن قوله لتبتغوا ولتعلموا متفرع على المحو والإبصار كما قال :
" يستلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج " (البقرة: ١٨٩)، وليس ببعيد أن

لولا نحو آية الليل لكان الليل مثل النهار مضيئاً فما عرفنا عدد السنين ولا جنس الحساب ، «وَكُلُّ شَيْءٍ» ، مما تحتاجون إليه ، «فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلاً» : بيناه بحيث لا يلتبس ، «وَكُلُّ»^(١) إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَةً ، أي : ما قضي عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من سعادة وشقاوة وكانوا يتيمنون بسنوح الطير ويتشاءمون^(٢) ببروحها فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ، «فِي عُنُقِهِ» أي : لازم له لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه ، «وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا» مفعول نخرج ، أو حال من مفعوله المحذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة من قرأ يخرج بالياء وفتح ، «يَلْقَاهُ» صفة ، «مَنْشُورًا» إما حال من مفعول يلقي أو صفة أخرى أي : يجده منشوراً لكشف غطاءه ، «أَقْرَأَ كِتَابَكَ» أي : يقال له ذلك ، «كَفَىٰ بِنَفْسِكَ» الباء^(٣) مزيدة في الفاعل ، «الْيَوْمَ عَلَيْنَا حَسِيبًا» أي : حاسباً عليك تمييز يعني كفيت أنت في محاسبة نفسك لا تحتاج

= يقال نقصان الذي في نور القمر في أوائل الشهر وأواخره داخل في المحو فلو كان القمر دائماً بدرًا كنور الشمس أو كان بعض الليالي كالنهار مضيئاً فلا يمتاز أحدهما من الآخر لكل أحد ولا يختص النهار بطلب المعاش ولا الليل بالسكن ولا يعرف الجميع عدد السنين والحساب ولا يتميز أوسط الشهر عن الأول والآخر ويكون مجيء الشهر الفلاني وذهابه مجرد اصطلاح من غير تعبير وبيان / ١٢ وجيز .

(١) ولما قال: "وكل شيء فصلناه تفصيلاً" أتبعه تفاصيل أحوال البشر من حين حياته إلى

موته بأنها مضبوطة من غير مزيد ونقصان فقال : " وكل إنسان ألزمناه ١٢/ وجيز .

(٢) البارح من الصيد ما مر من ميامنك إلى مياسرك والسانح عكسه / ١٢ قاموس .

(٣) الباء مزيدة في فاعل كفى فلا يحفظ التأنيث في كفى حين كان فاعله مؤنثاً مجروراً مع

أن الظاهر تأنيثه نحو : " ما آمنت قبلهم من قرية " (الأنبياء: ٦)، " وما تأتيهم من آية "

(الأنعام: ٤) / ١٢ .

إلى من يحاسبك وتذكير حسيباً^(١) لأن مثل هذه الأمور يتولاها الرجال كأنه قال : كفى بنفسك اليوم رجلاً حسيباً ، «مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ» : لا ينجي غيره ، «وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا» لا يضر ضلاله غيره ، «وَلَا تَزِرُ» : لا تحمل ، «وَأَزْرَهُ» نفس حاملة ، «وَزَرَ أُخْرَى» نفس أخرى ، بل لا تحمل إلا وزرها ، «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً» يبين لهم ما يجب عليه فلا يُدْخِلُ أحداً في النار إلا بعد إرسال الرسل إليه كما قال تعالى : " كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها " الآية (الملك : ٨) ، فعلى هذا الظاهر أن يقال : إن من نشأ في شاطئ جبل ولم يسمع رسولاً فهو معذور وكذا المجنون الدائم المطبق وكذا الأطفال^(٢) مطلقاً ، لكن الشيخ الأشعري ذهب إلى أنهم يمتحنون يوم القيامة بأن يأمرهم الله بدخول النار فمن أطاع نجا ودخل الجنة وانكشف علم الله فيه لسابق السعادة ، ومن عصى دخل النار داحراً وانكشف تقدم شقاوته وحكاه عن أهل السنة والجماعة وهو مختار البيهقي ومحقق العلماء والنقاد وعلى هذا أحاديث^(٣) منها ما هو صحيح ومنها ما هو حسن ومنها ما هو ضعيف

(١) مع أن النفس مؤنث / ١٢ منه .

(٢) أى : أطفال المؤمنين والكافرين / ١٢ منه .

(٣) وفي حديث رواه البيهقي وقال إسناده صحيح أربعة يمتحنون يوم القيامة : أصم لا يسمع شيئاً وأحمق وهرم ومن مات في فترة فيرسل الله إليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها يسحب إليها" وروى غير البيهقي مثل هذا المعنى بعبارات مختلفة وقد صرح الأشعري أن الأطفال يمتحنون يوم القيامة بمثل ما نقلنا في الحديث وقال : على هذا أهل السنة والجماعة ، ولما بين سبحانه أنه لا يعذب أحداً قبل بعثة الرسول بين بعد ذلك علة إهلاكهم ، قال : " وإذا أردنا " الآية / ١٢ وجيز . [الحديث أخرجه الطبراني (٢١٧٩) والضياء في "المختارة" (٤٦٣/١) وهو في "المسند" (٢٤/٤) وصحيح ابن حبان (١٨٢٧) وانظر "الصحيحة" (١٤٣٤)]

ولولا التزام الاختصار لذكرنا نبذاً منها مع تحقيق المسألة رداً وإثباتاً ، «وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا» متنعيمها بالفسق والمراد بالأمر الأمر القدري يعني سخرهم الله إلى فعل الفواحش فاستحقوا العقوبة فإن الله لا يأمر بالفحشاء ، قيل معناه كثرنا يقال : أمرت الشيء إذا كثرته وقراءة من قرأ أمرنا يؤيده ومن قرأ أمرنا فمعناه جعلناهم أمراء ، وقيل : أمرناهم بالطاعة على لسان رسول وفيه بعد ؛ لأنه يبقى حينئذٍ تخصيص المترفين غير بين الوجه وكذلك التقييد بزمان إرادة الإهلاك فتدبر ، «فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ» أي : كلمة العذاب ، «فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا^(١)» : استأصلناها ، «وَكَمْ» أي : كثيراً مفعول ، «أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ» تمييز لكم ، «مِنْ بَعْدِ نُوحٍ» كعاد وثمود فإن بين آدم ونوح عشر قرون كلهم على الإسلام ، «وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ» الباء مزيدة على الفاعل ، «بِذُنُوبِ عِبَادِهِ» متعلق بقوله : «خَيْرًا^(٢) بَصِيرًا» وهما منصوبان على التمييز أو الحال فإن الذنوب هي أسباب الهلكة وهو تعالى عالم بكل فمعاقب عليها ، «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ» أي : هتمة مقصورة على الدنيا ، «عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ» بدل البعض من له فإن ضميره لمن وهو في معنى الكثرة ، «ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا» يدخلها ، «مَذْمُومًا مَذْخُورًا» مطروداً قيل : الآية في المنافقين يغزون مع المسلمين وليس غرضهم إلا الغنائم ، «وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا» حقها من السعي وهو الإتيان بالأوامر والانتهاض عن النواهي ، «وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ» : الجامعون للشرائط الثلاثة ، «كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا» : مقبولاً عنده

(١) استأصلناها وغير المترفين الذين فيها لما رضوا بفعلهم وسكتوا عن النهي استحقوا العذاب قال الله تعالى : " واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة " (الأنفال: ٢٥) ، فقال كثير من السلف : المراد من الفتنة ترك هي المنكر / ١٢ وحيز .
(٢) ولما ذكر أنه خير بصير يعاقب على الذنوب رغب في الآخرة وزهد من الدنيا فإن الدنيا رأس كل خطيئة فقال : " من كان يريد العاجلة " / ١٢ وحيز .

مثاباً عليه ، ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ أي: كل واحد من الفريقين أعني هؤلاء الذين أرادوا الدنيا وهؤلاء الذين أرادوا الآخرة نغدهم ونزيدهم من عطاء ربك فنرزق المطيع والعاصي وهؤلاء منصوب بتقدير أعني أو بدل من كلاً ، ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ممنوعاً في الدنيا عن مؤمن ولا عن كافر ، ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ في الدنيا فمنهم الغني والفقير والحسن والقيح والصحيح والمريض وغير ذلك ونصب كيف بفضلنا على الحال ، ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ أي : التفاوت في الآخرة أكثر وأكبر ونصبها على التميز ، ﴿لَا تَجْعَلْ^(١) مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الخطاب لكل أحدٍ أو للرسول^(٢) والمراد أمته ، ﴿فَتَقَعْدَ﴾ تصير ، ﴿مَذْمُومًا﴾: من الملائكة والمؤمنين ، ﴿مَخْذُولًا﴾ من الله .

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ١٦ وَآخِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ١٧ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ١٨ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبَذُّرًا ١٩ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ٢٠﴾

(١) ولما تقرر بما مضى أنه القادر المعطي المانع أنتج أنه الواحد المتزه عن النقص والشريك فقال إن كنت تريد الآخرة لا تجعل مع الله إلهاً آخر/ ١٢ .

(٢) فإنه رأس الكل وسيدهم وهو المخاطب في الكلام / ١٢ وحيز .

مَيْسُورًا ﴿١٦﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ
 مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿١٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا
 بَصِيرًا ﴿١٨﴾

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أمر أمرًا قطعياً ، ﴿الَّا﴾ أي: بألا ، ﴿تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ فإنه المستحق
 للعبادة وحده ، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١) أي: وبأن تحسنوا بهما إحساناً ، ﴿إِمَّا﴾ إن
 شرطية وما زائدة^(٢) ، ﴿يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾ فاعل يبلغن ، ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾
 ومن قرأ يبلغان فأحدهما بدل البعض من الضمير ، ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ﴾ هو صوت
 دال على تضجر وهو مبني على الكسر والتنوين والتكثير ومن قرأ بالفتح فعلى التخفيف
 يعني إن عاش أحد والديك أو كلاهما حتي يشيب ويكون كلاً عليك فلا تسمعهما
 قولاً سيئاً حتي التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ ، ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾: لا
 تزجرهما ، ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ، جميلاً بتأدب وتوقير ، ﴿وَاخْفِضْ﴾^(٣) لَهُمَا
 جَنَاحَ الدُّلِّ تذللهما واخلضع جعل للذل جناحاً وأمره بخفضه مبالغة في التواضع
 لهما ، ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ من فرط رحمتك عليهما ، ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
 صَغِيرًا﴾ رحمة مثل رحمتها على في حال صغري، وعن حذيفة أنه استأذن رسول الله

(١) عطف على أن لا تعبدوا وجاز أن يقدر أحسنوا بهما إحساناً/ ١٢ .

(٢) ولزيادتهما جاز دخول النون المؤكد على الفعل ومذهب سيبويه كما ذكره صاحب البحر

جواز مثل إن يبلغن بدون زيادة ما / ١٢ وخيز .

(٣) قال القفال فيها أمران: أحدهما أن الطير إذا ضم فرخه إليه للتربية خفض له جناحه وهذا

من حسن التدبير والاتفاق فكأنه قال اكفل والديك بضمهما إلى نفسك كما فعل ذلك

بك حال صغرك والثاني أن الطير ينشر جناحه للطيران والارتفاع وحين ترك الطيران

يخفض جناحه فهو كناية عن السكون والتواضع / ١٢ وخيز .

صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه وهو في صف المشركين فقال: (دَعُهُ يَلِهِ غَيْرُكَ) (*) ،
«رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ» من قصد البر والعقوب ، «إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ» :
قاصدين للصلاح مطيعين لله ، «فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ» هم التائبون من الذنب الراجعون
عن المعصية إلى الطاعة ، «غَفُورًا وَآتٍ» ^(١) ذَا الْقُرْبَى حَقَّةً من صلة الرحم والبر
عليهم وعن علي بن الحسين: أراد به قرابة النبي صلى الله عليه وسلم ، «وَالْمَسْكِينِ
وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا» بأن تصرف مالك في غير حق ، وعن ^(٢) السلف لو
أنفقت مدًا في غير حقه صرت مبذرًا ، ولو أنفقت جميع مالك في الحق لم تكن
مبذرًا ^(٣) ، «إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ» أصدقاءهم وأتباعهم وأمثالهم في
الشرارة ، «وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا» ، جحودًا منكراً لأنعم الله فلا تتبعوه ولا
تكونوا مثله ، «وَأِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ» وإن أعرضت عمن أمرتك أن تؤتية من الأقارب
وغيرها حياء من ردهم وليس عندك شيء تعطيه حين سألك ، «ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ
رَّبِّكَ تَرْجُوهَا» لانتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك فتعطيه ، «فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا
مِّيسُورًا» يعني : إذا سألك أقاربك ومن أمرناك بإعطائهم وليس عندك شيء وأعرضت
عنهم لفقد النفقة فعدهم وعدًا بسهولة ولينٍ مثل أن تقول: إذا جاء رزق الله فسنصلكم

(*) لم يأت في ترجمة "حذيفة بن اليمان" رضي الله عنه أنه استأذن النبي ﷺ في قتل أبيه. وإنما
ورد ذلك في ترجمة "عبد الله بن أبي مالك" ابن أبي ابن سلول" انظر ترجمته في "الإصابة"
للحافظ بن حجر (٩٥/٤).

(١) ولما أمر بالبر إلى أقرب الأقارب وهما الأبوان أمر بصلة باقي الأقارب / ١٢ وحيز .

(٢) قاله ابن مسعود ومجاهد / ١٢ منه .

(٣) في الصحيحين (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان يزلمان من السماء يقول أحدهما:

اللهم أعط منفقًا خلفًا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا) / ١٢ منه . [أخرجه

البخاري (١٤٤٢) ومسلم (٤٧/٣) ط الشعب]

إن شاء الله كذا فسرهما السلف^(١) وقيل : القول الميسور الدعاء لهم مثل رزقنا الله وإياكم ، «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ» لا تمسكهما^(*) عند البذل كل الإمساك حتى كأنها مقبوضة إلى عنقك ، «وَلَا تَبْسُطْهَا» بالخير ، «كُلَّ الْبَسْطِ» تمثيلان لمنع الشحيح وإسراف المبذر ، «فَتَقْعُدَ» تصير ، «مَلُومًا» يلومك الناس ويذمونك إن بخلت ، «مَخْسُورًا»^(٣) نادماً إن بسطت كل بسط وأيضاً دابة عجزت عن السير ضعفاً تسمى حسيراً فعلى ما فسرنا من باب اللف والنشر وجاز أن يكونا متعلقين بالإسراف فإن المسرف ملوم عند الله والناس نادم عن فعله ، أو بكل من البخل والسرف قيل : نزلت حين وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ولم يجد ما يلبسه للخروج حين أذنوا للصلاة ، «إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ» ، يوسع ، «الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ» : يضيق لمن يشاء ، «إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا» : يعلم سرهم وعلمهم فيوسع على من يرى مصلحته في التوسعة له ، ويضيق على من يعلم مصلحته في

(١) كمجاهد وسعيد والحسن وقتادة وغيرهم / ١٢ منه .

(٢) ولما أمر بالإيتاء ونهى عن التبذير الممنوع توجه إلى طريق الإيتاء فقال : " ولا تجعل يدك " الآية / ١٢ وجيز .

(٥) في الأصل: تمسكها ما .

(٣) وهذا أمر في شأن المتعارف في الناس كما أنه لا يجوز السفر الطويل من غير زاد ولا ماء في مفازة وصاحب التوكل حق التوكل مستثنى ولهذا قال -صلى الله عليه وسلم- (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير يغدو خماصاً ويروح بطاناً ، ولما نهي العباد عن الشح والإسراف للملومية والمحسورية أجاب عما سيعرض في بعض من الأذهان فقال : " إن ربك " الآية / ١٢ وجيز . [أخرجه أحمد (٣٠/١) والترمذي (٥٥/٢-بولاق) والحاكم (٣١٨/٤) قال الترمذي: "حديث حسن صحيح" وقال الحاكم: "صحيح الإسناد" وأقره الذهبي. وانظر "الصحيحة"]

تضييقه، وفي الحديث (إن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه وإن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه) .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِئْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ٥٦ ﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ٥٧ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ٥٨ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ٥٩ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٦٠ وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ٦١ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ٦٢ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ٦٣ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ٦٤ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ٦٥ ﴾

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِئْتُمْ ﴾ فقر وفاقة وكانوا يثدون بناهم مخافة الفقر ، ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ : ذنبًا عظيمًا والخطأ^(١) الإثم ،

(١) يقال: خطئى خطأً كأنهم إثمًا وقرأ ابن عامر خطأً اسم يضاد الصواب وقيل لغة فيه كحذر وحذر ومثل ومثل / ١٢ منه .

«وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنَىٰ»^(١) هي عن مقاربتة ومخالطة أسبابه ودواعيه فضلاً عن مباشرته ،
«إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا» : بئس طريقاً طريقه ، «وَلَا تَقْتُلُوا»^(٢) النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ : قتله ، «إِلَّا بِالْحَقِّ» ، بردة وزنى بعد إحصان وقتل معصوم عمداً ،
«وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا» غير مستوجب القتل ، «فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ» وهو الوارث لأنه
يلي أمره بعده ، «سُلْطَانًا» : تسلطاً على القاتل بقتله أو أخذ الدية أو عفوه ، «فَلَا
يُسْرِفُ» أي : الولي ، «فِي الْقَتْلِ» بأن يقتل غير القاتل أو يمثل بالقاتل ، أو معناه لا
يسرف القاتل^(٣) فيه بأن يقتل من لا يحق قتله وقراءة لا تسرفوا يؤيده ، «إِنَّهُ كَانَ
مَنْصُورًا» استئناف أي : لا يسرف الولي لأن الله نصره ولطف عليه حيث أوجب
القصاص له وأمر الناس بمعاونته ، وعلى الوجه الثاني معناه : فإن المقتول منصور لا محالة
يقتل به الظالم ، «وَلَا تَقْرُبُوا»^(٤) مَالَ الْيَتِيمِ فضلاً أن تتصرفوا فيه ، «إِلَّا بِالَّتِي» أي :
إلا بالطريقة التي ، «هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ» حتى يصير بالغاً فادفعوه إليه ،
«وَأَوْفُوا»^(٥) بِالْعَهْدِ الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملوهم أو بما عاهدكم
الله من تكاليفه ، «إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا» عنه أو مطلوباً يطلب من العاهد أن لا

(١) ولما كان الزنا كقتل الولد في تضييع النسب ذكر في عقبه فقال : " ولا تقربوا الزنى "

الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما خص في القتل بالأولاد لاعتبادهم أعقبه بالتعميم فقال : " ولا تقتلوا النفس " الآية

/ ١٢ وجيز .

(٣) منقول عن مجاهد / ١٢ منه .

(٤) ولما كانت الشريعة لإحصان الدماء والفروج والأموال التي هي عديل الأرواح ذكر

الأشياء الثلاثة أحدها عقيب الآخر فقال : " ولا تقربوا " الآية / ١٢ وجيز .

(٥) ولما كان قبول الأوامر والوصايا من الوفاء بالعهد قال : (وأوفوا بالعهد) /

يضعه ، «وَأَوْفُوا^(١) الْكِيلَ إِذَا كِلْتُمْ» من غير تبخيس ، «وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ» بالميزان العدل وهو لفظ رومي عَرَبٍ ، «ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» عاقبة من آل إذا رجع ، «وَلَا^(٢) تَقْفُ» لا تتبع ، «مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ^(٣)» ما لم يتعلق به علمك من قول وفعل فيدخل فيه شهادة الزور والكذب والبهتان ، «إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ» إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد وأولئك قد يجيء لغير العقلاء ، «كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» ، من جوز تقديم مفعول ما لم يسم فاعله ؛ لأنه في المعنى مفعول سيما إذا كان ظرفاً فعنده أن عنه فاعل مسئولاً ، ومن لم يجوز فعنده أن في مسئولاً ضمير يرجع إلى كل أولئك أي كان كل واحد منها مسئولاً عن نفسه يعنى عما فعل به صاحبه ، أو ضمير عنه راجع إلى صاحب كل واحد ، «وَلَا تَمْشِ^(٤) فِي الْأَرْضِ مَرَحًا» وهو التكرير أي : ذا مرح ، «إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ» لن تجعل فيها خرقاً لشدة وطأتك ، «وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا» بتطاولك وكبرك وهو تحكم بالتكرير ، وعن بعضهم أنك لن تقطع الأرض حتى تبلغ آخرها ولا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها فأنت عاجز أو ما أقبح منه التكرير ، «كُلُّ ذَلِكَ» إشارة إلى ما مر من قوله

(١) ولما وصى في مال اليتيم ثم عم الوصية بوفاء العهد على الإجمال عقبه بتفضيل أمر جزئي ليعلم منه الاهتمام التام في الاجتناب عن المظالم فقال: "وأوفوا الكيل" الآية/ ١٢ وجيز .

(٢) ثم توجه إلى النهي عن كل ما لا يليق فقال : " ولا تقف " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) نقل عن محمد بن الحنفية أن المراد منه شهادة الزور عن قتادة لا تقل رأيت ولم تر ، وسمعت ولم تسمع ، وعلمت ولم تعلم ، وعن ابن عباس لا ترم أحداً بما ليس لك به علم/ ١٢ منه .

(٤) ولما كان الكبير من أقبح خصال الفؤاد الذي هو مسئول عنه قال : " ولا تمش " الآية/ ١٢ وجيز .

"ولا تجعل مع الله" وهي خمسة وعشرون خصلة ، ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾ أي : المنهي عنه لا المأمورات ، ﴿عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ مبعوضًا ، و من قرأ سيئة فذلك ^(١) إشارة إلى ما نهى عنه خاصة واسم كان ضمير لكل ومكروهاً خير بعد خير أو بدل من سيئته أو حال من ضمير كان ، ﴿ذَلِكَ﴾ أي : الأحكام المتقدمة ، ﴿مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ وهي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ، ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ كرره لأنه المقصود والتوحيد رأس كل حكمة ، ﴿فَتَلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ من الله والملائكة ومن نفسك ، ﴿مَذْحُورًا﴾ ملعوناً والمراد من هذا الخطاب اهتداء أمته عليه السلام ، ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾ ^(٢) رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ أي : أفخصكم بركم بأفضل الأولاد؟ فالهمزة ^(٣) للإنكار ، ﴿وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾ بناتاً لنفسه كما قتلتم الملائكة بنات الله تعالى ، ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ إضافة الولد إلى الله تعالى ثم تفضيل أنفسكم عليه حين تنسبون إليه ما تكرهون ثم جعل الملائكة إناثاً وأي خطأ وقول أعظم من هذا .

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ إِلَهٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَتَعَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ ﴿١٦﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿١٧﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ

(١) من قوله: "ولا تجعل مع الله إلهاً آخر" إلى هذه الغاية / ١٢ .

(٢) ولما كان لكفار قريش رذيلتان قبيحتان أنكر عليهما أحدهما ثم تلاها الثانية فقال : " أفأصفاكم " الآية / ١٢ وحيز .

(٣) فتقولون: لا بد لنا البنون، وتكرهون البنات حتى تقتلوهن هل في ذلك حكم الله وأمره؟ / ١٢ .

فِيهِمْ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
 حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٦﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي
 آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا
 ﴿١٨﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ
 يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿١٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ
 الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفْنًا أَهِنَّا
 لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٢١﴾ * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٢٢﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا
 يَكْتَبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الْاَلَدَى فطَرَكُمُ اَوَّلَ مَرَّةٍ
 فَسَيُنْغِضُونَ اِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا
 ﴿٢٣﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ اِنْ لِيْثُمَةٍ اِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴿

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا مكرراً، ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ العبر والأمثال والحجج والأحكام أو
 بينا فيه مكرراً إبطال إضافة البنات إليه ، ﴿لِيَذْكُرُوا﴾: يتدبروا ويتعظوا ، ﴿وَمَا
 يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾: عن الحق ، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا
 إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾: لطلبوا إلى من له الملك سبيلاً^(١) بالمغالبة كما يفعل الملوك
 بعضهم مع بعض ، أو معناه إن كان الأمر كما زعمتم أنهم آلهة شفعاء فهم طالبون^(٢)
 الوسيلة والتقرب إلى الله تعالى محتاجون إليه فكيف تسموهم آلهة وتعبدوهم ، ﴿سُبْحَانَهُ

(١) قول قتادة قريب من هذا الوجه / ١٢ منه .

(٢) نحو "أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة" (الإسراء: ٥٧) / ١٢ .

وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا: ﴿كَبِيرًا تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ إجماع السلف أن للأشياء تسبيحات^(١) لا يسمع [لا يسمع الله إياه] إلا من يسمع^(*)، وقال المتأخرون لكل شيء تسبيح بلسان حاله وهو دلالة على صانع قديم واجب لذاته ، ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وفي البخاري عن ابن مسعود: "كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل"^(**) ، والأحاديث الدالة على التسبيح القالي^(٥) للحيوانات والجمادات كثيرة وفي مسند الإمام أحمد عن رسول الله -صلى الله عليه- وسلم [قال: "إن نبي الله نوحاً"]^(***) لما حضرته الوفاة دعا ابنه فقال: "أمر كما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء"^(****)، وعن ابن عباس وبعض من السلف^(٢) إنما يسبح ما كان فيه روح من حيوانات ونبات ، ﴿إِنَّهُ كَانَ

(١) في سنن النسائي هـى عليه الصلاة والسلام عن قتل الضفدع فقال: "نقيقتها تسبيح" ١٢/ منه.

(٥) ما بين المعكوفتين زيادة من حاشية النسخة.

(**) أخرجه البخاري في "المناقب" / باب: علامات النبوة في الإسلام (٣٥٧٩).

(•) أي: بلسان المقال.

(***) سقطت هذه العبارة من الكتاب فأثبتناها هاهنا.

(****) والحديث أخرجه أحمد في "مسنده" (١٧٠/٢) والبخاري في "الأدب المفرد" من

طريق: الصقعب بن زهير عن زيد بن أسلم قال حماد: أظنه عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو... فذكره.

قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على "المسند" (٦٥٨٣): "إسناده صحيح على ما فيه من شك حماد بن زيد".

وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة" وقال: "هذا سند صحيح".

(٢) كالحسن والضحاك / ١٢ .

حَلِيمًا: لا يعاجل من عصاه بالعقوبة ، «عَفُورًا» لمن رجع وتاب ، «وَإِذَا» ^(١) قَرَأَتْ
الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا ﴿ يحجبهم عن فهم
ماتقروه عليهم والانتفاع به أو حجابًا لا يرونه عند قراءة القرآن فإن المشركين الذين في
عزمهم أن يؤذوه يمرون به ولا يرونه ، «مَسْتُورًا» لا يرى ذلك الحجاب أو ذا ستر
كسيل مفعم أي : ذو إفعام ^(٢) ، «وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً» : أغطية ، «أَنْ
يَفْقَهُوه» أي : كراهة أن يفقهوا القرآن ، «وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا» : ثقلاً لئلا يسمعوا
سماع انتفاع ، «وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ» من غير ذكر آلهتهم وأصله
يَجِدُ وَحْدَهُ فهو مصدر يقع موقع الحال ، «وَلَوْأَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ» ^(٣) نُفُورًا ، نفرة من
التوحيد أو جمع ^(٤) نافر ، «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ» أي : ما يستمعون بسببه
ولأجله من الهزء والتكذيب ، «إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ» ظرف لأعلم ، «وَإِذْ هُمْ
نَجْوَى» حين هم ذوو نجوى يتناجون بالتكذيب ، «إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ» بدل من إذ
هم بوضع الظاهر موضع المضمر ، «إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا» سُحِرَ فَجُنَّ وعن
بعضهم مشتق من السَّحَر وهو الرئة ^(٥) أي : رجلاً مثلكم ، «انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ
الْأَمْثَالَ» مثلك بساحر وشاعر وكاهن وجنون ، «فَضَلُّوا» : عن طريق الحق ، «فَلَا

(١) ولما تقرر في قوله: (ليذكروا وما يزيدهم إلا نفوراً) أنهم في حضيض من الغباوة التفت
إلى سيد أولي الفهم فقال : " وإذا قرأت القرآن " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) إفعام ملء يقال أفعم الإناء ملاءه، وأفعم المسك والعود البيت بريحه وأفعمت الرجل ملأته
غضباً/ ١٢ صراح .

(٣) نزلت حين قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القرآن ومر بالتوحيد قال: يا معاشر
قريش قولوا لا إله إلا الله تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فنفروا وولوا / ١٢ وجيز .

(٤) فعلى هذا "نفوراً" حال / ١٢ .

(٥) أي : ذو سحر وركعة فيكون مثلكم / ١٢ منه .

يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا» إلى الرشاد أو هم متحiron ليس لهم سبيل يسلكونه ، «وَقَالُوا
أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا» بعد الموت ، «وَرَفَاتًا»: ترابًا ، «أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ» الهمزة لتأكيد
الإنكار والعامل في إذا ما دل عليه مبعوثون فما بعد إن لا يعمل فيما قبله ، «خَلَقًا
جَدِيدًا» مصدر أو حال ، «قُلْ» جوابًا لهم ، «كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا» وهما أشد
امتناعًا من العظام والرفات في قبول الحياة ، «أَوْ خَلَقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ»^(١)
وهو الموت^(٢) ، أي : لو فرضتم أنكم صرتم حجارة أو حديدًا أو موتًا هو ضد الحياة
لأحياكم الله إذا شاء ، وعن مجاهد في تفسيره أي : السماء والأرض والجبـال ،
«فَسَيَقُولُونَ مَنْ يَعِيدُنَا» إذا كنا حجارة أو خلقًا شديدًا ، «قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ»: يحركون ، «إِلَيْكَ رُءُوسُهُمْ» تعجبًا وتكذيـبًا ، «وَيَقُولُونَ مَتَى
هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا» فكل ما هو آت قريب ، أن يكون اسم عسى وكان
تامة وقريبًا خبره أو اسم عسى ضمير البعث وما بعده خبره ، «يَوْمَ يَدْعُوكُمْ» ربكم
من قبوركم ، «فَتَسْتَجِيبُونَ»: تجيبون بحمده «بِحَمْدِهِ» متلبسين^(٣) بحمده حين لا
ينفعكم الحمد ، وعن ابن عباس: أي بأمره وعند بعض: أنه خطاب للمؤمنين ، وقد ورد
أفهم ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون: سبحانك اللهم وبحمدك ، «وَتُظُنُّونَ إِنْ
لَبِثْتُمْ»: في الدنيا أو في البرزخ ، «إِلَّا قَلِيلًا» "كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا
لبثنا يومًا أو بعض يوم" (المؤمنون: ١١٢، ١١٣) .

(١) هكذا فسره ابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبـير والحسن وقتادة والضحاك ونقل الإمام
مالك عن الزهري / ١٢ منه .

(٢) لأنه ليس شيء أكبر في نفس ابن آدم منه / ١٢ فتح .

(٣) والظاهر أن الخطاب للكفار إذ الكلام كان معهم فهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد /

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانُ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَاءُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَاءُ يُعَذِّبِكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ ﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ ﴿

﴿ وَقُلْ ^(١) لِعِبَادِي ﴾: المؤمنين قولوا التي هي أحسن ، ﴿ يَقُولُوا ﴾: الكلمة ، ﴿ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ يعني في محاوراتهم ومخاطبتهم فيقولوا ^(٢) جواب الأمر والمقول محذوف ، ﴿ إِنَّ

(١) ولما أمر تعالى بإبلاغ قوله : " قل كونوا حجارة " الآية وفيها نوع من التهكم والتبكي وربما استن به المؤمنون فخاطبهم نحوه من عند أنفسهم مما فيه نحو غلظة فنهاهم عن ذلك فقال : " قل لعبادي " الآية / ١٢ وحيز .

(٢) تذكر قولنا في قوله تعالى: " قل لعبادي الذين آمنوا " (إبراهيم: ٣١) / ١٢ منه .

الشَّيْطَانُ يَتَرَعَّ يهيج الشر ، ﴿بَيْنَهُمْ﴾ فإذا لم يكونوا على لين الكلام فلربما يفضي إلى المخاصمة والمشاجرة ، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ وعن الكلبي ، أنها نزلت حين شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحش كلام المشركين وسوء خلقهم ف قيل : الكلمة التي هي أحسن أن يقولوا يهديك الله ، وقيل : هذا قبل الإذن في الجهاد ، ﴿رُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ فيوفقكم للإجابة والطاعة الظاهر أنه خطاب للمؤمنين وحث على المداراة ، ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ وقيل : ربكم أعلم تفسيراً للكلمة التي هي أحسن أي : يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من أهل النار ومعذبون وما يشبهها ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ ليس أمرهم موكولاً إليك إنما أنت نذير فما عليك إلا التبليغ وحسن المعاشرة وطيب الكلام في النصيح والله الهادي ، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فإنه خلقهم على قوابل مختلفة ومراتب متفاوتة في الفهم وقبول الفيض من مفيض الحكمة فليس لأحد أن يستبعد في نبوة يتيم أبي طالب عليه السلام وفي سيادة الجوع العرا رضي الله عنهم وأرضاهم ، ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ بمزيد العلم اللدني لا بوفور المال الدني ، ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾^(١) إشارة إلى وجه تفضيله فعلم من هذا أن نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل فإن كتابه أشرف الكتب " ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون " (الأنبياء: ١٠٥) ، وما وقع في الصحيحين من النهي عن التفضيل بين الأنبياء فمحمول^(*) على التفضيل بالتشهي والعصبية ولا خلاف

(١) ولما ذكر فضل الأنبياء وأن بعضهم أفضل الخلائق ومع ذلك هم معترفون بالعبودية لا

يستطيعون الشفاعة إلا بإذنه فكيف بحجر حماد فقال : " قل ادعوا الذين " الآية/ ١٢ وجيز .

(*) أخرجه البخاري في "أحاديث الأنبياء" / باب : قول الله تعالى ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾

(٣٤١٤) ومسلم في "الفضائل" / باب : من فضائل موسى عليه السلام (٢٢٥/٥) ط

الشعب .

أن محمداً رسول الله أفضلهم ثم إبراهيم ثم موسى على المشهور عليهم الصلاة والسلام ،
«قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ» أما آلهة ، «مَنْ دُونِهِ» كالملائكة وغيره ، «فَلَا
يَمْلِكُونَ» فلا يستطيعون ، «كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ» بالكلية ، «وَلَا تَحْوِيلًا» إلى
غيركم أو تحويل حال من العسر إلى حال اليسر نزلت حين شكى المشركون قحطهم
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ^(١)
الْوَسِيلَةَ» ، الذين صفة أولئك ويبتغون خيره أي : هؤلاء الذين تعبدوهم يطلبون
القربة إلى الله كالملائكة وعيسى وأمه وعزير والشمس والقمر^(٢) ، «أَيُّهُمْ أَقْرَبُ» بدل
من فاعل يبتغون أي : يطلب من هو أقرب منهم الوسيلة فكيف لغیره ، «وَيَرْجُونَ
رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ» فكيف يستحقون الألوهية ، «إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ
مَحْذُورًا» حقيقة بأن يحذر منه كل شيء حتى الرسل من الملائكة والبشر، وعن ابن
مسعود أنها نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم^(٣) الجنيون

(١) اعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على المشركين وقد ذكرنا أن المشركين كانوا
يقولون: ليس لنا أهلية أن نشغل بعبادة الله تعالى فنحن نعبد بعض المقربين من عباد الله
وهم الملائكة ثم إنهم اتخذوا لذلك الملك الذي يروه تمثالاً وصورة واشتغلوا بعبادته على
هذا التأويل وليس المراد الأصنام لأنه تعالى قال في صفتهم: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ
إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) وابتغاء الوسيلة إلى الله تعالى لا يليق بالأصنام، وإذا ثبت هذا فتعين أن
المراد الملائكة والمسيح وعزير والجن، ثم إنه تعالى احتج على فساد مذهبهم أن الإله
المعبود هو الذي يقدر على إزالة الضر وإيصال المنفعة وهذه الأشياء التي يعبدونها وهي
الملائكة والجن والمسيح وعزير لا يقدرون على كشف الضر ولا على تحصيل النفع
فوجب القطع بأنها ليست آلهة / ١٢ كبير .

(٢) صرح بذلك هؤلاء ابن عباس ومجاهد / ١٢ منه .

(٣) كذا ذكره البخاري / ١٢ منه . [أخرجه البخاري (٤٧١٥) .]

والإنس الذين يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم ، «وَأِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» بالموت ، «أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا» بأنواع العذاب وعن مقتل وغيره الأول في قرية المؤمنين والثاني في الكفار ، «كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ» اللوح المحفوظ ، «مَسْطُورًا وَمَا مَنَعَنَا^(١) أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ» أي : ما صرفنا عن إرسال الآيات المقترحة لقريش كفسحة مكة وجعل الصفا ذهباً ، «إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ» أي : إلا تكذيب من هو قبلهم وقومك مثلهم طبعاً فلو أرسلناها وكذبوا بها لاستأصلناهم فقد جرت سنتنا على أن لا نؤخر من كذب بالآيات المقترحة فليس عدم إرسالها إلا العناية فإنه سهل علينا يسير لدينا ، «وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ» بسؤالهم ، «مُبْصِرَةً^(٢)» آية بينة ، «فَظَلَمُوا بِهَا» ، كفروا بها أو فظلموا أنفسهم بسببها فإنهم منعوا شرها وعقروها فعاجلناهم بالعقوبة ، «وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ» المقترحة أو مطلق الآيات ، «إِلَّا تَخَوِيفًا» للعباد ليؤمنوا والباء زائدة أو المفعول محذوف وبالآيات حال ، «وَإِذْ قُلْنَا لَكَ» أي : واذكر إذ أوحينا إليك ، «إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ» هم في قبضته وتحت مشيئته فهو حافظك منهم فامض لما أمرك ولا تهجم ، «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ» هي^(٣) قصة المعراج والرؤيا من الرؤية عن ابن عباس وغيره هي

(١) ولما قال بعض القرى هلكها وبعضها نعدّها في وقت معين عندنا تقتضي حكمتنا أراد أن يبين أن مكة ما جاء وقت خرابها ولا وقت عذابها فقال : " وما منعنا أن نرسل " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) واختار تلك الآية من بين الآيات المقترحة للأولين لأن آثار إهلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم / ١٢ وجيز .

(٣) فإنها كانت في المنام أولاً ثم في اليقظة بالجسم والعين فالمعنى الرؤيا التي أريناك في اليقظة تعبيراً كذا قاله ابن عباس وغيره كما رواه البخاري / ١٢ وجيز . [أخرجه البخاري (٤٧١٦)]

رؤيا عين ، «إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ» فقد أنكر بعضهم ذلك وكفروا وزاد إيمان بعضهم فما هي إلا اختبار وفتنة وعن بعضهم أن المراد بهذه الرؤيا رؤيا عام الحدييصة رأى عليه السلام أنه دخل هو وأصحابه مكة فتوجه إليها قبل الأجل فصده المشركون ورجع إلى المدينة وكان ذلك فتنة وشكاً في قلوب بعض حتى دخلها في العام القابل كما قال تعالى : " لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق " الآية (الفتح: ٢٧) ، «وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ» أي : وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة وهي شجرة الزقوم يقال طعام ملعون أي : مكروه ضار وملعون أكلها وصفت به مجازاً للمبالغة أو لأن منبتها أصل الجحيم وهي أبعد مكان من رحمة الله ، وفتنتها أنهم قالوا: محمد يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أن فيها شجرة وقالوا: لا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر فجاء أبو جهل بهما وقال يا قوم: زقموا فهذا ما يخوفكم به محمد ، «وَيُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ» التخويف ، «إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا^(١)» تمرداً وعتواً عظيماً .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۖ﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ۖ﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ۖ﴾ وَاسْتَفْزَزَ مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بَصَرَتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بَخِيلُكَ وَرَجَلُكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۖ﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى

(١) ولما قال إن بعض الأشياء للفتنة والاختبار ومنه التخويف ولا يزيدهم إلا طغياناً أراد أن يذكر رأس الفتنة ورئيس أهل الطغيان فقال (وإذ قلنا) / ١٢ وحيز .

بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ
 فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ
 تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾
 أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا
 لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ
 قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغَرِّقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا
 ﴿٦٩﴾ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ
 الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ قد مر الخلاف في أن
 المأمورين جملة الملائكة أو ملائكة الأرضين ، ﴿قَالَ أَسْجُدُوا لِمَنْ خَلَقْتُ﴾ أي : لمن
 خلقت ، ﴿طِينًا﴾ حال من (مَنْ) أو من ضميره أو نصبه بترع الحافض ، ﴿قَالَ﴾ : إبليس
 ﴿أَرَأَيْتَكَ﴾ أي : أخبرني والكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الإعراب ، ﴿هَذَا﴾
 مفعول أرايت ، ﴿الَّذِي﴾ صفة هذا ، ﴿كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ أي : أخبرني عن هذا الذي
 فضلتني علي بأن أمرتني بسجوده لم كرمته علي فمتعلق الاستخبار محذوف يدل عليه
 الصلة ، ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ اللام توطئة القسم وجوابه ، ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾
 لأستأصلن ، ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾ : بالإغواء ، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لا أقدر أن أقاومهم وكأنه لعنه الله
 تفرس من خلقه فإنه قد جبل بشهوة ووهم وغضب ، ﴿قَالَ﴾ : الله : ﴿اذْهَبْ﴾ أي :
 خلعتك وأنظرتك فامض لما قصدت ، ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ أي :
 جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب ، ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ : مكملًا ونصب جزاء بما في
 جزاؤكم من معنى تجازون أو بإضمار تجازون وجاز أن يكون حالاً فإنه مقيد بموفورا ،

﴿وَاسْتَفْزِرْ﴾: استخف ، ﴿مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ﴾: أن تستفزه ، ﴿بِصَوْتِكَ﴾^(١): بدعائك إلى معصية الله وعن ابن عباس كل داع دعا إلى معصية الله فهو شيطان يصوته ، وقيل هو الغناء والمزامير ، ﴿وَأَجْلِبْ﴾: صبح ﴿عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ﴾ الخيل الفرسان والرجل اسم جمع للراجل ، أي: صبح عليهم بأعوانك من راكب وراجل وهو كل راكب وماش في المعصية ، وعن قتادة أن له خيلاً ورجلاً من الجن والإنس ، قيل: هذا تمثيل لتسلطه بشخص كثير الغارة صوت على قوم فاستفزه وأقلقهم عن أماكنهم وأجلب عليهم بجنده فاستأصلهم ، والمعنى تسلط عليهم بكل ما تقدر والمراد من الأمرين أمر القدري أو أمر تهديد ، ﴿وَشَارِكْهُمْ﴾^(٢) فِي الْأَمْوَالِ

(١) ولا بعد أن يكون المراد من استفزازه بصوته صفيه كصفيير راعي الغنم حين يريد أن تسعى أو ترجع غنمه ومثل ما قلنا يكشف أهل القلب / ١٢ وجيز .

(٢) عن ابن عباس أن الشركة في الأولاد هي المودة وفي رواية أخرى عنه هو تسميتهم الأولاد عبد الحارث وعبد الشمس وعبد العزى وعبد الدار ونحوها هذا ما في المعالم ، أقول أراد بقوله: نحوها كل اسم فيه نسبة العبد إلى غير الله تعالى مثل عبد الحارث وعبد النبي وعبد الرسول وغيرها وفيها من أعظم مقاصد الشيطان لما فيها من الشرك في التسمية كما مر في تفسير قوله "جعلنا له شركاء فيما آتاهم فتعالى الله عما يشركون" (الأعراف: ١٩٠) ، قال في المدارك: معنى إشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم انتهى، وقال القاري في شرح المشكاة: ولا يجوز مثل عبد الحارث وعبد النبي ولا غيره مما شاع بين الناس انتهى، وقال ابن حجر مكي في التحفة: ويحرم ملك الملوك؛ لأن ذلك ليس لغير الله تعالى وكذا عبد النبي والكعبة أو الدار أو العلي أو الحسين لإيهام التشريك انتهى، والأعلام كما يقصد بها المعاني العلمية كذلك قد يلاحظ معها المعاني الأصلية بالتبعية كما صرح به أهل المعاني وكان اسم أبي بكر في الجاهلية عبد الكعبة واسم أبي هريرة عبد الشمس فغيرهما النبي صلى الله عليه وسلم وسماهما

كل ما أنفق في حرام أو جُمع من حرام «وَالْأَوْلَادِ»^(١) ، بيعتهم على الزنا حتى يكون الولد منه وعلى قتلهم خشية إملاق وعلى تسميتهم بعبد الشمس ونحوه وغير ذلك ، «وَعَدُهُمْ» المواعيد^(٢) الباطلة كشفاة الآلهة وكرامة الآباء ، «وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا» والغرور تزوين الخطأ بما يوهم أنه صواب ، «إِنَّ عِبَادِي» أي : المخلصين ، «لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ» : تسلط على إغوائهم ، «وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا» أي : كفى الله لأن يكل أوليائه فيعصمهم منك ، «رَبُّكُمْ»^(٣) الذي يُزجي : يجري ، «لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» : لتطلبوا من رزقه وتتجروا ، «إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» حيث هيا لكم ما تحتاجون ، «وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ» : خوف الغرق ، «فِي الْبَحْرِ ضَلَّ» : زال عن خاطركم ، «مَنْ تَدْعُونَ» : كل من تدعونه ،

= صديقاً وعبد الرحمن ، وقد قدمنا بعضاً من هذا البحث في سورة الأعراف في قصة آدم وحواء فلا نعيده والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

(١) وعلى تسميتهم بمثل عبد الشمس وما مجسوه وما هودوه / ١٢ وحيز . [ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٤٨/٤) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس]

(٢) المواعيد الباطلة كشفاة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بطول الأمل / ١٢ بياضوي ، وزاد في الكبير وإيثار العاجل على الآجل وبالجملة فهذه الأقسام كثيرة وكلها داخلية في الضبط الذي ذكرناه وإن أردت الاستقصاء فطالع ذم الغرور من كتاب إحياء علوم الدين للشيخ الغزالي حتى يحيط عقلك بمجماع تلبس إبليس / ١٢ .

(٣) ولما وصف المشركين في بطلان اعتقادهم بأن أصنامهم ضار نافع وأتبع ذلك بقصة إبليس وتمكينه من وسوسته أراد ذكر ما يدل على وحدانيته وأنه هو النافع الضار المتصرف في خلقه ذاكرًا لإحسانه إليهم في البر والبحر فقال : " ربكم الذي " الآية / ١٢ وحيز .

﴿إِلَّا إِلَٰهَهُ﴾: الله وحده فحينئذ لا يخطر ببالكم سواه فتدعونه وحده ، ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ﴾ ، من الغرق ، ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾: عن التوحيد ، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ يعني سجية الإنسان نسيان النعم وجردها ، ﴿أَفَأَمِنْتُمْ﴾ الهمة للإنكار والفاء عطف على محذوف أي : أنجوتم من البحر فامتنم من ﴿أَنْ يَخْشِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ أي : يقلبه الله وأتم عليه وبكم حال من مفعول يخسف أو الباء للسببية متعلق بيخسف وذكر الجانب إشارة إلى أنهم إذا وصلوا الساحل أعرضوا وأن الجوانب ^(١) بقدرة الله ، ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: المطر الذي فيه الحجارة أو الريح التي ترمي بالحصاء ، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾: يحميكم من العذاب ، ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾: في البحر ، ﴿تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾: ريحا تكسر كل شيء تمر عليه ، ﴿فَيَغْرِقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: بسبب كفركم أو كفرانكم ، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ ، التبع المطالب أي : لا تجدوا أحدا يطالبنا بما فعلنا انتقاما منا ، ﴿وَلَقَدْ ^(٢) كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾: بأشياء كثيرة منها العقل والنطق وحسن الصورة ، ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ على الدواب والسفن ، ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ ، المستلذات ، ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ أي : كثيرا بينا وافرا ولا يلزم من هذه الآية على ما فسرنا تفضيل الملائكة نعم يلزم نفي الأفضلية الكثيرة الوافرة ولا يلزم من نفي هذه الأفضلية نفي مطلقها .

(١) وجانب البر وجانب البحر سيان عند قدرته فإن الخسف تغيب تحت التراب كما أن

الغرق تغيب تحت الماء وهما بخلق الله وإرادته/ ١٢ وحيز .

(٢) ولما امتن عليهم من إزجاء الفلك وتنحيتهم من الغرق وكفراهم نعمه أراد تميم ذكر

النعم فقال : " ولقد كرمنا بني آدم " الآية / ١٢ وحيز .

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْتِيَكَ يَقْرَأُ وَنَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِيَقْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذَا لَا تَأْخُذُكَ خَلِيلًا ۝ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۝ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۝﴾

﴿يَوْمَ﴾^(١) أي : اذكر يوم ، ﴿نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ أي : نبههم^(٢) کیا اُمةُ فلانٍ ، أو بكتاهم الذي أنزل عليهم أو بكتاب أعمالهم أو إمام هدي وإمام ضلالة کیا متبعي محمد - عليه السلام - ویا متبعي شیطان ، و عن محمد بن كعب هي جمع أم كخفاف

(١) ولما ذكر الأنواع من كرامات الإنسان في الدنيا ذكر أشياء من أحوال الآخرة فقال : " يوم ندعوا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) قوله أي : نبههم کیا اُمةُ فلانٍ إلخ ، الوجه الثالث قول ابن عباس والحسن والضحاك وغيرهم يعني ينادون بیا أصحاب كتاب الخير ویا أصحاب كتاب الشر وهو الأرجح لما رواه الحافظ البزار وصححه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولقوله تعالى : " وكل شيء أحصيناه في إمام مبين " (يس: ١٢) ، ولقوله : " كل أمة تدعى إلى كتابها " (الجاثية: ٢٨) ؛ ولأنه ذكر عقبيه (فمن أوتي كتابه بيمينه) / ١٢ منه وكذا في وجيز . [ذكره السيوطي في " الدر المنثور " (٣٥١/٤) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس - رضي الله عنه -]

فلا يفتضح أولاد الزنا ويلزم إجلال عيسى والحسن والحسين عليهم السلام ، ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ كتاب أعماله ، ﴿بِإِيمَانِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَعُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ فلا ينقص من أجورهم أدنى شيء والقتيل الخيط المستطيل في شق النواة ، ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ﴾ الدنيا ، ﴿أَعْمَى﴾: عمى القلب فلم ير رشده ، ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ لا يرى طريق النجاة قيل أعمى الثاني أفعل التفضيل كالأجهل ، ﴿وَأَضَلُّ^(١) سَبِيلًا﴾ منه في الدنيا ، وقد نقل عن بعض السلف أن معناه من كان في هذه النعم التي قد مر وهو قوله : " ربكم الذي يزجي لكم " الآية ، أعمى وهو يعاين فهو في أمر الآخرة التي لم يعاين ولم ير أعمى وأضل ، ﴿وَأَنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ﴾ إن مخففة ، أي : إن الشأن قاربوا بمبالغتهم أن يوقعوك في الفتنة قيل: نزلت في ثقيف^(٢) حين قالوا: لا نؤمن حتي تعطينا حصلاً نفتخر بها على العرب لا نحبي في الصلاة ، أي : لا ننحني ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبد^(٣)ها فإن خشيت أن

(١) ولما عدد نعمه على بني آدم ثم ذكر حالهم في الآخرة من إتياء الكتاب باليمين للسعداء وعمى الأشقياء أتبع ذلك ما هو به الأشقياء في الدنيا من المكر والخداع على سيد السعداء المقطوع له بالعصمة فقال : " وإن كادوا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) نقله محيي السنة عن ابن عباس / ١٢ منه . [وذكره السيوطي في " الدر المنثور " (٣٥٣/٤) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنه]

(٣) ومن الفوائد الجليلة في هذه الآية أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً، فإنها شعائر الكفر والشرك وهي أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والندر والتقبيل لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته وكثير منها بمثلة اللات والعزى ومناة الثلاثة الأخرى وأعظم شركا عندها وبها، فإن اللات على ما نقله ابن خزيمة عن

يسمع العرب لم أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرني بذلك ، وقيل نزلت حين قال قريش: لا ندعك يا محمد أن تستلم الحجر الأسود حتى تمس آلهتنا وقيل قالوا: نؤمن بك أن تمس آلهتنا، وقيل غير ذلك ، «عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ»: من الأحكام ، «لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً»: غير ما أوحينا إليك ، «وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا»: لو اتبعت مرادهم يؤمنوا بك ولكنت لهم وليًا ، «وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَوْلَا ثَبَّتْنَا لَكَ وَعَصَمْنَا ، لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ»: لقاربت أن تميل ، «إِلَيْهِمْ»: إلى اتباع مرامهم ، «شَيْئًا قَلِيلًا»

= مجاهد: رجل كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره يعبدونه ويعظمونه ولم يكونوا يعتقدون أن اللات خلقت السماوات والأرض، بل كان شركهم باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى كشرك أهل الشرك من أرباب المشاهد بعينه من النذور لها والتبرك بها والتمسح بها وتقبيلها واستلامها وما طلبوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا مجرد مس آلهتهم كما قالوا: نؤمن بك أن تمس آلهتنا وما التمسوا منه إلا التمتع باللات سنة من غير عبادة كما قالوا على ما رواه البغوي عن ابن عباس: وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها فحدث نفسه ما عليّ أن أفعل ذلك والله تعالى يعلم أي لها كاره بعد أن يدعوني حتى أستلم الحجر وخطر خطرة بقلبه الأشرف فتوعد بهذا الوعيد الشديد والتهديد الأكيد فالرزية كل الرزية ما ابتلي به القبوريون من أهل الزمان فإنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه بالقبور فإننا لله وإنا إليه راجعون، بل كثير منهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً فإذا قيل له بعد ذلك بشيخك ومعتقدك الوالي القلاني تلكأ وأبى واعترف بالحق وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين وثالث ثلاثة ، فإيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين ، أي رزء للإسلام أشد من الكفر وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً فاللهم انصر من نصر الحق واهدنا إلى سواء السبيل / ١٢ .

لكن عصمتناك فما قاربت من الركون مع قوة اهتمامك بإيمانهم فضلاً من الركون وقيل خطر خطرة بقلبه الأشرف ولم يكن عزماً والله قد عفى الخلق عنه والأول هو الأولى ، «إِذَا»: لو قاربت ، «لَأَذِقْنَاكَ ضِعْفَ»^(١) الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ أي : عذاب الدنيل والآخرة ضعف ما يُعذب به غيرك بمثل هذا الفعل فإن المقرين على خطر عظيم وأصله عذاباً ضعفاً في الحياة ، أي : مضاعفاً فأقيمت الصفة مقام الموصوف بعد ما حذف ثم أضيفت كما يقال: أليم الحياة ، أي: عذاباً أليماً في الحياة ، «ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً»: يدفع عنك عذابنا ، «وَأِنْ كَادُوا» إن مخففة مثل الأول ، «لَيَسْتَفْزُوكَ»: يزعمونك ، «مِنَ الْأَرْضِ»: أرض مكة أو المدينة ، «لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا» قيل: نزلت حين هم قريش بإخراج الرسول من بين أظهرهم ، «وَإِذَا»: لو خرجت ، «لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ»: لا يبقون بعد خروجك ، «إِلَّا قَلِيلاً»: إلا زماناً قليلاً وقد كان كذلك فإنه قد وقع على أكثرهم بعد سنة واقعة بدر ، وقيل نزلت في المدينة حين قالت اليهود : إن الشام مسكن الأنبياء وأنت إن كنت تسكن فيها آمناً بك فوق ذلك في قلبه الأشرف لكن السورة مكية^(٢) بتمامها عند الأكثر فالأول أقرب ، «سُنَّةً» أي: سن الله ذلك سنة ، «مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا» وهو أن يهلك كل أمة أخرجوا رسولهم فالسنة لله وإضافتها إلى الرسل ؛ لأنها من أجلهم ، «وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً»: تغييراً .

(١) وفي الآية دليل على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته ولذلك قال الله تعالى : " يا نساء النبي " (الأحزاب: ٣٠) وقد ورد أنه لما نزلت قال صلى الله عليه وسلم (اللهم لا تكلمي إلى نفسي طرفة عين) / ١٢ وحيز .

(٢) فتوجيه الآية كما نقل محيي السنة عن الإمام الكلبي أن الكفار بأجمعهم هموا أن يستفزه من أرض العرب بتظاهريهم عليه فلم ينالوا منه ما أملوا / ١٢ وحيز .

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَتَعَمَّنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

﴿أَقِمِ^(١) الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾: زواها^(٢) واللام للتأقيت ، ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾: ظلمته فيدخل فيه صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، أو المراد من الذلوك الغروب وأصل لغته الانتقال ، ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح سميت قرآنا كما سميت الصلاة ركوعًا وسجودًا تسمية للشيء باسم ركنه وجزئه عطف على الصلاة ، ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾: يشهده^(٣) ملائكة الليل وملائكة النهار ، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ أي :

(١) ولما ذكر كيدهم وأن الله بفضلهم حماه منه أمره أن يتوجه إلى ما هو شأنه وأن لا يشغل قلبه بشأنه والصلاة أشرف العبادات بعد الإيمان فقال : " أقم الصلاة " الآية / ١٢ وحيز .

(٢) كذا فسر السلف / ١٢ وحيز .

(٣) هكذا فسر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رواه الترمذى والنسائى / ١٢ . [أخرجه الترمذى (٣٣٥٥) وقال الشيخ الألبانى فى "صحيح الترمذى" (٢٥٠٧): صحيح الإسناد]

بعضه ، «فَتَهَجَّدَ»: اترك المجهود والتهجد ترك المجهود للصلاة كالتأثم والتحرج^(١) ،
«يَهِي»: بالقرآن ، «نَافِلَةً لَّكَ»: فضيلة لك، فإنه قد غفر ما تقدم من ذنبه وما تأخر
فجميع نوافله زيادة في رفع درجته ، أو معناه فريضة زائدة لك على الصلاة المفروضة ،
وعن كثير من السلف أن التهجد واجب عليه ونصبها بالعلية على التوجيه الأول أو
بتقدير فرضها فريضة أو حال من ضمير به ، «عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا^(٢)» أي :

(١) أي : جانب الإثم والخرج فتعجد أي : جانب النوم ويقال تعجد أي : نام / ١٢
منه.

(٢) وعن مجاهد قال: يجلسه على العرش وعن عبد الله بن سلام قال: يقعده على الكرسي،
ذكر القولين البغوي في المعالم وفي الفتح حكى هذا القول يعني أن الله سبحانه يجلس
محمدًا -صلى الله عليه وسلم- معه على كرسيه ابن جرير عن فرقة منهم مجاهد وقد
ورد في ذلك حديث وحكى النقاش عن أبي داود السجستاني أنه قال : من أنكر هذا
الحديث فهو عندنا متهم مازال أهل العلم يتحدثون بهذا الحديث / ١٢ . [أثر مجاهد
هذا باطل كما قال الشيخ الألباني في "الضعيفة" وقال: ومما يدل على ذلك -أي
بطلانه- أنه ثبت في "الصحيح" أن المقام المحمود هو الشفاعة العامة الخاصة بنبيينا
عليه الصلاة والسلام. ومن العجائب التي يقف العقل تجاهها حائرا أن يفتي بعض
المتقدمين بأثر مجاهد هذا كما ذكره الذهبي في "العلو" (ص ١٠٠-١١٧، ١٠١-١١٨)
عن غير واحد منهم، بل غلا بعض المحدثين فقال: لو أن حالفًا حلف بالطلاق ثلاثا
أن الله يقعد محمدًا صلى الله عليه وسلم على العرش واستفتاني، لقلت له صدقت
وبررت!.

وقال الذهبي -رحمه الله- "فأبصر -حفظك الله من الهوى- كيف آل الغلو بهذا الحديث
إلى وجوب الأخذ بأثر منكر، واليوم يردون الأحاديث الصريحة في العلو، بل يحاول
بعض الطغام أن يرد قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾". وأثر عبد الله بن سلام
ذكره الذهبي في "العلو" وقال: "هذا موقوف ولا يثبت إسناده وإنما قاله مجاهد].

في مقام ، «مُحْمُودًا»^(١) أو تقديره فيقيمك مقامًا ، أي : في مقام هو مقام الشفاعة لأتمته يحمده فيه الأولون والآخرون ، «وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي» : المدينة ، «مُدْخَلَ صِدْقٍ» أي : إدخالاً مرضياً ، «وَأَخْرِجْنِي» : من مكة ، «مُخْرَجَ صِدْقٍ»^(٢) إخراجاً حسناً مرضياً نزلت حين أمر بالهجرة ، أو أدخلني الجنة وأخرجني من الدنيا أو أدخلني القبر وأخرجني منه وفيه أقوال أخر ، «وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا» ملكاً وعزاً قوياً مظهرًا للإسلام على الكفر أو حجةً بينةً تنصيري على من خالفني ، «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ» : الإسلام ، «وَوَهَقَ» هلك ، «الْبَاطِلُ» : الشرك ، «إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» : مضمحلاً غير ثابت وكان - صلى الله عليه وسلم - يقول ذلك يوم^(٣) فتح مكة ، «وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ» من للبيان قدم على المبين لكونه أهم ، «مَا هُوَ شِفَاءٌ» : لأمراض القلوب من الشك والنفاق والزيغ ، «وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ» : يحصل في القلب الإيمان والحكمة والرغبة في الخير ، «وَلَا يَزِيدُ» : القرآن ، «الظَّالِمِينَ» : الكافرين ، «إِلَّا خَسَارًا» : نقصاناً وخذلاناً لكفرهم به ، «وَإِذَا»^(٤)

(١) والمقام المحمود مقام الشفاعة العامة و"عسى" تفيد الإطماع والله أكرم أن يطمع من غير أن ينفذ وهذا من جنس كلام الملوك ولهذا قيل : عسى من الله واجب ولما أمره بإقامة الصلاة بالتهجد ووعد بهبعثه مقاماً محموداً وذلك في الآخرة عقبه بأمره بما يشمل الدنيا والآخرة فقال : "وقل رب" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) والظاهر أنه عام في الأمور الدنيوية من جميع موارده ومصادره / ١٢ وجيز .

(٣) في الصحيحين أنه دخل مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعن بها بعود في يده ويقول : "جاء الحق وهق الباطل" الآية / ١٢ منه . [أخرجه البخاري في "المغازي" / باب : أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟ (٤٢٨٧) ومسلم في "الجهاد والسير" / باب : فتح مكة (٤١٩/٤) ط الشعب.]

(٤) ولما بين أن القرآن لا يزيد للبعض إلا الخسران أراد أن يبين أن حرمان البعض من كفران نعمة الله أعم من أن يكون النعمة قرآناً أو غيره فقال : "وإذا أنعمنا" الآية / ١٢ وجيز .

أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ: بمال وعافية، «أَعْرَضَ»: عن طاعة الله، «وَلَنَا بِجَانِبِهِ» والنائي بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره أي: بعد عنا أو استكبر عن طاعتنا، «وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ» من المصائب والنوائب، «كَانَ يَتُوسَّ»: شديد اليأس قَنِطَ أَنْ يعود له بعد ذلك خير، «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ»: دينه ونيته وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة^(١) أو على طبيعته التي جبلت عليها، «فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا»^(٢): أسدَّ طريقًا وسيجزي كل عامل بعمله، وهو وعيد للمشركين كما قال تعالى: "وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون" (هود: ١٢١، ١٢٢) .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿١٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿١٧﴾ قُلْ لَّيْسَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ

(١) يقال: طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب من الطريق نقل عن الصديق الأكبر - رضي الله عنه - أنه قال لم أر آية أرجى من هذه لا يشاكل بالعبد إلا العصيان ولا يشاكل بالرب إلا الغفران / ١٢ وحيز .

(٢) ولما ذكر مكر اليهود وخداعهم من قبل في قوله: " وإن كادوا ليستفزونك " الآية إلى أن وصل الكلام إلى قوله: " كل يعمل على شاكلته " أعقبه بشيء من تعنتهم ومكرهم فقال: " ويسألونك " / ١٢ وحيز .

لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٥٦﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ
خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٥٧﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِلَآلِهِ
وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٥٨﴾ أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن
نُؤْمِنَ لِرَقِيَّتِكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا
بَشَرًا رَسُولًا ﴿٥٩﴾

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي : اليهود والأحاديث الواردة في نزول هذه الآية مشعرة بأنها نزلت
في المدينة والأصح أن السورة كلها مكية فأجيب بأنه نزلت مرتين ، أو أنه نزل في
المدينة عليه وحي بأن يجيبهم عما سألوا بالآية المتقدم إنزالها عليه في مكة ، وما ذكره
الإمام أحمد يدل على أنها مكية فإنه نقل عن ابن عباس أن قريشًا قالت لليهود أعطونا
شيئًا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح فسأله فترلت، ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾:
روح بني آدم أو جبريل أو ملك عظيم ، ﴿قُلِ الرُّوحُ﴾^(١) مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، مما استأثر

(١) وفي الآية ما يزجر الخائضين في شأن الروح المتكلمين لبيان ماهيته وإيضاح حقيقته أبلغ
زجر وقد أطالوا المقال في هذا البحث وغالبه، بل كله من الفضول الذي لا يأتي بنفع في
دين ولا دنيا وقد حكى بعض المحققين أن أقوال المختلفين في الروح بلغت إلى ثمانين
عشر ومائة قول فانظر إلى هذا الفضول الفارغ والتعب العاطل عن النفع بعد أن علموا
أن الله سبحانه قد استأثر بعلمه ولم يطلع عليه أنبياءه ولا أذن لهم بالسؤال عنه فضلاً من
أهمهم المقتدين بهم فيا لله العجب، حيث تبلغ أقوال أهل الفضول والقانعين بالمعقول من
المنقول إلى هذا الحد الذي لم تبلغه ولا بعضه في غير هذه المسألة مما أذن الله بالكلام فيه
ولم يستأثر بعلمه وقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيته بعد إنفاق الأعمار الطويلة على
الحوض فيه ولذا رد ما قيل في حده قديماً وحديثاً ثم ختم سبحانه هذه الآية بقوله : "
وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً " ١٢/ فتح .

بعلمه ، «وَمَا أُوتِيتُمْ^(١) مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» ، أي : ما اطلعتم من علمه إلا على القليل يعني في جنب علم الله قليل وأمر الروح مما لم يطلعكم الله عليه ، وقد روي أن اليهود قالوا: تزعم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلاً وقد أُوتينا التوراة وهي الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً فترلت " ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام" (لقمان: ٢٧) الآية، «وَلَكِنَّ^(٢) شَيْئًا» اللام توطئة القسم ، «لَنَذْهَبَنَّ» جواب القسم ساد مسد جواب الشرط^(٣) ، «بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» أي : إن شئنا محونا القرآن عن مصاحفكم وصدوركم ، «ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا» : من يصير وكيلاً علينا باسترداده ، «إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ» أي : لكن رحمة ربك تركته غير مذهب به أو الاستثناء متصل يعني: إن نالتك رحمته تسترده عليك كأن رحمته تصوير وكيلاً عليه ، «إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا» حيث أنزل عليك الكتاب وأبقاه ، «قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ^(٤)» وإن فرض أن كلهم بلغاء ، «عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ» في البلاغة والإخبار عن المغيبات ، «لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ» لعدم قدرتهم وهو جواب القسم الدال عليه اللام ، «وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ^(٥) ظَهِيرًا» : معينا وناصرًا في الإتيان ، «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا» بينا مكرراً ، «لِّلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» من

(١) الخطاب عام دل على ذلك حديث صريح / ١٢ وجيز .

(٢) ولما كان مكرهم وسؤالهم عن الروح لأجل أن يزيد في القرآن شيئاً من عنده حاشاه بين

أن القرآن محفوظ من عند الله فقال : " ولئن شئنا " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) ودال عليه / ١٢ .

(٤) ذكر الجن لأنه صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الثقلين ولأن الجن تقدر على

الغرائب / ١٢ .

(٥) فالقرآن كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لأنه غير مخلوق ولو كان

مخلوقاً لآتوا بمثله / ١٢ معالم .

كل معنى هو كالمثل في الغرابة والحسن ، «فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا» ، جحوداً للحق وهو في معنى الكلام المنفي فلذلك جاز الاستثناء ، «وَقَالُوا لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ» : أرض مكة ، «يَنْبُوعًا» : عيناً لا ينضب ولا ينقطع ماؤها ، «أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ» أي : بستان ، «مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا» حتى نعرف فضلك علينا، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، «أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ» أن ربك إن شاء فعل ، «عَلَيْنَا كِسْفًا» أي : قطعاً فلا نؤمن لك حتى تفعل يعنون قوله تعالى : " أو نسقط عليهم كسفاً من السماء " (سبأ: ٩) ، «أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا» ، كفيلاً بما تقول شاهداً بصحته أو مقابلاً معاينة نراه وهو حال من بالله وحال الملائكة محذوفة أي قبيلاً وقبلاء ، «أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ» : من ذهب ، «أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ» : تصعد في سلم ونحن ننظر ، «وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ» : صعودك وحده ، «حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ» أي : مكتوباً فيه إلى كل واحد هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ويكون فيه تصديقك ، «قُلْ» ، أي : رسول الله ، «سُبْحَانَ رَبِّيَ» تعجباً من تمولدهم، أو تتريبها لله من أن يأتي أو يشاركه أحد في قدرته ، «هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا» كسائر الناس ، «رَسُولًا» كسائر الرسل وهم لم يقدروا ولم يأتوا بمثل ما قلتم فكيف أقدر على ذلك؟! .

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ ﴿٥٦﴾ قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَّمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا

(١) لما اتحداهم بأن يأتوا بمثله هذا وتبين عجزهم وغلبوا أخذوا يتعللون بافتراء آيات ست ففعل الحائز المبهوت، "وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا" الآية / ١٢ وحيز .

عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٥٧﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ
عُمِيًّا وَنُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ
جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِبَايَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفُتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ
خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٦٠﴾ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ
أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٦١﴾
قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَا مَسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ
الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿٦٢﴾

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ مفعول ثان ، أي: ما منعهم الإيمان بعد ، ﴿إِذْ جَاءَهُمْ
الْهُدَى﴾ بعد نزول القرآن الذي هو معجزة ، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ فاعل منع ، ﴿أَبْعَثَ اللَّهُ
بَشَرًا﴾ أي : إلا قولهم هذا أي لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الإيمان إلا إنكارهم أن
يرسل الله بشرًا ، ﴿رَسُولًا قُلْ﴾ جوابًا لشبهتهم ، ﴿لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ
يَمْشُونَ﴾ كما تمشون ، ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾: ساكنين في الأرض ، ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ
السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾^(١) أي : من جنسهم يهديهم، لأن انتفاع الجنس من الجنس أكثر

(١) فيه إعلام من الله سبحانه بأن الرسل ينبغي أن يكونوا من جنس المرسل إليهم فكأنه اعتبر
في تنزيل الرسول من جنس الملائكة أمرين: الأول كون سكان الأرض ملائكة والثاني
كونهم ماشين على الأقدام غير قادرين على الطيران بأجنحتهم إلى السماء إذ لو كانوا
قادرين على ذلك لطاروا إليها وسمعوا من أهلها ما يجب معرفته وسماعه فلا تكون في بعثة
الملائكة إليهم فائدة ثم ختم الكلام بما يجري التهديد فقال: "قل كفى بالله شهيدًا بيي

فرحمتنا دعتنا إلى أن أرسلنا إليكم بشرًا من جنسكم وبشرًا وملكًا منصوبان على الحال من رسولاً أو موصوفان برسولاً ، «قُلْ كَفَى بِاللَّهِ» أي: كفى الله ، «شَهِيدًا» حال أو تمييز ، «بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» على أي بلغت ما أرسلت به إليكم وأنتم عاندتم أو على أي رسول إليكم وأظهرت المعجزات ، «إِنَّهُ كَانَ بَعَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا» فيعلم إبلاغي وعنادكم فيجازي كلاً ما يستحقه من الإنعام والهداية والانتقام والإزاغة ، «وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ» ، يهدوهم وينصروهم ، «وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ» يحشون بها وعن^(١) أنس يقول : قيل يا رسول الله: "كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال : الذي أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم" أو يسحبهم الملائكة إلى النار ، «عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا» هذا في حال دون حال فيكون هذا بعد الحساب أو عميًا عما يقرأ عينهم بكما عن حجة وعذر يقبل منهم صمًا عما يُلذَّ مسامعهم ، «مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ» : سكن لها ، «زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا» توقدًا بأن نبدل لحومهم وجلودهم فتعود متلهية بهم ، قيل ونعم ما قيل كأنهم لما كذبوا الإعادة بعد الإساء جازاهم الله بدوام الإعادة بعد الإفاء ، «ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا» : ترابًا ، «أَنَّا» الهمزة لتأكيد الإنكار والعامل في إذا ما دل عليه قوله: «لَمَبْعُوثُونَ» فإن ما

= وبينكم" ، ثم علل كونه سبحانه شهيدًا كافيًا بقوله: "إنه كان بعباده خيرًا بصيرًا" ثم بين سبحانه أن الإقذار والإنكار مستندان إلى مشيئته فقال : "ومن يهد الله" الآية / ١٢ فتح .

(١) هذا الحديث مروي في الصحيحين / ١٢ وجيز . [أخرجه البخاري في "الرقاق" / باب: الحشر (٦٥٢٣) ومسلم في "صفة القيامة" / باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً (٦٧٢/٥) ط الشعب.]

بعد إن لا يعمل فيما قبله ، «خَلَقًا جَدِيدًا» : مصدر أو حال ، «أَوَلَمْ يَرَوْا» : ألم يعلموا ، «أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ» فإن خلقهم ليس بأشد من خلق السماوات والأرض ، «وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا» ، أي : القيامة عطف على أو لم يروا ، «لَا رَيْبَ فِيهِ» أو معناه أو لم يعلموا أن من قدر على خلق هذه الأجسام قادر على أن يخلقهم مثل ما كانوا أي : يعيدهم ويجعل لإعادتهم أجلاً مضروباً ومدة مقدرة لا بد من انقضائها^(١) ، «فَأَبَى الظَّالِمُونَ» : بعد قيام الحجة ، «إِلَّا كُفُورًا» جحوداً^(٢) بذلك الأجل أو بذلك الخلق ، «قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ» ، أنتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده ، «خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي» خزائن رزقه ونعمه ، «إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ» لبعثتم ، «خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ» أي : مخافة النفاد يقال : أنفق التاجر ذهب ماله ، «وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا» : بخيلاً .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٦﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعَوْتُ مَثُورًا ﴿١٧﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٨﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ آسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٩﴾﴾

(١) فعلى هذا المراد من الخلق إعادتهم وقوله : "وجعل" عطف على يخلق وليس فيه مانع / ١٢ وجيز .

(٢) ومن كفورهم أنهم علموا كمال قدرته - وأد أولادهم خشية إِملاق، ولما قالوا: (لن نؤمن لك حتي تفجر لنا) فطلبوا الأتهار لتكثر أقواتهم وتتسع معاشهم بين الله سبحانه أنهم لا يقنعون بل ييقون على بخلهم وشحهم فقال : " قل لو أنتم " الآية / ١٢ وجيز .

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾ وَقُرْءَانًا
 فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا
 تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا
 ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ
 يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٩﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا
 فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ
 سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي
 الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّلِّ وَكَبِيرَةً تَكْبِيرًا ﴿٢١﴾

﴿وَلَقَدْ﴾^(١) آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴿اليد والعصا والسنين ونقص الثمرات
 والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم﴾ ، وعن بعضهم بدل السنين ونقص الثمرات
 فلق البحر وحل العقدة التي بلسانه ، وأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي
 وقال "صحيح حسن" والنسائي وابن ماجه وابن جرير في تفسيره أن يهوديين سألَا
 النبي - صلى الله عليه وسلم - عن هذه الآية "ولقد آتينا موسى تسع آيات" فقال لا
 تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا
 تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرىء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا
 تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعتدوا في السبت فقبلاً يديه ورجليه"(*)

(١) ولما حكى عن قريش تعتهم باقتراح آيات ست سلى نبيه - صلى الله عليه وسلم - بما

جرى على موسى وقومه مع فرعون فقال : " ولقد آتينا موسى " الآية / ١٢ وحيز .

(٥) أخرجه أحمد في "مسنده" (٢٤٠/٤) والترمذي (٣٣٥٣-تحفة) وابن ماجه (٣٧٠٥)

مختصراً والحاكم في "المستدرک" (٩/١) والنسائي (١١١/٧).

فقال بعض المحدثين: لعل ذينك اليهوديين إنما سألا عن العشر الكلمات فاشتبه على الراوي بالتسع الآيات، فإن هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وأي مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين عليه ويدل عليه الآية التي بعده ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر" الآية، «فَاسْأَلْ»: يا محمد، «بَنِي إِسْرَائِيلَ» عن الآيات ليطمئن قلبك ويظهر للمشركين صدقك، «إِذْ جَاءَهُمْ» ظرف لآتيننا أوتقديره سل عن بني إسرائيل زمان ما جاءهم موسى حتى يخبروك عما وقع فيه، «فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْخُورًا» فتشبط عقلك، «قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ^(١) مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ»: الآيات، «إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ»: بينات تبصرك صدقي وهو حال، «وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا^(٢)»: هالكًا ملعونًا أومصروفًا عن الخير مطبوعًا على الشر، «فَارَادَ»: فرعون، «أَنْ يَسْتَفْزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ»: يخرج موسى

= من طريق : شعبة، عن عمرو بن مرة، عبد الله بن سلمة، عن صفقان بن عسال... فذكره.

قال الترمذي : "حسن صحيح" وقال الحاكم "حديث صحيح لا نعرف له علة بوجه من الوجوه ولم يخرجاه" وأقره الذهبي.

والحديث ضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف ابن ماجه" .

(١) قال ابن عباس -رضي الله عنه- علم فرعون ولكنه عاند قال الله تعالى: "وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً" (النمل: ١٤)، وهذه القراءة وهي نصب التاء أصح في المعنى وعليه أكثر القراء لأن موسى لا يحتج عليه بعلم نفسه ولا يثبت عن على رفع التاء لأنه روي عن رجل عن مراد عن على وذلك الرجل مجهول ولم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائي / ١٢ معالم .

(٢) يقال: ما بترك عن هذا أي : صرفك ومنعك وهذه المحاكاة بينهما بعد مدة من دعوته لفرعون لا أول الأمر/ ١٢ منه .

وقومه من أرض مصر ، «فَأَعْرِفْتَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ» : التي أراد أن يخرجكم منها، وهذا بشارة للمؤمنين بفتح مكة فإن هذه السورة نزلت قبل الهجرة ، «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ» أي : الدار الآخرة يعني القيامة ، «جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا» : جميعًا إلى الموقف ونحكم بينكم واللفيف الجماعات من قبائل شتي ، «وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ» أي : ما أنزلنا القرآن إلا متلبسًا بالحق المقتضي لإنزاله فيه أحكام الله وأوامره ونواهيهِ ، «وَبِالْحَقِّ نَزَلَ»^(١) وما نزل إلا بالحق الذي اشتمل عليه أو ما وصل إليك يا محمد إلا محروسًا محفوظًا من تخليط وتبديل ، «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا» : لمن أطاعك ، «وَنَذِيرًا» : لمن عصاك ، «وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ» : نزلناه مفرقًا منجمًا على الوقائع في ثلاث وعشرين سنة ، «لَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ» : مهل وتؤدة ، «وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا» : بنجومًا بعد نجوم ، «قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا» أي : سواء آمنتم به أم لا هو حق لا يزيد ولا ينقص منه شيء ، «إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ» ، من قبل القرآن ، أي عالمي أهل الكتاب ، «إِذَا يُنْقَلَى عَلَيْهِمْ» : القرآن ، «يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ» : يسقطون على وجوههم وذكر الذقن للمبالغة في الخشوع وهو تعفير اللحي على التراب أو أنه ربما خر على الذقن كالملغشي عليه لخشية الله واللام لاختصاص الخرور بالذقن ، «سُجَّدًا» : شكرًا لإنجاز وعده ولأن جعلهم ممن أدركوا هذا الرسول المنزل عليه هذا الكتاب ، «وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا» : عن خلف الوعد ، «إِنْ كَانَ» : إنه كان ، «وَعَدُ رَبَّنَا» في الكتب السالفة بإرسال رسول خاتم الرسل ،

(١) يقال أنزلت فلم ينزل إذا عرض له مانع من نزوله فقال : "وبالحق نزل" لإزالة هذا الاحتمال وقوله : "وبالحق أنزلناه" من دور على قوله : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن الآيات وهكذا طريقة كلام العرب وأسلوبه يأخذ في شيء ويستطرد منه إلى آخر ثم يعود إلى ما ذكره أولاً / ١٢ وحيز .

﴿لَمَفْعُولًا﴾ ، واقفًا كائنا ، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَنْكُونَ^(١)﴾ حال كونهم باكين لما أثر فيهم مواعظه كرره لتكرار الفعل منهم ، ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ سماع القرآن ، ﴿خَشُوعًا^(٢)﴾ : خضوعًا لربهم ، ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ نزلت حين يقول عليه السلام في سجوده يا رحمن يا رحيم فسمع رجل من المشركين وقال : إنه يزعم أنه يدعو واحدًا وهو يدعو اثنين والدعاء بمعنى التسمية وهو متعد إلى مفعولين كدعوته زيدًا ثم يترك أحدهما فيقال دعوت زيدًا والمراد من الله والرحمن الاسم لا المسمى وأو للتخيير أي : سمو بهذا الاسم أو بهذا ، ﴿أَيُّ مَا تَدْعُوا﴾ التنوين عوض عن المضاف إليه وما مزيدة للإيهام الذي في أي ، ﴿قُلْ﴾ الضمير لمسمى الاسمين فإن التسمية للذات لا للاسم ، ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى^(٣)﴾ أي : أي هذين الاسمين سميت فهو حسن؛ لأن له الأسماء الحسنى وهذان الاسمان منها ، ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ أي : بقراءة صلاتك

(١) والبكاء مستحب عند قراءة القرآن عن أبي هريرة ؟ رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبني في الضرع ولا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم) أخرجه الترمذي والنسائي وعن ابن عباس - رضي الله عنه - مرفوعًا عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله أخرجه الترمذي / ١٢ فتح .

(٢) ولما ذكر مقالات موسى وفرعون وإنجائه للتوحيد وإهلاكه مع قومه لادعائهم الشراكة وهذا البيان أنذر قريشًا ثم قال مخاطبًا لهم : " آمنوا به أو لا تؤمنوا) والإيمان يستلزم التوحيد الذي هو المطلوب الأصلي عنهم أمر نبيه أن يدفع عنهم شبهة نشأت لهم فقال (قل ادعوا) الآية / ١٢ وحيز .

(٣) فكأنه تعليم في أذكار السجود حين مدح سجود العلماء ولما قال (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) يحظر بالبال هل ندعوه جهرة أو خفية فقال : " ولا تجهر بصلاتك " الآية / ١٢ وحيز .

فيسمعها المشركون فيسبون القرآن ، «وَلَا تُخَافِتْ بِهَا» ولا تخفها عن خلفك من أصحابك ، «وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ»: بين الجهر والخفافة ، «سَبِيلًا» وسطًا وكان ذلك قبل الهجرة والمراد من الصلاة الدعاء ، «وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا» كما قالت اليهود عزيز ابن الله عليهم لعائن الله ، «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ» كما أثبتته النصرى والمشركون فإنهم أثبتوا الربوبية للمسيح والأصنام ، «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا» ، ناصر من الدن لا يحوم الدخور (*) جنابه ليجتاج إلى ولي يتعزز به ، وعن القرطبي أن الصابئين والجوس يقولون : لولا أولياء الله لذل. أثبت لنفسه الأقدس الأسماء الحسنى ونزه نفسه عن النقائص كمضمون "قل هو الله أحد" (الإخلاص: ١) ، «وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا»: عظمه عن الولد والشريك والولي عظمه تامه قد جاء في حديث أنه عليه السلام سماها آية العز وفي بعض الآثار ما قر في ليلة في بيت فيصبيه سرقة^(١) أو آفة .

(٥) كذا في الاصل وفي نسخة : لا يحوم الذل حول جنابه.

(١) ذكرهما الشيخ عماد الدين ابن كثير في تفسيره وما خرجهما، هذا ما في المنهية والوجيز وفي الفتح عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يعلم أهله هذه الآية "الحمد لله" إلخ الصغير من أهله والكبير، أخرجه ابن جرير وأخرج عبد الرزاق في المصنف عن عبد الكريم بن أبي أمية قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم الغلام من بني هاشم إذا أفصح سبع مرات "الحمد لله الذي" إلى آخر السورة، وروى الإمام أحمد في مسنده عن معاذ الجهني عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يقول: "آية العز الحمد لله" إلخ / ١٣. [أخرجه أحمد في "مسنده" (٤٣٩/٣) وذكره الهيثمي في "المجمع" (٥٢/٧) وأشار إلى انه طرقا يصلح بها. وذكر السيوطي في "الدر المنثور" (٣٧٦/٤) ونسبه لأحمد والطبراني.]

سورة الكهف مكية

قيل إلا "قوله واصبر نفسك" الآية.

وهي مائة وإحدى عشر آية واثنان عشر ركوعاً

سَمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ ﴿١﴾ قَيِّمًا
لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ
لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ ﴿٢﴾ مَتَكِنِينَ فِيهِ أَبَدًا ۖ ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ
وَلَدًا ۖ ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن
يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۖ ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَّفْسِكَ عَلَىٰ عَاقِبِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا
بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۖ ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۖ ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ
أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ۖ ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى
الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۖ ﴿١٠﴾
فَضَرَبْنَا عَلَىٰ ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۖ ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ
الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۖ ﴿١٢﴾﴾

﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ رتب الحمد على إنزاله القرآن على
عبده سيد السادات عليه الصلوات والتسليمات؛ لأنه أجل نعم وأعظم كرم، فإنه سبب
جميع السعادات ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ شيئاً من العوج، لا في ألفاظه، ولا في معانيه
﴿قَيِّمًا﴾: مستقيماً معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط، فقليل قيماً على سائر الكتب مصداقاً

لها، منصوب بقدر، أي: جعله قيماً، أو حال من الكتاب على أن عطف ولم يجعل بياني حتى لا يلزم العطف قبل تمام الصلة كأنه قال: أنزل على عبده الكتاب الكامل الذي لا يسمى غيره في جنبه الكتاب ﴿لِيُنْذِرَ﴾: الكافرين ﴿بِأَسَاءَ﴾: عذاباً ﴿شَدِيدًا﴾: صادراً ﴿مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾: الجنة ﴿مَا كَثِيرٌ فِيهِ﴾: في الأجر ﴿أَبَدًا﴾: دائماً ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ أي: ينذرهم ببأس شديد وخصهم من بين الكفار بالذكر لغلط كفرهم ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾^(١) أي: يقولون عن جهل وافتراء وضمير به إما إلى الولد أو إلى الاتخاذ أو إلى القول ﴿وَلَا لِبَائِهِمْ﴾: الذين قالوا ذلك ﴿كَبُرَتْ﴾: عظمت مقالتهم هذه في الكفر ﴿كَلِمَةً﴾ تمييز، وهو أبلغ من كبرت كلمتهم ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ صفة للكلمة^(*) مفيدة لاستعظام اجترائهم، فإن هذه الكلمة الردية الشنيعة التي لو خطرت ببال لا يليق أن تظهر بحال هم تكلموا بها ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ﴾: قاتل ﴿نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ إذا أعرضوا عن الإيمان، شبهه لما تداخله من الأسف على إعراضهم برجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على فراقهم وآثارهم ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ هَذَا الْحَدِيثِ﴾: القرآن ﴿أَسَفًا﴾ لفرط^(٢) الحزن ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾: مما يصلح أن يكون زينة ﴿زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ﴾: نختبرهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٣): في تناوله وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾: من الزينة

(١) وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل بالطريق الموصل إليه، وإما لأنه في نفسه محال لا يتفق تعلق العلم به، وهذا من الثاني/١٢ وجيز.

(٢) وفي النسخة (ن): لكلمة.

(٢) ولما منعه من هلاك نفسه تأسفاً لله بقوله: "إنا جعلنا ما على الأرض" الآية/ ١٢ وجيز.

(٣) فلا بد منهم من لم يحسن العمل، فلا تحزن على من قضينا عليه الشقاوة/ ١٢ وجيز.

﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾^(١): مثل أرض ملساء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء في إزالة بهجته وإبطال حسنه يعني نمت الحيوانات، ونجف النباتات وهو ترغيب في الزهد عنها. ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ بل أحسبت ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾: الغار الواسع في الجبل ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ هو لوح من رصاص، أو حجر موضوع على باب كهفهم مكتوب فيه أسماءهم، أو اسم لذلك الجبل أو الوادي، أو لقرية^(٢) هم خرجوا منها ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا﴾: آية ﴿عَجَبًا﴾ فإن قصتهم بالإضافة إلى ما خلقنا على وجه الأرض من أنواع الحيوانات وغيرها ليس بعجيب. ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ﴾^(٣) إِلَى الْكَهْفِ: صاروا إليه

(١) فيه إشارة إلى التزهيد في الدنيا والرغبة عنها، وتسلية له صلى الله عليه وسلم عما تضمنته أيدي المترفين من زينتها، إذ مال الكل إلى الفناء، ولما كان لنبلوهم أيهم أحسن عملا دالا على البعث الذي نفاه المعاندون أتى بواقعة مبينة للبعث فقال: "أَمْ حَسِبْتَ" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) جميع ما نقلنا في تفسير الرقيم أقوال السلف واختار ابن جرير إنه فعيل بمعنى مفعول أي: مرقوم أي: شيئا مكتوبًا نحو كتاب مرقوم/ ١٢ منه. وفي المراد من الرقيم اختلاف كثير والظاهر أنه الفئة المذكورون هنا، وقيل: هم قوم حالهم كأصحاب الكهف أخبر الله عن حال أصحاب الكهف ولم يخبر عنهم/ ١٢ وجيز.

(٣) الفتية جمع فتى وهو الطري من الشباب، فكانوا في سن الشباب مردًا، وكانوا سبعة خرجوا من مدينتهم خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار، حيث أمروهم بعبادة غير الله وكذلك ملك المدينة، أمرهم بما ذكر، واسمه دقيانوس ومدينتهم اسمها أفسوس عند أهل الروم؛ لأنها من مدائنهم، واسمها عند العرب طرسوس، فلما أمروهم بعبادة غير الله ذهب كل واحد منهم إلى بيت أبيه وأخذ منه زادًا ونفقة وخرجوا فارين هارين حتى أووا إلى كهف في جبل قريب من المدينة، فاختفوا فيه، وصاروا يعبدون الله ويأكلون ويشربون ويعثون أحدًا منهم خفية ليشتري لهم الطعام من المدينة وهم خائفون من اطلاع أهل المدينة عليهم فيقتلوهم لعدم دخولهم في دينهم، فجلسوا يومًا

وسكنوا فيه هم من أهل الروم، قصد دقيانوس تعذيبهم ليرجعوا إلى الشرك فهربوا
 بدينهم إلى الكهف^(١) ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ ترحمنا بها وتسترنا من
 أعين قومنا ﴿وَهَيَّئْ لَنَا﴾: يسر لنا ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾: الذي نحن فيه من الفرار عن الكفار
 ﴿رَشْدًا﴾: نصير بسببه راشدين مهدين ﴿فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ أي: ضربنا عليها
 حجابًا من أن تسمع يعني أثمانهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات، فحذف المفعول
 كما يقال: بنى على امرأته أي: القبة ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ﴾ ظرفان لضربنا ﴿عَدَدًا﴾
 أي: ذوات عدد ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾: أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾: ليتعلق علمنا تعلقًا حاليًا، أو
 لنعلم علم المشاهدة ﴿أَيُّ الْحَزْبَيْنِ﴾ المختلفين منهم ﴿أَخْصَى﴾ أضبط ﴿لِمَا لَبِثُوا
 أَمَدًا﴾ أي: أضبط أمدًا لزمان لبثهم فإنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك كما قال تعالى:
 "قال قائل منهم كم لبثتم" الآية، أو المراد من الحزبين غيرهم، فقد ذكر أن أهل قريتهم
 تنازعوا في مدة لبثهم ولصدارة أي لما فيه من معنى الاستفهام علق لنعلم عنه فهو مبتدأ،
 وأحصى الذي هو فعل ماضٍ خبره، وأمدًا مفعوله .

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى
 ١٢ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ
 نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ١٣ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ
 دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى
 اللَّهِ كَذِبًا ١٤ وَإِذْ أَعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْدَأُ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ
 لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ١٥﴾ * وَتَرَى الشَّمْسَ

= بعد الغروب يتحدثون فألقى الله عليهم النوم وذلك قوله تعالى: "فضربنا على آذانهم" إلخ

إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا عَزَبَتْ تُقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ
وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِلْ
فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿٦٧﴾

﴿لَنُخْزِنُ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَاهُهم بِالْحَقِّ﴾: الصدق، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾: شبان ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ
وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾: بالتبثبث ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: قويناهم بالصبر والثبات ﴿إِذْ
قَامُوا﴾: بين يدي دقيانوس ملكهم حين دعاهم إلى الكفر، وأوعد بأنواع العذاب، ثم
القتل إن خالفوا ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُو مِن دُونِهِ إِلَهًا﴾
فإنه يأمرهم بعبادة الأصنام ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا^(١)﴾ أي: إن دعونا غير الله، والله
لقد قلنا قولاً ذا بعد عن الحق ﴿هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ ﴿قَوْمُنَا﴾ عطف بيانه ﴿اتَّخَذُوا مِن
دُونِهِ^(٢) آلِهَةً لَّوَلَا﴾: هلاً ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِمُ﴾ أي: على عبادهم^(٣) ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾:
بدليل واضح فإن ديناً لا دليل عليه فهو باطل ﴿فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا﴾: فإنهم افتروا عليه أن له شركاء ﴿وَإِذِ اعْتَرَضْتُهُمْ^(٤)﴾ خطاب بعضهم لبعض

(١) قوله: "لقد قلنا إذا شططاً" إلى قوله: "فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً" استدلت تعالى
على عدم الشركاء بعدم الدليل عليها، فثبت أن الاستدلال بعدم الدليل على عدم
المدلول طريقة قوية، ثم قال: "فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً" يعني أن الحكم
بثبوت الشيء مع عدم الدليل عليه ظلم وافتراء على الله وكذب، وهذا من أعظم
الدلائل على فساد القول بالتقليد/ ١٢ مفاتيح الغيب المعروف بالكبير.

(٢) وفي هذا الإخبار معنى الإنكار وفي الإشارة إليهم تحقير لهم/ ١٢ فتح.

(٣) قال الزمخشري: وفي الآية دليل على فساد التقليد، وأنه لا بد في الدين من الحجة حي
يثبت ويتضح/ ١٢ فتح.

(٤) خطاب من بعضهم لبعض والاعتزال شامل لمفارقة الأوثان ومعتقدات قومهم فهو
اعتزال جسماني وقلبي/ ١٢ وحيز.

والعامل فيه الجزاء ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ عطف على مفعول اعتزل، وهم يعبدون الأصنام مع الله ﴿فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ﴾: ييسر ﴿لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: رحمة يستركم بها من قومكم ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ﴾: الذي أنتم فيه ﴿مَرْفَقًا﴾^(١): ما تنتفعون به^(٢) ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ﴾: لو رأيتمهم ﴿إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوُرُ﴾: تميل^(٣)، ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ فلا يقع شعاعها عليهم لتحترق أبدانهم ولباسهم ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾: جهته، ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ﴾: تقطعهم وتعديل عنهم، ﴿ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ﴾: متسع، ﴿مِنْهُ﴾: من الكهف فلا يؤذيهم حر الشمس وينالهم روح الهواء وذلك إذا كان باب الكهف على بنات^(٤) النعش فيقع الشعاع على جنبه وهم في وسطه فيحلل عفونته ويعدل هواءه، وعند بعضهم أن الله صرف عنهم الشمس بقدرته وحال بينها وبينهم لا لأن باب الكهف على جانب لا تقع الشمس إلا على جنبه ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ حيث أرشدهم إلى غار كذلك ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ﴾: ولم يرشده ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾: من يلي أمرهم ويرشده.

(١) أي: من أمركم الذي أنتم فيه ما تنتفعون به من أمر المعيشة وغيره. هنا جمل محذوفة دل عليها ما تقدم، والتقدير: "فأروا إلى الكهف" فألقى الله عليهم النوم واستجاب دعائهم "وترى الشمس" الآية/ وجيز.

(٢) وإنما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه، أو أخبرهم به نبي عصرهم/ ١٢ فتح.

(٣) وتعديل وتنحي/ ١٢ فتح.

(٤) بنات النعش وهي الكبرى والصغرى هفت ستاركان در شمال وجنوب چهار ازوی دانعش وسه رابناة كویند/ ١٢ صراح.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيِقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ
بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ
رُعبًا ۝﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ
قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَيْبُكُمْ أَكْثَرُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ
بِوَرَقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ
وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ
يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ۝﴾ وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ
لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ
أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَأَيْتُمْ أُعْلِمَ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى
أَمْرِهِمْ لَنْتَحِدَبَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۝﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ
وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ
وَأَمِنْهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ
إِلَّا مِرَاءَ ظَهْرٍ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝﴾

﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيِقَاطًا﴾: لانفتاح عيونهم ليصل إليها روح الهواء جمع يقط، كأنكاد في
نكد ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾: نيام ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾^(١) ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴿لئلا تَأْكُل
الأرض لحومهم، عن ابن عباس في كل سنة مرة، وعن بعضهم مرتين ﴿وَكَلْبُهُمْ﴾^(٢)

(١) ظاهر كلام المفسرين أن التقلب من فعل الله ويجوز أن يكون من ملك بأمر الله والأول
أولى ١٢/فتح.

(٢) قال مجاهد اسم كلبهم تظمورا وعن الحسن اسمه قطمير وقيل: ريان وصهيان قيل كان
كلبا أعز، وقيل: فوق القلطي، ودون الكرزي والقلطي كلب صيني وقيل كان أصفر

بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ^(١)﴾ بالفناء وقيل: بالعتبة خارج الكهف؛ لأن الملك لا يدخل بيتاً فيه كلب^(*) والأصح أنه كلب صيد لأحدهم وقد نقل أنه كلب تبعهم فطردوه فأنطقه الله وقال: أنا أحب أحباء الله ناموا وأنا أحرصكم، ﴿لَوْ اِطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾: نظرت إليهم ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ﴾ هربت وأعرضت عنهم ﴿فِرَارًا﴾ حال أو مفعول له أو مصدر ﴿وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا^(٢)﴾: خوفاً يملأ صدرك لمهابتهم ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾: كما أمتناهم آية بعثناهم كذلك ﴿لِيَتَسَاءَلُوا^(٣)﴾: يسأل بعضهم بعضاً مدة لبثهم فيعرفوا حالهم فيزداد يقينهم ﴿قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا^(٤)﴾ يَوْمًا أَوْ

= وقيل أسمر اللون، ولا أدري أي تعلق لهذا التدقيق والتحقيق بتفسير الكتاب العزيز وما الذي حملهم على هذا الفضول الذي لا مستند له في السمع ولا في العقل ١٢/فتح.

(١) وفي هذا تسلية وأنس للمؤمنين المقصرين عن درجات الكمال المحبين للصالحين وللأنبياء والعلماء المخالطين للأولياء والأصفياء/١٢.

(*) وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة"، أخرجه البخاري في "اللباس"، باب: التصاوير، (٢٩٤٩)، وفي مواطن كثيرة من صحيحه، ومسلم في اللباس والزينة، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان، (٢١٠٦).

(٢) وسبب الرعب الهيبة التي ألبسهم الله إياها، وقيل طول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم ووحشة مكانهم، ذكره المهدي والنحاس والزجاج والقشيري ويدفعه قوله: "لبثنا يوماً أو بعض يوم" فإن ذلك يدل على أنهم لم ينكروا من حالهم شيئاً ولا وجدوا من أظفارهم وشعورهم ما يدل على طول المدة قال ابن عطية: والصحيح في أمرهم أن الله عز وجل حفظ بهم الحالة التي ماتوا عليها لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية فلم يبل لهم ثوب ولم تتغير لهم صفة ولم ينكر الناهض إلى المدينة إلا معالم الأرض والبناء، ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليهم أهم، ذكره القرطبي/١٢/فتح.

(٣) واللام للضرورة نحو لدوا للموت/١٢.

(٤) وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب/١٢/فتح.

بَعْضُ^(١) يَوْمٍ^(٢) فإنه غالب مدة نوم نائم كأنهم دخلوا غدوة وانتبهوا عشية، ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ كأنه حصل لهم بعض تردد في طول مدتهم لطول أظفارهم وأشعارهم ﴿فَابْعَثُوا﴾ يعني لا يصل علمكم إليه فاتركوا المقال وابعثوا ﴿أَحَدُكُمْ بَوْرَقُكُمْ﴾: فضتكم، ﴿هَذِهِ﴾ فإنه كان معهم دراهم ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ أي: إلى المدينة التي خرجتم عنها وهي طرسوس ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا﴾ أي: أهل تلك المدينة ﴿أَزَكَى طَعَامًا﴾: أحل وأطهر، فإن في المدينة المؤمن والكافر ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: في الذهاب والإياب والمعاملة حتى لا يطلع على حاله أحد ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: لا يفعلن ما يؤدي إلى شعور أحد بكم ﴿إِنَّهُمْ﴾: أهل المدينة ﴿إِنْ يَظْهَرُوا﴾: يظفروا ﴿عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾: يقتلوكم بأفصح أنواعه ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾: كرها والعود بمعنى الصيرورة، أو كانوا على دينهم فهداهم الله للإيمان ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَّا﴾: إن دخلتم في دينهم ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ﴾ أي: كما أئمناهم وأيقظناهم أطلعنا عليهم ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ أي: ليعلم من يطلع عليهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: بالبعث ﴿حَقٌّ﴾: يقاس الموت والبعث بتلك الرقدة، والإيقاظ ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ آتية ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ فإن من حفظ أبدانهم من التفتت ثلاثمائة سنين يمكن له حفظ النفوس إلى أن يحشر أبدانها ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ﴾ ظرف لأعثرنا ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ﴾: أمر دينهم، فإن لأهل ذلك الزمان^(٣) شكًا في البعث فمنهم من قال: يبعث الأرواح لا الأجساد فيبعثهم

(١) وقد استدلل ابن عباس أن الصحيح أن عددهم سبعة؛ لأنه قال في الآية: "قال قائل منهم كم لبثتم" وهذا واحد، وقالوا في جوابه: "لبثنا يومًا أو بعض يوم" وهو جمع وأقله ثلاثة ثم قالوا: "ربكم أعلم بما لبثتم" وهو قول جمع آخرين فصاروا سبعة/١٢ منه.

(٢) الظاهر صدور الشك من المسئولين/١٢.

(٣) صرح بذلك ابن عباس وعكرمة وغير واحد من السلف/١٢ منه.

الله حجة لمن يقول تبعث الأرواح والأجساد معاً، أو التنازع في البنيان فقال المسلمون: نبي عليهم مسجداً يصلى فيه الناس، لأنهم على ديننا والمشركون يقولون: نبي نبياً لأنهم من أهل نسبنا أو التنازع في مدة لبثهم وعددهم **﴿فَقَالُوا﴾** أي: المرتابون في البعث^(١) **﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾** أي: سدوا عليهم باب الكهف وذروهم على حالهم فإن ربهم أعلم بحالهم وقيل: هذا يدل على أن التنازع في مدة اللبث أو العدد **﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾** وهم المؤمنون وكانوا غالبين في ذلك الوقت **﴿لَتَنَخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾** حكى أن المبعوث إلى الطعام لما أخرج الدرهم للطعام أخذوا درهما واهتموه بوجدان كثر؛ لأن الدرهم على ضرب لم يروه فسألوه عن أمره فقال: أنا من هذه المدينة وعهدي بها عشية أمس وضربه ضرب دقيانوس، فنسبوه إلى الجنون فحملوه إلى ولي أمرهم فأخبرهم بأمره فقام متولى البلد وأهلها معه حتى انتهى إلى الكهف فقال: دعوني أتقدم في الدخول فعمى عليهم المدخل وأخفى الله عليهم فبنوا ثم مسجداً، وعن بعضهم: دخلوا عليهم ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم ثم كلمهم وودعهم فتوفاهم الله **﴿سَيَقُولُونَ﴾**: القائلون أهل الكتاب والمؤمنون في عهد نبينا عليه الصلاة والسلام **﴿ثَلَاثَةٌ﴾** أي: هم ثلاثة رجال **﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾** أي: يرمون رمياً بلا علم كمن يرمي إلى مكان لا يعرفه، فإنه لا يكاد يصيب، وإن أصاب فبلا قصد والقائل بهما أهل الكتاب **﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾** والقائل هم المؤمنون **﴿وَوَثَامِنُهُمْ﴾**^(٢) **﴿كَلْبُهُمْ﴾** وفائدة

(١) لئلا يتطرق الناس إليهم كما حفظت تربة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحظيرة/١٢فتح.

(٢) روى أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى أهل نجران كانوا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقال السيد وكان يعقوبياً: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال العاقب وكان نسطورياً: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال

هذا الواو بين الصفة والموصوف تأكيد لصوقها به والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهي التي آذنت بأن هذا القول منهم لا عن رجم بالغيب، بل عن دليل وعلم **﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾** من الناس وقد صح^(١) عن ابن عباس أنه قال: أنا من ذلك القليل كانوا سبعة* **﴿فَلَا تُمَارِ﴾**^(٢): لا تجادل **﴿فِيهِمْ﴾**: في شأن الفتية **﴿إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾**: سهلاً هيناً، فإن معرفته لا يترتب عليه كثير فائدة، فلا تُجَهِّلُهُمْ ولا ترد عليهم **﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾**: لا تسأل عن قصتهم أحداً منهم، فإنهم لا يقولون إلا ظناً بالغيب.

= المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، فحقق الله قول المسلمين بعدما حكى قول النصارى فقال: "سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم" ١٢/معالم.

(١) نقله ابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس وكذا روى ابن جريج عن عطاء الخراساني عنه ١٢/منه.

(*) الدر المنثور للسيوطي (٣٩٣/٤) وعزاه إلى الطبراني في الأوسط وصححه سنده.

(٢) قال ابن عباس: يقول حسبك ما قصصت عليك ثم استثنى سبحانه من المراء ما كان ظاهراً واضحاً فقال إلا مراء ظاهراً أي: غير متعمق فيه وهو أن يقص عليهم ما أوحى الله إليه، فحسب من غير تجهيل لهم ومن غير رد عليهم، وقال الرازي: هو أن لا يكذبهم في تعيين ذلك العدد، بل يقول: هذا التعيين لا دليل عليه، فوجب التوقف ثم نهى سبحانه عن الاستفتاء في شأنهم، فقال: "ولا تستفت فيهم منهم أحداً"؛ لأن المفتي يجب أن يكون أعلم من المستفتي، وهاهنا الأمر بالعكس ولا سيما في واقعة أهل الكهف، وفيما قص الله عليك في ذلك ما يغنيك عن سؤال ما لا علم له، قال ابن عباس: يعني اليهود، وقال القرطبي: النصارى وهم الأولى، قال البيضاوي: لا تسأل سؤال مسترشد ولا سؤال متعنت يريد فضيحة المسئول وتزييف ما عنده، فإنه يخل بمكارم الأخلاق، وفي الآية دليل على منع المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم/١٢.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ ١٦ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ١٧ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ١٨ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ١٩ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ٢٠ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ٢١ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ٢٢ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ٢٣ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٤﴾

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ أي: لأجل شيء تعزم عليه ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ﴾: الشيء، ﴿غَدًا﴾ أي: فيما يستقبل من الزمان، ولم يرد خصوصية الغد ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: إلا بأن يشاء الله، أي: متلبسًا بمشيئته، يعني إلا أن يقول إن شاء الله، فهو استثناء من النهي، نزلت حين سأل أهل مكة عن الروح وأصحاب الكهف وذوي القرنين، فقال عليه السلام: "أخبركم غدا"، ولم يقل إن شاء الله، فلبث الوحي أيامًا ثم نزلت هذه

الآية تعليمًا وتأديبًا، وقيل معناه: لا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله، بأن يأذن لك فيه ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ﴾ أي: مشيئته، وقل إن شاء الله ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾: إذا فرط منك نسيان، يعني: إذا أنسيت كلمة الاستثناء ثم تنبعت عليها فتداركها بالذكر. وعن ابن عباس: للحالف أن يستثنى ولو بعد سنة، قال ابن جرير: السنة أن يقول ذلك حتى ولو كان بعد الحنث، ليكون أتيا بسنة الاستثناء لا لأن يكون رافعًا للحنث مسقطًا للكفارة، وقال: هذا هو الصحيح الأليق بحمل كلامه عليه، وقد نقل عن ابن عباس إن هذا خاصة برسول الله -صلى الله عليه وسلم- أي إنه لا يحنث إن استثنى ولو بعد سنين، وقيل معناه إنه تعالى أرشد من نسي الشيء من كلامه إلى أن يذكر الله، فإن النسيان منشؤه الشيطان، وذكر الله يطرده فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ أي: يدلي ويعطيني من الآيات الدالة على نبوتي ما يكون أقرب وأدل في الرشد من قصة أصحاب الكهف، وقيل معناه إذا سُئِلْتُ عن شيء لا تعلمه فتوجه إلى الله في أن يوفئك لأقرب طريق إليه وقيل معناه واذكر ربك إذا نسيت شيئًا، واذكر ربك أن تقول عند نسيانه عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل المنسى أقرب من المنسى رَشَدًا ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ هذا إخبار من الله بمقدار لبثهم منذ أرقدهم الله إلى أن بعثهم، وسنين: عطف بيان لثلاثمائة عند من قرأ مائة بالتنوين ﴿وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾^(١) فإن مقداره ثلاث مائة سنة وتسع بالهلالية، فيكون بالشمسية ثلاث مائة سنة، لأن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾^(٢) فلا

-
- (١) ولما كان الخطاب للعرب وحسبهم القمرية زيدت التسع لاتفاق الحساين/١٢ وجزير.
- (٢) اختلف الناس في زمان أصحاب الكهف وفي مكانهم، أما الزمان الذي حصلوا فيه، فقيل: إنهم كانوا قبل موسى عليه السلام وإن موسى ذكرهم في التوراة، ولهذا السبب؛ اليهود سألوا عنهم، وقيل: دخلوا الكهف قبل المسيح، وأخبر المسيح بخبرهم، ثم بعثوا في

تختلفوا بعد ما أخبركم الله بمدته ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جملة مستأنفة لتعليل الأعلمية وعن قتادة أن قوله ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة حكاية قول أهل الكتاب^(١) وقد رده الله بقوله: "قل الله أعلم" والأول قول أكثر السلف والخلف ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ هما صيغتا التعجب أي: ما أبصره وما أسمع، فالضمير الراجع إلى الله فاعل والباء صلة ﴿مَا لَهُمْ﴾ الضمير لأهل السماوات والأرض ﴿مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَلِي﴾: يلي أمرهم ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾: الله ﴿فِي حُكْمِهِ﴾: قضائه ﴿أَحَدًا﴾: منهم ﴿وَأَنزَلَ﴾^(٢) مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ: من القرآن ﴿لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾: لا أحد يقدر على تبديلها ﴿وَلَنْ

= الوقت الذي بين عيسى عليه السلام وبين محمد - صلى الله عليه وسلم، وقيل: إنهم دخلوا الكهف بعد المسيح وحكى القفال هذا القول عن محمد بن إسحاق، وقال قوم: إنهم لم يموتوا ولا يموتون إلى يوم القيامة، وأما مكان هذا الكهف فحكى القفال عن محمد بن موسى الخوارزمي النجم أن الواثق أنفذه ليعرف حال أصحاب الكهف إلى الروم، قال: فوجه ملك الروم معي أقوامًا إلى الموضع الذي يقال إنهم فيه، قال: وإن الرجل الموكل بذلك الموضع منعني من الدخول عليهم، قال: فدخلت ورأيت الشعور على صدورهم، قال: وعرفت إنه تمويه واحتيال، وإن الناس كانوا قد عاجلوا تلك الجثث بالأدوية المجففة، لأبدان الموتى لتصورها عن البلى مثل التلطix بالصبر وغيره، ثم قال القفال: والذي عندنا لا يعرف أن ذلك الموضع هو موضع أصحاب الكهف، أو موضع آخر، والذي أخبر الله عنه وجب القطع به ولا عبرة بقول أهل الروم إن ذلك الموضع هو موضع أصحاب الكهف، وأقول: العلم بذلك الزمان وبذلك المكان ليس للعقل فيه مجال، وإنما يستفاد ذلك من نص وذلك مفقود وثبت أنه لا سبيل إليه ١٢/ كبير ملخصا.

- (١) وكان في مصحف عبدالله قالوا لبثوا في كهفهم/ كذا في البحر ١٢ وحيز.
 (٢) ولما أنزل ما أنزل من قصة أهل الكهف التي سألوها امتحانًا أمره بأن يقص على معاصريه ما أوحى إليه في شأنهم وفي غيرهم فقال: واتل ما أوحى "الآية/ ١٢ وحيز.

تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا: ملجأ تعدل إليه إن لم تتل ولم تتبع ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾: احبسها ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: طرقي النهار ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: يريدون الله لا عوضاً من الدنيا نزلت في أشراف قريش حين طلبوا أن يفرد لهم مجلساً لا يكون فقراء الصحابة^(١) فيه ولذلك قال الله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾: لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الغنى والزينة، واستعماله بعن مع أنه مستعمل بغير واسطة لتضمينه معنى نبا^(٢) يقال: نبت عنه عينه إذا ازدرتة ولم تتعلق به ﴿تُرِيدُ﴾ حال من كاف عينك ﴿زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: مجالسة الأشراف ﴿وَلَا تُطِعْ﴾: في تباعد الفقراء ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾: جعلنا قلبه غافلاً ﴿عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾: متقدماً للصواب نابذاً له وراء ظهره يقال: فرس فرط، أي: متقدم للخيال ﴿وَقُلْ﴾: يا محمد ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: هذا هو الحق حال كونه من ربكم أو الحق ما يكون من ربكم ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾: فإني لا أبالي وهو تخيير بمعنى التهديد ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾: هيأنا ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: نسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار أو دخالها ﴿وَأَنْ يَسْتَغِيثُوا﴾: من العطش ﴿يَعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾: كمذاب النحاس عن ابن عباس هو ماء غليظ كدردي الزيت ﴿يَشْوِي الْوُجُوهُ﴾: من حره إذا قدم ليشرب ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾: المهل ﴿وَسَاءَتِ﴾: النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾: متكئاً أو متزلاً ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ قوله: "من أحسن عملاً" هو عين من آمن وعمل صالحاً فجاز أن يكون "إننا لا نضيع" خير إن أو تقديره إننا لا نضيع

(١) الذين يؤذوننا رائحة جبيهم كعمار وابن مسعود وصهيب وسلمان وبلال - رضي الله

عنهم وأرضاهم/ ١٢ وجيز.

(٢) نبا كمنع: ارتفع/ قاموس.

أجر من أحسن عملا منهم أو هو جملة معترضة وخبره قوله: ﴿أَوَّلِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها يقال: عدن بالمكان، إذا أقام فيه ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ أي: من تحت غرفهم ﴿الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ﴾: يزينون ﴿فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ جمع أسورة أو أسوار في جمع سوار ومن للابتداء ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ صفة أساور، ومن للبيان ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ﴾: رقيق الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: غليظ منه فإن ما يلي البدن رقيق وما فوقه غليظ كما في الدنيا ﴿مُتَكِينِينَ فِيهَا﴾: الاتكاء الاضطجاع أو التربع في الجلوس ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: السرر، ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾: الجنة ونعيمها ﴿وَحَسُنَتْ﴾: الأرائك أو الجنات ﴿مُرتَفَقًا﴾: متكئا أو متزلا .

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿١﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٢﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٤﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٥﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٦﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٧﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٨﴾ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٩﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿١٠﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا

أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٧﴾
وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٨﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ
لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٩﴾

﴿وَأَضْرِبْ﴾^(١) لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ بيان لمثلاً، أو بدل لحذف المضاف أي مثل رجلين
قيل: هما أخوان من بني إسرائيل ورثا مالا فاشترى أحدهما بميراثه ضياعاً وزينة، وصرفه
الآخر في وجوه الخير ﴿جَعَلْنَا﴾ الجملة بيان التمثيل أو صفة رجلين ﴿لأَحَدِهِمَا
جَنَّتَيْنِ﴾: بستانين ﴿مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ أي: جعلنا النخل محيطة بهما
والباء للتعدية إلى المفعول الثاني يقال: حففته بهم إذا جعلتهم حافين حوله ﴿وَجَعَلْنَا
بَيْنَهُمَا﴾: وسط النخل والكرم ﴿زَرْعًا كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾ وإفراد الضمير
لإفراد كلتا ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ﴾: تنقص ﴿مِنْهُ﴾: من أكلها ﴿شَيْئًا﴾: كما يعهد نقصها في
سائر البساتين ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا﴾: وسط الجنتين ﴿نَهْرًا وَكَانَ لَهُ﴾: لصاحب
البستانين ﴿ثَمَرٌ﴾: أنواع من المال ﴿فَقَالَ﴾^(٢) لِصَاحِبِهِ^(٣): الذي صرف ميراثه لوجه

(١) أي هلولاء المتحجرين الطالبين طرد الضعفاء من المؤمنين لفقرهم المفتخرين بما هو في
معرض الزوال من الأنصار والمال "مثلا رجلين" الآية/ ١٢ وحيز.

(٢) حاصل ما قاله الكافر من القول الشنيع ثلاث مقالات:

الأولى: أنا أكثر منك مالا إلخ، الثانية: ودخل جنته إلخ. الثالثة: وما أظن الساعة قائمة
إلخ. وقد تعقبه المؤمن في الثلاثة على سبيل اللف والنشر المشوش فوجبه على الأخيرة
بقوله: "أكفرت بالذي خلقتك" إلخ ووعظه ونصحه على الثانية بقوله: "ولولا إذ دخلت
جنتك" إلخ وقرعه على الأولى بقوله: "فعسى ربي" إلخ/ ١٢ فتوحات الإلهية للشيخ سليمان
الجميل.

(٣) وهذا دال على أنه ليس أخاه/ ١٢ وحيز.

الله ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾^(١): يراجعه في الكلام لا أنه يجادله ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ حشماً وعشيرة وأولادا ذكوراً ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾: حين أخذ بيد صاحبه وأدخله بستانه يطوف به فيها يفاخره بها ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: بسبب عجبه وكفره ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ﴾: تفنى ﴿هَذِهِ أَبَدًا﴾: راقه حسننها وغرته زهرتها فتوهم أنها لا تفنى، والله در صاحب الكشاف حيث قال: وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه^(٢) ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾: كائنة، ﴿وَلَكِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ يعني: وإن فرضنا حقيقة البعث ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا﴾: من الجنة ﴿مُنْقَلَبًا﴾: مرجعاً وعاقبة؛ لأنه ما أعطاني في الدنيا إلا لاستئها لي لذلك والآخرة لو كانت خير وأبقى ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ﴾: المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكْفَرْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ﴾ أي: خلق^(٣) أصل مادتك ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: فإنها مادتك القرية ﴿ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾: عدلك وملكك إنساناً ذكراً بالغاً ﴿لَكِنَّا﴾ أصله: لكن أنا، حذف الهمزة وأدغمت النونان ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن ﴿اللَّهُ رَبِّي﴾ والجملة خير أنا، كأنه قال أنت كافر لكني مؤمن^(٤) ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ

(١) أي: حال كونه يراجعه في الكلام ولا يغاضبه/١٢ وجيز.

(٢) والأمر كما قال، قال الله تعالى: "الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أحلده" (الهمزة: ٢، ٣)، فإنه لفرط غروره وطول أمله لا يخطر الموت بباله فيعمل أعمال ما يظن الخلود/١٢ وجيز.

(٣) فإن آدم من تراب وقيل: أراد أن ماء الرجل يتولد من أغذية راجعة إلى التراب/١٢ وجيز.

(٤) والاستفهام في "أكفرت" لما كان للتوبيخ والتقدير أدى هذا المؤدى ولا شك أن الكفر يقابله الإيمان، فجاز الاستدراك/١٢ منه كأنه قال: أنت كافر بالله لكن أنا مؤمن/١٢ بيضاوي.

جَنَّتَكَ قُلْتُ» أي: هلا قلت حين دخلت «مَا شَاءَ اللَّهُ» ما موصولة أي: الأمر ما شاء الله أو ما شاء كائن «لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» إقراراً بأنها بمشيئته إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها واعترافاً بالعجز على نفسك والقدرة لله قال بعض السلف: من أعجبه^(١) شيء فليقل ما شاء الله لا قوة إلا بالله «إِنْ تَرَنْ أَنَا» ضمير الفصل أو تأكيد للمفعول «أَقْلَ مِنْكَ مَا لَا وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ» في الآخرة أو في الدنيا أيضاً «وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا» على جنتك «حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ» مراقي جمع حسبانة وهي الصاعقة «فَتَصْبِحُ» الجنة «صَعِيدًا» أرضاً «زَلَقًا» ملساء لا يثبت فيه قدم «أَوْ يُصْبِحُ مَاوُهَا غُورًا» غائراً في الأرض مصدر وصف به كالزلق «فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ» للماء الغائر «طَلَبًا» في رده «وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ» عبارة عن إهلاكه «فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ» ظهرلاً لبطن تأسفاً «عَلَى مَا أَتَّفَقَ فِيهَا» متعلق بقلب لأنه في معنى يتحسر أي: يتحسر على ما أنفق في عمارتها «وَهِيَ خَاوِيَةٌ» ساقطة «عَلَى عُرُوشِهَا» فإن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت الكروم فوقها «وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا»: تذكر موعظة أخيه، وتمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك الله بستانه «وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أي: يقدرون على

(١) قد روى فيه حديث مرفوع أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده: ولكن ضعفه الحافظ أبو الفتح الأزدي/١٢ منه وجيز وفي الفتح أخرج أبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أنس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "ما أنعم الله على عبده نعمة في أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله إلا دفع الله عنه كل آفة حتى تأتيه منيته وقرأ هذه الآية"، وفي إسناده عيسى بن عون وروى عن أنس نحوه موقوفاً وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي موسى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له: "ألا أدلك على كثر من كنوز الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله" / ١٢. [أخرجه البخاري (٦٤٠٩)]

نصرته من دون الله، وحمل ينصرونه حيث لم يقل تنصره على المعنى دون اللفظ ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾: ممتنعًا عن انتقام الله تعالى منه، أي: لا يقدر أحد ولا هو نفسه على انتصاره ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ من القراء من يقف على هنالك، فعلى هذا معناه منتصرًا في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله، ومن لم يقف عليه فمعناه في ذلك الموطن الذي نزل عليه عذاب الله النصرة له وحده، لا يقدر عليها غيره أو ينصر فيها أوليائه على أعدائه، ومن قرأ الولاية بكسر الواو فمعناه: في تلك الحالة السلطان له وحده لا يعبد غيره، وكل أحد من مؤمن أو كافر يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع له كما قال الله تعالى: "فلما رأو بأسنا قالوا آمنا بالله وحده" والحق: صفة الولاية أو صفة الله على القراءتين ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ لأهل طاعته لو كان غيره يثيب ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾^(١) أي: عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره.

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَّةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ۝﴾

(١) ونصب ثوابا وعقبا بالتمييز أي: الله خير ثوابا لأهل طاعته لو كان غيره مئييا، وخير عاقبة طاعته من طاعة غيره سبحانه، والأصح أن الرجلين رفيقان ورثا مالا فاشترى أحدهما ضياعًا وصرف عمره وماله فيها، والآخر صرف ماله في وجوه الخير وعمره في الطاعة، فلم يبق في يد الأول سوى الندم والجزع والخسران، والثاني وجد ما قر عينيه، كذلك حال صناديد القريش المتمنعين عن فقراء المؤمنين المفتخرين بثياهم وطيب رائحتهم وبقاء راحتهم وفسحة ساحتهم، فساء صباح المنذرين، ولما أتم المثل الأول لديناهم الخاصة بهم التي أبطرتهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ضرب لدار الدنيا العامة لذوى العقول في قلة بقائها وسرعة فنائها فقال: "واضرب لهم" الآية/ ١٢ وجيز.

أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا
 وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿١١﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ
 مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٢﴾ وَعَرِّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ
 مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿١٣﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
 مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا
 كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿١٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا
 لِلْمَلَكِيَّةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ
 أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ
 بَدَلًا ﴿١٥﴾ * مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ
 مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ
 فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿١٧﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ
 النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿١٨﴾

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: اذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا في زهرها
 وسرعة زوالها^(١) ﴿كَمَاءٍ﴾ أي: هو كماء ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾: التف
 بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضًا ﴿نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾: يابسًا
 مكسورًا، ﴿تَذَرُوهُ﴾: تفرقه وتطيره ﴿الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾:
 قادرًا ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾: اللذان يفتخر بهما الأغنياء ﴿زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: لا زينة

(١) واغترار الناس بها/١٢.

الآخرة **﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾** أي: الأعمال الصالحة، وعن كثير من السلف ^(١) إنها سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله **﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾** أفضل جزاء وثوابا **﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾**، لأن صاحبها ينال ما يؤمل بها في الدنيا **﴿وَيَوْمَ﴾** ^(٢) أي: اذكر يوم **﴿نُسِيرُ الْجِبَالَ﴾**: نقلعها ^(٣) ونسيرها كالسحاب **﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾**: ظاهرة قاعًا صفصفًا سطحًا مستويًا لا وادي فيها ولا جبل **﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾** الواو للعطف أو للحال أي: وقد حشرنا جميع الخلق وأحييناهم قبل تسيير الجبال ليعاينوا ما أنكروا **﴿فَلَمْ يُغَادِرُوا﴾**: لم تترك، **﴿مِنْهُمْ أَحَدًا وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ﴾**: كما يعرض الجند على السلطان ليأمر فيهم **﴿صَفًّا﴾**: مصطفين لا يحجب أحد أحدًا **﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾** حال من نسير أي: قائلين لهم ذلك، وجاز أن يكون تقديره: قلنا لهم ذلك فهو العامل في يوم نسير الجبال، ولا نقدر اذكر **﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾**: عراة بلا مال ولا ولد **﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾** للبعث،

(١) صرح بذلك ابن عباس وعثمان وابن عمر ومجاهد والحسن وقتادة وفيه أحاديث تدل على ما زعموا/١٢ منه. والظاهر أن الباقيات الصالحات كل عمل خير، عن قتادة: كل شيء من طاعة الله فهو من الباقيات الصالحات فيندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس، وأعمال الحج والعمرة وصيام رمضان والكلام الطيب وغير ذلك اندراجًا أوليًا/١٢فتح.

(*) وقد ورد فيه حديث ضعيف مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وغيرهم ولفظه: "استكثروا من الباقيات الصالحات: التسبيح والتلهيل والتحميد والتكبير، ولا حول ولا قوة إلا بالله" وانظر ضعيف الجامع [.

(٢) ولما ذكر ما يتوول إليه حال الدنيا من النفاذ أعقبه بأوائل أحوال القيامة حتى تيقن عندك ضرب المثل فقال: "ويوم نسير الجبال.." الآية/ ١٢ وجيز.

(٣) من أصولها كما نسير نبات الأرض بعد أن صيرناه هشيما/ ١٢.

والجزاء والخطاب للبعض قيل بل للخروج من القصة إلى أخرى «وَوَضَعَ الْكِتَابُ» أي: صحف الأعمال في أيمانهم وشئائهم «فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ»: خائفين «مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا» ينادون هلكتهم من بين الهلكات «مَا لِهَذَا الْكِتَابِ» تعجباً^(١) من شأنه، «لَا يُغَادِرُ»: لا يترك، «صَغِيرَةً» أي: هنة^(٢) صغيرة من أعمالنا «وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا»: عدها وحصرها «وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا»: في الصحف أو جزاء ما عملوا حاضراً عندهم «وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا»^(٣)، فيكتب عليه ما لم يفعل أو بأن يعاقبه بما لم يفعل.

«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ»^(٤) ذكره بعد ذكر صنيع المفتخرين بالأبناء، والأولاد ليعلموا أن الكبر من سنن إبليس، أو لما نفرهم عن الاغترار بزهرة الدنيا نبههم بقدم عداوة إبليس معهم «كَانَ مِنَ الْجِنِّ» استئناف كأنه قيل لم يسجد؟! فقال: لأنه كان من الجن وقد مر خلاف بين السلف في أنه من الملائكة الذين يقال لهم الجن، أو من الجن حقيقة «فَفَسَقَ»: خرج، «عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ»: بترك

(١) كأنه قال: يا ويلتنا تعالي وانظري إلى الكتاب وتعجبي منه / ١٢ منه.

(٢) هن كآخ معناه شيء، ويقال هنة للمؤث والجمع هنات وهنات ويقال: في فلان هنات أي: خصلات الشر ولا يقال ذلك في الخير / ١٢ صراح.

(٣) ولما ذكر الحشر وخوف المجرمين من أعمالهم وإبليس هو حاملهم على المعاصي بين عداوته القديمة مع أبيهم ليتخذوه عدواً فقال: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ" / ١٢ وحيز.

(٤) روى الضحاك عن ابن عباس أنه كان من أشرف الملك وكان خازناً على الجنان وله سلطان السماء الدنيا والأرض، فرأى لنفسه شرفاً على أهل السماء، فوقع في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله فأمره الله بالسجود لاستخراج ذلك الكبر منه، فاستكبر وأظهر ما هو كائن فيه فذكر حاله بعد حكاية صناديد قريش والرجل المفتخر بالبستان والأولاد في غاية المناسبة ليعلموا أن الكبر من سنته / ١٢ وحيز.

السجود والفاء مشعر بأن سبب عصيانه كونه جنيًا فإن الملك لا يعصى ﴿وَأَفْتَتِخِذُونَهُ﴾^(٥) الهمة للإنكار والتعجب أي أعقِب ما صدر منه تتخذونه ﴿وَوَدَّرِيَّتَهُ﴾ عن بعضهم هم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل: يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتفلق البيضة عن جماعة من الشياطين، ﴿أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾: فتطيعوهم بدل طاعتي ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾: من الله إبليس وذريته^(*) ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: ما أحضرت الشياطين زمان خلقي الدنيا لأستعين بهم فأنسا المستقل ليس معي شريك فمالكم اتخذتموهم شركاء لي! ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾^(١): أعوانًا، وفي وضع المضلين موضع الضمير ذم لهم واستبعاد للاعتصام بهم، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ أي: الله للكافرين: ﴿تَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾: أنهم شركائي أو أنهم شفعاؤكم ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾: للإغاثة ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾: مهلكًا فلا وصول لهم إلى آلهتهم، بل بينهما مهلك وعن بعضهم هو واد في النار أو نهر من قيح ودم، وعن بعض السلف أن ضمير بينهم إلى المؤمنين والكافرين أي نفرق نجعل بينهم حاجزًا ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾: أيقنوا، ﴿أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا﴾: مخالطوها^(٢) واقعون فيها، فيكون ذلك من باب تعجيل حزنهم وغمهم ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: مكانًا ينصرفون إليه .

(٥) أي: استبدلوا بطاعة الله طاعة إبليس.

(١) ولما ثبت جهل من أطاع الشياطين بين أنهم يضروهم في أحوج زمان، ومكان، فقال: "ويوم يقول" ١٢/ وحيز.

(٢) مخالطوها: واقعون فيها من مسيرة أربعين سنة كذا في الحديث لتعجيل غمهم وتقدم خوفهم قبل الوقوع فيها والظن بمعنى اليقين أو على ظاهره لرجاء الخلاص من رحمة الله ١٢/ وحيز.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِنَا وَمَا نُنذِرُوا هُزُوًا ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۝ وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ۝ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۝﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بينا وكررنا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾: الواضح المبين، ﴿لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: يحتاجون إليه، ﴿وَوَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ﴾: يتأتى منه الجدل ﴿جَدَلًا﴾^(١): خصومة ومعارضة للحق بالباطل إلا من عصمه الله ونصبه بالتمييز ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ من ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾: الرسول والقرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾^(٢)

(١) والظاهر العموم، فإن هذا النوع أكثر شيء يتأتى منه الجدل ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- طرقه وفاطمة ليلا فقال: ألا تصليان فقلت: يا رسول الله إن أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلى شيئا ثم سمعته يضرب فخذه ويقول: "كان الإنسان أكثر شيء جدلا" / ١٢ فتح.

(٢) كما قال: "إذا هو خصيم مبين" (يس: ٧٧)، لا يدعن للأدلة اليقينية والأمثال الواضحة/ ١٢.

عطف على يؤمنوا أي: من أن يستغفروا ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولَيْنِ﴾ أي: إلا تقدير أن يأتيهم عذاب الاستئصال فإنه تعالى قدر عليهم العذاب فذلك هو المانع من إيمانهم، أو إلا طلب أن يأتيهم العذاب الموعود وأخذهم عن آخرهم كما قالوا: "فأسقط علينا كسفاً من السماء.." الآية (الشعراء: ١٨٧)، "اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر" الآية (الأنفال: ٣٢). أو إلا انتظار أن تأتيهم كما يقال لمن حان له الرواح عن مترله وهو غير رائج: ما تنتظر إلا الهلاك ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا^(١)﴾ عياناً وهو بضم القاف والباء لغة في قُبُلًا بكسر القاف وفتح الباء أو جمع قبيل بمعنى أنواع ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾: للمؤمنين، ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾: للكافرين، ﴿وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ كما قالوا: "أبعث الله بشرا رسولا" (الإسراء: ٩٤)، "ولولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" (الزخرف: ٣١)، وأمثال ذلك ﴿لِيُدْحِضُوا﴾: ليزيلوا، ﴿بِهِ﴾: الجدل، ﴿الْحَقُّ﴾ الذي جاءهم عن مقره ويطلبوه ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ الحجج والبراهين ﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾ أي: ما أُنذروه من العقاب أو مل مصدرية أي: إنذارهم ﴿هَزُوءًا﴾ استهزاء ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾: بالقرآن، ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ تركها ولم يؤمن بها ولم يتفكر فيها ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: ما سلف من معاصيه، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغشية وغشاوة تعليل للإعراض والنسيان ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أي: كراهة أن يفهموه، ولما كان المراد بالآيات القرآن ذكر الضمير وأفرده ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: صمماً وثقلاً معنوياً عن استماع الحق حق استماعه ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ إذا جواب وجزاء كأن قوله: "إنا جعلنا على قلوبهم أكنة" في معنى لا تدعهم ثم نزل حرصه عليه الصلاة

(١) وفيه إشارة إلى أن جبلة قريش كجبلة عاد وثمود وليس الجدل وعدم قبول الحق من خواصهم/١٢ وجيز.

والسلام على إيمانهم منزلة قوله مالي لا أدعوهم فأجيب بقوله وإن تدعهم إلى الآخر ﴿وَرَبِّكَ الْغَفُورُ﴾: البليغ المغفرة، ﴿ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾: من الذنوب، ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾: في الدنيا، ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ هو يوم القيامة وقيل: بدر ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ﴾: من دون الله في ذلك الموعد، ﴿مَوْئِلًا﴾: منجاء، وقيل: لن يجدوا من دون ذلك الموعد ومن عنده منجاء ومهربا ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ أي: أصحابها أي قرى عاد وثمود وأضرابهم مرفوع بالمبتدأ وقوله: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ خبره أو منصوب بشرطية التفسير ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بأن كفروا وعاندوا ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾: هلاكهم ﴿مَوْعِدًا﴾: وقتا معينًا لا يزيد ولا ينقص فكذاك أنتم يا قريش احذروا أن يصيبكم مثل أصابهم فقد ظلمتم مثل ما ظلموا، بل أشد ومن قرأ المهلك بكسر اللام أي: وقت هلاكهم أو مصدر كالمرجع والخيص.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ١
 فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ٢
 فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْلِهِ إِتَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ٣
 أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ٤
 فَأَوْثَارِهِمَا قَصَصَا ٥ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَنَّهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا ٦
 قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلِّمْتَ رُشْدًا ٧
 قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٨ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ٩
 قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ١٠

﴿وَإِذْ قَالَ^(١)﴾ أي: واذكر إذ قال ﴿مُوسَى لِفَتَاهُ﴾: يوشع بن نون كان يخدمه: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ حذف خبره للقرينة أي: لا أزال أسير ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾: ملتقى بحرى فارس والروم مما يلي المشرق فإن فيه موعد لقاء الخضر ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾: أو أسير دهرًا أو عن بعضهم هو ثمانون أو سبعون سنة، أي: حتى يقع إما بلوغ الجمع أو مضى الحقب قيل: أو بمعنى إلا أن أي: إلا أن أَمْضِيَ حُقُبًا من الدهر فأتيقن معه فوات الجمع وقصته أن كلم الله قام خطيبًا في بني إسرائيل فُسِّلَ أي: الناس أعلم؟ فقال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم^(٢) إلى الله فأوحى الله إليه أن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك فقال: يا رب كيف لي به؟ قال: خذ حوثًا فحيث ما فقدته فهو ثَمَّةٌ ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ أي: البحرين ظرف أضيف إليه على الاتساع كشهادة بينكم أو بمعنى الوصل ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسى موسى أن يطلبه ويوشع أن يذكر له ما رأى من حياته، أو نسيا تفقده ﴿فَاتَّخَذَا﴾: الحوت، ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾: مسلكًا وهو مفعول ثان لاتخذ أي: أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه^(٣) وقد

(١) ولما علّم اليهود قريشا أن يسألوا رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - من ثلاثة أشياء امتحانًا عن نبوته فسألوا أولاً عن أصحاب الكهف وأجاب بما أجاب، وأعقبه بضرب أمثال ونصائح شرع في حكاية موسى بن عمران نبي الله، الدال على أن النبي لا يجب أن يعلم جميع الوقائع فلو لم يجب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أسئلتهم لا يلزم منه أن لا يكون نبيًا، فقال: "وإذ قال موسى لفتاه" الآية / ١٢ وجيز.

(٢) كما وقع من نبينا - صلى الله عليه وسلم - أنه حزم بأن يجيبهم غداً فتأخر الوحي مدة وفرح الأعداء السائلون شامتين / ١٢ وجيز.

(٣) كذا في الحديث الصحيح / ١٢ وجيز. [أخرج القصة بطولها البخاري في "التفسير"، باب: ﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما، فاتخذ سبيله في البحر سرباً﴾، (٤٧٢٦)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "الفضائل" باب: من فضائل الخضر (٢٣٠/٥-٢٣٥) ط الشعب.]

نقل أنه حوت مملوح في مكمل وكان في ذاك (*) الجمع نهر ماء الحياة، فوصل إلى الحوت قطرة منه فجى (**). ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: مجمع البحرين ﴿قَالَ لِفَتَاهُ﴾: يوشع^(١)، ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾: ما نتغدى به ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾: تعب^(٢) ولم يتعب موسى في سفر غيره فلهذا قيده باسم الإشارة، وعن بعضهم ما تعب إلا بعد مجاوزة المجمع ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ﴾: ما دهاني^(٣) ﴿إِذْ أَوْيَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾: التي في الموضع الموعود ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ﴾ أي: ذكره ﴿إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ بدل من الضمير^(٤) ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ أي: سيلا عجبًا، وهو كالأول ثاني مفعولي اتخذ وقيل: تقديره أعجب عجبًا، قاله يوشع في آخر كلامه تعجبًا ﴿قَالَ﴾: موسى، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: أمر الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾: نطلبه فإنه أماراة الظفر بالطلب^(٥) ﴿فَارْتَدَّا﴾: رجعا، ﴿عَلَى آثَارِهِمَا﴾: طريقها الذي جاء فيه ﴿قَصَصًا﴾: يقصان قصصًا أو حال بمعنى مقتصين ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ هو خضر وكان مسجى بثوب فسلم موسى عليه فقال: وأنى بأرضك السلم ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ علم الباطن إلهامًا من رحمتنا. قال البغوي وغيره: أكثر أهل العلم على أنه ما كان نبيًا بل

(٠) في النسخة (ن): ذلك.

(**) في النسخة (ن): فنجى.

(١) وإنما سمى فتى موسى لأنه كان ملازمًا له يأخذ عنه العلم ويخدمه ويتبعه وهذا وجه إضافته لموسى / ١٢ فتح.

(٢) قيل: سارا بعد الصخرة يومًا وليلة وألقى عليه التعب بعد أن جاوز الموعد / ١٢ وحيز.

(٣) دهاك: أصابك / ١٢.

(٤) في أنسانيه / ١٢.

(٥) من لقاء العبد الصالح / ١٢.

كان^(١) ولياً*) «وَعَلَّمَنَاهُ مِنْ لَدُنَّا» مما يختص بنا لا يحصل بالكسب «عَلِمَا قَالَ لَهُ مُوسَى» بعد أن قال له الخضر: من أنت؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال نعم. «هَلْ أَتَبِعُكَ» أصحابك «عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي» حال من مفعول أتبع «مِمَّا عَلَّمْتَ» مفعول تعلمن ومفعول علمت ضمير محذوف عائد إلى ما والصيغتان من علم الذي بمعنى عرف «رُشْدًا» أي: علماً ذا رشدٍ فحذف المضاف أو مفعول له لأتبعك ولا نقص أن يكون نبي يتعلم من غيره في غير أصول الدين وفروعه فإنه لابد أن يكون أعلم أهل زمانه فيهما لا في غيرهما وقد نقل أنه قال الخضر: كفاك بالتوراة علماً. فقال له موسى: إن الله أمرني بهذا فجئتك «قَالَ»: الخضر «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» لما ترى من الأفعال التي تخالف شريعتك «وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا» أي: وكيف تصبر وأنت نبي على أمور لم يحط بواطنها خبرك وظواهرها مناكير، فنصب خبراً على التمييز أو مصدر؛ لأن "لم تحط" بمعنى لم تخبر «قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ

(١) في الوجيز: والأصح أنه ولي من أولياء الله باق إلى الآن، وفي المنهية قيل: ملك وقيل: نبي وأما كونه باقياً إلى الآن، فالنوي وابن الصلاح على ترجيح القول بالبقاء وآثار السلف وواقعات الأولياء تدلان عليه/١٢.

(٥) كذا نقل، وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح"، (٦/٥٠٠): "حكى ابن عطية البغوي عن أكثر أهل العلم أنه نبي، ثم اختلفوا هل هو رسول أم لا؟ ونقل عن القرطبي قوله: هو نبي عند الجمهور والآية تشهد بذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يتعلم ممن هو دونه، ولأن الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء. اهـ. والآية التي أشار إليها في كلامه هي قول الخضر لموسى: "وما فعلته عن أمري" وبها استدل على نبوته. وانظر تفسير القرطبي (٥/٤١١)، وابن كثير (٣/١٠٠). وقال أبو جعفر ابن المناوي بعدما قرر أن الخضر نبي: أو عقدة تحل من عقد زندقة الصوفية هو أن يكون الخضر نبياً، إذا إهم يثبتون له بالولاية ويستدلون بذلك أن الولي أرفع درجة من النبي!! فانتبه.

شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا: معك، ﴿وَلَا أُعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ عطف على صابرا أي: غير عاص أو عطف^(١) على ستجدي ﴿قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾: لا تفاسخني بالسؤال عما صدر عني ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: حتى أكون أنا الفاسخ عليك .

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ ﴿٧٦﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٨﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٩﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٨٠﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَلِّحْ بَنِيَّ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٨١﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٨٢﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٣﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٨٤﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٥﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨٦﴾

(١) فلا يكون مقيدا بالمشيئة لفظًا ولهذا قيل: قيد الصبر بالمشيئة فصير، وأطلق عصيانه فعصاه، حيث قال: لا تسألني فسأل وفيه شبهة فانظر إلى قوله: "ألم أقول إنك لن تستطيع معي صبرًا" ١٢/و جيز.

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَتَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿١٠﴾

﴿فَانْطَلَقَا﴾: على الساحل يطلبان سفينة ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾: عرف أهل السفينة الخضر وحملوهما بغير نول، فأخذ الخضر قدومًا وقلع من ألواح السفينة لوحًا^(١) ﴿قَالَ﴾: موسى، ﴿أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ﴾ قيل: اللام لام العاقبة لا لام التعليل ﴿أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾: عظيمًا من أمر الأمر إذا عظم ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ﴾: له موسى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾، ما يحتمل الموصولية والمصدرية يعني نسيت وصيتك ولا مؤاخذه على الناسي، وفي الحديث الصحيح^(*) كانت الأولى من موسى نسيانا^(٢) ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾: لا تغشني، ﴿مِنْ أَمْرِي عُسرًا﴾: بالمؤاخذه على المنسي وعسرًا ثاني مفعوليه يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه ﴿فَانْطَلَقَا﴾ بعدما خرجا من السفينة ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾: يلعب مع الغلمان، وكان أحسنهم ﴿فَقَتَلَهُ﴾: الخضر بأن أخذ رأسه فاقتلعه، أو ذبحه أو ضرب رأسه بحجر ﴿قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾: طاهرة من الذنوب فإنه صغير^(٣) ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: لم

(١) هكذا منقول في البخاري عن سعيد بن جبير/١٢ منه. [البخاري (٤٧٢٥)] وقد تقدم

قريباً

(٥) سبق تخريج الحديث.

(٢) فالمعاني الآخر في معنى النسيان باطل كقول من قال: إنه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه وكذا ما قيل المراد بالنسيان الترك/١٢ كذا في المنهية والوجيز.

(٣) حكى القرطبي أنه عليه السلام لما قال للخضر هذا غضب الخضر واقتلع كتف الغلام الأيسر وقشر اللحم عنه فإذا في عظمه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبداً/١٢ وجيز وما

تقتل نفساً وجب عليها القتل ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا^(١) نُكْرًا﴾: منكرنا لما كان هذا أقبح بحسب الظاهر بالغ في إنكاره ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ﴾ زاد في هذه المرة لك زيادة لعتابه على رفض وصيته وقلة صبره ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قَالَ إِنَّ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا سؤال اعتراض وإنكار ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ﴾: وجدت، ﴿مِنْ لَدُنِّي﴾: من قبلي ﴿عُذْرًا﴾: لما خالفتك مراراً وفي الحديث: "رحمة الله علينا وعلى موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر"^(٢) العجب^(*)، ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي أنطاكية، وقيل أيلة ﴿اسْتَطَعَمَا^(٣) أَهْلَهَا﴾: سألاهم الطعام ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّفُوهُمَا^(٤) فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ استعار الإرادة للمداناة والمشاركة، كما استعير الهم والعزم لذلك، يقال: عزم السراج أن يطفأ إذا قرب،

= روى ابن أبي حاتم عن أبي العالية أن الخضر كان عبداً لا تراه الأعين إلا من أراد الله أن يريه إياه، فلم يره من القوم إلا موسى، ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين السفينة وبين قتل الغلام فمخالف للحديث الصحيح "فعرّفوا الخضر فحملوه بغير نول" الحديث كذا في الفتحة/١٢.

(١) قيل النكر: أقل من الإمر، فإن قتل نفس واحدة أهون من إغراق جمع قيل: أنكر من الأول؛ لأن الخرق يمكن سده والقتل لا يتدارك/١٢ وحيز.

(٢) ذكره ابن جرير وصححه/١٢ منه. [سبق تخريج الحديث]

(*) سبق تخريج الحديث.

(٣) أخطأ من استدل بهذه على جواز السؤال كقول بعض الأدباء الذين يسألون الناس:

فإن رددت فما في الرد منقصة عليّ قد رد موسى قبل والخضر

وقد ثبت في السنة تحريم السؤال بما لا يمكن دفعه/١٢ فتح.

(٤) وفي الحديث أنهما كانا يمشيان على مجالسهم يستطعمانهم وهذه عيرة مصرحة بهوان

الدنيا على الله سبحانه/١٢ وحيز.

وانقض: إذا أسرع سقوطه، ﴿فَأَقَامَهُ﴾ قال: بيده فأقامه^(١) أو هدمه فبناه ﴿قَالَ لَوْ شِئْتُ﴾: أن تأخذ جعلاً ﴿لَا تَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ والتاء من تأخذ أصل كتبع، وليس من الأخذ يعني: قد علمت أنا جياع حتى افتقرنا إلى المسألة، فما وجدنا مواسياً فلو أخذت على عملك أجراً ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾^(٢) إشارة إلى الفراق الموعود بقوله: لا تصاحبي كهذا أخي إشارة إلى الأخ، أو إشارة إلى السؤال الثالث أي: هذا الاعتراض سبب فراقنا، أو إشارة إلى الوقت أي: هذا وقت فراقنا، وإضافته إلى البين من إضافة المصدر إلى الظرف للاتساع ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾^(٣) قيل: فيه دليل على أن المسكين يطلق أيضاً على ما لا يملك شيئاً يكفيه ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا﴾: أجعلها ذات عيب ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ أي: أمامهم ﴿مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾: صالحة جيدة ﴿غَصْبًا﴾ نصب بالخال أو بالمفعول له ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾: يغشيهما ﴿طُعْيَانًا وَكُفْرًا﴾ يعني: يحملهما حبه على متابعتة على الفساد والكفر، وفي الحديث: "الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً"(*) ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ

(١) قول ابن عباس/ ١٢.

(٢) في الحديث: "رحمة الله علينا وعلى موسى لو ثبت لقض الله علينا من خبره لكن قل: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبي". أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي والحاكم وصححه/ ١٢ فتح. [وقال الشيخ الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (٣٣٧١): صحيح دون قوله "لكن قال..."]

(٣) والظاهر أنه المراد من المساكين هاهنا هو المسكين في قوله عليه الصلاة والسلام: "اللهم احبني مسكيناً وأمتي مسكيناً واحشني في زمرة المساكين/ ١٢ منه. [صححه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" (١٢٦١)]

(*) جزء من حديث موسى والخضر أخرجاه في الصحيحين، وقد سبق تخريجه، واللفظ هنا لمسلم (٢٣٩/٥) ط الشعب.

يُبدِّلُهُمَا رَبُّهُمَا: يرزقهما بدله ولذا ﴿خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةٌ﴾: طهارة وتقوى ﴿وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾: رحمة وعطفًا على والديه عن كثير من السلف: أبدلهما الله جارية فقيل: تزوجها نبي وولدت نبيًا هدى الله به أمة من الأمم^(*)، وعن ابن جريج لما قتله الخضر كانت أمه حاملًا بغلام مسلم، ونصب رحمًا وزكاة على التمييز ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أي: في تلك المدينة ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ أي: مال وعن كثير من السلف^(١) أنه لوح من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبًا لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟! عجبًا لمن آمن بالقدر كيف ينصب؟! عجبًا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب؟! عجبًا لمن أيقن بالحسنات كيف يعقل؟! عجبًا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن؟! لا إله إلا الله محمد رسول الله^(٢) وفي بعض الروايات: عجبًا لمن عرف النار كيف يضحك؟! وقيل: مكتوب في الجانب الآخر أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقت له للخير فأجرته على يديه، والويل لمن خلقت له للشر وأجرته على يديه، وعن بعض السلف أنه كثر علم. قيل لا منافاة بين الأقوال؛ لأن اللوح الذهبي هو مال، وما كتب فيه كثر علم ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا^(٣) صَالِحًا﴾ كان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء وكان نساجًا، ويعلم منه أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا

(٥) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر (٢٧٥/٨).

(١) كابن عباس والحسن البصري وجعفر بن محمد وغيرهم لكن الروايات مختلفة في أن المكتوب هذا الذي نقلناه بتمامه أو بعضه بزيادة ونقصان/١٢ منه.

(٢) أخرج البزار هذا الأثر في مسنده من حديث أبي ذر مرفوعا بسند فيه مجهولان كما في المجموع للهيثمي (٥٤/٧).

(٣) والظاهر أن أباهما الذي ولدهما، لكن صرح جعفر بن محمد وغيره أن بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء/١٢ وجيز.

أَشَدُّهُمَا: حلمها وكمال رأيها ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ ولو سقط الجدار لتلف
 الكثر ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ نصب على المفعول له، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾ أي: ما رأيت ﴿عَنْ
 أَمْرِي﴾: رأيي واختياري، بل فعلته بأمر الله ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ﴾^(١) أي:
 تستطع حذف التاء تخفيفاً ﴿عَلَيْهِ صَبْرًا﴾^(٢).

(١) ذكر في هنا تستطع بحذف التاء لأن الثاني كالفلذكة والتأكيد للأول فالتخفيف يناسبه،
 ولما فرغ عن قصة من طاف في الأرض لتحصيل العلم أعقبه بقصة من طاف في الأرض
 للجهاد، وهي من الأسئلة التي سأها قريش بتعليم اليهود امتحاناً لنبوته وتبكيها له فقال:
 "ويسألونك عن ذي القرنين" الآية/ ١٢ وحيز.

(٢) وقد اختلف أهل العلم في حياة الخضر قال ابن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء
 والصلحاء والعامة منهم، وقال البخاري وطائفة من أهل الحديث: أنه مات قبل انقضاء
 مائة سنة من الهجرة، ونصره أبو بكر بن العربي بقوله -صلى الله عليه وسلم- في آخر
 حياته: "لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم" وله ألفاظ عند
 الشيخين وغيرهما عن جابر وابن عمر، وأجاب من أثبت حياته بأنه كان حيثنذ على
 وجه البحر وما أبرد هذا الجواب وأبعده عن الصواب. وأما اجتماعه مع النبي -صلى
 الله عليه وسلم- وتعزيتة لأهل البيت وهم مجتمعون لغسله -صلى الله عليه وسلم- فقال
 لهم على: هو الخضر، فقد ذكره ابن عبد البر في التمهيد وقيل: اجتمع إلياس مع النسي -
 صلى الله عليه وسلم- وإذا جاز ذلك جاز بقاء الخضر، رواه ابن أبي الدنيا عن أنس
 وتعقبه الحافظ أبو الخطاب ابن دحية، وقال: لم يصح من طريقه شيء ولا يثبت اجتماعه
 مع أحد من الأنبياء إلا مع موسى كما قصه الله من خبره وجميع ما ورد في حياته لا
 يصح منه شيء باتفاق أهل النقل، وأما ما جاء من المشايخ فهو ما يتعجب منه كيف
 يجوز العاقل أن يلقي شيخاً لا يعرفه فيقول له أنا فلان فيصدق، وحديث التعزية المتقدم
 موضوع وفيه ابن محرز متروك وقال مسلم صاحب الصحيح: فلما رأيته كانت بعرة
 أحب إلى منه، وما روى عن أنس فموضوع أيضاً، وقد نقل تكذيبه عن أحمد ويحيى

﴿ وَيسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً ﴾ (٢١) إنا مكنا له في الأرض وءاتيناه من كل شيء سبباً ﴿ فأتبع سبباً ﴾ (٢٢) حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً قلنا يلذا القرنين إماً أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً ﴿ قال أماً من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيُعذبه عذاباً نكراً ﴾ (٢٣) وأما من ءامن وعمل صالحاً فلله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً ﴿ ثم أتبع سبباً ﴾ (٢٤) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً ﴿ كذلك وقد أحنأ بما لديه خبراً ﴾ (٢٥) ثم أتبع سبباً ﴿ حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً ﴾ (٢٦) قالوا يلذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ﴿ قال ما مكنتي فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً ﴾ (٢٧) ءاتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال ءاتوني أفرغ عليه قطراً ﴿ فما استطعوا أن يظهروه وما استطعوا له نقباً ﴾ (٢٨) قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً ﴿ * وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا ﴾ (٢٩) وعرضنا جهنم يومئذ

وإسحاق وأبي زرعة وسياق المتن ظاهر النكارة وأنه من المجازفات. انتهى كلامه
ملخصاً/١٢فتح.

لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١١﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٢﴾

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ بعث قريش إلى أهل الكتاب يسألون منهم ما يمتحنون به النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: سلوه عن رجل طاف في الأرض، وعن فتية لا يدري ما صنعوا، وعن الروح. فترلت سورة الكهف^(*)، والمشهور أنه الإسكندر الرومي، وما يعلم من تاريخ الأرزقي وغيره أنه غيره، وهذا الرومي كان قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة ووزيره أرسطاطاليس الفيلسوف، وأما هذا الإسكندر فقد كان في زمن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وطاف بالبيت معه ووزيره الخضر ووجه تسميته أنه كان صفحتا رأسه من نحاس، وقد صح عن علي أنه قال: كان عبداً ناصح الله فناصحته، دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الأيمن فمات، فأحياه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الأيسر فمات فسمي ذا القرنين^(١)، أو لأنه بلغ طرفي الدنيا من حيث تطلع قرنا الشمس وتغرب ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ﴾: أيها السائلون، ﴿مِنْهُ﴾ من ذي القرنين ﴿ذِكْرًا﴾^(٢) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ: أمره، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: بأن تصرف

(٠) ذكره محمد بن إسحاق بسند فيه مجهول كما في تفسير ابن كثير، (٣/٧٢، ٧٣). وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٨٠) إلى ابن جرير وابن إسحاق وابن المنذر وأبي نعيم والبيهقي كليهما في الدلائل.

(١) قال بعض أهل الكتاب: لأنه ملك الروم والفرس، وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين والله أعلم بصحته/١٢ منه.

(٢) يحتمل أن يراد من الذكر القرآن، ويحتمل أن يراد الخير والحديث ولهذا الأمر مناسب؛ لأنه لما تأخر الوحي وفرح قريش شامتين ناسب أن يقال لهم لا تفرحوا فإني سأتلو عليكم ما يحزنكم ثم يأخذ بتفصيل الحكاية "إنا مكننا له" الآية/ ١٢ وحيز.

فيها كيف ^(١) شاء ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أرادته، ﴿سَبَّأً^(٢)﴾ وصلة توصله إليه من العلم والقدرة والآلة ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ يوصله إلى المغرب ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقْرَبَ الشَّمْسِ وَجْدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي: رأى الشمس ^(٣) في منظره تغرب في عين ذات حمئة أي: طين أسود، ومن قرأ حامية، أي: حارة والجمع بين القراءتين أن تكون العين جامعة للوصفين ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾: عند تلك العين ﴿قَوْمًا﴾ أمة عظيمة من الأمم كفارًا ﴿قُلْنَا^(٤)﴾ يَا ذَا الْقُرْتَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ: بقتلهم وسيهم ﴿وَأِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾: بإرشادهم وتعليمهم الشرائع أو بالمن والفداء؟ أو بأسرهم؛ فإنه إحسان في جنب القتل ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾: بأن يصر على الكفر ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾: بالقتل في الدنيا ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ إشارة إلى الحشر والبعث ﴿فَيُعَذِّبُهُ﴾: الله في الآخرة ﴿عَذَابًا نُكْرًا﴾: منكرًا لم يعهد مثله ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ﴾ أي: فله المثوبة الحسنى، وجزاء تميز أو حال أي: مجزيا بها أو تقديره يجزي بها جزاء ومن قرأ برفع جزاء أي فله أن يجازى المثوبة الحسنى وهي الجنة، أو جزاء فعلته الحسنى وهي أعماله الصالحة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ أَيْسَرًا^(٥)﴾: لا نأمره بالصعب

(١) وفي الحديث الذين ملكوا الدنيا أربعة مؤمنان: سليمان، وذو القرنين، وكافران غرود ويختصر/ ١٢ وجيز. وزاد في الفتح عن القرطبي: سيملكها من هذه الأمة خامس لقوله تعالى: "ليظهره على الدين كله" (التوبة: ٣٣)، وهو المهدي/ ١٢.

(٢) وأصل السبب الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على كل ما يتوصل إلى الغرض/ ١٢ وجيز.
(٣) قلنا في منظره؛ لأن الشمس في السماء الرابع، فكيف تغيب في عين كذا؟! وهذا شأن من كل من انتهى إلى ساحل البحر المحيط يراها تغرب فيه/ ١٢ منه.

(٤) ظاهره أنه وحي وقيل كلمه كفاحا كما كلم موسى، ويبعد أن يكون إلهاما/ ١٢ وجيز.
(٥) لما ذكر ما أعد الله له من الحسنى جزاءه لم يناسب أن يذكر جزاء بالفعل بل اقتصر على القول أدبًا مع الله، وإن كان يعلم أنه يحسن إليه قولاً وفعلاً/ ١٢ وجيز.

الشاق، بل بالسهل المتيسر أي: ذا يسر ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: طريقاً إلى المشرق ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ أي: الموضع الذي تطلع عليه الشمس أولاً، ومن قرأ بفتح اللام فهو بحذف مضاف أي: مكان طلوعها فإن المطلع مصدر ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِّنْ دُونِهَا﴾: من دون الشمس ﴿سِتْرًا﴾ ليس لهم أبنية تكنهم فإن أرضهم لا تمسك الأبنية ولا أشجار تظلمهم، فهم حين طلوع الشمس في أسراب^(١) أو في ماء فإذا زالت خرجوا ﴿كَذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ أي: أمره كما وصفنا في رفعته أو أمره كأمره في أهل المغرب^(٢)، أو صفة قوم أي: تطلع على قوم مثل ذلك القبيل أي: أهل المغرب أو صفة: مصدر محذوف أي: بلغ مطلعها بلوغاً مثل بلوغه مغرباً ﴿وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ من أسبابه ﴿خُبْرًا﴾: علماً؛ لأننا أعطيناه ذلك، فيه تكثير ما لديه كأنه بلغ مبلغاً لا يحيط به علم أحد إلا علم الله ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: طريقاً ثالثاً بين المشرق والمغرب وهو الشمال ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ أي: بين الجبلين المبني بينهما السد، وهما جبلان عالبيان في أقصى الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج، والصحيح أنهم من أولاد آدم وبين هاهنا مفعول به، فإنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفاً ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ يعني لعجمهم وقلة فطانتهم لا يفهمون كلام أحد، ومن قرأ بضم الياء وكسر القاف أي: لا يفهمون السامع لغرابية لغتهم ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ﴾^(٣) عن بعض السلف أنه يعلم جميع الألسنة ﴿إِنْ

(١) هكذا قال الحسين وسعيد بن جبير وقتادة وابن جريج/١٢ منه.

(٢) يعني أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقى منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم، وقيل كذلك صفة سترا أي: مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأشجار وغيرها/١٢ منه.

(٣) هذا دليل على أنه معروف بهذا الاسم بين الخلق لا لما نقلناه، ولا يبعد صحة ما قيل كان في رأسه شبه القرنين والله أعلم/١٢ وحيز.

يَأْجُوجَ^(١) وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أَي: فِي أَرْضِنَا بِأَنْوَاعِ الْمَافَسَدِ ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: جَعَلًا نَخْرُجُهُ مِنْ أَمْوَالِنَا ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾: فَلَا يُمْكِنُ لَهُمُ الْوَصُولُ إِلَيْنَا ﴿قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي﴾: مِنْ الْمَالِ وَالْمَلِكِ ﴿خَيْرٌ﴾ مِنْ خَرَاكِهِمْ لَا حَاجَةَ بِي إِلَيْهِ ﴿فَأَعِثُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أَي: بِأَيْدِيكُمْ وَقُوَّتِكُمْ وَأَلَاتِ بَنَائِكُمْ لَا بِمَالِكُمْ ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ حَاجِزًا حَصِينًا ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ^(٢)﴾ أَي: قِطْعَةً، وَالزُّبْرَةُ: الْقِطْعَةُ الْكَبِيرَةُ ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى﴾ أَي: فَجَاءُوا بِهَا حَتَّى إِذَا سَاوَى ﴿بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ الصَّدَفَانِ: جَانِبَا الْجَبَلَيْنِ؛ لِأَنَّهُمَا يَتَصَادَفَانِ أَي: يَتَقَارِبَانِ أَي: امْتَلَأَ بَيْنَهُمَا مِنْ زُبْرِ الْحَدِيدِ ﴿قَالَ﴾: لِلْعَمَلَةِ ﴿انْفُخُوا﴾ فَإِنَّهُ جَعَلَ الْفَحْمَ وَالْحَطَبَ فِي خِلَالِ زُبْرِ الْحَدِيدِ ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ﴾، الضَّمِيرُ لِلْمَنْفُوخِ فِيهِ ﴿نَارًا﴾ أَي: كَالنَّارِ بِالْإِحْمَاءِ ﴿قَالَ آتُونِي﴾: قِطْرًا ﴿أَفْرِغْ^(٣) عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أَي: نَحَاسًا مَذَابًا عَلَى الْحَدِيدِ الْحَمْمِيِّ حَتَّى التَّصِقَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، فَحُذِفَ مَفْعُولُ آتُونِي لِدَلَالَةِ الثَّانِي^(٤) عَلَيْهِ ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا﴾ بِحُذْفِ التَّاءِ ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾: يَعْلُوهُ لَطُولُهُ وَمَلَاسَتُهُ ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾: مَنْ أَسْفَلُهُ لَشِدَّتِهِ ﴿قَالَ﴾: ذَوَا الْقَرْنَيْنِ، ﴿هَذَا﴾ أَي: السِّدِّ ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّي﴾: عَلَى عِبَادِهِ ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ^(٥) رَبِّي﴾ أَي: وَقْتُ وَعْدِهِ بِقِيَامِ السَّاعَةِ أَوْ بِخُرُوجِهِمْ ﴿جَعَلَهُ

(١) الصحيح أنهما قبيلتان من أولاد آدم قال السدي والضحاك: الترك شزيمة منهم / ١٢ وحيز.

(٢) استدعى مناولة قطع الحديد أي: أحضروا / ١٢.

(٣) وفي كيفية إفراغ النحاس المذاب على الحديد الحمي الذي هو كالجبل في الطول إشكال

بين لم يبينه أحد، ولا يمكن أن يحام حوله وعلمها عند الله سبحانه فلا يغفل / ١٢ وحيز.

(٤) فهو من باب التنازع / ١٢.

(٥) في الصحيحين أنه عليه السلام استيقظ يومًا من نوم حمير وجهه وهو يقول: لا إله إلا

الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق

عقد تسعين / ١٢ منه. [البخاري (٣٣٤٦) ومسلم (٧٢٩/٥) ط الشعب.]

دَكَاءٌ ﴿١﴾ أي: أرضا مستوية ومن قرأ "دكا" بغير مد يكون مصدراً بمعنى المفعول أي: مدكاً مسوى بالأرض ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ ^(١) ﴿كَانُوا الْبَتَّةَ﴾ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ أي: بعض يأجوج ومأجوج ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم فتح السد ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: يختلط بعضهم ببعض كموج الماء لكثرتهم، أو جعلنا بعض الخلق من الإنس والجن يوم قيام الساعة يختلط إنسهم بجنهم حيارى ^(٢) ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: قرن ينفخ فيه إسرافيل لقيام الساعة ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾: للحساب ﴿وَعَرَضْنَا﴾: أبرزنا وأظهرنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾: فعابوها ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾: غشاوة، ﴿عَنْ ذِكْرِي﴾ عن رؤية آياتي الدالة على توحيدي ﴿وَكَانُوا لَا يَسْمَعُونَ سَمْعًا﴾: لكلامي كأنهم أصممت مسامعهم بالكلية .

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ ﴿١٧﴾ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ ﴿١٨﴾ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ﴿١٩﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ هُم جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ ﴿٢١﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ

(١) ولما ذكر ذو القرنين وأن سده عند الوعد المذكور بين تعالى بعض حال ذلك اليوم

فقال: "وتركنا بعضهم يومئذ" الآية/ ١٢ .

(٢) وهذا التفسير أليق/ ١٢ وحيز.

مَثَلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ
عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١٦﴾

﴿أَفَحَسِبَ﴾ همزة الاستفهام للإنكار ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾: كالملائكة
وعيسى أو الشياطين ﴿مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾: معبودين وثاني مفعولي حسب محذوف
للقرينة أي: ظنوا اتخاذهم معبودين نافعا لهم ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزْلًا﴾ أي:
متزلا أو ما يهيا للضيف حين نزوله مما حضر، وفيه تنبيه على أن لهم وراءها عذابا أشد
﴿قُلْ هَلْ تُبْسِتُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ تمييز وجمعه لتنوع الأعمال ﴿الَّذِينَ ضَلَّ﴾
أي: هم الذين بطل وضاع ﴿سَعْيُهُمْ﴾ أو نصب على الذم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ
يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُخْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(١): لاعتقادهم أنهم على الحق ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: الدالة على توحيده ﴿وَلِقَائِهِ﴾: بالبعث ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾:
بسبب كفرهم ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾: ليس لهم خطر ولا مقدار ولا
اعتبار عند الله ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ﴾ مبتدأ وخبر ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان للخبر، أو هو خبر
وجزاؤهم بدل من المبتدأ أو تقديره: الأمر ذلك والجملة مبينة له ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾ ما
مصدرية ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هي
أوسط الجنة وأعلاها، ومنه تفجر الأنهار ﴿نُزُلًا﴾ فيه تفسيران كما مر ﴿خَالِدِينَ
فِيهَا﴾ حال مقدرة ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾^(٢): تحولا إذ لا يتصورون

(١) وهذا ينادي بالويل على أهل البدع / ١٢ منه.

(٢) لما ذكر ما أعد للكافرين ذكر ما أعد للمؤمنين بقوله: "إن الذين آمنوا وعملوا
الصالحات" الآية، ثم لما أتم الجواب عن مسائلهم التي سأله رجاء عجزه - صلى الله عليه

مَثَرًا أَطِيبَ مِنْهَا ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ أَي: مَاءَ الْبَحْرِ ﴿مِدَادًا لِكَلِمَاتٍ﴾^(١)

= وسلم- عن الجواب وأعقبه ببعض أهوال القيامة التي أنكروها أشار إلى أنه عليه السلام مغترف من بحر لا ينفد فمن حام حول ناقصه غرق في بحر لا ساحل له من الندم، فقال: "قل لو كان البحر" الآية/ ١٢ وحيز.

(١) قوله تعالى: "قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي" الآية. فيه أن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء وكما شاء وأن كلماته لا نهاية لها وقد قال الإمام أحمد رحمه الله وغيره من الأئمة: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء وهو يتكلم بمشيئته وقدرته يتكلم بشيء بعد شيء وهو مذهب سلف الأمة، وأئمة السنة وكثير من أهل الكلام كالهشامية والكرامية، وأصحاب أبي معاذ التومني وزهير البائي، وطوائف غير هؤلاء يقولون: إن الكلام صفة ذات وفعل هو يتكلم بمشيئته وقدرته كلامًا قائمًا بذاته وهذا هو المعقول من صفة الكلام لكل متكلم فكل حيٍّ وصف بالكلام كالملائكة والبشر والجن وغيرهم فكلامهم لا بد أن يقوم بأنفسهم وهم يتكلمون بمشيئتهم وقدرتهم، والكلام صفة كمال لا صفة نقص، ومن تكلم بمشيئته، أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته، فكيف يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق؟! وأما الجهمية والمعتزلة فيقولون: ليس له كلام قائم بذاته بل كلامه مخلوق منفصل عنه، والكلابية يقولون: هو متكلم بكلام ليس له عليه قدرة ولا يكون بمشيئته، والأشعرية يقولون: إن الكلام معنى واحد لا يتبعض ولا يتعدد وكل هذه أقوال باطلة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة مبتدعة مبنية على أصل واحد، وهو قولهم: إن الرب لا تقوم به الأمور الاختيارية فلا يقوم به كلام ولا فعل باختياره ومشيئته. وهو أصل باطل مخالف للنقل والعقل، والقرآن الكريم يدل على بطلانه في أكثر من مائة موضع، وأما الأحاديث الصحيحة فلا يمكن ضبطها في هذا الباب، والصواب في هذا الباب وغيره مذهب سلف الأمة وأئمتها أنه سبحانه لم يزل متكلمًا إذا شاء وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته وأن كلماته لا نهاية لها وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى وإنما ناداه حين أتى لم يناده قبل ذلك وإن صوت الرب لا يماثل أصوات العباد كما أن علمه لا يماثل علمهم، وقدرته لا تماثل قدرتهم، وأنه سبحانه بائن =

رَبِّي: لكلمات علمه وحكمته ﴿لَتَنفَذَ الْبَحْرُ﴾ أي: ماؤه ﴿قَبْلَ أَنْ تَنفَذَ﴾^(١) كَلِمَاتُ رَبِّي﴾^(٢) فإن ماء البحر متناه وعلم الله غير متناه ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾: بمثل البحر الموجود ﴿مَدَدًا﴾: زيادة معونة؛ لأن المجموع أيضًا متناه نزلت حين قالت اليهود: إنا قد أوتينا الحكمة، وفي كتابك: ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرًا كثيرًا، ثم تقول: وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا أو لما نزلت: "وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا" قالت اليهود أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فترلت "قل لو كان البحر ^(*) الآية ﴿قُلْ إِنَّمَا

= عن مخلوقاته بذاته وصفاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته وصفاته القائمة بذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته. وأن أقوال أهل التعطيل والاتحاد الذين عطلوا الذات أو الصفات أو الكلام أو الأفعال باطلة، وأقوال أهل الحلول الذين يقولون بالحلول في الذات أو الصفات باطلة كذا قاله شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية رحمه الله/١٢.

(١) قوله: قبل أن تنفذ هو من باب إرخاء العنان وفهم العامة وإلا فالأصل أن يقال لنفذ البحر ولم تنفذ كلمات ربي/١٢ وحيز.

(٢) والسلف يقولون: لم يزل متكلمًا إذا شاء، وكما شاء وقد قال تعالى "قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا" فكلمات الله تعالى لا نهاية لها وهذا تسلسل جائز في المستقبل فإن نعيم الجنة دائم لا نفاذ له فما من شيء إلا وبعده شيء بلا نهاية/١٢ شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام قدس الله روحه العزيز.

(*) أخرجه أحمد والترمذي (٣٣٤٩-أحوزي)، وصححه والنسائي وابن حبان والحاكم وأبو نعيم والبيهقي في دلائلها وغيرهم من حديث ابن عباس مرفوعا. وقال الحافظ في "الفتح"، (٢٥٣/٨): رجاله رجال مسلم، وهو عند ابن إسحاق من وجه آخر عن ابن عباس نحوه". وكذا صححه العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢٣٠٩)، والذي في الصحيحين من حديث ابن مسعود أن اليهود لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن

أَنَا بَشَرٌ^(١) مِثْلَكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ^(٢) خصصت بالوحي وتميزت
عنكم به^(٣) ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ يخاف المصير إليه أو يأمل لقاء الله ورؤيته
﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ وهو ما كان موافقاً لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾^(٣)
أَحَدًا﴾ أي لا يراني بعمله بل لا بد أن يريد به وجه الله وحده لا شريك له.

والحمد لله رب العالمين أكمل الحمد وأتمه

= الروح أمسك فلم يرد عليهم شيئاً. قال عبد الله: فعلمت أنه يوحى إليه. فقمت مقامي.
فلما نزل الوحي قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قال الحافظ في الموضع سالف الذكر محاولاً الجمع بين هذا وحديث ابن
عباس: "ويمكن الجمع بأن يتعدد التزول بحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان
في ذلك، وإن ساغ هذا وإلا فما في الصحيح أصح".

(١) لا أدعى علم الغيب فيما أخبرتكم من قصة أصحاب الكهف وذوي القرنين/ ١٢ وجيز.
(٢) خصصت بالوحي وتميزت عنكم به فلولا أن الله أطلعني ما كنت أعرفه، وما أرسلني
إليكم إلا لأن توحدوا الله/ ١٢ وجيز.

(٣) وقد نقل في سبب نزولها حديث دال على أن ذلك في الشرك الأصغر أعني الرياء/ ١٢
وجيز.

سورة مريم مكية إلا آية السجدة وهي ثمان أو تسع وتسعون آية وست ركوعات بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كَهيعص ١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۚ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۚ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۚ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۚ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالٍ يَعْقُوبُ ۖ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۚ يٰزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۚ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۚ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَٰئِنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۚ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۚ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۚ يٰيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحَكَمَ صَبِيًّا ۚ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ۚ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ۚ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۚ ﴿كَهيعص ١﴾

عن بعضهم معناه: الله كاف هاد يده فوق الأيدي عالم صادق.

(١) عن محمد بن الحنفية أنه قال - في جواب سائل سأل عن كهيعص: لو أخبرتك عن تفسيرها لمشيت على الماء / ١٢ وجز كما وقع الخلاف في تفسير هذا وأمثاله بين الصحابة وقع بين من

﴿ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ خبر لكهيعص، إن كان اسما للسورة، وإلا فتقديره هذا المثلو
 ذكر رحمة ربك ﴿عَبْدُهُ﴾ مفعول رحمة ﴿زَكَرِيَّا﴾^(١) بدل، أو عطف بيان ﴿إِذْ نَادَىٰ
 رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ والإخفاء في الدعاء أبعد من الرياء^(٢)، ولأن دعاءه جوف الليل عند
 نوم أهله ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾: ضعف، ﴿الْعَظْمُ مِنِّي﴾ أي: جنس العظم، والعظام
 التي هي قوام البدن إذا وهنت مع أنها أصلب ما فيه، فكيف بما وراءها؟! ﴿وَاشْتَغَلَ
 الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ شبه الشيب بلهب^(٣) نار لا دخان فيه وانتشاره باشتعالها^(٤)، وأسند إلى
 الرأس الذي هو مكان الشيب^(٥) مبالغة، ولم يضاف الرأس^(٦) اكتفاء بعمل المخاطب
 وأخرج الشيب ميمزاً للإيضاح المقصود ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ بل عادتكَ
 الاستجابة لي كلما دعوتك فأنت الذي أطعمتني^(*) (٧) في قبول الدعاء ﴿وَإِنِّي خِفْتُ

= بعدهم ولم يصح مرفوعاً في ذلك شيء ومن روى عنه من الصحابة في ذلك شيئاً فقد روي
 عن غيره ما يخالفه فلا يقوم شيء من ذلك حجة بل الحق الوقف/١٢فتح.

(١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "كان زكريا نجاراً"
 أخرجه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه/١٢فتح. [وقال الشيخ شاكر في "تعليقه على
 المسند" (٨٩٣٤): إسناده صحيح]

(٢) والإخفاء في الدعاء سنة الأنبياء "ادعوا ربكم تضرعاً وخفية" (الأعراف: ٥٥)، وفي
 الحديث: "إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً" ١٢ وحيز. [البخاري (٦٣٨٤) ومسلم (٥/
 ٥٥٤) ط الشعب]

(٣) في بياضه وإنارته /١٢منه.

(٤) وأخرجه مخرج الاستعارة بطرح أداة التشبيه/١٢وحيز.

(٥) فإن الشيب في الشعر والرأس منبته/١٢منه.

(٦) حيث لم يقل رأسي اكتفاء باللام/١٢منه.

(٧) في الأصل: أطعمتني والسياق يرجح ما ذكرنا.

(٧) روى أن حاتم الطائي أتاه طالب حاجة وقال أنا الذي أحسنت إلى رحمة كذا فقال حاتم
 مرحباً بالذي توسل بنا إلينا وقضى/١٢وحيز. في الأصل: أطعمتني والسياق يرجح ما ذكرنا.

الْمَوَالِي» بني عمه وعصبته خاف أن لا يحسنوا الخلافة «مِنْ وَرَائِي» بعد موتي وهو متعلق بمحذوف أي خفت عملهم بعدي «وَكَاثِ امْرَأَتِي عَاقِرًا» : لا تلد «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ» : من محض فضلك فإني وامرأتي لا نصلح للولادة بحسب العادة «وَلِيًّا» : من صلي^(١) «يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» : النبوة والعلم وكان زكريا من ذرية يعقوب وقد ثبت "نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة"^(٢) ولولا أن المراد منه هذه الوراثة الخاصة لكانت تلك الصفة أي: يرثني زائدة لا فائدة فيها إذ الولد يرث أباه في كل^(٣) شرع «وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» : مرضيا عندك وعند خلقك،

(١) كما صرح به في سورة آل عمران "رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء" (آل عمران: ٣٨/١٢) وحيز.

(٢) في الصحيحين/١٢. [أخرجه البخاري في "الفرائض"، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا صدقة، (٦٧٢٦، ٦٧٢٧) وفي موضع آخر من صحيحه، ومسلم في "الجهاد"، باب: حكم الفيء، (١٧٥٧) بلفظ: "لا نورث ما تركنا صدقة" وأما اللفظ الذي ذكره المصنف قال عنه الحافظ في "الفتح"، (١٠/١٢): "وأما ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم بلفظ: نحن..... وذكره. فقد أنكره جماعة من الأئمة، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ "نحن"، لكن أخرجه النسائي من طريق ابن عيينة عنه، وهو كذلك في مسند الحميدي عن ابن عيينة وهو من أتقن أصحاب ابن عيينة فيه. وأورده الهيثم بن كليب في مسنده من حديث أبي بكر الصديق باللفظ المذكور، وأخرجه الطبراني في الأوسط بنحو اللفظ المذكور، وأخرجه الدارقطني في "العلل" من رواية أم هانئ عن فاطمة عليها السلام عن أبي بكر الصديق بلفظ: "إن الأنبياء لا يورثون".

(٣) والأكثر على موت زكريا قبل يحيى فلا يلزم عدم استجابة دعائه، وقد قال الله في سورة الأنبياء "فاستجبنا له" (الأنبياء: ٩٠)، فإن مقصوده من الولد الوراثة فلو لم تكن فالولد كلا ولد فكيف يقول الله تعالى "فاستجبنا له" ١٣/ وحيز.

«يَا زَكَرِيَّا» ، جواب لندائه «إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا» : لم يسم أحد قبله بهذا الاسم^(١) أو معناه شبيها «قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي» : من أول عمرها «عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا» : يسا في المفاصل والعظام كالعود اليابس يقال: عتا العود أي: يس من أجل الكبر وأصله عتو استقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الأولى ياء ثم قلبت الثانية وأدغمت، وهذا تعجب منه عليه الصلاة والسلام واستغراب^(٢) «قَالَ» : الملك المبشر له، «كَذَلِكَ» أي: الأمر كذلك «قَالَ رَبُّكَ هُوَ» أي اتخاذ الولد منك ومن زوجتك هذه لا من غيرها «عَلَيَّ هَيْنٌ» : يسير، «وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا»^(٣) ، فإن خلق أصلك آدم وهو معدوم صرف أغرب «قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً» : علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به «قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ» : لا تقدر على التكلم «ثَلَاثَ لَيَالٍ» : يعني ثلاثة أيام ولياليها «سَوِيًّا» حال كونك سوى الخلق من غير خرس و بكم فإنه كان يقرأ ويسبح ولا يستطيع أن يكلم^(٤) قومه إلا بإشارة «فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ» : من المصلى، أو من الغرفة «فَأَوْحَى» : أشار وأوما «إِلَيْهِمْ» وعن بعضهم كتب لهم في الأرض «أَنْ سَبَّحُوا» أن مفسرة أو مصدرية «بُكْرَةً وَعَشِيًّا» : طرقي النهار والمراد تزيهه وتحميده أو الصلاة «يَا يَحْيَى» يعني لما وهبنا له قلنا: يا يحيى «خُذِ الْكِتَابَ» : أي التوراة التي يحكم بها النبيون «بِقُوَّةٍ» : يجد وحرص «وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ» : الفهم والحكمة والنبوة

(١) قاله أكثر المفسرين/ ١٢فتح.

(٢) فلا يرد أنه عليه السلام طلب أولا فلما استجيب استبعد وأحال، قيل استعجب ليجاب

بما أجيب به فيزداد المؤمنون إيقانا ويرتدع المبطلون/ ١٢منه.

(٣) في حيز العدم فظاهر هذا أن المعدوم ليس بشيء/ ١٢وجيز.

(٤) حين حملت زوجته/ ١٢وجيز.

﴿صَبِيًّا﴾^(١) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا : رحمة وتعطفنا من عندنا، وقيل تعطفنا منا على أبويه عطف على الحكم ﴿وَزَكَاةً﴾ : طهارة من المعاصي ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ ، وقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام^(٢) ما أذنب ولا هم بذنب ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ ، عطف على تقيًا أي: بارًّا بهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ عاقًا أو عاصيا لربه ﴿وَسَلَامٌ﴾ : من الله ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُعْثَرُ حَيًّا﴾ أوحش ما يكون الخلق في تلك المواطن الثلاثة فخصه الله تعالى بالسلامة.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ﴿٦٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿٦٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿٦٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿٦٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٧٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً

(١) وعن ابن عباس مرفوعًا قال الغلمان ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب فقال: ما للعب خلقنا اذهبوا نصلي، فهو قول الله "وآتيناه الحكم صبيًا" أخرجه الحاكم في تاريخه، وعنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتى الحكم صبيًا" أخرجه البيهقي وأخرجه ابن أبي حاتم موقوفًا عليه/١٢فتح.

(٢) ذكره الإمام أحمد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لكن ضعفه المحدثون وذكره قتادة مراسلا/ ١٢ منه ووجيز. [يقصد قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه أحمد (٢٥٤/١) من طريق علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أوهم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا" وهذا ضعيف لضعف علي بن زيد وهو ابن جدعان له منكرات كثيرة كما قال الحافظ ابن كثير في "التفسير" (١١٥/٣).]

مَيِّتًا وَكَانَ أَمْرًا مُقْضِيًّا ﴿٦٦﴾ * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٦٧﴾
فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ
نَسِيًّا مُنْسِيًّا ﴿٦٨﴾ فَتَادِلُهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٦٩﴾
وَهَزَى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٧٠﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي
وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ
أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٧١﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَلْمُزُكُمْ لَقَدْ جِئْتِ
شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٧٢﴾ يَأْخُذَتُّ هُرُونًا مَا كَانَ أَبِيكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا ﴿٧٣﴾
فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ﴿٧٤﴾ قَالَ إِنِّي
عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْأَكْتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٧٥﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ
وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٧٦﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٧٧﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٧٨﴾
ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٧٩﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ
مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٠﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي
وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٨١﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٨٢﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا
لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٣﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ
وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا
يُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾

﴿وَاذْكُرْ^(١) فِي الْكِتَابِ﴾ : أي القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾ أي: قصتها ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ﴾ اعتزلت، بدل اشتغال من مريم أو ظرف لقصتها المقدرة ﴿مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي: شرقي مسجد الأقصى لحوض أصابها، أو لفراغها للعبادة وهو ظرف أو مفعول فإن انتبذت متضمن معنى أتت ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أي: استترت منهم وتوارت قيل استترت في مقابل شروق الشمس للاغتسال عن الحيض ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ : جبريل^(٢) ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا^(٣)﴾ أي: على شكل إنسان تام كامل ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾ : يا أيها البشر ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ تقى الله، وجواب الشرط محذوف أي: فستنتهي مني بتعوذي، أو فلا تتعرض لي، قيل هو للمبالغة أي: إن كنت تقياً فأعوذ منك، فكيف إذا لم تكن تقياً متورعاً؟ ﴿قَالَ﴾ جبريل ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ : لم تصابي مني بسوء، قاله وهو كان في صورة بشر أو عاد إلى هيئته^(٤)

(١) ولما ذكر قصة زكريا مع ما فيها من الغرابة أعقب بما هو أغرب فقال "واذكر في الكتاب مريم" الآية/١٣ وجيز.

(٢) سماه روحنا لأن حياة الدين به قيل هو مجاز عن كمال المحبة، كما يقال أنت روحي/١٢ وجيز.

(٣) وما قيل قائله البيضاوي إن ذلك التمثيل ليهيج شهوتها فتتحدر نطفتها إلى رحمها ففيه نظر لقوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾ فإنه شاهد عدل بأنه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما إليه فضلا عما ذكر من الحالة المرتبة على أقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلاءها وصبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه/١٢ أبو السعود ملخصا.

(٤) وفي الوجيز وأما أنها لما ذكرت الرحمن ارتعد جبريل فزعا وعاد إلى صورته الأصلية وقال أنا رسول ربك ضعيف؛ لأن رؤية جبريل في صورته خاصة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رآه مرتين لم يكن لأحد قبله/١٢ وجيز.

الملكية ﴿لَاهَبَ لَكَ غُلَامًا﴾ : لأكون سببا في هبته، ﴿زَكِيًّا﴾ : طاهرا، ﴿قَالَتْ أَلَيْسَ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي﴾ : لم يياشرنى ﴿بَشَرٌ﴾ : من الحلال ﴿وَلَمْ أَكُ بَعِيًّا﴾ : لست بزانية، وهو فعول قلبت الواو وأدغمت ثم كسرت الغين للمناسبة ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كذلك صدقها فيما قالت، ثم ابتدأ وجاز أن يتعلق كذلك "بقال ربك" وقوله "هو علي هين" مفسر ذلك المبهم ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ﴾ أي: وهب غلام من غير أب ﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ﴾ ، تقديره: ونفعل ذلك لنجعله أو لنبين قدرتنا ولنجعله ﴿آيَةً لِلنَّاسِ﴾ : على كمال قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ : على عبادنا لأنه يهديهم^(١) ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ : في علم الله الأزلي الذي لا يتغير ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ بأن نفخ في جيبها^(٢)، فزلت النفخة حتى ولجت في الفرج فحملت ومدة حملها تسعة أشهر أو ثمانية^(٣)، ولهذا لا يعيش ولد لثمانية فيكون آية أخرى أو ساعة ﴿فَاتَّبَعَتْ بِهِ﴾ أي اعتزلت حال كونها متلبسة بالحمل ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيدا عن الخلق لخوف التهمة عنهم ﴿فَاجَاءَهَا﴾ ألبأها: واضطرها ﴿الْمَخَاضُ﴾ : وجع الولادة ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ : لتعتمد عليه عند الولادة، والتعريف إما للجنس أو للعهد إذ لم يكن ثم غيرها متعالم عند الناس، ﴿قَالَتْ﴾ : استحياء^(٤) من الناس ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ الأمر ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا﴾ ما من حقه أن يطرح وينسى كالذبح اسم لما من شأنه أن يذبح ويفتح النون

(١) هداهم في فترة ثم يزل زمان قيام الساعة ويقتل الدجال ويؤيد دين المصطفى -صلى الله عليهما وسلم/ ١٢ وجيز.

(٢) وظاهر قول الله فنفخنا فيه من روحنا أن النافخ هو الله سبحانه/ ١٢ وجيز.

(٣) وقيل ساعة وهذا التفصيل لا دليل عليه إلا إخبار الأخبار أو آراء الرجال ولو صح من

نص صحيح لوجب المصير إليه وكان آية أخرى/ ١٢ فتح البيان.

(٤) ولشدة الوجع ولانفرادها عن يعينها/ ١٣ وجيز.

لغة فيه **«مَنْسِيًّا»** : بحيث لا يخطر ببال أحد، **«فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا»** فاعل نادى ضمير جبريل، قيل هو كالقابلة لها أو المراد أسفل من مكانها أي: آخر الوادي أو ضمير عيسى قيل أي: من تحت النخلة **«أَلَا تَحْزَنِي»** أن مصدرية أي: بأن أو بمعنى أي **«قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا»** هراً أو سيداً أو هو عيسى من السرو **«وَهْزِي»** أميلي، **«إِلَيْكَ بِجَذَعِ النَّخْلَةِ»** الباء زائدة للتأكيد أو بمعنى افعلي الهز به **«تَسَاقِطُ»** تتساقط النخلة **«عَلَيْكَ رُطْبًا»** تمييز إن كان تساقط من باب التفاعل ومفعول إن كان من المفاعلة **«جَنِيًّا»** : غضا وكانت تلك النخلة يابسة، فأورقت ^(١) لتكون آية أخرى تطمئن بها قلبها أو مثمرة لكن لم تكن في حين ثمرها، **«فَكُلِّي»** : من الرطب **«وَأَشْرَبِي»** : من النهر أو عصير الرطب **«وَوَقَّرِي عَيْنًا»** : طيبي نفسك وهو من القرأى: البرودة فإن دمة السرور باردة ودمة الحزن حارة، أو من القرار فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره، **«فِيمَا تَرِينَ»** : فإن تري **«مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا»** : صمتا وكان شريعتهم ترك الطعام والكلام في الصيام **«فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا»** : بعد أن أخبرتكم بنذري بل لا أكلّم إلا ملائكة الله وأناجي ربي، أو كان الإخبار بالنذر أيضاً بالإشارة، وعن بعضهم لما قال عيسى لأمه: لا تحزني، قالت: كيف لا أحزن وأنت معي لا ذات زوج، ولا مملوكة! فأى شيء عذري يا ليتني مت قبل هذا، قال لها عيسى: أنا أكفيك الكلام قولي إني نذرت للرحمن صوما **«فَأَتَتْ بِهِ»** ، الباء للتعددية، والضمير للولد **«قَوْمَهَا»**، مفعوله الثاني **«تَحْمِلُهُ»** حال **«قَالُوا يَا مَرْيَمُ»** ^(٢) **«لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا»** : منكرًا عظيمًا **«يَا**

(١) قاله ابن عباس/١٢ وحيز.

(٢) اختلف الناس في نبوة مريم فقيل إنها نبية لإرسال الملك إليها وقيل لا والمتفق عليه أن المنفي وهي الرسالة لا مطلق الوحي والوحي هنا ببشارة الولد لا بالرسالة/١٢ فتح.

أُخْتُ^(١) هَارُونَ: أي: شبيهه في الزهد والتقوى أو كانت من نسله كما يقال للتميمي والمضري يا أخا تميم، ويا أخا مضر، أو نسبت إلى رجل صالح فيهم اسمه هارون^(*)، أو رجل فاجر فيهم يقال له هارون^(٢) ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا^(٣)﴾: زانية حتى نقول إنك تابعت في تلك الفاحشة أحد أبويك ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: إلى عيسى أن كلموه ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ كان تامة وصيبا حال أو زائدة والظرف صلة من ﴿قَالَ﴾ عيسى: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ أقر أولا بالعبودية^(٤) ﴿آتَانِي الْكِتَابَ﴾: الإنجيل جعل ما يأتي بعد في حكم الآتي، أو أنه درس الإنجيل وأحكمها في بطن أمه وقيل: المراد علمني التوراة ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾: في

(١) أخرج أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وغيرهم عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أهل نجران فقالوا أرأيت ما تقرأون يا أخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحون قبلهم" وهذا التفسير النبوي يغني عن سائر ما روي عن السلف في ذلك قاله في الفتح/١٢.

(٥) وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية بنحو هذا وذلك فيما أخرجه مسلم في "الآداب"، (٨٤٦/٤) من حديث المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سألتني فقالوا: إنكم تقرأون: "يا أخت هارون" وموسى قبل عيسى بكذا وكذا. فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال: إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين فيهم".

(٢) حكاه ابن جرير ولم يسم قائله، وهو ضعيف/١٢فتح.

(٣) قيل: لما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صلاح بكوا وقالوا ذلك وهموا برجمها فأشارت إليه الآية/١٢وجيز.

(٤) ردًا لوهم ما سيقوله النصارى في شأنه/١٢وجيز.

سابق علمه أو هو نبي حينئذ ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا^(١)﴾ : معلما للخير ﴿أَيْنَمَا كُنْتُ﴾ : حيث كنت ﴿وَأَوْصَانِي﴾ : أمرني ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ^(٢)﴾ : زكاة المال، أو تطهير النفس ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا﴾ عطف على مباركاً أي: باراً أو منصوب بفعل بمعنى أوصاني وهو كلفني، ﴿بِوَالِدَيْي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا^(٣)﴾ : مستكبرا عن عبادة الله وبر والدي ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾ : فلا ينالني شيطان^(٤)، ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾ فأنجاني من سوء الخاتمة ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ : فليس لي هول ﴿ذَلِكَ﴾ : الذي وصفه هو ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ : لا ما تصفه النصارى ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ أي: هو قول الحق الذي لا ريب فيه، فالإضافة بيانية أو الحق هو الله تعالى أو خير ثاني لذلك، ومن قرأ بنصب قول جعله مصدرا مؤكدا ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ فبعضهم يقولون إنه لزنية^(٥) ساحر وبعضهم إنه ابن الله ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ تكذيب للنصارى وتزويه لجناب قدسه ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فلا يناسبه خلقه ولا يحتاج إلى ولد يعضده ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ عطف على إني عبد الله وهو من مقول عيسى ومن قرأ أن بالفتح فتقديره ولأن أو عطف على

(١) نفاعا ولما جرت العادة أن العوام يتشاءمون من شيء يقع على خلاف مجرى العادة قلل "جعلني مباركا" ١٢/وجيز.

(٢) الظاهر أن يحمل الصلاة والزكاة على ما شرع من شريعتهم في البدن والمال ١٢/وجيز.

(٣) وكان عليه الصلاة والسلام في نهاية التواضع يلبس الشعر، ويأكل الشجر ويجلس على التراب، وينام حيث جنة الليل لا مسكن له ١٢/وجيز.

(٤) كما ورد في الحديث ١٢/وجيز.

(٥) زنية حرام زاده نقيض رشدة بمعنى حلال زاده ١٢/كذا في الصراح.

الصلاة ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ : طريق مشهود له بالاستقامة ﴿فَاخْتَلَفَ
الْأَحْزَابُ﴾ : أهل الكتاب، أو النصارى فإن فيهم ثلاث فرق ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ من بين
الناس، ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: من شهود هول يوم
عظيم، أي: يوم القيامة أو من وقت الشهود، أو مكان الشهود فيه وهو الموقف ﴿أَسْمِعْ
بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوكَ﴾ أي: ما أسمعهم وأبصرهم في ذلك اليوم لكن لا ينفعهم
سمعهم حينئذ ولا بصرهم وحاصله أن كمال بصرهم واستماعهم في ذلك اليوم جدير
بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا ﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ﴾ أوقع المظهر موقع
المضمر لأن يسميهم ظالما ﴿الْيَوْمَ﴾ : في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ فيقولون
إنه ابن الله، أو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾
يتحسر المسيء على الإساءة، والحسن على قلة الإحسان ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ : فرغ من
الحساب، وذبح الموت بدل من اليوم أو ظرف للحسرة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أنذرهم حال كونهم غافلين عن غير مؤمنين ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْأَرْضَ
وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ : يبقى له الملكية وتزول الملكية غيره ﴿وَالَّذِينَ يُرْجَعُونَ﴾ للجزاء .

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ١١٠ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ١١١ يَا أَبَتِ إِنِّي
قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ١١٢ يَا أَبَتِ
لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ١١٣ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ١١٤ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ
إِلَهِتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَهِ لِأَرْجُمَكَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا ١١٥ قَالَ سَلَامٌ
عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ١١٦ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿١٢٦﴾ فَلَمَّا آعَتَزَ لَهُمْ
وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿١٢٧﴾
وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿١٢٨﴾

﴿وَأَذْكُرُ﴾^(١) فِي الْكِتَابِ: هؤلاء الذين هم من ذرية إبراهيم، ويدعون أنهم على ملته
﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: كيف فهم أباه عن عبادة الأصنام ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾: ملازما للصدق
بليغا فيه ﴿نَبِيًّا إِذْ قَالَ﴾ بدل من إبراهيم ﴿لَأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾
دعائك ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾ عبادتك ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾^(٢): من المكاره ﴿يَا أَبَتِ﴾

(١) ولما ذكر قصة مريم وزكريا أتبعه قصة إبراهيم لمناسبة، ولتذكير العرب الذين يدعون أنهم
على ملته، وهم يعبدون الأصنام فقال: "واذكر في الكتاب إبراهيم" ١٢/وجيز.

(٢) في جلب نفع ودفع ضرر دعاه إلى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه بأبلغ احتجاج وأرشقه
برفق وحسن أدب، حيث لم يصرح بضلاله طلب العلة التي تدعوه إلى عبادة ما يستخف
به العقل الصريح ويأبى الركون إليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحقق إلا لمن
له الاستغناء التام والإنعام العام؛ وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على
أن العاقل ينبغي أن يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا
مقدرا على النفع والضرر، ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وإن كان
أشرف الخلق كالملائكة والنبين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد المقدرة الواجبة فكيف إذا
كان جهادا لا يسمع ولا يبصر؟! ثم دعاه إلى أن يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم
لما لم يكن محفوظا من العلم الإلهي مستقلا بالنظر السوي، فقال: "يا أبَتِ إني قد جاءني"
الآية، ولم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق، بل جعل نفسه كرفيق له في
مسير يكون أعرف بالطريق، ثم ثبط عما كان عليه بأنه مع خلوه عن النفع مستلزم للضرر
فإنه في الحقيقة عبادة الشيطان؛ لأنه الأمر به فقال: "يا أبَتِ لا تعبد الشيطان" إلخ وبين
وجه الضرر بأنه مستعص على ربك المولى للنعم كلها ومعلوم أن المطاوع للعاصي عاص

كرره للاستعطاف ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ : وإن كنت من صلبك أصغر منك سنا ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ : مستقيما ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ : ومطاوع العاصي عاص ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ﴾ يصيبك ﴿عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ : على شركك وعصيانك ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ : قريبا مصاحبا لمن هو أعدا عدوك وأبغض الخلق إلى الله وذكر الخوف ونكر العذاب لحسن الأدب حيث لم يصرح بأن العذاب لاحق به ﴿قَالَ﴾ : أبوه ﴿أَرَاغِبٌ﴾^(١) أَتَتْ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ، قابل استعطافه بالغلظة حيث سماه باسمه ولم يقل يا ولدي وآخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدده بهمزة الإنكار، ثم أوعده بأقبح وعيد فقال: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾ : عن مقاتلتك أو عن الرغبة عنها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ : بلساني أي أشتمك جزاء سبك آلهتي، وقيل بالحجارة حتى تموت ﴿وَاهْجُرْنِي﴾ ، عطف على مقدر أي: فاحذرنى واهجرني ﴿مَلِيًّا﴾^(٢) زمانا^(٣) طويلا

= وكل عاص حقيق بأن يسترد منه النعم ويتقمم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره إليه فقال: "يا أبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ" الآية/١٢ بيبضاوي.

(١) والأولى أن نقول: راغب مبتدع لاعتماده على أداة الاستفهام، وأنت فاعل ساد مسد الخير فلا يكون فصل بين العامل وهو راغب ومعموله وهو عن آلِهَتِي بأجنبي وهو أنت/ ١٢ وجيز.

(٢) ومنه الملوان أي الليل والنهار تقديره احذرنى حتى لأرجمنك واهجرني مدة مديدة وهذا التقدير في غاية المناسبة لفظا ومعنى مع أن عطف الإنشائية على الخبرية جائز عند سيبويه فيجوز عطف واهجرني على جملة لئن لم تنته فيكون كلاهما من مقبول أبيه/١٢ وجيز.

(٣) هذا قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم، والثاني للسدي والضحاك وقتادة ومالك وغيرهم، واختاره ابن جرير يعني مليا قادرا بالذهاب عني يقال مليء بكذا إذا كان مطيقا له/١٣ منه.

أو سويًا سالما قبل أن يصيبك مني مكروه ﴿قَالَ﴾ : إبراهيم ﴿سَلَامٌ﴾ ^(١) عَلَيْكَ : سلمت بعد مني لا أقول لك ما يؤذيك وهذا جواب الجاهل "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما" (الفرقان: ٦٣)، ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ رجاء أن يوفقك للتوبة ^(٢)، فتؤمن أو كان يستغفر له أولا ثم رجع عنه كما قال تعالى: "فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه" (التوبة: ١١٤)، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ بليغا في البر واللطف ﴿وَأَعْتَزَلُكُمْ﴾ ^(٣) وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ : أفارقكم وأفارق دينكم ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ : أعبدوا وحده ﴿عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ كما شقيتم أنتم بعبادة آلهتكم فضاع سعيكم صدره بعسى تنبيهها على أن الإجابة فضل غير واجب والحكم على الخاتمة وهي غيب ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فهاجر إلى الشام ﴿وَهَبْنَا لَهُ﴾ : بدل والده وقومه ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ : ابنه إسحق وابن ابنه يعقوب أي جعلنا له نسلا وعقبا أنبياء، ولذلك قال: ﴿وَكُلًّا﴾ : منهما ﴿جَعَلْنَا﴾ أي: جعلناه ﴿نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ ، وهي النبوة والمال والرفعة وغيرها ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ الثناء الحسن، فإن جميع الملل يثنون عليهم ويمدحونهم وعبر باللسان عما يوجد به كما تطلق اليد على العطية وأضاف بالصدق دلالة على أنهم أحقاء بتلك الثناء ووصف بالعلو إشعارا على أن لمحمدهم إعلاء في الأمصار على تباعد الأعصار.

﴿وَأَذْكُرِي آلَ كِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ﴿وَنَذِيرِنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ

(١) هذا سلام متاركة كما ورد/١٢ وجيز.

(٢) وقضاء لحق الأبوة/١٢ وجيز.

(٣) ثم امثله وهاجر عنه إلى الشام بعد أن قال: "وأعزلكم" الآية /١٢.

هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٦٦﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٦٧﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٦٨﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٦٩﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٧٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٧١﴾ * فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٧٢﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٧٣﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٧٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٧٥﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٧٦﴾ وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفُنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٧٧﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٧٨﴾

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام أي: أخلصه الله ونجّاه وبكسر اللام أي خاليا عن الرياء أو مخلصا نفسه عما سواه ﴿وَوَقَرْنَاهُ نَجِيًّا﴾ : أرسله الله إلى عباده فأنبأهم عن أمره ونهيه ﴿وَوَقَرْنَاهُ نَجِيًّا﴾ : من ناحيته التي يلي عيمن موسى، وقيل من اليمن لا من اليمين ﴿وَوَقَرْنَاهُ نَجِيًّا﴾ : من النجو وهو الارتفاع فإنه رفعه فوق السماوات حتى سمع صرير القلم، فهو حال من المفعول أو من النجوى أي مناجيا ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ : من أجل رحمته له ﴿أَخَاهُ﴾ أي: معاضدته ﴿هَارُونَ﴾ عطف بيان ﴿نَبِيًّا﴾ : إجابة لدعوته "واجعل لي وزيرا

من أهلي" (طه: ٢٩)، وهارون أكبر^(١) سنا منه منصوب على الحال «وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ» قد نقل أنه أقام حولا في مكان ينتظر أحداً لوعده و أيضاً قال لأبيه "ستجدني إن شاء الله من الصابرين" (الصفات: ١٠٢)، أي: على الذبح فوق بوعده وفي الجملة هو مشتهر بهذه الجملة «وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا»، من قال: إن الرسول من يكون له شريعة مجددة والنبي أعم ففيه إشكال فإن أولاد إبراهيم كلنوا على شريعته ومن قال: الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يأتيه الوحي في المنام فلا إشكال «وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ» كما قال: "وأمر أهلك بالصلاة" (طه: ١٣٢)، وقال سبحانه: "قوا أنفسكم وأهليكم نارا" (التحریم: ٦)، وفي الحديث^(٢) "إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتب من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات" «وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا» لحسن شيمه «وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا» : السماء الرابعة^(٣) أو السادسة^(٤)

(١) يعني لما كان هارون أكبر سنا من موسى فلا معنى لوهبه له إلا وهب معاضدته وموآزرته كما صرح به ابن عباس/١٢ منه.

(٢) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه/١٢ منه. [أخرجه أبو داود (١٣٠٩)، وابن ماجه (١٣٣٥) واللفظ له وغيرهما من حديث أبي سعيد وأبي هريرة معا، وصحح سنده الشيخ الألباني في "صحيح أبي داود" (١١٦١)، وصحيح ابن ماجه (١٠٩٨)، وصحيح الجامع (٣٣٣)].

(٣) قول أنس بن مالك يرفعه/١٢ منه.

(٤) هذا قول ابن عباس والضحاك بن مزاحم وعن مجاهد أنه رفع ولم يمت كما رفع عيسى قيل المكان العلي النبوة، والزلفى عند الله هذا ما في المنهية وفي الفتحة وقد روى البخاري في صحيحه من حديث الإسراء، وفيه ومنهم إدريس في الثانية وهو غلط من رواية شريك بن عبدالله بن أبي غمر والصحيح أنه في السماء الرابعة كما رواه مسلم في

ومات فيها أو إلى الجنة^(١) ﴿أُولَئِكَ﴾ : الأنبياء المذكورون في تلك السورة ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ : نعمًا ظاهرة وباطنة ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ ، بيان للموصول ﴿مِنَ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾ بدل منه بإعادة الجار ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أي: ومن ذرية من حملنا مع نوح^(٢) من سفينته سوى إدريس فإنه جد نوح فهو من ذرية آدم وإبراهيم من ذرية من حمل مع نوح ﴿وَمِنَ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ﴾ عطف على إبراهيم فموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى من ذرية إسرائيل لا إسحاق وإسماعيل ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ أي هديناه إلى الحق ﴿وَأَجْتَبَيْنَا﴾ للنسبة ﴿إِذَا تَنَلَّيْ﴾ ، ظرف لخرأ وهو خير لأولئك إذا جعلت الذين صفته وإن جعلته خبره فهو استئناف ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا﴾ : سقطوا ﴿سُجَّدًا﴾ جمع ساجد ﴿وَيُكِيًّا﴾ ، جمع باك ﴿فَخَلَفَ﴾^(٣) من بعدهم خلف خلفه أي: عقبه وخلف بسكون اللام عقب السوء وفتحها عقب الخير ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾^(٤) : تركوها أو أخرأوا عن وقتها ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ مالوا إلى زخارف

= صحيحه من حديث أنس بن مالك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو ابن شيث بن آدم وهو أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من أعطى النبوة من بني آدم وأول من خط بالقلم ونظر في النجوم والحساب وأول من خاط الثياب وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار/١٢فتح.

(١) قول الحسن/١٢.

(٢) لأنه من ذرية سام بن نوح/١٣.

(٣) ولما مدح الله سبحانه هؤلاء الأنبياء بهذه الصفات ترغيباً لغيرهم في الاقتداء بهم وسلوك طريقتهم ذكر أضدادهم تنفيراً للناس عن طريقتهم فقال: "فخلف" الآية/١٢فتح.

(٤) واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية ف قيل في اليهود وقيل في النصارى، وقيل في قوم من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- يأتون في آخر الزمان وقال بالأولين السدي وقال بالثالث

الدنيا وهم اليهود والنصارى، وعن بعضهم أنهم من هذه الأمة في آخر الزمان **﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾** : شرا وخسرانا أو هو واد في جهنم يسيل فيها صديد^(١) أهل النار **﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾** ، هذا يدل على أن الآية في الكفرة إلا عند من يقول: تارك الصلاة كافر وعليه كثير من السلف **﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾** : بنقص جزاء أعمالهم فشيئا إما مصدر أو مفعول بمعنى لا ينقصون ولا يمنعون شيئا من جزاء أعمالهم **﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾** بدل من الجنة بدل البعض، والعدن علم، ولذلك جاز أن يكون بدلا من المعرفة وجاز وصفها بقوله: **﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾** أي: وهي غائبة عنهم لم يروها **﴿إِنَّهُ﴾** : إن الله **﴿كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾** : مفعول لا بمعنى فاعل؛ فإن الوعد هو الجنة وهم يأتونها **﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾** : ما لا طائل تحته، **﴿إِلَّا سَلَامًا﴾** استثناء منقطع وهو سلام الملائكة أو بعضهم بعضا، وقيل السلام الدعاء بالسلامة، والدعاء بها في الجنة من باب^(٢) اللغو نعم فائدته الإكرام **﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾** لا فيها ليل ونهار لكن على التقدير^(٣) وعن بعضهم يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ومقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب وقيل المراد الدوام^(٤) **﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ**

= مجاهد ولفظه: هم من هذه الأمة يتراكبون في الطرق كما تراكب الأنعام لا يستحيون من الناس ولا يخافون من الله في السماء/١٣فتح.

(١) قاله عبدالله بن مسعود، ونقل ابن جرير فيه حديثا لكن قال ابن كثير رفعه منكر وهو حديث غريب/١٢ منه وجيز.

(٢) لأن السلامة متحققة فيها/١٢.

(٣) هكذا قال ابن عباس/١٢.

(٤) كما تقول: أنا على بابك صباحا ومساء/١٢.

كَانَ تَقِيًّا : الوراثة أقوى لفظ يستعمل في التملك فإنه لا فسخ ولا رجوع فيه قيل: أورثوا المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا^(١) ﴿وَمَا نَنْتَزِلُ^(٢) إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ أبطأ جبريل النزول مدة فقال رسول الله عليهما السلام ما نزلت حتى ظن المشركون كل ظن فأوحى إلى جبريل أن قل له "وما ننتزل"(*) الآية وقد^(٣) ورد أن جبريل قال كيف نأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تنقون براجمكم ولا تأخذون شواربكم ولا تستاكون؟! ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: أمر الدنيا وأمر الآخرة وما بين النفختين أو الأرض والسماء والهواء^(٤) أي: جميع الأزمان أو الأماكن له لا تنتقل في زمان دون زمان أو مكان إلى مكان إلا بأمره ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ : تاركاً^(٥) لك مودعا إياك كما زعمت المشركون ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

(١) وفيه حديث معتمد ١٢/وجيز.

(٢) لما حكى قصة زكريا التي دلت على كمال قدرته وقصة مريم وما يعقبها التي هي أدل على أن لا يتخلف مراده عن إرادته أعقب ذلك حكاية قول جبريل الدال على أن القوة بتمامها لله سبحانه وفيه تسليية قلب نبيه كما أن في تلك الحكايات سيما في مقابلة إبراهيم مع أبيه أن أباه كيف أغلظ على ولده الذي راعى الأدب تسليية لخاطره الأشرف عما وجد من خلف اتبعوا الشهوات، فقال: "وما ننتزل" الآية/١٢ وجيز

(٥) ذكره الحافظ ابن كثير في "التفسير"، (١٣١/٣) عن مجاهد مرسلًا.

(٣) رواه الطبراني عن ابن عباس عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- /١٢ منه. [أخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد مرسلًا. كما في الدر المنثور للسيوطي (٥٠٢/٤)].

(٤) يعني المراد مما بين أيدينا الدنيا أو الأرض ومما خلفنا الآخرة أو السماء ومما بين ذلك ما بين النفختين أو الهواء وكل من التفسيرين قول كثير من السلف /١٣ منه.

(٥) تاركاً لك مودعا إياك كما زعم خلف أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات عن ابن عباس أنه أبطأ جبريل نزوله مدة فشكا إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فنزل "وما ننتزل

يَنْهَمَا» ، بدل من ربك أو خير مبتدأ محذوف ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ ، عدى باللام ^(١) لتضمنه معنى الثبات أي: أثبت لها ولا يضق صدرك عن احتباس الوحي وشماتة المشركين ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا^(٢)﴾: مثلاً وشبهها فلا محيص عن عبادته والصبر على مشاقها وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- ليس أحد يسمى الرحمن غيره، وعن بعضهم هل تعلم أحدا يسمى الله غيره ^(٣)؟

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَنُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۖ﴾ ١١ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ۖ﴾ ١٢ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۖ﴾ ١٣ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ۖ﴾ ١٤ ﴿ثُمَّ لَنَخْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۖ﴾ ١٥ ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ﴾ ١٦ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۖ﴾ ١٧ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۖ﴾ ١٨ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ

= إلا بأمر ربك" الآية هذا ما في الوجيز وفي الفتح أخرج البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني والبيهقي والحاكم وصححه عن أبي الدرداء رفع الحديث قال: ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئا ثم تلا "وما كان ربك نسيا".

(١) ولم يقل واصطبر على عبادته/ ١٢.

(٢) كذا قاله مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وغير واحد/ ١٢.

(٣) ولما ذكر وتم الحكايات الدالة على شمول علمه وقدرته لاسيما في إيجاد بشر تارة من التراب وتارة من ذكر وأنثى في حكم العدم وتارة من أنثى بلا ذكر أعقب من أمر الإنسان على التعجب فقال: "ويقول الإنسان" الآية/ ١٢ وجيز.

مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِئًا ﴿٧١﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٢﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلْقِيَّتُ الصَّلِيلَتُ حَتَّىٰ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٣﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنِّي مَالًا وَلَوْلَا ﴿٧٤﴾ أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمَّا اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٥﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٦﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٧٧﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٧٩﴾

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ حرف التعريف للجنس، فإنه إذا قال قائل منهم ذلك صح إسناده إلى جميعهم كما يقال بنو فلان فعلوا، والفاعل أحدهم أو للعهد أي: منكرو الحشر ﴿أَلَيْذَا مَا مِتُّ﴾ ما زائدة للتأكيد ﴿لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا﴾ واللام لمجرد التأكيد ليس فيها معنى الحال والعامل في إذا فعل دل عليه "أخرج"؛ لأن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها والمراد من الخروج الخروج من الأرض، أو حال الفناء ﴿أَوَّلًا يَذْكُرُ﴾: لا يتفكر ﴿الْإِنْسَانُ﴾ عطف على يقول، والهمزة بين المعطوفين ليدل على أن المنكر العجيب هو المعطوف فإنه لو تأمل ﴿أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك أي: لو تأمل النشأة الأولى حيث أخرجنا الجواهر والأعراض من العدم وأوقعنا تلك التأليف المشحون بأنواع الحكم اختراعا من غير حذو على مثال له ينكر النشأة الثانية ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ قسم باسمه الأعلى مضاف إلى أشرف مخاطب ﴿لَنَحْشُرُهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾^(١) الواو

(١) لو كان المراد من الإنسان منكري الحشر كما ذكرنا ففي رجح الضمير لنحشرهم لا إشكال بوجه ١٢ منه.

مفعول معه أو للعطف والضمير المفعول لجنس الإنسان فإنه إذا حشر الجميع حشراً واحداً وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد صدق أن الكل محشورون^(١) معهم ﴿ثُمَّ لَنُخْضِرُنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ : قعوداً على الركب على المعتاد في مواقف التقاول كما قال تعالى "وترى كل أمة جاثية" [الجاثية: ٢٨] ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ : أمة شاعت ديناً ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ : غيا وفساداً أي: قادمهم ورؤساؤهم في الشر أو يبدأ بالأفسق فالأفسق، فيطرح في جهنم وأيهم مرفوع بالابتداء استفهامي وخبره أشد، والجملة محكية أي لنتزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد أو مبني على الضم لحذف^(٢) صدر صلته و"على الرحمن" للبيان لا متعلق بعنقا؛ لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه أو معلق بأشد أي: عتوهم أشد عليه كما يقال: هو أشد على خصمه ﴿ثُمَّ لَنُخْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ أي: احتراقاً "وبها" للبيان أو ظرف لأولى أي: صليهم أولى بالنار يعني نزع الرؤساء، ونعلم أنهم أحق بتضعيف العذاب أو نبدأ بالأعصى فالأعصى ونقدم الأولى فالأولى بالعذاب وجاء بثم لتأخره في الإخبار، ولأن حاصله طرحهم في النار على الترتيب وهو متأخر عن التزع ﴿وَأِنْ مِنْكُمْ﴾ أي: منكم أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ : داخلها يدخل النار بر وفاجر وتكون على المؤمنين برداً وسلاماً وكثير من السلف^(٣) على أن الورود هو الجواز على الصراط فإنه ممدود عليها، وعن بعضهم^(٤) الورود

(١) هذا إشارة إلى ما يقال إذا جعلت الشياطين مفعولاً معه لا يستقيم لأن حشر الكل ليس مع الشياطين إلا أن يكون الضمير للكفرة فأجاب بأن الضمير للجنس والمعنى مستقيم ١٢ منه.

(٢) أي هو أشد ١٢.

(٣) كأنس وأبي هريرة وأبي سعيد وجابر وغيرهم وفيه أحاديث صحاح ١٢ منه.

(٤) عن ابن عباس - رضي الله عنه - قد يرد الشيء ولم يدخله نحو "ولما ورد ماء مدين" (القصص: ٢٣)، ويقال وردت القافلة البلد ولم تدخله وقد صح عن كثير من السلف وفيه حديث رواه الترمذي والإمام أحمد أن المراد من الورود الدخول يدخل النار كل بر وفاجر وتكون على المؤمنين برداً وسلاماً ١٢ وحيز.

الحضور والرؤية لا الدخول وقد ورد أنه عليه السلام- عاد رجلا من أصحابه وعكاه، ثم قال: "إن الله تعالى يقول هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة"(*) وعن مجاهد الحمى حظ كل مؤمن من النار ﴿كَانَ﴾ : الورد ﴿عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا﴾ : واجبا أو جبهه على نفسه أو قسما واجبا ﴿مَقْضِيًّا﴾ : قضاء الله عليكم ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ : عن النار ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ : الشرك ﴿وَنُذِرُ الظَّالِمِينَ﴾ : الكافرين ﴿فِيهَا جَثَا﴾ جميعا جمع جثوة أو على الركب جمع جاث ﴿وَإِذَا تُنْثَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ﴾ : واضحات المعاني والبرهان حال مؤكدة ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ : معهم، ولأجلهم ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ﴾ : منا(**) ومنكم خير ﴿مَقَامًا﴾ : مكانا ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ : مجلسا يعني لما سمعوا آيات الله أعرضوا عنها واستدلوا على فضلهم وشرفهم بزيادة حظهم حطام الدنيا فرد الله تعالى عليهم بقوله ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا﴾ : متاع البيت ﴿وَرِيًّا﴾ : منظرًا أو هيئة فلم ينفعهم، ولن يدفعهم عذاب الله تعالى، وكم مفعول أهلكنا ومن قرن بيانه وهم أحسن في محل النصب صفة كم وأثانا ورييا تمييز عن النسبة ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ الشرك ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ : يدعه ويمهله في طغيانه استدراجا وهو خير بلفظ الأمر إشعارا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة^(١) وقيل هذا دعاء ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾ : في الدنيا كالأسر والقتل ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ : القيامة

(٥) أخرجه أحمد (٤٤٠/٢)، وابن ماجه (٣٤٧٠)، والحاكم (٣٤٥/١) وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعا، وصححه الحاكم، وأقره الذهبي، ووافقهما الشيخ الألباني كما في الصحيحة .

(**) بالأصل مما .

(١) حاصله من كان في الضلالة فلا عذر له فقد أمهله الرحمن ومد في عمره ومن قال: إنه دعاء فيكون هذا إظهاراً لعدم بقاء عذر بعد هذا البيان الواضح فهو على أسلوب ربنا ليضلوا عن سبيلك والوجه الأول أوفق.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عند ذلك ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ : فئة وناصرًا وحتى غاية المد أي: هم في الاستدراج ممدود لهم الغواية إلى أن يأتيهم وعد الله أو غاية قول الكفار أي: الفريقين خير، أي: لا يزالون يقولون ذلك إلى أن يشاهد الموعود ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ : إيقانا على يقينهم عطف على الجملة الشرطية أي "من كان في الضلالة" إلخ وحاصله أن الله يزيد في ضلال الضالين، ويزيد هداية المهتدين ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ الأذكار والأعمال الصالحة التي يبقى أثرها ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ : من مفاخرات الكفار ﴿ثَوَابًا﴾ : جزاء ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾^(١) مرجعا، وهذا من قبيل الصيف أحر من الشتاء أي: أبلغ في حره من الشتاء في برده ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾^(٢) أي: أخبر بقصة ﴿الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ : عقب حديث أولئك ﴿وَقَالَ لَأَوْتَيْنَ مَالًا وَلَوْلَدًا﴾، وذلك حين تقاضى خباب دينا له على عاص بن وائل، فقال: أَلَسْتُمْ تَزْعُمُونَ أن في الجنة ذهبا وفضة، ومن كل الثمرات قال: بلى. قال: فإذا موعذك الآخرة أوفيك فيها

(١) لما ذكر الدلائل أولا: على صحة البعث ثم أورد شبهة المنكرين وأجاب عنها أورد عنهم الآن ما ذكره على سبيل الاستهزاء طعنا في القول بالحشر فقال: "أفرايت الذي كفر بآياتنا" الآية/١٢ كبير.

(٢) عن مسروق عن خباب قال: كنت قينا بمكة فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت أتقاضاه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد قلت لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يحبك قال إذا أماتني الله ثم بعثني ولي مال وولد فأنزل الله "أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا"، رواه البخاري في صحيحه وقع هذا الحديث في تفسير سورة كهيعص. [أخرجه البخاري في "التفسير"، باب: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأَوْتَيْنَ مَالًا وَلَوْلَدًا﴾ (٤٧٣٢)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "صفة القيامة والجنة والنار"، باب: بيان قول الله تعالى: "إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى" (العلق: ٦، ٧)، (٦٦٣/٥) ط الشعب.]

فوالله لأوتين مالا وولدا ﴿أُطْلِعَ الْغَيْبَ﴾ : أعلم علم الغيب حتى عرف أنه في الجنة ﴿أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ : أن سيؤتيه ذلك وعن بعضهم معناه أم قال لا إله إلا الله فيرجو بها ﴿كَلَّا﴾ ردع ورد لما تصوره ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ : نحفظها عليه ونجازيه البتة فالسين لمجرد التأكيد، أو معناه سنظهر له أنا كتبنا، أو سنتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ : نطيل مدة عذابه أو نزيده عذابه فوق العذاب من المدد ﴿وَوَرِثُهُ﴾ أي: نرث منه ولا نرزقه ﴿مَا يَقُولُ﴾ : من مال^(١) وولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ : يوم القيامة ﴿فَرْدًا﴾ : لا مال له ولا ولد ﴿وَاتَّخَذُوا﴾^(٢) أي: مشركو قريش ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ : يعبدونها ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ : ليتعززوا بهم حيث يكونون^(٣) لهم شفعاء عند الله ﴿كَلَّا﴾ ، ردع لتعززهم بها ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ يمحذ الآلهة عبادة المشركين كما قال تعالى: "تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون" (القصص: ٦٣)، أو سينكر الكفرة عبادة الأوثان كما قال الله تعالى: "والله ربنا ما كنا مشركين" (الأنعام: ٢٣)، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ : أعداء كما نقل أنهم يقولون: يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك وتوحيد ضدا لأهم كشيء واحد

(١) أي ما كان له في الدنيا.

(٢) ولما أخطر أن هذا الكافر ماله الذل اتبعه بما يستنجد الآلهة بعبادتهم، فقال: "واتخذوا من دون الله" الآية/ ١٢ وحيز.

(٣) يعني عبدوا الملائكة والأنبياء والصالحين ليشفعوا لهم فكانت عبادتهم إياهم وإشراكهم به الذي به طلبوا شفاعتهم به حرموا وشفاعتهم وعوقبوا بنقيض قصدهم لأهم أشركوا بالله ما لم يترل به سلطانا وكثير من أهل الضلال يظن أن الشفاعة تنال بهذه الأمور التي فيها شرك كما ظن ذلك المشركون وكما يظنه النصارى ومن ضل من المنتسبين إلى الإسلام يدعون غير الله ويحجون إلى قبره أو مكانه وينذرون له ويحلفون به ويظنون أنه بهذا يشفع لهم فبين تعالى: أنهم يكونون لهم أعداء على أبلغ الوجوه قاله ابن تيمية/ ١٢.

لفرط توافقهم في العداوة كما يقال هم يد على من سواهم، أو ضمير يكونون للكفرة وضمير عليهم للآله .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزُّهُمْ أَزًّا ﴿٤٧﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعْدُ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٤٨﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ ءَاوَيْنَا إِلَى الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًّا ﴿٤٩﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٥٠﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٥١﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٥٢﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٥٣﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٥٤﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٥٥﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٥٦﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٥٧﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٥٨﴾ إِنَّ الْأَدِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٥٩﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴿٦٠﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٦١﴾﴾

﴿أَلَمْ﴾^(١) تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ : سلطانهم عليهم ﴿تُوْزُّهُمْ أَزًّا﴾ الأز، والهز التحريك أي: تحركهم وتحثهم على المعاصي ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ : بطلب عقوبتهم حتى تطهر الأرض من دنسهم ﴿إِنَّمَا نَعْدُ لَهُمْ﴾ : أيام آجالهم وأنفاسهم ﴿عَذَابًا﴾ أي: لم يبق إلا أيام محصورة معدودة ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ﴾

(١) ولما أنكر أن يكون لهم العز وأثبت ذلهم أعقب ذلك بما يوجب ذلهم فقال: "ألم تر أننا أرسلنا الشياطين" الآية/١٢ وحيز.

منصوب بمقدر وهو اذكر أو تقديره يوم نحشر ونسوق نفعل بهم ما لا يحيط به الوصف، أو بلا يملكون ﴿وَقَدْ﴾^(١) : وافدين عليه كما يفد الوفاة على الملوك منتظرين لكرامتهم ﴿وَكُسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ : كما يساق البهائم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا﴾ : عطاشا؛ لأن من يرد الماء لا يردّه إلا لعطش ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ : كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ استثناء منقطع أي: لكن من اتخذ عهدا هو شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها له الشفاعة، أو ضمير لا يملكون للفريقين والاستثناء المتصل بدل من الضمير ﴿وَقَالُوا﴾^(٢) اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا: عجبيا أو عظيما منكرًا أو الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى ولتنبيه على عظيم قولهم ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ : يشققن منه من ذلك القول ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾^(٣) أي: تهد هذا أي: تنكسر وتسقط ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ أي: لأن أو بدل من ضمير منه والدعاء بمعنى التسمية وترك مفعوله الأول للعموم والإحاطة بكل ما دعى له ولدا أو بمعنى النسبة وفي اختصاص الرحمن أن أصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وجميع ما معهم فمن أضاف إليه ولدا من نعمه فقد جعله ك بعض خلقه ونعمه فحينئذ لا يستحق اسم

(١) قال على وابن مسعود وابن عمر وغيرهم من الصحابة: هم راكبون على النجائب والمجرمون راجلون وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثا مرفوعا عن علي رضي الله عنه وأرضاه/١٢ منه.

(٢) ولما رد على عبدة الأوثان عاد إلى الرد على من أثبت له ولدا فقال: "وقالوا اتخذ الرحمن ولدا" الآية/١٢ كبير.

(٣) عن ابن عباس أن الشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال وجميع الخلائق سوى الثقلين وكادت أن تزول منه لعظمته الله، وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين/١٢ منه.

الرحمن ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: ما يتأتى له اتخاذه لأن الولادة لا مقال في أنه مع وإما التبني فلا يكون إلا في مجانس وأين للقلم الرحمن مجانس^(١)؟! ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾^(٢) أي: ما منهم إلا وهو مملوك له يأوى إليه بالعبودية ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ﴾: حصرهم بعلمه وأحاط بهم ﴿وَعَدَهُمْ عَذَابًا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾: منفردا عن الأتباع والأنصار كعبد ذليل ﴿إِنَّ^(٣) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾: سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض للأسباب التي يكتسب بها الناس موادات^(*) القلوب وقد^(٤) صح "إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إني قد أحببت فلانا فأحبه فينادى في السماء ثم يتزل له الحبة في أهل الأرض فذلك قوله تعالى: "سيجعل له الرحمن ودا" ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ أي يسرنا القرآن عليك حال كونه مترلا

(١) ولا يبعد أن يقال إن التبني يصدر عن يصلح أن يكون له ولد وقد عجز عن تحصيله للكبر أو للعقم أو لمثل ذلك فإثبات التبني لله سبحانه أقبح مثل إثبات الولد له تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً كذا في الوجيز/ ١٢.

(٢) المراد ما من معبود لهم في السماوات والأرض من الملائكة والناس إلا وهو يأتي الرحمن أي يأوي إليه ويلتجئ إلى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا راجيا كما يفعل العبيد ومنهم من حملة على يوم القيامة خاصة والأول أولى لأنه لا تخصيص فيه/ ١٢ كبير.

(٣) ولما رد على أصناف الكفر وبالغ في شرح أحوالهم في الدنيا والآخرة ختم السورة بذكر أحوال المؤمنين فقال: "إن الذين آمنوا" الآية/ ١٢ كبير.

(٤) وفي النسخة (ن): مَوَدَات.

• (٤) رواه مسلم والترمذي/ ١٢ وجيز. [أخرجه مسلم في "البر والصلة"، باب: إذا أحب الله عبدا وضع له القبول في الأرض (٥/ ٤٩٠) ط الشعب].

بلغتك ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ أشداء الخصومة بالباطل ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ تخويف لهم، ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ : هل تشعر بأحد منهم وتراه ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ^(١) رِكْزًا﴾ : صوتا خفياً اللهم اجعلنا من الوافدين إلى الرحمن لا من الواردين إلى النيران.

(١) قال الحسن: بادوا جميعاً، فلم يبق منهم عين ولا أثر نقله البغوي/ ١٢.

سورة طه مكية

وهي مائة وخمس وثلاثون آية وثمانين ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه ١ ﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾
تَنْزِيلًا لِّمَن مَّثَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ
تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي
آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا
نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾
وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ لِلذِّكْرِ ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا
تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾ وَمَا
تَلَكَ بِيَمِينِكَ بِمُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأُشْعِرُ بِهَا عَلَى
غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَالْقَلْبُهَا فَإِذَا هِيَ
حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ
يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِن غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِزَيْدِكَ مِن
ءَايَتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾

﴿طه﴾ عن كثير من السلف^(١) أن معناه يا رجل بالعبرانية، وعن بعض^(٢) أنه عليه السلام إذا صلى في التهجد قام على رجل ورفع الأخرى، فأنزل الله طه أي طاء^(٣) الأرض بقدميك فقلبت همزته هاء. ﴿مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ : لتعب، لما نزل القرآن قام هو عليه السلام وأصحابه واجتهدوا في القراءة والعبادة، فقال المشركون: ما أنزل عليك القرآن يا محمد إلا لشقائك، فترلت ﴿إِلَّا تَذَكُّرَةً﴾ أي: لكن تذكيرا فنصبه على الاستثناء المنقطع، وقيل علة لفعل محذوف، أي: وما أنزلناه إلا للتذكير والموعظة، وقيل مصدر في موقع الحال من الكاف أو من القرآن ﴿لَمَنْ يَخْشَى﴾ : لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالإنذار ﴿تَنْزِيلًا﴾ أي: نزل تنزيلا أو مفعول به ليخشى، أي: لمن يخشى تنزيل الله، ﴿مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْغُلَى﴾ جمع الغليل أي: الرفيعة و"من" صلة تنزيلا^(٤) أو صفة له والالتفات للتعظيم. ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٥)

(١) نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وهو المروي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغير واحد من الصحابة والتابعين/١٢ منه. وفي الفتح وإذا تقرر أنها لهذا المعنى في لغة من لغات العرب كانت ظاهرة المعنى واضح الدلالة خارجة عن فوائح السور التي هي من المتشابهات/١٢.

(٢) نقله قاضي عياض في كتاب الشفاء عن الربيع بن أنس/١٢ منه.

(٣) والأظهر أنه من الحروف المقطعة نحو يس وق/١٢ وجيز.

(٤) الظاهر أنه إخبار من الله عن نفسه وباقي التأويلات بعيد/١٢ وجيز.

(٥) قال في كتاب العرش: قال الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني في مصنفه مصنف

حلية الأولياء في الاعتقاد الذي جمعه: هي طريقتنا طريق السلف المتبعين للكتاب والسنة

وإجماع الأمة ومما اعتقدوه أن الله لم يزل بجميع صفاته القديمة لا يحول ولا يزول إلى أن

قال: إن الأحاديث التي تثبت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله عليه يثبتونها من غير تكييف

ولا تمثيل وأن الله بائن من خلقه والخلق بائون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج وهو مستو على

عرشه في سمائه دون أرضه، وذكر السلف واعتقادهم وإجماعهم على ذلك انتهى.

استوى^(١) هو مبتدأ مشار بلامه إلى من خلق وعلى العرش استوى خبره أو تقديره هو الرحمن، وعلى العرش استوى إما خبر ثان أو تقديره هو على العرش استوى، سئل الشافعي عن الاستواء فأجاب: آمنت بلا تشبيه، واهتمت نفسي في الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك. **﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا**

= وأيضا فيه وقال الإمام الزاهد أبو عبدالله بن بطة العكبري في كتاب الإبانة تأليفه باب الإيمان بأن الله على عرشه بائن من خلقه وعلمه محيط بخلقه: وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشه فوق سماواته بائن من خلقه، فأما قوله: وهو معكم فهو كما قالت العلماء علمه انتهى وأيضا فيه، نقلا عن حافظ المغرب ابن عبد البر - رحمه الله: أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله: "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم" (المجادلة: ٧)، هو على العرش وعلمه بكل مكان. وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله انتهى، وهكذا نقل عنه هذا الإجماع في الحموية/١٢، وفي كتاب العرش عن الإمام أبي بكر الحافظ الذي نقله(*) الأحرى في كتاب الشريعة له: فإن قال قائل: ايش يكون معنى قوله تعالى "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم"؟! الآية التي احتجوا بها قيل له: علمه والله عز وجل على عرشه وعلمه محيط بهم كذا فسرره أهل العلم والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم وهو على عرشه فهذا قول المسلمين انتهى.

وفيه عن عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة الذي قال فيه البخاري: ما رأيت مثل عثمان بن سعيد ولا رأى عثمان مثل نفسه من كتاب النقض على بشر المريسي له: قد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالى بكماله فوق عرشه فوق سماواته، وقال: أيضاً في موضع آخر من الكتاب قال أهل السنة: إن الله بكماله فوق عرشه يعلم ويسمع من فوق العرش لا يخفى عليه خافية من خلقه ولا يحجبهم عنه شيء انتهى/١٢.

(*) زيادة اقتضاها السياق.

(١) قال محمد بن جرير في تفسير قوله: "ثم استوى على العرش" في كل مواضعه أي علا وارتفع نقله الذهبي عنه في كتاب العرش/١٢.

تَحْتَ الثَّرَى : ما تحت سبع أرضين وعن بعضهم هو صخرة تحت الأرض السابعة **﴿وَأِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾** أي: بذكر الله ودعائه **﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾** أي: فاعلم أنه غني عن جهرك، فإنه يعلم ما تسر في نفسك وأخفى منه، وهو ما لم تحدث به نفسك بعد، أو ما أسر الرجل إلى غيره وأخفى منه، وهو ما أسر في نفسه فيكون نهيًا عن الجهر، كما قال تعالى: "واذكر ربك في نفسك" (الأعراف: ٢٠٥)، أو معنله، يعلم السر وأخفى منه فكيف ما تجهر به فحيث حاصله أنزل من خلق السماوات والأرض القرآن ويعلم السر والجهر **﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾** تأنيث الأحسن.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ﴾ : يا محمد **﴿حَدِيثُ مُوسَى﴾** : قفاه بقصته، ليأتم به في تحمل أعباء الرسالة والصبر على الشدائد، فإن هذه السورة من أوائل ما نزل **﴿إِذْ رَأَى﴾** مفعول لاذكر أو ظرف للحديث **﴿نَارًا﴾** : في طريق مصر حيث استأذن شعبيًا في الرجوع إلى مصر لزيارة الوالدة، فخرج بأهله فأضل الطريق في ليلة مظلمة باردة فرأى من جانب الطور نارًا **﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾** : أقيموا مكانكم **﴿إِنِّي آنَسْتُ﴾** : أبصرت إبطارًا بينا **﴿نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾** : بشعلة منها **﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ﴾**

(١) ولما ذكر تعظيم كتابه وتضمن تعظيم رسوله أتبعه بقصة موسى ليأتم به في تحمل أعباء النبوة والصبر على الشدائد، فإن هذه السورة من أوائل ما نزل، فقال "وهل أتاك" الآية/١٢ وجيز.

(٢) لما قضى موسى أكمل الأجلين استأذن شعبيًا في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخته، فخرج بأهله وماله وكان أيام الشتاء، وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام، وامرأته حامل فسار في برية لا يعرفها، فألجأه البرد إلى جانب الطور في ليلة مظلمة مثلجة وأخذ امرأته الطلق وأقبح زنده فلم يور/١٢ وجيز طلق دردزه.

هُدًى: هادياً يهديني إلى الطريق ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ أي: النار^(١) ﴿نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي﴾: من قرأ بكسر إن فياضمار القول أو بإجراء النداء مجرى القول، ومن قرأ بالفتح فتقديره نودي بأني ﴿أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾، فإنهما كانا من جلد حمار ميت غير مدبوغ، أو أمر بالخلع تعظيماً للوادي. ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾، عطف بيان، إن كان اسماً للوادي وقيل معناه مرتين كثنى فهو مصدر لنودي أو المقدس، وقيل تقديره واطو الأرض بقدميك طوى فهو مصدر كهدي ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾: اصطفتك للنبوّة، ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾: إليك، ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾، بدل مما يوحى، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾: لتذكرني أو عند ذكرك لي، يعني عند ذكر الصلاة، ففي الحديث: "إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فإن الله قال: "أقم الصلاة لذكري" (*). ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾: لا محالة ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ عن نفسي أي: وقتها فهو مبالغة^(٢) في الإخفاء، وفي مصحف أبي وابن مسعود أكاد أخفيها من نفسي، وفي بعض القراءات فكيف أظهرها لكم أو أريد إخفاء وقتها أو أكاد أظهرها فالهمزة للسلب، في بعض القراءات أخفيها بفتح الهمزة أي

(١) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- رأى نارا مضطربة في شجرة خضراء، كلما قرب منها تباعدت فإذا أدبر تبعه وأيقن أن ذلك سر خارق للعادة، فصار متحيراً وسمع من جانب السماء تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة/١٢ وحيز.

(*) أخرجه البخاري في "مواقيت الصلاة"، باب: من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها... ومسلم في "المساجد وموضع الصلاة"، باب: قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، (٢/٣٢٤-٣٢٦) ط الشعب.

(٢) لما أمره بالعبادة ذكر الحامل على ذلك وهو البعث إشارة إلى الجزاء، فقال: "إن الساعة آتية" الآية/١٢ وحيز.

(٣) كما تقول: كتمت شرك عن نفسي/١٢ منه.

أظهرها، وقيل أخفيها فلا أقول هي آتية ولولا ما في الإخبار من اللطف لما أخبرت به ﴿لُتَجْزَى﴾ متعلق بآتية ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾: تعمل ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾: عن التصديق بالساعة ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ يعني كن شديد الشكيمة حتى لا يؤثر فيك أقوال الكفرة واعتقاداتهم فنهى الكافر والمراد فیه أن ينصد عنها ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾: خالف أمر الله ﴿فَتَرَدَّى﴾: فتهلك منصوب على جواب النهي.

﴿وَمَا تِلْكَ﴾، الحكمة في السؤال تنبيهه وتيقظه ليرى ما فيه من العجائب ﴿بِإِمِينِكَ﴾ حال من معنى الإشارة، أو صلة لتلك، وهي اسم موصول. ﴿يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ﴾: أعتد ﴿عَلَيْهَا﴾: عند المشي والإعياء ﴿وَأَهْشُ﴾: أخطب الورق عن الشجر ﴿بِهَا عَلَى﴾ رؤوس. ﴿غَنَمِي﴾: تأكله، ﴿وَلِي فِيهَا مَارِبٌ﴾: حاجات، ﴿أُخْرَى﴾^(١): كحمل الماء والزاد بها. قيل: لما أمره الله بخلع النعلين وتركهما تصور عند هذا السؤال إنكار التمسك بها، وأمره بالرفض فبسط الكلام، وقال: أنا محتاج إليها غاية الاحتياج، وعن وهب لما قال الله ألقها ظن موسى أنه يقول ارفضها. ﴿قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوسَى فَلَأَقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ﴾^(٢) خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ أي: نردها عصى كما كانت، منصوب بترع الخافض، أي: إلى سيرتها، أو

(١) قال الشوكاني: قد وقفت على مصنف في مجلد لطيف في منافع العصا لبعض المتأخرين، وذكر فيه أخباراً وأشعاراً وفوائد لطيفة ونكتاً رشيقة، وقد جمع الله سبحانه لموسى في عصاه من البراهين العظام والآيات الجسام ما أمن به من كيس السحرة، ومعرفة المعاندين، واتخذها سليمان لخطبته وموعظته وطول صلاته، وكان ابن مسعود صاحب عصا النبي ﷺ وعترته، وكان يخطب بالقضيب وكذا الخلفاء من بعده، وكان عادة العرب العرباء أخذ العصا والاعتماد عليها عند الكلام وفي المحافل والخطب/١٢فتح.

(٢) أمره بالإقدام على أخذها، ونهاه عن الخوف الذي يلحق البشر عند رؤية مثل ذلك سيما عند إمساكه/١٢وجيز.

ظرف، أي: في طريقها ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ أي: إلى جنبك تحت العضد. ﴿تَخْرُجْ﴾ ، حال كونها ﴿بَيْضَاءَ﴾ : لها شعاع كالشمس. ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ : كبرص صلبة لبيضاء. ﴿آيَةٌ أُخْرَى﴾ ، حال ﴿لِنُرِيكَ﴾ أي: فعلنا ذلك لنريك، أو تقديره خذ آية أخرى. لنريك فلا تكون آية على هذا حالا. ﴿مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ ، ثاني مفعولي نريك. ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ^(١)﴾ : وادعه إلى التوحيد ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ : عصى وتكبر .

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَخْلِلْ عُنُقَهُ مِنْ لَسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُمْ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُمْ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَى ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَ

(١) خص فرعون، وإن كان مبعوثا إلى الكل لأنه رئيس الضلال وهم تبع/١٢ وحيز.

رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يَقْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿١٦﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿١٧﴾ فَأَتَيْنَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿١٨﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٩﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوُسَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٢١﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٢٢﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٢٣﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٢٤﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِرَؤُوسِ الَّذِينَ هُمْ فِي شَكٍّ * ﴿٢٥﴾

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ : أفسح ربي قلبي لتحمل أعباء النبوة. ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ : سهل عليَّ أهم الكلام أولاً، وعلم أن ثمة مشروحا وميسرا، ثم رفع الإهمام بصدري وأمرني فيه تأكيد ومبالغة. ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ هو في صغره كان يوماً في حجر فرعون فأخذ لحيته ولطمه فتشاءم به وأراد قتله، فقالت امرأته: أنه لا يعرف ولا يعقل ونمتحنه، فقبوا إليه جهرتين ولؤلؤتين فتناول جهرتين ووضعهما في فيه فاحترق لسانه وصارت عليه عقدة وأصابه اللثغ، وعن بعض السلف^(١) سأل حل عقدة واحدة، ولو سأل أكثر من ذلك لأعطى، ولذلك بقي في لسانه شيء من الرتة، ومنها قال فرعون: "ولا يكاد يبين" (الزخرف: ٥٢) ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ : يفهموه هو جواب الأمر ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي﴾ مفعولاه إما وزيراً أو هارون قدم ثانيها للعناية به أولى ووزيراً وهارون عطف بيان للوزير، أو وزيراً ومن أهلي وأخشي

(١) هو ابن عباس/١٢ منه.

على وجه بدل من هارون أو عطف^(١) بيان آخر «اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي» : ظهري أو قوتي^(٢). «وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي» : في الرسالة ومن قرأ أشدُّد وأشركه بلفظ الخير فهما جواب الأمر «كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا» ، فإن التعاون يؤدي إلى تكاثر الخير «إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا» : بأحوالنا «بَصِيرًا» ، فأعطنا ما هو الأصلح لنا.

«قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ»^(٣) : مسئولك «يَا مُوسَى وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ» : بالإنعام، «مَرَّةً أُخْرَى» : في وقت آخر «إِذْ أَوْحَيْنَا»^(٤) : ألهمنا «إِلَى أُمِّكَ» وقيل: أوحى إليها ملكا لا على وجه النبوة، أو على لسان نبي في وقتها «مَا يُوحَى» : ما لا يعلم إلا بالوحي «أَنْ أَقْذِفِيهِ» : بأن ألقيه وضعيه. «فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ» : ببحر النيل «فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ» جعل البحر كأنه ذو تمييز فأمره وأخرج الجواب مخرج الأمر «بِأَخْذِهِ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لَهُ»^(٥) جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة. «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً» : كائنة «مِنِّْي» قد ركزتها في القلوب، يحبك كل من يراك، أو مـنى ظرف لألقيت، أي: أحبيتك ومن أحبه الله أحبته القلوب «وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي» : لتربى ويحسن إليك بمرأى، ومنظر مـنى كما يراعى الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به، تقديره ليتعطف^(*) عليك وتصنع ، أو تقديره وتصنع فعلت ذلك «إِذْ تَمْشِي» ظرف

(١) إنه أشهر من وزير وهو عطف بيان له/١٢.

(٢) أزر فلانا أي قواه/١٢.

(٣) كالخبز بمعنى المخبوز/١٢.

(٤) والمراد بالوحي إما مجرد الإلهام لأمه واسمها يوحاند قاله السيوطي في شرح النقاية، أو في النوم بأن أراها ذلك، أو على لسان ملك/١٢.

(٥) والأولى أن الضمائر كلها إلى موسى فإنه هو المحدث عنه، والمقدوف في البحر والملقى إلى الساحل، وإن كان هو التابوت بالذات إلا أن المقصود الأصلي موسى/١٢ منه.

(*) في النسخة (ن): ليتلطف.

لألقيت أو لتصنع بدل من إذ أوحينا على أن المراد به وقت متسع ﴿أَخْتُكَ﴾ : مريم
﴿فَتَقُولُ﴾ : حين ألقاه النيل إلى الساحل وأخذه فرعون وأحبه وكان لا يقبل ثدي
أحد من المراضع كما قال تعالى: "وحرمنا عليه المراضع من قبل" (القصص: ١٢). ﴿هَلْ
أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ : فجاءت بأُمك فقبلت ثديها. ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ
تَقْرَأَ عَينَهَا﴾ : بليقياك وقد مر اشتقاقه في سورة مريم ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ : هي بفراقك قيل
أي: لا تحزن أنت على فراقها، قد ذكر أن أمه اتخذت تابوتا ووضعت فيه، فأرسلته في
النيل وأمسكته بحبل، وكانت ترضعه في الليالي ثم ترسله في النيل، لأنه قد ولد في سنة
أمر فرعون بقتل الغلمان المولود فيها، فذهبت مرة لتربط الحبل فانفلت من يدها فذهب
به البحر فاغتمت، وذهب به النيل إلى دار فرعون فالتقطه آل فرعون ﴿وَقَتَلْتَ
نَفْسًا^(١)﴾ أي: القبطي الذي استغاثه على الإسرائيلي ﴿فَتَجْنَاكَ مِنَ النِّعَمِ﴾ : بأن غفر
الله لك، وأمنك من القتل. ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا^(*)﴾ : ابتليناك ابتلاء أو جمع فتن يعني ضروبا
من الفتنة، وهي ما وقع عليه من الواجهات^(٢) قبل النبوة ﴿فَلَبِثْتَ﴾ : مكثت ﴿سِنِينَ﴾

(١) وكان عليه الصلاة والسلام ابن اثنتي عشر سنة واغتم خروفا من عقاب الله ومن اقتصاص
فرعون ١٢/وجيز.

(٥) أخرج الإمام النسائي في "تفسيره"، (٤١/٢-٦٢) حديثا طويلا جدا يسمى بحديث
الفتون أسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفا بسند صحيح، وانظر تفسير ابن
كثير (١٤٩/٣)، والدر المنثور للسيوطي (٥٣٠/٤).

(٢) أولها: إن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم إلقاءه في البحر في
التابوت، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم أخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله، ثم
تناوله الجمره بدل الدرة، ثم قتله القبطي وخروجه إلى مدين خائفا، فكان ابن عباس -
رضي الله عنهما- يقص القصة على سعيد بن جبير - رضي الله عنه - نقله البغوي في
تفسيره/ ١٢.

أي: عشر سنين ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: منزل شعيب - عليه السلام - (*) على ثمان مراحل من مصر. ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾: على رأس أربعين سنة وهو القدر^(١) الذي يوحى فيه الأنبياء أو قدر قدرته في علمي ﴿يَا مُوسَى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾: إخترتك لرسالي وأمرني تمثيل لكمال قربه ووفور حبه ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾: معجزاتي ﴿وَلَا تَنِيَا﴾: ولا تقصرا ولا تفترا ﴿فِي ذِكْرِي﴾، يعني لا تنسياني^(٢) وقبل لا تقصرا في تبليغ ذكري ورسالي ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾: تكبر، أمره بالذهاب وحده أولا حيث قال: اذهب إلى فرعون وثانيًا: مع أخيه ﴿فَقُولَا^(٣) لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾: فلا تعنفا في قولكما كي لا تأخذه أنفة ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾: يذعن للحق ﴿أَوْ يَخْشَى﴾: أن يكون الأمر كما تصفان فيجر إنكاره إلى هلاكه يعني: اذهبا على رجائكما وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ترتب الفائدة على سعيه فيجتهد بطوقه، قيل قبل النصح أولا ثم أضله هامان ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾: أن يعجل علينا بالعقوبة^(٤) ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾: يجاوز الحد في الإساءة علينا أو فيك ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾: بالحفظ والعون ﴿أَسْمِعْ﴾: ما يجري بينكم ﴿وَأَرَى﴾: لست بغافل عنكما ﴿فَأْتِيَاهُ﴾: فأتياه مكثا في بابه حينًا طويلا قيل: ستين حتى أذن لهما ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ

(٥) في القطع بأن صالح مدين هو شعيب النبي عليه السلام نظر يأتي تحقيقه في تفسير سورة القصص.

(١) نقله البغوي عن عبد الرحمن بن كيسان، وقال هو معنى قول أكثر المفسرين/١٢.

(٢) كما وعدت كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا/١٢ وجيز.

(٣) وعن ابن مسعود قال: لما بعث الله موسى إلى فرعون قال: رب أي شيء أقول؟ قال:

قل هياشراحيا قال الأعمش تفسير ذلك الحي قبل كل شيء، والحي بعد كل شيء..

وجود السيوطي إسناده وسبقه إلى تجويد إسناده ابن كثير في تفسيره، ١٢/فتح.

(٤) من فرط أي سبق ومنه الفارط/١٢ منه.

فَأَرْسِلْ^(١) مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ^(٢) : خل عنهم وأطلقهم ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ : بالأعمال الشاقة ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ : برهان ومعجزة على رسالتنا ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعَ الْهُدَى﴾ أي : السلامة من عذاب الله عليه ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ﴾ : الرسل ﴿وَتَوَلَّى^(٣)﴾ : وأعرض عنهم، ومن لين المقال أنه ما قال : إن العذاب عليك إن كذبت وتوليت ﴿قَالَ﴾ : بعدما أتياه، وقال ما أمرا به ﴿فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾ ، خص موسى بالنداء لأنه المتكلم، أو لأنه عرف أنه الأصل وهارون مده، أو لما علم أن له رتبة، ولهارون فصاحة حمله خبثه على ذلك ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ : صورته وشكله اللائق به ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ : هداه إلى منافعه وأعطى كل حيوان نظيره وزوجه ثم هداه كيف يأتي الذكر الأنثى، وقيل أي : أوجد الأشياء وقدر الأرزاق والآجال والأعمال، ثم الخلائق ماشون على قدر لا يقدر أحد عن الخروج منه، كما قال : "والذي قدر فهدى" (الأعلى: ٣)، وقيل أي : أعطى خلقته كل شيء يحتاجون إليه، ثم هداهم إلى استعماله وعلى هذا خلقه مفعوله الأول، ولما كان الجواب بليغا جامعاً مفحماً بهت فلم ير إلا صرف الكلام عن الطريق الأول ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ : ما حالهم مع أن أكثرهم عابدو الأصنام. ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ : أعمالهم محفوظة عنده ﴿فِي كِتَابٍ﴾ : اللوح المحفوظ ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ : لا يخطئ شيئاً. ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ : ولا يذهب عنه ويجازيهم أو لا يضل ربي الكافر حتى ينتقم منه ولا ينسى الموحد حتى يجازيه^(٤) أو لما سأل عن سعادتهم وشقاوتهم

(١) وذكر في غير هذه الآية دعاءه إلى الإيمان أولاً/ ١٢ وجيز.

(٢) فإنهم في أيدي القبط كالعبيد والإماء يستعملونهم بأي وجه يشتهون/ ١٢ منه.

(٣) قال ابن عباس: هذه أرجى آية في القرآن فإن المؤمن ما كذب وتولى فلا يناله شيء من

العذاب/ ١٢ وجيز.

(٤) قاله ابن عباس/ ١٢ وجيز.

أحال علمه إلى الله فكأنه قال: لا أعلم حالهم ﴿الَّذِي﴾^(١) جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا: كال مهد ، ﴿وَسَلَّكَ﴾ : حصل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ : تسلكونها ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي : المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ قيل: تم كلام موسى وهذا من كلام الله، وقيل: من تمام كلام موسى لكن عدل إلى التكلم على الحكاية لكلام الله تنبيهًا على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال قدرته، وإيذانًا بأنه مطاع تدعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته، ويمكن أن يكون كلام موسى، فأخرج بصيغة الغيبة لكن لما حكى الله قوله حكاية لفظًا بلفظ حتى انتهى إلى قوله: "فأخرجنا" غير الأسلوب إلى التكلم تنبيهًا على عظم قدره، وأنه أمر لا يدخل تحت قدرة غيره ﴿أَزْوَاجًا﴾: أصنافًا ﴿مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ : مفترقات (*) جمع شتيت والنبات مصدر سمي به النبات فاستوى فيه الواحد والجمع فلهذا جاز وصفه بشئ التي هي جمع وقيل شئ صفة أزواجًا ﴿كُلُّوا﴾ أي: فأخرجنا قائلين كلوا ﴿وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ أي كلوا أنتم من النبات وأسرحوا أنعامكم^(٢) فيها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾^(٣) لأولي الثَّهَى ذوي العقول الناهية عن القبائح .

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَابْتَدَى﴾ ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ﴾

(١) ثم إن كلام موسى قد تم عند قوله: "ولا ينسى"، وقوله: "الذي جعل" من كلام الله نبه على قدرته ووحدانيته، فأخبر عن نفسه مخاطبًا لنبیه عادلا عن الغيبة للإيذان بأنه مطاع لا يتمتع شيء عن إرادته، نحو: "وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء" (الأنعام: ٩٩)، وهذا هو الأوجه الأبلغ / ١٢ وحيز.

(٥) في النسخة (ن): متفرقات.

(٢) معناه الإباحة والإذن / ١٢ منه.

(٣) أشار إلى جعل الأرض مهدًا وسلوك سبلها، وإنزال الماء وإخراج النبات / ١٢ وحيز.

يَمُوسَى ﴿٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ
نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوًى ﴿٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ
ضَحَى ﴿٩﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿١٠﴾ قَالَ لَهُمُ مُوسَى
وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴿١١﴾
فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿١٢﴾ قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ
أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴿١٣﴾
فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿١٤﴾ قَالُوا
يَمُوسَى إِنَّمَا أَن تَلْقَىٰ وَإِنَّمَا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنِ أَلْقَىٰ ﴿١٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا
حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿١٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ
خِيفَةً مُّوسَى ﴿١٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿١٨﴾ وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ
مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَى
السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ
ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا
وَأَبْقَىٰ ﴿٢١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا
فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٢﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ
لَنَا خَطِئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٢٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ
رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٢٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا

قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٦٦﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٦٧﴾

﴿مِنْهَا﴾^(١) : من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ : فإن أب الكل منها وعن بعض الملك يأخذ
من تراب الأرض الذي قدر أن يدفن فيها فيذره على النطفة فيخلق منها ﴿وَفِيهَا
نُعِيدُكُمْ﴾ : بالموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ : يوم البعث ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾ .

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ أي : الآيات التي ظهرت على يد موسى ﴿فَكَذَّبَ﴾ :
الآيات وقال إنها سحر، ﴿وَأَبَى﴾ : قبولها ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ
يَا مُوسَى﴾^(٢) : فيبقى لك ديارنا ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾ : مثل سحرِكَ ﴿فَأَجْعَلْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ اسم مكان أو زمان ﴿لَا نُخْلِفُهُ﴾ جعل المكان أو الزمان مخلفاً
على الاتساع كيوم شهادته ﴿نُخْنُ وَلَا أَتَى مَكَانًا﴾ بدل من الموعد على الأول،
وظرف للاخلفه على الثاني، وقيل مفعول أول لاجعل ﴿سُوءٍ﴾ منصفاً يستوي مسافته

(١) أخرج أحمد والحاكم عن أبي أمامة قال: لما وضعت أم كلثوم بنت رسول الله -صلى الله
عليه وسلم- في القبر قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "منها خلقناكم وفيها نعيدكم
ومننا نخرجكم تارة أخرى، بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله"، وفي حديث في
السنن "أنه أخذ قبضة من التراب وألقاها في القبر وقال: منها خلقناكم ثم أخرى، وقال
وفيها نعيدكم ثم أخرى، وقال: ومنها نخرجكم تارة أخرى" / ١٢ فتح. [الحديث سكت عنه
الحاكم في "المستدرک" (٣٧٩/٢) وقال الذهبي: خير واه علي بن يزيد متروك]

(٢) هذا كلام اضطراب إذ علم أنه الحق، وذكر علة المجيء وهي إخراجهم من أرضهم،
ولاشك لأحد أن ساحراً لا يقدر على إخراج ملك من أرضه؛ لكن ألقى هذه العلة
ليصير قومهم الجاهلون متعصبين له إذ الإخراج من الوطن شاق جعله الله تعالى مساوياً
للقتل، كما قال: "اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم" (النساء: ٦٦)، مع أنه لا
يطلب منهم إلا الإيمان/ ١٢ وجيز.

إلينا وإليك أو عدلا أو مستوى يتبين الناس وما فيه فيه، **﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾** : يوم عيد لهم، وعن ابن عباس -رضي الله عنه- يوم عاشوراء إذا كان الموعد اسم زمان فهو ظاهر، وأما إن كان اسم مكان فهو كما تقول يوم عرفة في جواب أين أراك؟ أي: في عرفة فإن له مكانا معينا معروفا **﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ﴾** ، عطف على اليوم والزينة **﴿ضَحَى﴾** : في وقت الضحوة جهاراً في محضر الخلائق ليتضح الحق على رءوس الأشهاد ويشتهر، **﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾** هو كما تقول ذهب يفعل كذا أي شرع فيه **﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾** : ما يكاد به من السحرة وآلاتها **﴿ثُمَّ أَتَى﴾** : الموعد **﴿قَالَ لَهُمْ﴾** : للسحرة **﴿مُوسَى﴾** وفي عددهم اختلاف كثير قيل سبعون رجلا، وقيل ثمانون ألفا، أو ثلاثون أو تسعة عشر ألفا، أو خمسة عشر ألفا، أو اثنا عشر ألفا **﴿وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾** ، بأن تخيلوا للناس ما لا حقيقة له، فتقولوا إنه مخلوق لله وأن تدعوا معجزاته سحراً أو تدعوا له ندا **﴿فَيَسْحَتِ كُفْرُكُمْ﴾** : يستأصلكم **﴿بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ﴾** : خسر **﴿مَنْ افْتَرَى﴾** : على الله **﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾** أي: تشاجر السحرة سرّاً من فرعون في أمرهم فقائل منهم يقول ليس هذا بساحر إنما هو كلام نبي وقائل يقول بل هو ساحر **﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾** (١) أي: تناجوا فيما بينهم **﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَا لَسَاحِرَٰنِ﴾** ، تفسير لأسروا النجوى وهذا من اسم إن لغة من يجعل التثنية غير مختلف في الرفع والنصب والجر، أو تقديره أنه هذان لساحران **﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾** : بملككم وعيشكم الذي أنتم فيه أو بأشراف قومكم أو بدينكم الذي هو أمثل الأديان، **﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾** أي: أحكموا واعزموا كلكم على كيدهما مجتمعين لهما **﴿ثُمَّ اتَّوَا صَفًّا﴾** : مصطفين فإنه أهيأ في عين الرائي، وهذا قول بعض السحرة لبعضهم **﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾** : فاز

(١) خيفة من فرعون، عن ابن عباس نحوهم إن غلبنا موسى اتبعناه/١٢ وجيز.

من غلب، ﴿قَالُوا يَا مُوسَى﴾ ، بعدما جمعوا كيدهم وأتوا، ﴿إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ﴾ : عصاك أولاً، ﴿وَأِنَّمَا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ، ما بعد أن منصوب بمحذوف أي: اختر إلقاءك أو إلقاءنا أو مرفوع أي: الأمر إلقاءك أو إلقاءنا. ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ ، قيل: لما علم ميلهم إلى البدء أمرهم به وليسعر عليه تغيير نظمهم عن إما أن تلقي إلى أو أن تكون أول من ألقى ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ ، إذا للمفاجأة أي: فألخوا فإذا جبالهم ﴿وَعَصِيَّهُمْ﴾ ، جمع عصي ﴿يُخِيلُ^(١) إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى﴾ ، وتحريكها ما كان إلا بحيلة وحاصل الكلام فألخوا ففاجأ موسى تخيله وقت تخيل سعي جبالهم وعصيتهم من سحرهم ومن قرأ تخيل بالثناء فقوله: أنها تسعى بدل اشتغال من ضميره الراجع إلى الجبال والعصى قيل لطحوا بالزئبق فلما ضربت عليهما الشمس اضطربت. ﴿فَأَوْجَسَ﴾ : أضمر ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ : من أن يلتبس الأمر على القوم فلا يتبعونه وقيل من : طبع البشرية ظن أنها تقصده ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ ، وهذا مشعر ومؤيد للوجه الأول، وإلا فالمناسب أن يقال لا تخف إنك آمن ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ لم يقل عصاك تحقيراً لها أي العويذة التي في يدك ولا تبال بعصيتهم ﴿تَلْقَفْ﴾ : تتلع جواب الأمر وقراءة تلقف بالرفع أي: تتلقف فبالحال أو الاستئناف. ﴿مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا﴾ أي: إن الذي زوروا ﴿كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ ، وحد الساحر لأن المراد به الجنس، وقراءة سحر كعلم فقه بأن الإضافة للبيان أو جعل الساحر سحر للمبالغة ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ : حيث كان ﴿فَأَلْقَى^(٢) السَّحْرَةَ سُجَّدًا﴾

(١) ولما كان المتبادر من نسبة السعي والمشي إلى شيء أنه مختار يريد نفى عنه السعي إلا بالتخيل/١٢.

(٢) قال صاحب الكشف: سبحان الله ما أعجب أمرهم! قد ألخوا جبالهم وعصيتهم للكفر والجحود، ثم ألخوا رءوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الالتفات/١٢ فتح.

أي: ألقى موسى عصاه فتلقفت فألقى ذلك السحرة على وجوههم ساجدين لله ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾، وعن بعض لما سجدوا رفعت لهم الجنة حتى نظروا إليها ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾ أي: لموسى واللام لتضمين معنى الاتباع ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ : في اتباعه ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ﴾ : أستاذكم ﴿الَّذِي﴾ ^(١) عَلَّمَكُمْ السَّحَرَ فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ أي: مختلفات من اليد اليمنى ومن الرجل اليسرى، ومن للابتداء، فإن القطع ناشئ من مخالفة العضو العضو. أي: من وضع المخالفة فقد لابس المخالفة أيضًا وقيل من أجل خلاف ظهر منكم ﴿وَلَا صَلَّيْتُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي: عليها شبه تمكن المصلوب بالجذوع يتمكن المظروف بالظرف، فقال: في جذوع ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا﴾: أنا أو موسى وأراد به الهزء فإنه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل أي: أنا أو رب موسى الذي آمنتم به ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ : نختارك، ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا﴾ الضمير لما ﴿مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ : المعجزات ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ ، عطف على ما جاءنا وقيل قسم ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أي: قاضيه يعني اصنع ما تصنع ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: إنما لك تسلط في دار الزوال ونحن قد رغبنا في دار القرار ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ﴾ ^(٢) أخذ فرعون أربعين غلامًا من بني إسرائيل، وأمر بتعليم

(١) فإنه حين رأى ما رأى من المعجزة، ورأى قد آمن من استنصر به بحضرة الناس، شرع في المكابرة والبهت يقول: يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه كذب مختلق ثم هددهم فقال: "فلا قطعن" الآية/ ١٢ وحيز.

(٢) إكراهه إياهم على معارضة موسى مع علمهم أنه ليس بساحر فإنهم لما رأوا أن عصاه يجرسه وهو نائم قالوا لفرعون إنه ليس بساحر، فأبى إلا المعارضة، وليس في القرآن ما يدل على أنه أنفذ وعيده فيهم، بل الظاهر أن الله سلمهم منه، قال تعالى: "اتمنا ومن اتبعكما الغالبون" (القصص: ٣٥)، هذا ما في الوجيز قال أبو السعود: قال

السحر لهم كارهين، وهم الذين قالوا ذلك، وقيل لما رأى السحرة عصاه يحرس موسى وهو نائم قالوا لفرعون: إن هذا ليس بساحر فأبى إلا المعارضة ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ : جزاء أو لنا منك ﴿وَأَبْقَى﴾ عقابا أو لنا فإنك فان. ﴿إِنَّهُ﴾ الضمير للشأن ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ : بأن يموت كافرا ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ : فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ : حياة مرضية وهذه الجملة إما من تمام قول السحرة وإما ابتداء كلام من الله، وفي مسلم^(١) وغيره وإما أناس تصيبهم النار بذنوبهم، وليسوا من أهلها فيميتهم إماتة حتى يصيروا فحما يقوم الشفعاء فيشفعون فيؤتى بهم ثمرا يقال له الحياة فينبتون كما ينبت الغطاء في حميل السيل. ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ وفي مسند أحمد والترمذي: قال عليه السلام: "في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة" (*). ﴿جَنَّاتُ

= المفسرون: وليس في القرآن أن فرعون فعل بالسحرة ما هددهم به ولم يثبت في الأخبار أيضا/١٢.

(١) أخرج أحمد ومسلم وابن أبي حاتم وغيرهم عن أبي سعيد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطب فأتى على هذه الآية فقال: "أما أهلها الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون وأما الذين ليسوا أهلها فإن النار تميتهم إماتة ثم يقوم الشفعاء فيشفعون فيؤتى بهم ضبائر (الجماعات) على نهر يقال له الحياة أو الحيوان فينبتون كما ينبت الغطاء في حميل السيل" ١٢/فتح. [أخرجه أحمد (٣١٦/٥) والترمذي (٢٦٦٤)، والبيهقي في "السنن الكبرى"، (١٥/٩) وغيرهم. وصححه الحاكم (٨٠/١) وأقره الذهبي، وهو كما قالوا، وانظر صحيح الترمذي (٢٠٥٦)، والسلسلة الصحيحة.]

(*) أخرجه مسلم في "الإيمان"، باب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (١/ ٤٤٦، ٤٤٥). ط الشعب.

عَذَنُ ﴿١﴾ ، بدل من الدرجات ﴿تَجْرِي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ : تطهر من أدناس المعاصي .

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ ﴿٢﴾ فَأَتْبَعَهُمْ قِرْعُونُ بِجُنُودِهِمْ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٣﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٤﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَجَيْنَاكُمْ مِنْ عَذُوبِكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى ﴿٥﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٦﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٧﴾ * وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسَى ﴿٨﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٩﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿١٠﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿١١﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿١٢﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿١٣﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿١٤﴾

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ﴾ ، أن مفسرة أو مصدرية ﴿بِعِبَادِي﴾ : من مصر ﴿فَاصْرَبْ﴾ : اتخذ واجعل ﴿لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ﴾ : بأن تضرب البحر بعصاك

«يَسًا» أي: طريقًا يابسًا ﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا﴾ أي: من أن يدركك فرعون حال من ضمير فاضرب، أو صفة ثانية لطريقًا، أي: طريقًا لا تخاف فيه ﴿وَلَا تَخْشَى﴾، من قرأ لا تخف بالجرم^(١) فلا تخشى إما استئناف، أي: وأنت لا تخشى، أو عطف على لا تخف والألف زائدة للفاصلة كالظنونا ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ حين أسرى موسى ببني إسرائيل من مصر، وثاني مفعوليه محذوف، أي: أتبعهم فرعون نفسه متلبسًا بجنوده أو الباء صلة، أي: أتبعهم جنوده وقيل أتبع بمعنى^(٢) اتبع ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ : في هذا الإلهام من التفخيم ما لا يخفى ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ : رد عليه حيث قال: "وما أهديكم إلا سبيل الرشاد" (غافر: ٢٩) ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ، خطاب لهم بعد إهلاك فرعون على إضمار قلنا ﴿قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ﴾^(٣) مِنْ عَذَابِكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ^(٤) ﴿لَمُنَاجَاةِ نَبِيِّكُمْ﴾، وإنزال التوراة عليكم ﴿وَوَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّا﴾ شيء مثل الترنجيبين من السماء يترل عليهم ﴿وَالسَّلَوى﴾ : طائر يسقط عليهم فيأخذون بقدر الحاجة، وذلك في التيه ﴿كُلُوا﴾ أي: قائلين كلوا ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ : من لذائذه أو حلالاته ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ : بأن تكفروا نعمتي فتنفقوا في معصيتي ولم تشكروا ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾ : يلزمكم، ومن قرأ يحل فمعناه يترل ﴿غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ^(٥) عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾: هلك، وعن ابن

(١) على أنه جواب الأمر / ١٢ منه.

(٢) والباء حينئذ للتعدية، والقراءة باتبع يؤيده / ١٢ منه.

(٣) ذكر سبحانه ما أنعم به على بني إسرائيل بعد إنجائهم وفي هذا الترتيب غاية الحسن حيث قدم تذكير نعمة الإنجاء ثم النعمة الدينية ثم النعمة الدنيوية / ١٢ فتح.

(٤) من قرأ الأيمن بالجر فهو من جر الجوار نحو: "جحرُ ضبٍّ حربٍ" / ١٢ منه.

(٥) يحلل بكسر اللام من حل الدين إذا وجب وحب وحبان وقت أدائه، وبضم اللام من الحلول بمعنى التزول / ١٢ منه.

عباس^(١) في جهنم قصر يرمى الكافر من أعلاه فيهوى أربعين خريفاً قبل أن يبلغ الصلصال، وذلك قوله: "فقد هوى"، **﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾**: عن الشرك، **﴿وَأَمِّنَ﴾**: بما يجب الإيمان به، **﴿وَعَمِلَ صَالِحًا تُمْ أَهْتَدَى﴾**: استقام على الطريق المستقيم **﴿وَمَا أَعْجَلَكَ﴾** سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارها، وهو مبتدأ أو خبر **﴿عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ﴾**، وذلك حين اختار سبعين رجلاً من قومه فذهبوا إلى الطور للمناجاة وأخذ التوراة، فعجل من بينهم شوقاً إلى ربه، وتقدم وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل قال مجيباً لربه: **﴿هُمْ أَوْلَاءَ عَلَيَّ أَثَرِي﴾** أي: هم بالقرب مني "وعلى أثرى" إما حال أو خبر بعد خبر، **﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾**^(٢) : لتزدد عني رضا فإن المسارعة إلى امتثال الأمر أمثل، **﴿قَالَ﴾** الله: **﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾** الذين خلفتهم مع هارون، وهم ستمائة ألف إلا السبعين الذين اختارهم للمناجاة **﴿مِنْ بَعْدِكَ﴾** : بعد خروجك **﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾**^(٣) : بأن دعاهم إلى عبادة العجل بعد اتخاذهم **﴿فَرَجَعَ مُوسَى﴾**^(٤) **﴿إِلَى قَوْمِهِ﴾** : بعد أخذ التوراة **﴿غَضَبَانَ﴾**:

(١) رواه ابن أبي حاتم/١٢ منه.

(٢) كأنه قال: ما تقدمت عليهم إلا بقدر يسير يتقدم بمثله الرفقة بعضها فما يعد هذا من العجلة، وأيضاً طلبت في تلك العجلة رضاك/١٢ منه.

(٣) وكان من قوم يعبدون البقر فدخل في دين بني إسرائيل في الظاهر وفي قلبه ما فيه من عبادة البقر، وكان من قبيلة تعرف بالسامرة، وقيل: كان من القبط، وقيل: كان علجاً من علوج كرمان رفع إلى مصر، وكان جاراً لموسى وآمن به واسمه موسى بن ظفر، وكان منافقاً فقال لمن معه من بني إسرائيل: إنما تخلف موسى عن الميعاد الذي بينكم وبينه لما صار معكم من الحلبي، وهي حرام عليكم وأمرهم بالقاءها في النار وكان من أمر العجل ما كان/١٢ فتح.

(٤) روى أنه لما رجع موسى سمع الصباح والضجيج وكانوا يرقصون حول العجل فقال: هذا صوت الفتنة، وفي القرطبي وسئل الإمام أبو بكر الطرطوشي عن جماعة يجتمعون،

عليهم ﴿أَسِفًا﴾ الأسف الشديد الغضب أو الحزين، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ بأن يعطيكم التوراة، ووعدكم على لساني خير الدارين ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ أي: الزمان في انتظار ما وعدكم الله ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ﴾ يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ أي: وعدكم إياي بالثبوت على الدين واتباع هارون ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا﴾: عن قدرتنا واختيارنا، ولو لم يسأل لنا السامري لما أخلفناه ﴿وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا﴾: حمالا، ﴿مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾: من حلي القبط ﴿فَقَدَفْنَاهَا﴾: في النار وذلك أنهم لما خرجوا^(١) من مصر كانت معهم ودائع من حلي آل فرعون، فقال هارون: "لا يحل لكم الوديعه، ولسنا برآدين إليهم"، فأمرهم أن يقذفوها في حفيرة ويوقد عليها النار، فلا تكون الودائع لنا ولا لهم أو أمرهم بذلك ليصير الحلي كحجر واحد حتى يرى فيها موسى حين رجوعه

= ويكثرون من ذكر الله، وذكر رسوله -صلى الله عليه وسلم- ثم إنهم يضربون بالقضيب على شيء من الطبل ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه، ويحضرون شيئاً يأكلونه فهل الحضور معهم جائز أم لا؟ فأجاب: يرحمك الله! مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون وهو دين الكفار عباد العجل وأما الطبل فأول من اتخذ الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى وإنما كان مجلس النبي مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، فينبغي للسلطان، ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة، والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين. انتهى/ ١٢ فتح.

(١) رواه النسائي في سننه عن ابن عباس في حديث طويل وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم/ ١٢ منه.

ما يشاء، وقيل الأمر بذلك السامري لا هارون ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ أي: أراهم أنه أيضًا ألقى حليًا في يده وإنما ألقى التربة التي أخذها من تربة حافر فرس جبريل ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ : من تلك الحلي المذاب، ﴿لَهُ خُورٌ﴾ : صوت العجل عن ابن عباس، لا والله ما كان له صوت، وليس له روح إنما كانت تدخل الريح في دبره وتخرج من فيه، والصوت من ذلك ^(١) ﴿فَقَالُوا﴾ أي: السامري والضلال منهم: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ أي: فنسيه موسى هاهنا، وذهب يطلبه، أو فنسى أن يذكرهم أن هذا إلهكم أو فنسى السامري ما كان عليه من الإسلام وتركه ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ ، من كلام الله ردًا عليهم، وبيانا لسخافة رأيهم ﴿أَلَا يَرْجِعُ﴾ أي: أنه لا يرجع ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ : لا يجيبهم، ولا يكلمهم ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ : لا يقدر على إضرارهم وإنفاعهم أو على دفع ضررهم، وإيصال نفعهم.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَلْقَوْنَ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ﴾ ﴿١٠﴾ قالوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ قَالَ يَلْهَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿١٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِيَ ﴿١٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحِيَّتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿١٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمَرِي ﴿١٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿١٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي

(١) وفيه بحث لأنه إذا لم يكن له حياة فليس لقبض التراب من أثر جبريل فائدة كما ذكرنا في سورة الأعراف/١٢ وحيز.

الْحَيَوَةُ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ
الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٧٧﴾ إِنَّمَا
إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٧٨﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ
مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٧٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ
يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿٨٠﴾ خَلِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿٨١﴾
يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِذٍ زُرْقًا ﴿٨٢﴾ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهُمْ
إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿٨٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ
لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿٨٤﴾

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ^(١) مِنْ قَبْلُ﴾ : قبل رجوع موسى، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ
بِهِ﴾ : ابتليتم بالعجل، ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ : لا العجل، ﴿فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا
أَمْرِي﴾ : في الثبات على الدين ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ﴾ : لن نزال ﴿عَلَيْهِ﴾ على العجل
بأن نعبدہ ﴿عَاكِفِينَ﴾ : مقيمين ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ قَالَ﴾ : موسى بعدما

(١) اعلم أن هارون عليه السلام سلك في هذا الوعظ أحسن الوجوه لأنه زجرهم عن
الباطل أولاً بقوله: "إنما فتنتم به" ثم دعاهم إلى معرفة الله تعالى ثانياً بقوله: "وإن ربكم
الرحمن" ثم دعاهم ثالثاً إلى معرفة النبوة بقوله: "فاتبعوني" ثم دعاهم إلى الشرائع رابعاً
بقوله: "وأطيعوا أمري" وهذا هو الترتيب الجيد لأنه لا بد قبل كل شيء من إمطة الأذى
عن الطريق وهو إزالة الشبهات ثم معرفة الله تعالى، فإنها هي الأصل ثم النبوة ثم الشريعة
ثم إنهم لجهلهم قابلوا هذا الترتيب الحسن في الاستدلال بالتقليد والحدود فقالوا: "لن
نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى" كأنهم قالوا: لا نقبل حجتك ولكن نقبل
قول موسى وعادة المقلد ليس إلا ذاك/ ١٢ كبير.

رجع: ﴿يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ : بعبادة غير الله ﴿أَلَا تَتَّبِعُنِي﴾ أي: عن أن تأتي عقي فتخبرني عن ما أحدثوا، أو عن أن تتبعني في الغضب لله، والمقاتلة معهم، ولا مزيدة على الوجهين نحو "ما منعك أن لا تسجد" (الأعراف: ١٢)، ﴿أَفَعْصَيْتَ أَمْرِي﴾ ، حيث وصيتك اخلفني ولا تتبع سبيل المفسدين، فرضيت، وسكنت وسكت ﴿قَالَ﴾ هارون: ﴿يَا ابْنُؤُمَّ﴾ ذكر الأم مع أهما أخوان من أبوين، لأن ذكرها أرق وأبلغ في الحنو، ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ أي: بشعره فإنه كان عليه السلام شديد الغضب لله متصليا لم يتمالك حين رآهم مشركين ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: خشيت لو فارقتهم ليتفرقوا، وخشيت لو قاتلتهم لصاروا أحزابا مقاتلين بعضهم بعضا، ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ حين قلت اخلفني في قومي وأصلح أي: ارفق بهم ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ ، ثم أقبل إليه، وقال له منكرا ما طلبك^(١) له، وما شأنك، وما الذي حملك عليه ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ : علمت، وفطنت ما لم يعلموه، ولم يفطنوا له ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾ أي: مرة من القبض أطلق على المقبوض ﴿مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ أي: من تربية موطئ فرس جبريل، ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ : ألقيتها في الحلي المذاب نقل أن السامري كان من قوم يعبدون البقر، وكان حب عبادته في نفسه، فلما رأى جبريل حين جاء لهلاك فرعون أخذ قبضة من أثر فرسه وألقى في روعه^(٢) إنك إن ألقيتها في شيء فقلت له كن فكان، وعن بعض أخذ التراب حين جاء جبريل ليذهب بموسى إلى المناجاة ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ﴾ : زينت، ﴿لِي نَفْسِي قَالَ﴾ : موسى له، ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ : ما دمت حيا، ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ : مع كل من جاء إليك ﴿لَا مِسَاسَ^(١)﴾ لا

(١) من خطب الشيء إذا طلبه/١٢ وحيز.

(٢) وفي الوجيز وألقى الشيطان في خاطره/١٢.

ما دمت حيًّا، ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ : مع كل من جاء إليك ﴿لَا مِسَاسَ﴾^(١) لا مخالطة بوجه فتكون وحشيًّا نافرًا منفردًا فإنه إذا اتفق أن يماس أحدًا حم الماس والمسوس فتحمي الناس وتحموه ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ : لعذابك ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ : لن يخلفك الله و ينجزه لك البتة، ومن قرأ بكسر اللام فهو من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفا ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ﴾ : ظللت بجذف اللام الأولى ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ : مقيما على عبادته ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ : بالنار فإنه صار لحمًا ودمًا أو بالميرد^(٢) فهو مبالغة في حرقه إذا برد بالميرد ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ﴾ : لنذرينه رمادا أو مبرودا ﴿فِي أَلِيمٍ نَسْفًا﴾ : وقد ذكر أنه لم يشرب أحد ممن عبده من ذلك الماء إلا اصفر وجهه كالذهب، ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ، نصبه بالتمييز أي: وسع علمه كل شيء لا العجل الذي هو مثل في الغباوة، ولو كان حيًّا ﴿كَذَلِكَ﴾ : مثل ذلك الاقتصاص ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ﴾ : أخبار، ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ : من الأحوال تبصرة لك، وتنبئها ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾^(٣) : ذكرنا كتابا مشتملا على ذكر أمور محتاج إليها، ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ : فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ﴿فَإِنَّهُ﴾ ، الضمير للشأن ﴿يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ : عقوبة ثقيلة، ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ : في الوزر، وإفراد أعرض وجمع خالدين نظرا إلى اللفظ والمعنى ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ : ساء بمعنى بُس، وفيه ضمير مبهم يفسره حملا، والمخصوص بالذم محذوف أي : ساء حملا

(١) وهذه الآية أصل في نفي أهل البدع، والمعاصي، وهجرانهم وأن لا يخالطوا قاله الكرخي/ ١٢ فتح.

(٢) نقله أبو حاتم عن علي بن أبي طالب، ونقل الضحاك عن ابن عباس فإن مآل الحرق تفتت الشيء، وإذا برد بالميرد يكون مثل الحرق/ ١٢ وجيز.

(٣) وتووين ذكرًا للتعظيم/ ١٢

وزرهم واللام كهيت لك للبيان ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المشركين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾: زرق^(١) العيون قبيح المنظر وقيل: عميا فإن حدقة الأعمى تزرق ﴿يَتَخَفَتُونَ^(٢)﴾: يتشاورون، ﴿يَبْتَهِمُ إِنْ لَبِثُمْ﴾: ما لبثتم في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾: عشر ليال استقصروا مدة مكثهم فيها مع أنهم آثروها على الباقي الدائم فتأسفوا عليها، وقيل: المراد مدة مكثهم في القبر أو مرادهم ما بين النفختين وهو أربعون سنة يرفع عنهم العذاب في تلك المدة استقصروها لهول ما عاينوا من القيامة ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ﴾: منهم، ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾: في حال تناجيههم، ﴿إِذْ يَقُولُ امْثُلْهُمْ طَرِيقَةً﴾: أعد لهم رأيا وقولا ﴿إِنْ لَبِثُمْ إِلَّا يَوْمًا^(٣)﴾.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۖ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۖ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفِيعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ۖ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ عِلْمًا ۖ ۝ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۖ ۝ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۖ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا

(١) والزرقة أبغض ألوان العيون، والعرب تتشاءم به/١٢ وجيز.

(٢) فإن الهول مخفض أصواتهم، فلا يقدرّون على رفع الصوت/١٢ وجيز.

(٣) لما وصف أمر يوم القيامة حكى سؤال من لم يؤمن بالحشر فقال: "ويسألونك عن الجبال" الآية. والسائل منكّر الحشر/١٢ وجيز مع الكبير.

تَعَجَّلْ بِالْفَرَّانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١٠٠﴾
 وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَخْلُجَ لَهَا عَزْمًا ﴿١٠١﴾
 ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ : يا محمد ﴿عَنِ الْجِبَالِ﴾ : هل تبقى يوم القيامة أو تزول، ﴿فَقُلْ
 يَنْسِفُهَا﴾ : يقلعها من أصلها ﴿رَبِّي نَسَفَ فَيَذَرُهَا﴾ : يدع أماكنها ومقارها من
 الأرض، ﴿قَاعًا﴾ : منبسطة من الأرض ﴿صَفْصَفًا﴾ : ملساء منصوبان بالحال، ﴿لَا
 تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ : اعوجاجاً^(١) قليلاً لا يدرك إلا بالقياس ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ : تنوعاً أي:
 لا وادياً ولا رابية ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ : يوم إذ نسفت ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ : حيث ما أمرهم
 بادروا إليه أو الداعي^(٢) إلى المحشر ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ : لا يعوج له مدعو ولا يعدل^(٣) عنه
 ﴿وَوَخَّشَعَتْ﴾ : سكنت أو خفضت ﴿الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ : لمهابته، ﴿فَلَا تَسْمَعُ
 إِلَّا هَمْسًا﴾ : صوت^(٤) وطء أقدامهم إلى المحشر أو صوتاً خفياً ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ
 الشَّفَاعَةُ إِلَّا^(٥)﴾ : شفاعه ﴿مَنْ أָذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ^(٦)﴾ ، أو لا تنفع الشفاعه

(١) فإن العوج بكسر العين ما هو في المعاني تنفى في الأرض ما دق فألحقه بالمعاني/١٢.

(٢) وقد ورد أن إسرافيل يقوم على صخرة بيت المقدس يدعو الناس يضع الصور في فيه
 قائلا: أيتها العظام البالية، والجلود المتمزقة اللحم المتفرقة هلموا إلى العرض على

الرحمن/١٢

(٣) بل يسمع دعاء جميعهم لا يميل إلى ناس ولا إلى جانب/١٢ وحيز.

(٤) نقل عن ابن عباس وكثير من السلف/١٢ وحيز.

(٥) فالاستثناء مرفوع بالبدلية/١٢.

(٦) فيه أنه لا شفاعه إلا بعد إذن الله وأنه تعالى لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله وأنه تعالى
 لا يرضى إلا التوحيد ولهذا كان أسعد الناس بشفاعه سيد الشفعاء يوم القيامة أهل
 التوحيد كما صرحت بذلك النصوص فروى البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً "أسعد
 الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه"، وعن عوف بن مالك

أحدًا^(١) إلا من أذن في أن يشفع له ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا^(٢)﴾ : رضي الله قوله عن ابن عباس يعني من قال لا إله إلا الله، أو رضى قوله لأجله أو رضى لمكاته عند الله قوله في الشفاعة،

= قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمي الجنة، وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً" رواه الترمذي وابن ماجه فأسعد الناس بشفاعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وأخلصوه من التعلقات الشركية، وهم الذين ارتضى الله سبحانه قال تعالى: "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى" (الأنبياء: ٢٨)، وأما الشرك فإنه لا يرتضيه، ولا يرضى قوله، ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فإنه سبحانه علقها بأمرين: رضاه عن المشفوع له، وإذنه لشفاع، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة قاله الشوكاني/١٢.

(١) فهو منصوب على المفعولية.

(٢) قوله "ورضى له قولاً" قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحرائي قدس الله سره العزيز في بعض فتواه: وللناس في الشفاعة أنواع من الضلال قد بسطت في غير هذا الموضع فكثير منهم يظن أن الشفاعة هي بسبب اتصال الشافع بالمشفوع له كما ذكر ذلك أبو حامد وغيره، ويقولون: من كان أكثر صلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- كان أحق بالشفاعة من غيره، وكذلك من كان أحس ظناً بشخص، وأكثر تعظيماً له كان أحق بشفاعته، وهذا غلط، بل هذا هو قول المشركين الذين قالوا تنولى الملائكة ليشفعوا لنا يظنون أن من أحب أحدًا من الملائكة والأنبياء والصالحين وتولاه كان ذلك سبباً لشفاعته له، وليس كذلك، بل الشفاعة سببها توحيد الله وإخلاص الدين له، فكل من كان أعظم إخلاصاً كان أحق بالشفاعة كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة، فإن الشفاعة من الله مبدؤها، وعلى الله تمامها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه، وهو الذي يأذن للشافع، وهو الذي يقبل شفاعته وإنما الشفاعة سبب من الأسباب التي بها يرحم الله من رحمه من عباده وأحق الناس برحمته أهل التوحيد، والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق كلمة الإخلاص -لا إله إلا الله- كان أحق بالرحمة،

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ : ما تقدمهم من الأحوال، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ : ما يستقبلون يعني أمر دنياهم ودينهم وآخرهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ : لا يحيط علمهم بمعلومات الله أو الضمير للموصول ﴿وَعَنْتَ﴾ خضعت وذلت، ﴿الْوُجُوهُ^(١)﴾ : وجوه العالمين ﴿لِلْحَيِّ﴾ : الذي لا يموت ﴿الْقِيَوْمِ﴾ : الذي هو قيم كل شيء، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ : من أشرك بالله فإن الشرك لظلم عظيم ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ : بعض الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ : إذ الإيمان شرط صحة الطاعة ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ : بأن يزداد على سيئاته، ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ : بأن ينقص^(٢) من حسناته، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإنزال عطف على كذلك نقص، ﴿أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾ : كررنا، ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ : من المعاصي أي ليكونوا بحيث يرجى منهم التقوى، ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ : القرآن ﴿ذِكْرًا﴾ : عظة واعتباراً بذكر العقاب للأمم الماضية فيشغلهم عن المعاصي ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ : جل^(٣) الله في ذاته

= والمذنبون الذين رجحت سيئاتهم على حسناتهم فخفت موازينهم فاستحقوا النار من كان منهم من أهل لا إله إلا الله فإن النار تصيبه بذنوبه، ويميته الله تعالى إماتة فتحرقه إلا موضع السجود، ثم يخرج الله من النار بالشفاعة ويدخله الجنة كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة فبين أن مدار الأمر كله على كلمة الإخلاص وهي - لا إله إلا الله - لا على الشرك كما ظنه الجاهلون، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع انتهى/.

(١) صارت عانية ذليلة كوجوه العانية يعني الأسارى/١٢ وحيز.

(٢) كذا فسره ابن عباس، ومجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف نقله المفسرون وصححه الشيخ الناقد عماد الدين بن كثير في تفسيره/١٢ وحيز.

(٣) لما بين أنه متعال عن كل ما لا ينبغي، وأنه موصوف بالإحسان والرحمة ومن كان كذلك وجب أن يصون رسوله عن السهو والنسيان في أمر الوحي فقال: "ولا تعجل بالقرآن" الآية/١٢ كبير.

وصفاته، **«الْمَلِكُ»**: الذي جميع الكائنات تحت سلطانه، **«الْحَقُّ»**: وعده ووعيده، أو الثابت في ذاته وصفاته، **«وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ»** أي: بقراءته **«مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ»** أي: لا تقرأه حين يقرأ جبريل، بل أنصت فإذا أتم قراءته عليك فاقراه بعده، وعن بعض: لا تبلغ، ولا تمله على أصحابك حتى يتبين لك معانيه **«وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا»**: بالقرآن ومعانيه، **«وَلَقَدْ^(١) عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ»**: أمرناه، يقال في وصايا الملوك وأوامرهم عهد إليه، وعزم عليه، **«مِنْ قَبْلِ»**: قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي فكذبوك **«فَنَسِيَ»** أي: وصيناه أن لا يقرب الشجرة فترك ما وصى به، وقيل: لم يعتنى بالعهد حتى غفل عنه، **«وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا^(٢)»**: تصميم رأى حيث أطاع عدوه، والوجود إن كان بمعنى العلم فله عزمًا مفعولاه، وإن كان بمعنى الوجود المناقض للعدم فله إما ظرف لغو، أو حال من عزمًا.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ **﴿فَقُلْنَا يَسَاءَ دَمٌ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرَوْحِكَ فَلَا تَخْرُجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾** **﴿إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى﴾** **﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾** **﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَسَاءَ دَمٌ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾** **﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَرَوَاهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾** **﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾** **﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾** **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾** **﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾** **﴿قَالَ**

(١) لما تقدم قوله: "كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق" ذكر قصة آدم إنجازه للوعده، وأيضًا لما قال: "لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا" أردفه بهذه القصة كأنه قال إن طاعة بني آدم للشيطان، وتركهم التحفظ من وساوسه أمر قديم فإننا عهدنا إلى آدم من قبل، وبالغنا في تنبيهه حيث قلنا له: "إن هذا عدو لك ولزوجك" ثم إنه مع ذلك نسي وترك ذلك العهد، وأيضًا لما قال و"قل ربي زدني علما" ذكر بعده قصة آدم لتدل على ضعف قوة البشرية عن التحفظ فيحتاج حينئذ إلى الاستعانة بربه في أن يوفقه لتحصيل العلم ويحجبه عن السهو والنسيان/ ١٢ كبير ملخصًا.

(٢) قيل: لم نجد له عزمًا على الذنب، بل وقع منه خطأ/ ١٢ وجيز.

كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي
مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ
لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّأُولِي النَّهْيِ ﴿١٨﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ أي: اذكر حاله في ذلك الوقت حتى تعلم أنه ترك
المأمور ولم يكن ذا عزم، ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾، مستأنفة أي: أظهر الإباء واستكبر
﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ﴾ يعني: كونا على وجه لا
يؤثر فيكما غوايته ﴿مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ : فتعب في طلب رزقك، فإنك هاهنا في عيش
رغيد بلا كلفة، وأسند الشقاء إليه وحده لأن طلب الرزق على الرجل، ﴿إِنَّ لَكَ أَلَا
تَجُوعٌ﴾ ^(١) فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ ^(٢) فِيهَا﴾ ، من قرأ أنك بالفتح فهو عطف على
أن لا تجوع قال أبو البقاء: تقع أن المفتوحة معمولة للمكسورة لما فصل بينهما، نحو: إن
عندنا أن زيداً منطلق، وعلى أي حال جاز في المعطوف عليه ما لا يجوز في المعطوف ﴿وَلَا
تَضْحَى﴾ : لا تصيبك الشمس وأذاها ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ
عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ﴾ أي: شجرة من أكل منها صار مخلداً لا يموت ﴿وَمُلْكٌ لَا
يَبْلَى﴾ : لا يزول، ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفَحَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ أي:
أخذ يلزقان على سواهما للتستر ﴿مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ عن ابن عباس ذاك ورق التين،
﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾ : بأن خالف أمره، ﴿فَغَوَى﴾ : أخطأ طريق الحق، ولم ينل مراده،
ويجوز أن يقال "وعصى آدم" ولا يجوز أن يقال آدم عاص لأنه لا يقال عاص إلا لمن اعتاد
العصيان كما لا يقال من خاط ثوبه مرة خياط ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ : اصطفاها، ﴿فَتَابَ
عَلَيْهِ﴾ : قبل توبته ﴿وَهَدَى﴾ ^(٣) : هداه إلى الثبات على التوبة ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿اهْبِطَا﴾ ^(٤)

- (١) وليس فيها جوع، وإنما طعامها كالقواكه في الدنيا لا يرغب فيها إلا للذة/١٢ وجيز.
(٢) الجوع خلو الباطن، والعري خلو الظاهر، والظمأ إحراق الباطن والضحي إحراق الظاهر
فالمراد ليس لك ضرر لا ظاهراً ولا باطناً/١٢ وجيز.
(٣) هداه إلى الثبات عليها بعد مدة وشدة وخضوع وخشوع وندامة وسامة وملافة، وملامة
١٢ وجيز.
(٤) الضمير لآدم وحواء وقيل: له ولإبليس/١٢ منه.

مِنْهَا : من الجنة والهبوط القبول إلى الأرض **﴿جَمِيعًا﴾** ، لما كانا أصلى البشر خاطبهما مخاطبتهم **﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾** : متعادين بالحسد وأنواع العداوات **﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾** : كتاب ورسول **﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ﴾** : في الدنيا، **﴿وَلَا يَشْقَى﴾** ^(١) : في الآخرة الشرط الثاني مع جوابه جواب للشرط الأول، وما مزيدة أكدت به "إن" التي للشك وعلم منه أن إرسال الرسل غير واجب عقلا، **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾** : عن اتباع القرآن، **﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾** ، المراد عذاب القبر ^(٢)، وقد ورد أن المعيشة الضنك أنه يسלט عليه تسعة وتسعون حية، ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة ^(٣) أو في الدنيا بأن لا طمأنينة له فلا يزال في نصب من خوف القلة وما برح في تعب من هم إلا زيد في الدنيا أخذت بمجامعهم ^(٤) أو في النار، والضنك الضيق مصدر وصف به يستوى فيه المذكر والمؤنث **﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾** : أعمى البصر أو لا حجة ^(٥) له **﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ﴾** : مثل ذلك فعلت أنت ثم فسرته فقال: **﴿أَتُنْكِ آيَاتِنَا فَتُنْسِيهَا﴾** : تركتها وأعرضت عنها، **﴿وَكَذَلِكَ﴾** : مثل تركك إياها **﴿الْيَوْمَ تُنْسَى﴾** : تترك على عماك **﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾** : في مخالفة الله ، **﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾** : من ضنك العيش، **﴿وَأَبْقَى﴾** قيل: معناه عذاب الآخرة بعد العمى، وهو النار أشد وأبقى **﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾** ، فاعل "يهد" جملة "كم أهلكنا"

(١) وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: أجاز الله تابع القرآن من أن يضل في الدنيا أو يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية/ ١٢ معاً.

(٢) قاله ابن مسعود وأبو هريرة وأبو سعيد رضي الله عنهم- ونقله البزار عن رسول الله ﷺ بإسناد جيد/ ١٢ منه. [أخرجه الحافظ ابن كثير في "تفسيره"، (١٧٠/٣) من طريق البزار من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وقال: "إسناد جيد"، وذكره الهيثمي في "المجمع" (٦٧/٧) عن ابن مسعود من قوله وقال: "رواه الطبراني وفيه المسعودي وقد اختلط، وبقي رجاله ثقات".]

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنه- وقال الضحاك العمل السيء، والرزق الخبيث/ ١٢ منه. [أخرجه البزار من طريق محمد بن عمرو حدثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ابن حجرية عن أبي هريرة مرفوعاً كما في تفسير ابن كثير (١٧٠/٣)، وذكره الهيثمي في "المجمع"، (٦٧/٧) وقال: "رواه البزار وفيه من لم أعرفه".]

(٤) قال الحسن هو الزقوم، والضريع والغسلين في النار/ ١٢ منه.

(٥) قاله أبو صالح ومجاهد والسدي/ ١٢ منه.

بواسطة مضمونها أي كثرة إهلاكنا لأن كم لا يعمل فيه ما قبله أو فاعله^(١) ضمير الله، والجملة في تأويل المفعول أي: أفلم بين الله لهم مضمون هذه الجملة، وعند البصريين فاعله مضمير يفسره كم أهلكنا ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾، والحال إنهم يترددون نفي مساكنهم الخالية حين سفرهم إلى الشام فإن ديار ثمود ولوط بين الشام ومكة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾^(٢): لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ فَاَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿وَلَا تُمَدِّدْ عَيْنَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِمْ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ : حكم بتأخير عذابهم، ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾^(٣) : لكان العذاب لازماً لهم كما لزم الكفار الماضية، وهو مصدر لازم وصف به ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ عطف على كلمة أي لولا أجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم، والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب، وقيل عطف على ضمير كان أي: لكان العذاب العاجل وأجل مسمى لازمين لهم، ﴿فَاَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ المراد

(١) ويدل على ذلك قراءة نهد بالنون/ ١٢ منه.

(٢) ثم بين الوجه الذي لأجله لا يتزل العذاب معجلاً على من كفر بالقرآن فقال: "ولولا كلمة سبقت من ربك" الآية/ ١٢ وحيز.

(٣) وقيل اسم آلة فيكون فعلاً بمعنى مفعول أي ظرفاً سمي به اللازم لفرط لزومه/ ١٢ منه.

من التسبيح الصلاة^(١)، وقيل على ظاهره، وبحمد ربك في موضع الحال ﴿قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ﴾ : الصبح، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ : العصر، وقيل الظهر والعصر ﴿وَمِنْ آثَاءِ^(٢)
الَّيْلِ﴾ : ساعاته ﴿فَسَبِّحْ﴾ أي: التهجّد أو المغرب والعشاء، وتقدم من آثاء الليل
لاختصاصه بمزيد مزية فإن أفضل الطاعات^(٣) أحجزها^(٤) والليل للاستراحة، والنفس فيه
مولعة إلى النوم والعبادة فيه أبعد من الرياء ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ يعني: التطوع في أجزاء
النهار كالتهجّد في آثاء الليل أو صلاة الظهر فإنها نهاية النصف الأول وبداية النصف الأخير
﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ أي: سبّح في تلك الأوقات طمعاً في أن تنال ما به رضاك من المقام
الحمود ﴿وَلَا تُمَدِّنْ﴾ : نظر، ﴿عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَنَا بِهِ﴾ : نظر استحسان وغبطة،
﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ : أصنافاً من الكفرة، وقيل منهم مفعول متعنا، و"أزواجاً" حال من
ضمير به ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ : زينة وبهجة زائلة، نصب على الضم نحو، أتاني زيد
الفاسق، أو ثاني مفعولي متعنا لتضمن معنى الإعطاء ﴿لِنَفْسِهِمْ﴾ : نخترهم، ﴿فِيهِ﴾ أو
لنجعل ذلك فتنة وبلاء لهم لأن يمدوا في طغيانهم ﴿وَرَزَقُ رَبِّكَ﴾ : في المعاد أو ما رزقك
من العلم والنبوة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى^(٥) وَأَمْرٌ أَهْلَكَ﴾ : أهل بيتك أو أمتك ﴿بِالصَّلَاةِ﴾ ، ولا
تتموا بأمر المعيشة ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ : وداوم، ﴿عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ : أن ترزق أحداً
﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ ، ففرغ بالك للصلاة وفي الحديث إذا أصابه عليه السلام^(٥) خصاصة
نادى أهله: "يا أهلاه صلوا وصلوا وفي الحديث القدسي: "يا ابن آدم تفرغ لعبادتي مملأً

(١) وعليه أكثر السلف، وقيل: التسبيح مقرونا بالحمد في تلك الأوقات الآتية ذكرها فأما أن يراد
أن يقول سبحان الله، والحمد لله أو أريد تزيهه مع الشاء الجميل من غير قول/١٢ وحيز.

(٢) جمع إن بالكسر والقصر/١٢.

(٣) قال الله تعالى: "إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً" (الزمل:٦)/١٢ منه.

(٤) أحجزها: أمتنها وأقواها وأشدّها، وقيل: أمضها وأشققها. وانظر لسان العرب مادة حمز.

(٥) قال بعض السلف: من ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل علمه ودام
عذابه/١٢ وحيز.

(٥) نقله ابن أبي حاتم بإسناد جيد وذكره صاحب الفتح وعزاه إلى أحمد والبيهقي وغيرهما/
١٢. [أخرجه أحمد في الزهد وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن ثابت مرفوعاً كما في

الدر المنثور للسيوطي (٤/٥٦١).]

صدرك غنى وأسد فقرك وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك"(*) **﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾**: المحمودة، **﴿لِلتَّقْوَى﴾**^(١) : لذويه قد نقل أنها نزلت لما استسلف عليه السلام من يهودي فأبى إلا برهن فضايق صدره الأشرف **﴿وَقَالُوا﴾** المشركون: **﴿لَوْلَا﴾** : هلا، **﴿يَأْتِينَا﴾** : محمد، **﴿بِآيَةٍ﴾** : دالة على رسالته، **﴿مَنْ رَبِّهِ أَوْلَمَ تَاتَتْهُمْ بَيْنَهُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾**، وهي القرآن المعجز الذي هو أعظم المعجزات المهيمن على سائر الكتب السماوية فإن القرآن معجز دون سائر الكتب ظهر على يد أمي لا يعرف القراءة والكتابة، ولا يدارس أهلها صلى الله عليه وسلم - **﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾** : محمد، أو القرآن، **﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ﴾**^(٢) **﴿إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ﴾** : بعذاب الدنيا **﴿وَنَخْزَى﴾** : بعذاب الآخرة **﴿قُلْ كُلُّ﴾** أي: كل واحد منا ومنكم **﴿مُتَرَبِّصٌ﴾** : منتظر دوائر الزمان على صاحبه، **﴿فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾** : المستقيم، **﴿وَمَنْ اهْتَدَى﴾** : إلى الحق "من" في الموضوعين للاستفهام مبتدأ على أن الفعل معلق عن الجملة الاستفهامية، ولو جوزت حذف صدر الصلة وقررت من هو أصحاب الصراط لجاز أن يكون موصولة أي: من هو أصحاب الصراط؟

والحمد لله رب العالمين

(*) أخرجه الترمذي (٣٠٨/٣)، وأحمد (٣٥٨/٢)، وابن ماجه (٤١٠٧)، وابن حبان (٢٤٧٧) وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعا، وانظر صحيح ابن ماجه (٣٣١٥)، والصحيحة (١٣٥٩).

(١) ولما بين أن عذاب الدنيا والآخرة لمن أسرف ولم يؤمن، ولم يتأمل في آيات الله والآيات ليست إلا لذي النهى ثم توجه إلى نصيح حبيبه صلى الله عليه وسلم - عقبه بما يدل على عمههم في الدنيا وأنهم ليسوا من أهل النهى فقال "وقالوا" الآية/ ١٢ وحيز.

(٢) قال تعالى "وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون" (هود: ١١٧) [بالأصل غافلون ولعله قصد آية سورة الأنعام : "ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون" (الأنعام: ١٣١)]. ولما طال زمان الفترة وانتشر الكفر فهم غفلة الجميع أو الأكثر/ ١٢ وحيز.

فهرس سور المجلد الثاني

٣	الأنفال
٤٢	التوبة
١١٥	يونس
١٦١	هود
٢٠٩	يوسف
٢٥٥	الرعد
٢٨٣	إبراهيم
٣٠٤	الحجر
٣٢٦	النحل
٣٧٣	الإسراء (بنى إسرائيل)
٤٢٣	الكهف
٤٦٩	مريم
٤٩٩	طه